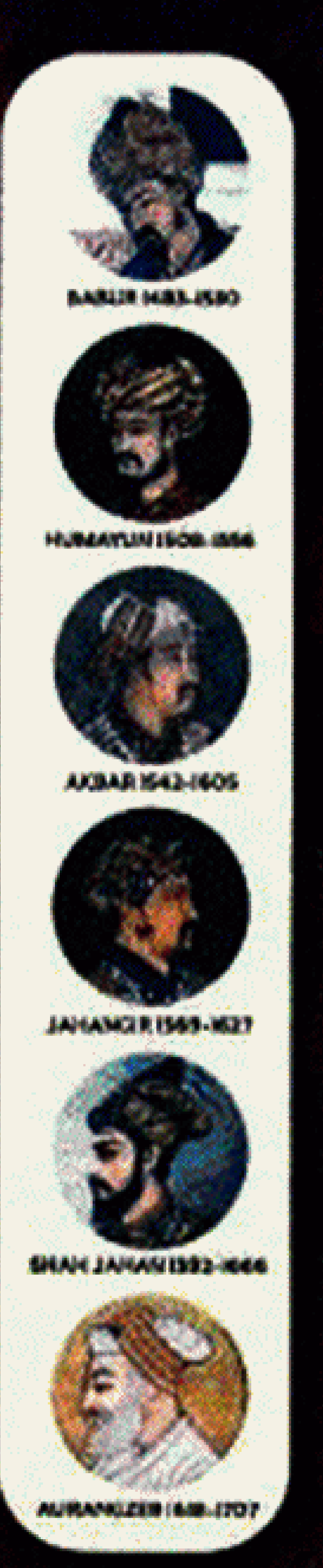
دائرة المعارف الهندية

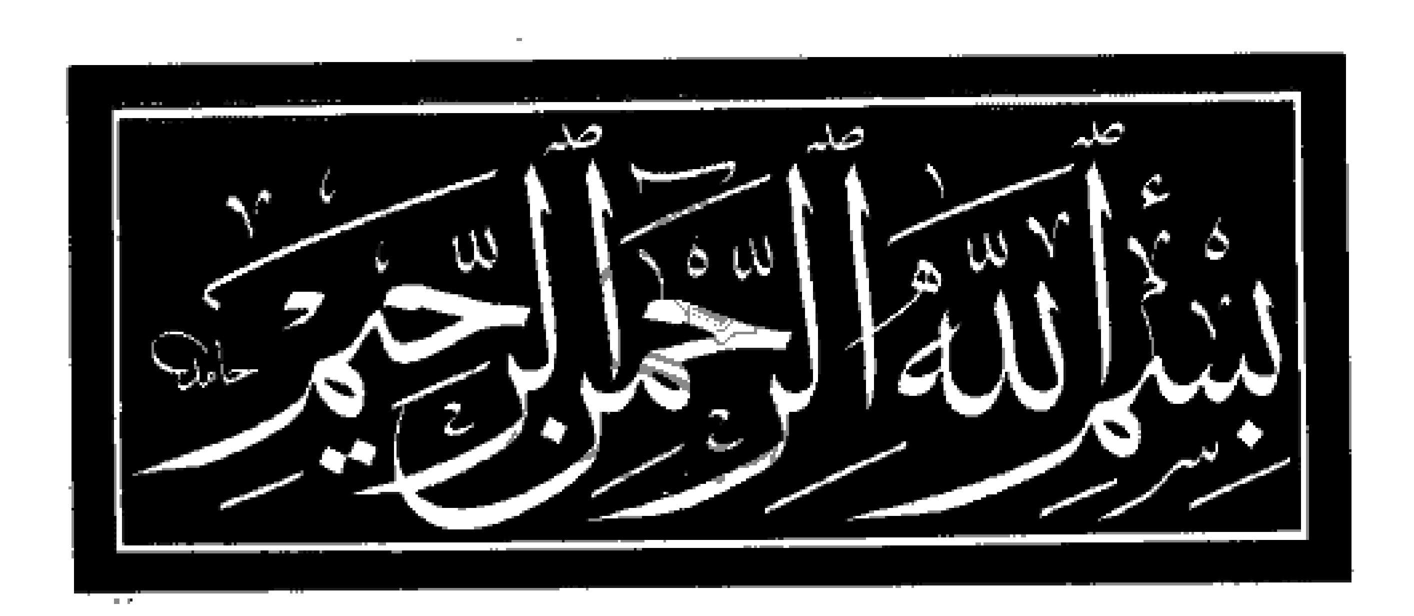
محمد سعيد الطريحي

الشيعة

في العصر المغولي







بسم الله الرحمن الرحيم

دائرة المعارف الهندية

الشيعة في العصر المغولي

تأليف

محمّد سعيد الطريحي



أكاديمية الكوفة

الطبعة الأولى

هولندا ١٤٢٧ هـ ـــ ٢٠٠٦م

ISBN 90-809737-1-8

Printed by Kufa Academy, The Netherlands

Kufa Academy
Postbus 1113
3260 AC oud-beijerland
The Netherlands
E-mail: Kufaacademy@hotmail.com
Http:// WWW.almawsem.net


أكاديمية الكوفة

دائرة المعارف الهندية



تمهيد

إن سلسلة الجبال الآسيوية الرئيسية العظمى التي تمتد من الصين شرقاً إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط غربا، والتي تبلغ غايتها من الارتفاع في منطقة التبت، وبجبال الهملايا التي تعرف بسقف الدنيا على وجه التحديد هي في تشعبها وتفريعاتها، كانت تعد بحق، في القدم، حاجزاً بين الشعوب المتحضرة والقبائل التي لا تزال بآسيا على البداوة في الغالب، فما من شعب سكن إلى الجنوب من هذه الجبال إلا وكان له في التاريخ دور هام وفي الحضارة والثقافة نتاج قوى وإسهام كبير، ولدينا في الهند القديمة وعلومها وفلسفتها، وفارس وما كان لها من ملك عتيد وماض تليد، ما يؤيد هذه الدعوى ويقوم دليلا عليها.

وفي حين كانت الأراضي الواقعة إلى الجنوب من سلسلة الجبال الآسيوية تعج بالمدن الكبيرة والوديان الخصبة. كانت المناطق الواقعة إلى ما ورائها شمالا ــ باستثناء الصين وبلاد ما وراء النهر وما حول نهري سيحون وجيحون ــ ما تزال تتحول في أغلب مناطقها مجموعات عديدة من قبائل البدو، ثروتها قطعان الأنعام، ومدنها وديارها صفوف من الخيام، ودستورها العرف القبلي البدائي المتوارث.

وعرفت هذه المناطق الشمالية عند القدماء باسم بلاد السيث ثم أطلق عليها أهل الصين من بعد ذلك اسم بلاد التتار، ويعنون بذلك بلاد الغرباء والشعوب البعيدة والجماعات غير المتمدينة واللصوص، وظل لفظ التتار يطلق على كافة القبائل التي تجاور الصين وتقطن الأقاليم الممتدة في أواسط آسيا إلى الجنوب الشرقي من أوروبا حتى ظهور جنكيز خان في القرن الثاني عشر الميلادي. وبرغم اشتهار أمر المغول من بعد جنكيز خان فقد ظل صيت التتار القديم غالبا، وصار اسمهم سارياً على المغول أنفسهم في بعض بلاد أواسط آسيا وفي سوريا ومصر، وقد أطلق التسمية عليهم التجار من المسلمين الذين نقلوها بدورهم عن جيرانهم من الصينين والاتراك.

وقد سلك كثير من المؤرخين سكان هذه المناطق الشمالية في عروق ثلاثة هي: العرق المنشورى أو المنغورى، ثم العرق المنغولي المعروف خطئاً بالمغولي، ثم العرق التركي.

أما المنشوريون فهم أغلب سكان الصين، وإلى الغرب منهم منازل المغول ثم مواطن الأتراك الذين يجاورون الصينيين في بعض المناطق.

وإلى الجنسين الأخيرين ينتمي سلاطين الدولة المغولية وكثير من القادة والجند الذين دخلوا معهم الهند واستقروا بها، وقد حكمت هذه الدولة الهند قرابة قرون ثلاثة فشهدت هذه البلاد على عهدهم أعظم نهضة وحضارة عرفتها في تاريخها تمتزج في عروقهم دماء الترك والمغول فأبوهم ظهير الدين محمد بابر، فاتح الهند ومؤسس هذه الدولة، ينتهي نسبه من ناحية أبيه الى الخاقان التركي تيمورلنك ويمتد عرقه من ناحية أمه الى خان المغول الأعظم جنكيز.

والمغول والترك كلاهما قد سبق إلى غزو شبه القارة الهندية. وكان لهما شأن خطير ودور هام، في تاريخ آسيا الوسطى بعامة وبلاد الشرق الإسلامي بخاصة، وكان لغزواتهم الأولى السيئ الصدى في ذاكرة الشعوب، فكم من مدن اسلامية زاهرة انتهبها برابرة الترك والمغول ثم دمروها، وكم من حصون وقلاع أفنوا حامياتها ذبحاً، ثم لم يتركوها حتى سووا أبنيتها بالأرض، وكم من ألوف كثيرة من السكان المسلمين نهبوا متاعهم ثم ساقوهم في الغالب إلى حتوفهم، وناهيك بالعدد الوفير من أصحاب الحرف الذين كانوا يسوقونهم من بعد ذلك للعمل عندهم.

على أن هؤلاء المخربين، حين دخلوا في دين الله أفواجا وتمكن اتصالهم بالحضارة والثقافة الإسلامية، ما غدوا أن انقلبوا في الغالب إلى حماة للعلوم والفنون والآداب، وإن لم يتخلوا أبداً عن ميلهم إلى سفك الدماء وإعمال السلب والنهب. فكنت تراهم في الغالب يكدسون هامات ضحاياهم على هيئة المنائر والأهرامات ثم ينصرفون من بعد ذلك إلى تعمير المنشآت النافعة الكثيرة ويبذلون المال والتشجيع للعلماء والأدباء وأرباب الفنون.حتى كان منهم من شارك أهل المعرفة نشاطهم ودروسهم، لتشهد من بعد ذلك على أيديهم جملة من المدن، التي خربها أجدادهم من قبل، نهضة ثقافية، وحضارة فذة.

وبالعودة الى الظروف التاريخية التي حتمت على اسلافهم الاتصال بالاسلام نجد ان الانظار تتجه نحو تأثير قوافل التجار المسلمين التي كانت تتوغل في مسالك آسيا الوسطى

حتى بلغت الصين شرقاً وحوض الفولغا غرباً، فكان هؤلاء التجار من انشط الوسطاء في نشر تعاليم الدين الاسلامي، الا ان ذلك التأثير لم يكن حاسماً وقوياً الآ مع اسلام الترك الجماعي في العهد الساماني في القرن الرابع الهجري حين أسلم خان قشغر ساتوك بغراخان امير القرن خانيين وتسمى باسم هرون بن سليمان، ودخل معه في دين أهل بلاده وفريق من سكان التركستان الشرقية وأقليم خطان، ثم اعتنق الاسلام السلاجقة واستطاعوا فيما بعد أن يحكموا بلاد ما وراء النهر وفارس والقوقاز، ونفذت عروق منهم ومن جيرانهم الى آسيا الصغرى فقضوا على الدولة البيزنطية الشرقية بها، وفي القرنين الخامس والسادس للهجرة قامت الدولة الخوارزمية من هذه العناصر الذين كانوا يحلمون بمدّ نفوذهم حتى حدود الصين مع حلفائهم من القبجاق لولا ظهور شخصية قوية استطاعت ان تضع بصماتها على مسيرة التاريخ، انه (تيموجين) اويسوغاي ذلك الفتى المغولي الذي اختارته قبيلة خاناً عليها، ولقب بجنكيز، وسرعان ما نال الدعم والتأييد من كافة القبائل المغولية واستولى بشخصيته الساحرة ونشاطه وحيويته على مشاعر المغول واستثار فيهم الهمم وزرع في نفوس اعداءه الرهبة والخوف حتى اقبل عليه فريق من زعماء الترك في اواسط آسيا يخطبون ودّه، وفيهم نفر من القبجاق، حلفاء شاه خوارزم واصهاره، ومعهم فريق من التجار المسلمين الذين عاونوا الخان المغولي، فيما بعد، على فتح كثير من البلاد الاسلامية وتنظيم شؤونها وسرعان ما انتشرت سمعة جنكيز خان وسادت أنظمته وتعاليمه في طول البلاد وعرضها، خلال جميع اصقاع منغوليا، وشعر أفراد الشعب المغولي بأنهم أصبحوا أصحاب رسالة عالية وأنهم جبلوا في طاقة عظمى، فأصبحوا جسماً واحداً طاغياً، سرعان ما برهن بأنه قوة متفوقة على جميع الامبراطوريات المجاورة ولم يحتج تيموجين أكثر من بضعة سنوات لإتمام التنظيمات الداخلية لدولته وللحصول على الاسلحة والتجهيزات عن طريق فتح علاقات تجارية جديدة. ثم بدأ بتسيير الحملات الحربية التي أثمرت في ارساء دعائم الامبراطورية المغولية العالمية، وتوجه شرقاً في أول الأمر ضد الصين، تلك البلاد التي كانت دائماً تدغدغ آمال المغول، بسبب العلاقات الثقافية والتجارية منذ القدم. وتوغلت قواته فيها، حتى أصبحت أمام عاصمة أسرة كين بعد حملتين متواليتين عام ١٢١٥ م واستسلمت له تلك العاصمة أخيراً ثم انهارت الامبراطورية

الصينية الشمالية، وبدأ المغول يوطدون سلطتهم في النصف الشمالي للممالك الصينية الهائلة، أما الأمبراطورية الجنوبية فقد بقيت دون أن تُمس إنما مؤقتاً فقط.

ان سرعة الانتصارات في الشرق قد عنت الكثير بالنسبة للمغول، فقد زادت مواردهم وملكوا الفرصة وتشجعوا بمغامرات جديدة، وفوق كل شئ بثت روح الثقة بالنفس لهم وبقوتهم، فامبراطورية الصين الشمالية مهما كانت ضعيفة، بدت قوية وعظيمة في أعين ساكني السهوب، وإذا كانوا قد نجحوا في كسر هذه الامبراطورية بسرعة فائقة، فلم يكن ذلك إلاّ اشارة إلهية بأن السماء قامت بإسناد حكم العالم للمغول.

وكان موقف الصينيين بالنسبة للغزو المغولي على العموم هو نفس الموقف الذي وقفه الصينيون دائماً خلال تاريخ بلادهم الطويل، فقد خضعوا لسلطة الحكم الاجنبي، ولكنهم اغرقوا هذا الحكم بقوة حضارتهم الهائلة، التي سرعان ما استسلم لها ذلك الحكم استسلاماً تاماً، ولكن الصينيون لم ينسوا أبداً أن هؤلاء الغزاة كانوا أجانب، وأن حكمهم لا يتفق مع مبدأ السيادة الصينية في المملكة المتوسطة، إنما مع ذلك فقد التحق الصينيون بخدمة المغول، وبصورة خاصة في العاصمة قراقورم التي ظهرت خلال تلك الفترة على الأرخون الأعلى، وأصبح أحد أبناء أسرة الخطا المهزومة وهو (يي ــ لو ــ تشو ــ تساي) وزيراً للخانات، وأنجز أعمالاً هامة في بناء الامبراطورية المغولية، ومن المؤكد انه لم يكن وحيداً في عمله، بل كان معه عدداً كبيراً من الصينيين الذين كانوا يساعدونه كزملاء أو مرؤوسين في الادارة، أو عاملين كحملة لرسالة الحضارة الصينية والتجارة، وكان لتسرب الثقافة الصينية أثره المثمر على المغول، فقد وجدت الأفكار الصينية طريقها، إلى الياسا أي إلى لب الحياة المغولية، وأصبح المغول يستعملون المفاهيم الصينية في فنون الحرب، كما أنهم استعملوا الأسلحة الصينية ــ بما في ذلك البارود ــ في حملاتهم الحربية التالية.

ان النجاح في الصين كان مؤشراً ونقطة انطلاق لانتصارات تالية مستمرة للمغول، فبعد سنتين فقط من انتهاء الحملة الصينية وجه جنكيز خان إهتمامه إلى الغرب حيث كانت في تلك المنطقة دولة خوارزم شاه، وكان يحكمها محمد الثاني الذي وصل آنذاك إلى قمة مجده، لكن ما أن خضع الغوريون طواعية لحكم جنكيز خان سنة ١٢٠٧، حتى ظهرت دولة خوارزم شاه بمظهر الخصم المرعب للمغول كما كانت صورة الصين

الشمالية، وكانت العلاقات المغولية الخوارز مشاهية غير واضحة المعالم، وقد ذكرت المصادر الشرقية المتأخرة أن خليفة بغداد النشيط الناصر لدين الله (١١٨٠ ــ ١٢٢٥م) اتصل عندما تأزمت الأمور بينه وبين محمد الثاني، بالحاكم المغولي، وحرضه على الهجوم على خوارزم شاه من المؤخرة، وتدل هذه الرواية على أن الخليفة نفسه الذي كان لا يزال ــ إسمياً على الأقل ــ هو الرئيس الأعلى للمسلمين، هو الذي جلب عليهم أعظم كارثة حلت بهم في التاريخ ولم تمر الأيام حتى اكتسح المغول مراكز المدن العظيمة في خراسان وماوراء النهر مثل مرو وبخارى وسمرقند ثم سقطت جميع ممتلكات الدولة الخورازمية بعد مقاومة عنيفة، ولهذا ذاق أهل تلك البلاد المآسي والمذابح الرهيبة من قبل المغول بل ادت هذه الكارثة التي حلت بهم جراء هذا الغزو الى تحطيم الازدهار الاقتصادي والثقافي في عموم آسيا الوسطى، فلم تستطع تلك المدن، منذ تلك الكارثة ان تستعيد مكانتها السابقة كمراكز حيوية في صرح الحضارة الاسلامية، وكان من سياسة المغول أن لا يعتدو على العلماء والفنانين والحرفيين الذين يمكن ان يستفيدوا منهم ومن خدماتهم، وكذلك النساء والأطفال كيما يستخدمونهم عبيداً، ولقد تركوا بعض الرجال في سن الجندية أحياء أيضاً لكي يستخدموهم كبش فداء في حصار تال، أو أي هجوم. حيث كان يقذف بهم أمام الجنود المغول، ويجبرون على صدام بني جلدتهم. ولم يكن هنالك أي مهرب أو منجى لهم من تلك الورطة فإما أن يهاجموا أسوار بلدانهم أو يحصدوا حصداً دونما شفقة أو رحمة.

وكان جنكيز خان يخطط للقيام بهجوم جديد على الأقاليم الشرقية، لكن في حوالي ١٨ آب عام ١٢٢٧ وافاه الأجل المحتوم، فتعطلت خططه مؤقتاً، ولكن الامبراطورية التي اسسها بقيت، ففي الأزمة التي تبعت موته لم يتجرأ أي عدو من أعدائه على رفع النير المغولي، والتخلص من تحكمه، ولكن وحدة الامبراطورية لم يحتفظ بها تماماً، فقد كان قرار جنكيز خان ووصيته أن تقسم الامبراطورية بين أبناء زوجته الرئيسية الأربعة، الذين كانوا قد اشتركوا اشتراكاً فعلياً في الحكم أثناء حياته، وطبقاً للتقاليد المغولية القديمة كان الابن الأصغر هو الوارث الرئيسي والوصي على أملاك والده، وأخذاً بهذا المبدأ فقد اصبحت الأراضي المغولية الأساسية من نصيب الأبن الأصغر. الذي كان يدعى تولوي، وأما الأبناء الثلاثة الباقون فقد كان توزيع المملكة بينهم كما يلي: أخذ جغتاي الأراضي الواقعة شمال

وشمال شرق نهر جيحون والتي دعوها السكان في الغرب منطقة ما وراء النهرين، وأخذ أوكتاي الأراضي الواقعة في أقصى الشرق، وأما الأكبر جوجي فقد نال الأراضي الواقعة في الغرب، أي روسيا ولم يكن هذا التقسيم دقيقاً تماماً لأن الامبراطورية لم تكن قد وصلت إلى الاتساع الذي كان يتصوره جنكيز خان، فقد كان يطمح بالتقدم نحو البحر الغربي مع أن معلوماته عن جغرافية الغرب، كان يشوبها الغموض، وفوق ذلك فقد توفي الابن الأكبر جوجي قبل موت والده بستة أشهر، وهكذا أصبح أبناؤه الورثة المباشرون لجدهم.

لم يترك جنكيز خان قبل وفاته أية تعليمات بالنسبة لوحدة الامبراطورية، فهو لم يكن يقصد أن تتمزق الامبراطورية بعد وفاته، بل كان يرغب أن يمارس أحد ابنائه السيادة على اخوته كحاكم أعظم أو «خان اعظم» وكان من الواجب أن يملأ هذا المركز طبقاً لرغبة الامبراطور المتوفى، ولكن بما أن المؤسس لم يخصص أحداً باسمه، اتفق على أن يجري الاختيار عن طريق الانتخاب، وهكذا فبعدما تم عقد الجمعية الوطنية العامة «القوريلتاي» عام ١٢٢٩ اتفق الأخوة دونما أية صعوبات على تنصيب أوكتاي، ولكن هذا لم يرث أياً من مواهب والده الحربية، وفي الروايات التاريخية التي وصلتنا يوصف بأنه كان هادئاً، ولا يميل لاستعمال القوة وكان ذا ضمير حي، وداهية ثاقب النظر، وسّع عاصمة ملكه قره قورم وزينها بالمباني والصروح الفخمة، وعمل على استحداث زراعة الخضروات والفواكه في ضواحيها، ونظم استيراد المؤن من الصين إلى منغوليا، وأقام علاقات تجارية بين بلاده وبلاد الهند وغربي آسية، وكان مهتماً بتوسيع أراضي امبراطوريته طبقاً لتخطيط والده، ولهذا فقد سمح لأخوته بامتلاك حصصهم من الأملاك المقطعة لهم، كما تابع تدريبات جيوشه بصورة عملية، وذلك باخضاع الأجزاء الصينية الشمالية الباقية، وكذلك بالمطاردات التي كانت باخضاع الأجزاء الصينية الشمالية الباقية، وكذلك بالمطاردات التي كانت مستمرة ومنظمة، حتى أصبحت جزء من التدريبات العسكرية اللازمة للجيش.

وفي حوالي عام ١٢٣٦ اكتسح المغول اوربة الشرقية بعد ان استولوا على مملكة البلغار وفي ٦ كانون الثاني ١٢٤٠ سقطت مدينة كييف قلب دولة الروس القديمة وسقطت بذلك روسيا واحتلوا بولنده ومورافيا واشتبكوا في ١ نيسان ١٢٤١م (٦٣٩هـ) مع

الهنكاريين فهُزم ملك هنغاريا واستولى المغول على بلادهم وفيما هم عند الدانوب توفي الخان الأعظم في قره قورم وذلك في ١١ كانون الثاني ١٢٤١هـ فعيّن كبراء الدولة توراكينا ارملة اوكتاي وصية على العرش حتى يكبر ولدها (كيوك)، فقاومها (باتو) لكونه من أولاد أكبر أبناء جنكيزخان.

وفي نيسان ١٢٤٨ توفي (كيوك)، ولم تعد الظروف مهيئة (لباتو) في تولّي العرش لكنه في العام ١٢٥١ تقرر اختيار منكو مونكا وهو أحد اولاد تولوي الأبن الأصغر لجنكيز خان وكان مؤيداً لباتو على الدوام، ووجه عنايته للاستيلاء على الصين بالرغم من اشتباكاته مع أخيه (قوبيلاي) التي انتهت بوفاته في ٦ ايلول ١٢٥٩ أثناء حصار أحد الحصون الصينية. لكن الحملة الى غربي آسيا التي بدأت باحتلال هولاكو للقوقاز عام ١٢٥٥هـ، استمرت وما برح أن واصل زحفه على المنطقة الجبلية جنوبي بحر الخزر حيث البلاد الخاضعة لنفوذ الطائفة الاسماعيلية الشيعية.

وحينما أدرك الاسماعيلية ما يتعرضون له من الخطر، بعد أن اجتاحت جيوش المغول، الصين وأروربا وخراسان والعراق العجمي وآسيا الصغرى، التمسوا من الوسائل ما يدرأ عنهم هذا التهديد، وحاولوا أن يؤلفوا من جميع الشعوب المعرضة للخطر المغولي، حتى أولئك الذين يناصبونهم العداء، جبهة متحدة لمقاومة المغول. ولم تقتصر جهود الاسماعيلية على اجتذاب الأمراء المجاورين، بل امتدت الى أوربا. ففي سنة ١٢٣٨ أرسلوا الى ملكي انجلترا وفرنسا يطلبون مساندتهما، غير أنهم لم يلقوا أذانا صاغية، ومن الدليل على ذلك أن أسقف مدينة ونشستر بانجلترا أشار إلى عدم التدخل فيما ينشب من قتال بين المسلمين والمغول، لما سوف يترتب عليه من القضاء على الجانبين، وفي ذلك انتصار للمسيحية.

ولا شك أن المغول وقفوا على أحوال الاسماعيلية، وكراهية الناس لهم، فحينما أوفدوا رسلهم الى قراقورم أثناء اختيار كيوك خاناً، لم يلقوا معاملة طيبة. ورفع المسلمون، في قزوين الخاضعة لحكم المغول الشكوى الى مونكو خان، لما يتعرضون له من الأذى والضرر من قبل الاسماعيلية وأشاروا الى أن أفراد هذه الطائفة يخالفون في عقيدتهم، ديانات المسيحين والمسلمين والمغول!.

حاول ركن الدين خورشاه، الذي يعتبر آخر مقدمي الاسماعيلية أن يتجنب الخطر

المغولي بما لجأ اليه من أساليب دبلوماسية، وقد اعتصم في قلعة ميمون دز المنيعة. فلم يسع هولاكو آخر الأمر ألا أن يبعث اليه برسالة، يطلب منه التخلي عن المقاومة، والقدوم عليه في معسكره، ويهدده بالمضي في القتال اذا رفض هذا العرض. واذ أدرك ركن الدين خورشاه أنه لا سبيل الى المقاومة وأن اليأس تطرق الى نفوس رجاله المحاصرين، توجه الى هولاكو، وأعلن طاعته واذعانه، في نوفمبر ١٢٥٦ واستسلمت قلعة آلموت في ديسمبر سنة ١٢٥٦.

واذ كفل هولاكو لركن الدين الابقاء على حياته، أراد ركن الدين أن يتوجه الى مونكو، لعله يحصل على ما يأمل من شروط حسنة. غير أنه حينما وصل إلى مقر الخان، صحبة جماعة من المغول، رفض أن يستقبله، وقال ما كان لكم أن ترهقوا الجياد في سفارة غير مجدية. واذ بقى من قلاع الاسماعيلية، اثنتان لم تستسلما للمغول، تقرر الاستعانة بركن الدين خورشاه في تدبير أمر اذعانهما. وفي أثناء عودته، لقى مصرعه، مع جميع رفاقه، وصدرت الأوامر الى هولاكو بالتخلص نهائيا من هذا المذهب. فتم الاجهاز على طائفة كبيرة من أقارب خورشاه، بينما تقرر حشد عدد كبير من الاسماعيلية، بناء على طلب المغول، لإحصاء عددهم، فتعرض من هولاء الالوف للقتل، ولم يبق على قيد الحياة الا من اعتصم بجبال فارس. وأدرك الاسماعيلية في الشام ما سوف يتعرضون له من مصير.

واحتفظ الاسماعيلية في آلموت، بمكتبة ضخمة زخرت بالمخطوطات النفيسة في شتى انواع العلوم، وعهد هولاكو الى امينه الجويني مؤلف تاريخ جهانكشاي، بأن يفحص ما بها من الكتب فاحتفظ لنفسه ما اراد منها واحرق جميع ما بقي منها وخاصة ما يتعلق بالمذهب الاسماعيلي ومن الكتب التي عثر عليها الجويني كتاب بعنوان «سركذشت سيدنا» الذي يعالج عقائد الاسماعيلية وسير قادتهم وماذا كان يدري هولاكو بما في تلك الكتب لولا عزم الحقود المتعصب عطاء الله الجويني على إفناء تلك الثروة العلمية، مثلما فعل صلاح الدين الايوبي في حرقه وتدميره لمكتبات الفاطميين في القاهرة المعزية[1].

---

[1] «أمر صلاح الدين الايوبي بحرق المكتبات الفاطمية حتى كان ينتزع جلودها العبيد والاماء ليجعلوا منها أحذية في أرجلهم وألقيت الكتب في العراء وسفّت عليها الرياح والتراب بعد حرقها فصارت تلالاً ولا تزال تعرف حتى اليوم بتلال الكتب!!» المقريزي ٢ /٢٥٥.

ويحاول الجويني نفسه ان يوهن من عظمة وهيبة الاسماعيلية فيرجع سبب التفاف الناس حولهم الى الخوف من رعاعهم قل «فتبدد بما جرى من القضاء عليهم ــ أيام هولاكو».

يقول (الجويني) في كتابه (جهان كشاي) الذي سبق الاشارة اليه وهو في غاية الفرح من فتوحات سيده هولاكو:

«لقد كان ملوك الروم والفرنجة، خوفاً من هؤلاء الملاعين، صفر الوجوه، ويدفعون لهم الجزية، لم يخجلوا من هذه الخزية. والآن استراح سكان العالم، ولاسيما أهل الايمان، من شر مكيدتهم وخبث عقيدتهم. بل إن الأنام من خاص وعام، كرام ولئام سعداء الآن. وغدت هذه الحكايات أشبه بحكاية رستم الخرافية القديمة، يقدرها أهل البصر، ويدركون قيمة هذا الفتح المبين، والنور الذي حل، والزينة التي عمت».

ولم تكن المذابح التي قام بها هولاكو لا ستئصال الاسماعيلية بما فيهم الأطفال والنساء والعجزة، لم تكن لتثير ضمير (الجويني) المأجور بل كان مسروراً لإفناء هؤلاء الابرياء الذين وصمهم بالالحاد والكفر قال:

((وقد كان في أصل قانون جنكيزخان وأمر منكوقا أن لا يتركوا واحداً منهم حياً، حتى من كان في المهد، وكان خدمه وحشمه محاطين بمئات بل بآلاف الموكلين الأذكياء. وقد صدر في أثناء هذه الأقوال والأفعال (مع منكوقا آن) أنْ: عجلوا بالخلاص من الداعية، وأريقوا دماء تلك الطائفة. فصدر الأمر بإرسال الكتائب والوفود إلى كل من يحتفظ بجماعة منهم، ليقتل من عنده. وذهب قراقاي بيتكجي إلى قزوين فأحرق البنين والبناء والإخوة والأخوات، وكل من لاذ به أو كان من صلبه. وسلموا أثنين أو ثلاثة منهم (من أهل ركن الدين) إلى بُلغان ليقتص منهم ويثأر لدم أبيه جغتاي الذي طعن بخنجر الفدائيين.

وهكذا محى أثرهم، وأفنوا عن بكرة أبيهم.

وأعطي أوتا كوجينا، الذي كان قائد الجيش في خراسان، ومشغولاً بمحاصرة قهستان أمر قتل الجماعة الذين ما زالوا على الإلحاد، على أن يخرجهم بحجة جمعهم أو سخرتهم. فقتل منهم اثني عشر ألفاً، ولم يبق هناك لهم أثراً.))

ثم يقول متشفياً بعد مقتل الزعيم ركن الدين:

((ذاق وبال الموت والعذاب الذي لقيه قومهم من آبائه واجداده، فكان خبره وخبر اقربائه حديث السمار ورواة الاخبار. وهكذا تطهر العالم الملوث بخبثهم، وعاش الناس بعد ذلك بأمن وهدوء، بلا خوف وعناء، وهم يلهجون بالثناء على الملك السعيد [هولاكو] الذي أشاد لهم هذا الخير بافناء هذه الفئة وكذلك كان هذا العمل مرهم جراحات المسلمين، وتدارك خللها الديني. والذين سيأتون بعدنا سيدركون مدى أذى هذه الجماعة. ومدى ما كانوا يغرسون من الفوضى، ويبثون من الرعب منذ أول ظهورهم حتى آخرهم)).

لكن الواقع التاريخي يثبت خلاف ذلك، فقد لقي الناس من هولاكو ما هو اشد من الخوف والرعب الذي نسبه الجويني ظلماً وحقداً للطائفة الاسماعيلية بل ان انتصار هولاكو عليهم مهد الطريق للجيش المغولي نحو احتياح عاصمة الخلافة ـــ العباسية فقد هاجم بغداد في ١٠ شباط ١٢٥٨م واحتل دار الخلافة، واعدموا الخليفة، لكن جيش هولاكو هزم في معركة عين جالوت في ٣ أيلول ١٢٦٠ م ولم يكن تحت قيادته ذلك انه كان مشغول البال بأمر خلافة الخان الأعظم وما دب من خلافات في اسرته حول هذا الأمر، الذي انتهى بتنصيب (قوبيلاي) الذي كان يحظى بدعم (هولاكو) نفسه وكان قوبيلاي قد هزم أخاه (بوقا) ونفاه عن المسرح السياسي، ولكن هذا الانتصار لم يدم طويلاً ذلك ان احداث العنف والمعارك المستمرة بين اطراف النزاع على خلافة الخان الأعظم شتت شمل مجتمع العشائر المغولية الذهبية حتى اختفى اسم الخان الأعظم من على قطع العملة المسكوكة في مناطق تلك العشائر.

واستقرت مجموعة كبيرة من القبائل الغازية في سهوب موغان التي تقع شمال تبريز وقد اصبحت مدينتا تبريز ومراغة حيث استقر هولاكو عاصمتي الأقليم الجديد في ايران حتى موته في ٨ شباط ١٢٦٥، وقد اصبح ابنه (أباقا) الحاكم الجديد، وشهد بداية عهده معركة مع (بركا) في القوقاز، واثناء الحملة مات بركا في حدود كانون الثاني ١٢٦٧ ثم خضعت لسيطرته سلطنة سلاجقة الروم في آسية الصغرى واشتبك جيش أباقا مع جيش بيبرس ولم يحسم امر تلك المعارك، وقد شهد عهده تسامحاً وانفتاحاً وخاصة مع البوذيين

والمسيحيين وسمح لعدد من الامارات الصغيرة الاحتفاظ باستقلالها في بلاد فارس وبالتالي استسلم للموت في ١ نيسان ١٢٨٢، واستلم السلطة نيكودار اخو الايلخان المتوفى الذي اسلم واتخذ لنفسه اسم (أحمد) وقد توفي بعد سنتين سنة ١٢٨٤ م.

واستلم السلطة (اراغون) وكان بوذياً، وكان عهده محنة للمسلمين، وبعد وفاته في ٩ آذار ١٢٩١ استلم الحكم (كيخاتو) أحد أخوته، لكن أُقصي عن العرش في آذار ١٢٩٥ فاعتلى العرش (غازان) وكان هذا الحدث نقطة فاصلة في تاريخ دولة المغول في ايران لأنه حالما اعتلى العرش اعلن عن اعتناقه الاسلام رسمياً وبالرغم من ان المذهب السني كان هو مذهب الأغلبية من السكان فقد عامل (غازان) الشيعة بتسامح كبير ولم يظهر ضدهم أيّ تعصب اعمى كان يتسم به أهل السنة غالباً في معاملتهم للشيعة في خلال التاريخ الاسلامي، والمعروف عنه انه زار العتبات المقدسة الشيعية في العراق ودعم المؤسسات الشيعية في بلاده ولهذا اعتبره البعض شيعياً، وكان يجري هذا في الوقت الذي يخضع له (غازان) والعرش الالكخاني في ايران للسلطة المغولية العظمى التي كان يمثلها قوبيلاي الرأس المبجل لمغول الدنيا في عصره، ولما مات قوبيلاي في بكين سنة ١٢٩٤، خف حماس الكخانات ايران لمركز القوة المغولية حتى أصبحوا انفسهم يعرفون باسم الخان، وكان حكم غازان مفعماً بالنشاط الاصلاحي للبلاد التي يحكمها حتى وفاته شاباً في الحادية والثلاثين من عمره في ٣٠ آيار ١٣٠٤، فخلفه في الحكم أخوه أولجايتو الذي اتخذ نفسه اسماً اسلامياً ايرانياً وهو خدا بنده وقد كان مسيحياً في صباه ثم اسلم واعلن انضمامه لأهل السنة مع أخيه، ثم عمد الى دمج مذهبين من مذاهب السنة ثم عاد وتحول الى المذهب الشيعي حدود سنة ١٣١٠ وفي هذا الوقت كان عدد الشيعة قد ازداد في بلاد فارس وما بين النهرين وكان مقر سلطنته مدينة (السلطانية) قرب قزوين وعرف بتذوقه للعلوم والفنون كغازان من قبله وكلاهما قدّما خدمات جلّى في تشجيعهما للعلوم والفنون وتأييدهما له كما أهتما بالتاريخ وشجعا الادب الفارسي وفي عهدهم انتشرت تواريخ رشيد الدين فضل الله احد أشهر رجال الادارة المغولية المقتول في ١٦ جمادى الأولى ٧١٨هـ/١٣١٩م وكتابه جامع التواريخ من المصادر المهمة عن تلك الفترة.

مات اولجايتو في ٩ كانون الأول ١٣١٦م وخلفه ولده (أبو سعيد) وكان قاصراً

فتسلط عدد من الزعماء، وكان أول أعمالهم قتل رشيد الدين المذكور وظهرت في عهده دولة التركمان الشيعية (القراقوينلو) وسخطت حاشية السلطان على السلطان، نفسه وسادت الفوضى في ايران وخلعت قبائل القوقاز الذهبية الطاعة للسلطان وفي خضم تلك الاضطرابات اذا بأبي سعيد يموت فجأة في ٣٠ تشرين الثاني ٧٣٦هـ/١٣٣٥ م دون أن يكون له وارث شرعي وجرت بعد وفاته أحداث كثيرة انتهت الى تفتت الملك المغولي تماماً في بلاد فارس. وظهرت عدة امارات متنازعة كالدولة المظفرية في خراسان والدولة السرابدارية الشيعية في سبزوار.

أما في العراق فقد تمكن الشيخ حسن الجلائري أن يستقل بالعراق سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م ويؤسس الدولة الجلائرية، واتخذ من بغداد عاصمة له. وفي سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م تولى ابنه الشيخ أويس الذي بسط نفوذه على منطقة أذربيجان الغنية، ونقل عاصمته الى تبريز، وأصبح العراق ولاية جلائرية، ولما خلفه ابنه حسين سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، وكان صغير السن ضعيفاً تسلط امراء الجيش على شؤون الحكم وانضم فريق منهم الى أخيه الشيخ علي حاكم بغداد، ومال فريق آخر الى أخيه الثاني أحمد وكان حاكماً على ولاية البصرة ونشب صراع على السلطة بين الأخوة الثلاثة انتهى سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢ م بمقتل السلطان حسين واستيلاء أحمد على العرش الجلائري لكن السلطان أحمد هذا اختلف مع اخوته ايضاً وتمكن من قتل أخيه الآخر الشيخ علي لكن الأمور لم تستتب له كما لم تستتب للدويلات المذكورة القائمة في بلاد فارس حيث شهد العالم الاسلامي في عهده موجة مغولية جديدة اندفعت من اواسط آسيا بقيادة تيمورلنك.

❖ ❖ ❖

تيمورلنك

ينتسب تيمور الى احدى القبائل المغولية التركية، واوصل بعضهم نسبه الى اسرة جنكيز ولكن هذا الأمر مورد شك حتى في ان يكون جده الخامس قرا جانويان لكنه على كل حال عاش أيام صباه بين قبيلة البرلاس، ونشأ نشأة اسلامية في مدينة كش في ما وراء النهر (جيحون)، وصاحب نظراءه من أولاد الأمراء والوزراء، وتدرب على فنون القتال، وقد مكنته شجاعته العسكرية من ضم القبائل المغولية تحت لوائه، والتخلص من الأمراء المنافسين على السلطة واحدا بعد الآخر، وأصبح حاكما على ماوراء النهر سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، واتخذ سمرقند عاصمة له. وكان الأوضاع الاقتصادية المتردية في بلاد ما وراء النهر، ورغبة تيمور في السيطرة، وعدم اعترافه نحو الغرب، لا سيما وقد اعتبر نفسه وريثاً لاملاك المغول، والامبراطورية الايلخانية الواسعة التي كانت تضم خراسان وبلاد الجبل والعراق العربي واذربيجان والاحواز وفارس وديار بكر وآسيا الصغرى. وهكذا غزا خوارزم أربع مرات بين عامي ٧٧٣هـ و٧٨١هـ ثم غزا أرض المغول وصحراء القبيجاق في (٧٧٦ ــ ٧٧٩هـ) وفي السنوات (٧٨٢ ــ ٧٨٣هـ) و (٧٨٤ ــ ٧٨٥هـ) غزا خراسان، وفي (٧٨٦ ــ ٧٨٧هـ) استولى على ما زندران واستراباد، وفي أواخر ٧٨٩هـ دخل تيمور شيراز واستمر صراعه مع توقتمش خان وذلك في سني (٧٩٠ ــ ٧٩٣هـ)، وفي شوال ٧٩٥هـ تحرك تجاه بغداد وأخلاها فهرب السلطان أحمد الى الشام فدخل تيمور الى قلعة تكريت التي صارت وقتها عشاً للمفسدين والمطاردين ولصوص القوافل وقد فتحها بعد لأي شديد وجعل من رؤوس المدافعين عنها منارات، واستمر في فتوحاته فاخضع بلاد ارمينية والكرج ودخل روسيا وأخمد الفتن في آذربيجان وخلف عليها ميران شاه ثم قصد سمرقند في شوال ٧٩٨هـ وحول في السنة التالية حكم خراسان وهراة الى شاه رخ ابنه الثاني.

وفي سنة ٨٠١هـ عاد تيمورلنك من هجوم السنين الخمس وكان أول ما فكر فيه

بعد ذلك أن يغزو الخطا والختن أي ما وراء كاشغر والصين الأصلية، لكنه لا يعرف لماذا قدم على هذا الغزو فتح الهند في هذا الآن، ووصل الى كابل بنية جهاد كفار ذلك البلد في غرة ذي الحجة (٨٠٠هـ) وبعد قتال مع الأفغانيين في جبال سليمان عبر وادي خيبر ثم عبر السند أوائل (٨٠١هـ).

وكان حكم السند والبنجاب في هذا الحين للسلطان محمود الثاني من ملوك التغلقيين أو أسرة أبناء محمد تغلق وكان مقره مدينة دهلي.

لما عبر تيمور نهر السند بدأ بحصار قلعة (بطنير) من قلاع البنجاب الهامة وبعد ستة أيام احتاحها في السابع والعشرين من صفر وقتل نحو عشرة آلاف من الهنود ثم اتخذ سبيله الى دهلي.

وتواجه جيش تيمور والسلطان محمود في السابع من ربيع الثاني (٨٠١ هـ) في (باني بت) على مقربة من دهلي، وفي هذه المعركة التي كان النصر الكلي فيها لتيمور قتل نحو مائة ألف من أهل الهند بيد جنوده وهرب السطان محمود الى دهلي ودخلها تيمور في العاشر من ذلك الشهر وأخذ جنوده ينهبون المدينة ومكثوا بها خمسة عشر يوما. وحين بلغ تيمور أنباء ثورات نشبت بايران عجل بترك دهلي فقسم بلاد آل تغلق بين قواد جيشه وعاد الى سمرقند عن طريق افغانستان.

وحينما انقلب تيمور الى سمرقند انبئ أن ابنه سقط من على جواده فأصيب بارتجاج شديد في مخه فصار يصدر عنه أمور شاذة ولهذا سلك الرعايا المغلوبون في الكرج وآذربيجان والعراق طريق العصيان، فتأهب تيمور بحملة جديدة على أيران وبلادها الغربية وزحف اليها. وغزواته هذه التي تسمى بهجوم السنوات السبع (٨٠٢ ـــ ٨٠٨هـ) وهي آخر حروب له.

ومات تيمور عام ٨٠٧هـ ـــ ١٤٠٥ م في إحدى حروبه مع جيوش الصين عند أترار(×)، فاقتسم ملكه من بعده ولداه جلال الدين شاهرخ ومعين الدين ميرانشاه. حتى

(×) يرى بعض العراقيين ان تيمورلنك مدفون عند جامع الطوسي في النجف الأشرف، وفي اعتقاد المؤرخ العلامة محسن الأمين ان تيمورلنك كان شيعياً، لعله اعتمد في ذلك على ما ورد في كتاب (البدر الطالع) من تفضيله علياً عليه السلام خلال محاورته العلماء (راجع اعيان الشيعة ٣/ ٦٤٨ ـــ ٦٧١).

إذا ما قتل الأوزبك ثاني الأميرين التيموريين واستولوا على أجزاء من بلاده، طفق الأول يصطنع الحيلة معهم حتى أبعد خطرهم عنه، ليعيد اليه بلاد أبيه إلى حظيرته من جديد فيما عدا الشام وجنوب فارس.

وخلف اُلغ بك أباه شاهرخ عام ٨٥٠هـ ١٤٤٦م، فدخل في منازعات وحروب متواصلة من أهل بيته من الأمراء، ولم يقف الأمر عند ضياع الكثير من أراضيه حتى قضى عليه ابنه عبد اللطيف ميرزا بنفسه ليقتل هو بدوره بعد قليل.

ولئن خبت عن الغ بك ملكته الحربية فقد تلألأ عنده نور المعرفة، حتى هدته بصيرته إلى أن يقيم مدرستيه الجامعتين، في سمر قند وبخارى، التي كتب على أبوابهما «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

وأدى اشتغال هذا الأمير بالعلم وشغفه به إلى أن وفد إليه كثير من علماء فارس وطلبتها، فكان يشاركهم في الدرس بنفسه ويدرس معهم حركات الكواكب في مرصده الذي أقامه بسمرقند.

وقد نظمت باسمه جداول للهيئة كانت آخر كلمة لهذا العلم في وقته.

وبرغم اعتزاز هذا الأمير بتركيته فقد كان شديد التعلق بكل ما يرجى فيه رقى الإنسانية والفكر البشري عامة.

وجلس على عرش سمرقند من بعده الأمير التيموري أبو سعيد ميرزا. بعون من الأوزبك، ليقيم له من بعد ذلك ملكا واسعاً ضم أجزاء من السند وخراسان وسيستان وامتد إلى العراق. حتى إذا ما هزم التركمان فاقتحم آذربيجان لينحدر منها إلى العراق، استطاع أوزن حسن زعيم التركمان أن يتسلل إلى جبال آذربيجان فيقطع عنه الإمدادات، لتفشى المجاعة في الجيش من بعد ذلك وينفرط عقد الجند وينتهي الأمر بالسلطان أبي سعيد نفسه الى الوقوع في أسر القبائل التركمانية الشيعية المعروفة باسم قراقو ينلو وأخيراً قرروا قتله وترك أبو سعيد عشرة من الأولاد، ولكن لم يخلفه في ملكه الواسع، الذي كان يمتد من العراق إلى السند سوى أربعة منهم فولى أحمد ميرزا إقليم سمرقند وبخارى، وولى ألغ بك إقليم غزنة، وولى محمود ميرزا استراباد وهراة، ليغتصبها منه ابن عمه السلطان حسين

بايقرا، فيستقر من بعد ذلك في الصاغانيان وبدخشان.

وكان هذا الأمير حسين بايقرا يسكن في (هراة) وحارب عدة سنوات حتى استطاع أن يوحد تحت صولجانه قسماً من ميراث الأجداد، وكان مشجعاً للعلوم والفنون، وفي أثناء حكمه الطويل (١٤٦٩ ـــ ١٥٠٦) وجدت العبقرية الايرانية ملاذاً وملجأً في أفغانستان وعندما تقدم العمر بالسلطان حسين أصيب ببعض الأمراض المؤلمة مما سبب انحرافه ولجوئه إلى حياة الانحلال الخلقي، مما خلق الفوضى الداخلية في اقليمه، كما سبب ثورة بعض أولاده ضده، وهكذا لم يستطع أن يكبت الميول تجاه توحيد بلدان ايران التي حرضها ظهور اسماعيل الصفوي في غربي إيران، وقد كان اسماعيل هذا يعتمد على تأييد التيارات الدينية التي يرأسها، أكثر من اعتماده على القوة العسكرية، وأدى هذا الى انتصار الشيعة الاثني عشرية نهائياً فوق اراضي جميع بلاد إيران، وقد فاز اسماعيل بالسيطرة على بلاد إيران الأصلية أثناء حياة (حسين بايقرا)، وعندما توفي حسين هذا أصبح نفوذ الأسرة التيمورية ضعيفاً جداً في (هراة)، حتى اضطر ابن حسين للاعتراف بسلطة الأسرة الصفوية، وقد مات هذا أخيراً في بلاط السلطان العثماني.

وهكذا انتهت سلطة ممثلي الحكم المغولي على أراضي إيران، إذ أن أسرة تيمور لا يمكن أن ندعوها مغولية، فحكمه وحكم أبنائه يمثل الخصائص والمظاهر التركية، وان انتصار الأسرة الصفوية عام ١٥٠٢ لم يغير شيئاً من طبيعة الأمور، فقد كان هؤلاء أيضاً من أصل تركي، وظلت لغتهم مدة قرن من الزمن في بلاطهم في قزوين أولاً، ثم في أصفهان العاصمة الفارسية الجديدة هي اللغة التركية، وهكذا فلم تكن هذه الأسرة أسرة وطنية بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح، وقد أجبرتهم العوامل الجغرافية كما أجبرت (الإلكخانات) قبلهم أن يهتموا بالمصالح الوطنية وبلاد العجم، وبعد عدة عقود من الانقسامات والحروب الأهلية تم إعادة توحيد الأراضي الفارسية في ظل حكومة ذات قاعدة وطنية مما سبب فتح الطريق نحو انبعاث قومي، وكانت الدولة الصفوية هي الأخرى تهيء نفسها للفتوحات خارج بلاد فارس وقد نجحت في بعضها ولو الى حين من الدهر، كما وصل عدد من المغامرين ورجال العلم الذين نشأوا في ظل هذه الدولة الى الهند وكان لهم التأثير البالغ في حياة المسلمين فيه ومنهم من صنع الممالك المستقلة كما ان منهم من

صبغ الثقافة الهندية بلون هندي لن يبلى مع كرّ السنين، ومؤسس الدولة الصفوية هو الشاه اسماعيل بن سلطان حيدر بن سلطان جنيد بن صدر الدين ابراهيم، وصدر الدين ابراهيم المتوفى عام (٨٥١هـ) هو ولد سلطان خواجه علي.

كان سلطان جنيد معاصر الأوزون حسن وقد لاقاه في ديار بكر، وقد زوج الأمير حسن أخته خديجة بيكم لسطان جنيد فأولدها ابنا هو سلطان حيدر والد الشاه اسماعيل، أما حيدر فقد بنى بأبنة خاله أوزون حسن وكانت من أسرة أمراء يونان واسمها مارتا او علمشاه خاتون أو (بكى آغا)، فولد الشاه اسماعيل من هذه المرأة، اليونانية وعلى هذا فنسب السلاطين للصفويين من ناحية الأم يتصل بالأمراء اليونان بطر ابزون وبأمراء التركمان الآق قويونلو من ناحية الجدة.

وقد نسب مؤرخو العصر الصفوى هؤلاء السلاطين الى الامام موسى الكاظم من ناحية آبائهم وأنشأوا لهم شجرة هذا النسب، الا أن هذه النسبة كاذبة ولم ترد في المؤلفات التي ألفت قبل عهد الشاه طهماسب الأول وفي أيام الشاه اسماعيل وأحداده.

وقتل الجنيد في (٨٦٠هـ) في حربه أمير شروان فخلفه سلطان حيدر وتقدم الى شروان كما سبق يطلب ثأر أبيه وعلا في اول الأمر على أمير شروان لكن الأمير استمد الأمير يعقوب التركماني فأمده يعقوب برغم نسبته لسلطان حيدر، وقتل حيدر في تلك الواقعة في عام (٨٩٣هـ).

كان لسلطان حيدر أولاد ثلاثة هم علي وابراهيم واسماعيل وأرسل الأمير يعقوب هؤلاء الثلاثة لحبسهم بقلعة اصطخر بفارس فظلوا بها الى أن أمر الأمير رستم بيك في عام (٨٩٨هـ) باحضارهم. وقتل علي في حوالى أردبيل وهاجر ابراهيم واسماعيل الى جيلان وأصاب القتل ابراهيم أيضا في هذا الأوان وبقى اسماعيل وأمضى نحو ستة أعوام بين السادات القواميين بجيلان.

وفي أوائل (٩٠٥هـ) قدم اسماعيل الى أردبيل عن طريق آستار بعون مريدين كثرة كانوا يسلكون طريقة آبائه وقد انبثت جماعاتهم باسم (الصوفية) في جميع بلاد آذربيجان وأران وأرمنية والجزيرة، وبعد ستة شهور قصد أرزنجان وفيها التف حوله نحو سبعة آلاف

منهم وكانوا من الترك من طوائف مختلفة مثل الشاملو والأستاجلوا والقاجار والتكلو وذى القدر والأفشار. وكان كل واحد منهم يضع على رأسه قلنسوة من (السقرلاط) وهو قماش أحمر لذا عرفوا باسم القزلباش أى ذوو الرؤوس الحمراء ولهذا السبب أيضاً سموا من هذا الوقت بالقزلباش والقزلباشية وشملت التسمية أتباعهم وجنودهم حتى ملوك الصفويين.

لم يزد الشاه اسماعيل الذي ولد في الخامس والعشرين من رجب (٨٩٢هـ) عن الثالثة عشرة من عمره حين انبعث للثأر لوالده وتأسيس أسرة حاكمة، ولما اتصل به القزلباشية بدأ بموافاة أردبيل لزيارة مقابر أجداده ورؤية أمه، ثم سلك منها طريقه الى شروان، وغلب في ولاية شماخي في قرية (كلستان) أمير شروان قاتل أبيه وقتله واستولى على مدينة (باكو) أيضا. وسمع اذ ذاك أن ألونديبك التكماني قد جرد جيوشه لقصده فتقدم اليه واحتاز فتحا باهرا في المعركة التي جرت بينهما في (شرور) قرب نخجوان أوائل (٩٠٧هـ) وقتل نحو ثمانية آلاف من التركمان الآق قويونلو في هذه الواقعة ولاذ ألوند بالفرار الى ديار بكر. ودخل الشاه اسماعيل تبريز مظفرا موفقا وآختار هذه المدينة عاصمة له واعتلى عرش السلطنة رسمياً وسك العملة باسمه وأقر مذهب الشيعة الاثني عشرية مذهبا رسمياً لدولته وارتدى علامة هذا الرسم تاجا من السقرلاط الأحمر.

وبعد هذا النصر جرد الشاه اسماعيل جيوشه على عراق العجم وقاتل مراد بيك الآق قوينلو خلف ألوند بيك على مقربة من همدان وألحق به الهزيمة فلما فر مراد الى شيراز أتاها الشاه اسماعيل يتعقبه وفي ربيع الأول (٩٠٩هـ) دخل هذه المدينة، وسقطت نتيجة هذا الفتح أسرة الآق قوينلو تماما من ايران وضمت عراق العجم وفارس وكرمان الى بلاد الشاه اسماعيل.

ومع أن التراكمة الآق قوينلو قد زالوا عن ايران الا أنهم ظلوا يدعون السلطة في عراق العرب، وفر مراد بيك من فارس وأتى بغداد وتمكن من الأمور بها. فقصد الشاه اسماعيل بغداد بعد أن أدخل ايران في طاعته وفتح ديار بكر وقضى على من بقى من الآق قوينلو فيها وفي (٩١٤هـ) سيطر على جميع العراق العربي بلا قتل أو اراقة دماء تذكر وتقدم بعد ذاك لفتح قلاع شوشتر والحويزة وسخّر أيضا خوزستان وعاد الى آذربايجان عن

طريق أصفهان وامضى الشتاء في قراباغ والدربند وباكو وبعد حصوله على بعض الفتوحات آب الى تبريز.

فتح خراسان في (٩١٦هـ):

كانت خراسان هي البلد الوحيدة التي لم تدخل حتى ذاك الوقت في طاعة الشاه اسماعيل وكانت تحت سيطرة اولاد تيمورأولا ثم استولى عليها الأوزبك أثناء نهضة الشاه اسماعيل.

والاوزبك[1] جماعة من أخلاف المغول أخرجوا في حدودعام (٩٠٤هـ) سلطنة ما وراء النهر عن قبضة أخلاف تيمور ووفقوا في أنشاء دولة لها ويسمون بالأمراء الشيبانيين نسبة الى شيبغان أو شيبان أحد أولاد جوجي بن جنكيز وكانوا من نسله، وشيبان بكسر الشين وسكون النون لا تتصل قط بقبيلة بني شيبان العرب[2].

وكان مؤسس أسرة الأوزبك هو (محمد شاهي بيك) أو (شيبك خان) الذي استصفى في (٩١٣هـ) خراسان من أولاد السلطان حسين ميرزا بايقرا، وكان شديد التعصب

---

(١) تعني كلمة اوزبك سيد نفسه والمستقل وكانت نفس هذه الكلمة شائعة بين الحربين بوصفها من القاب الشرف وهي تـرى في الوثائـق التي يرجع الى عام (١١٥٠ م). وكان اوزبك هو تاسع الحكام من بيت جوجي حمل قومه على الدخـول في الاسـلام. فأصل الأوزبك اذن تركي مغولي وعاشت قبائلهم ما بين الفولجا وبحر آرال. وكان اسم الجغتائـيين يطلق فيما سلف من الأيام على الترك المستقرين المتحضرين. في حين كان لفظ الأوزبك اذ ذاك مدلولا علـى البرابـرة الذين يقطنون منطقة السهوب الشمالية الغربية حتى تبدل الحال بعد اسلامهم واتصالهم بالحضارة الاسـلامية ببلاد ما وراء النهر فاصبح للفظ الأوزبك المدلول الذي كان للفظ جغتائي من قبل، وبين الترك البرابرة غـير المتحـضرين يعرفون باسم القرغيز أو القازاق (ومعناها الرحل البرابرة). (انظر تاريخ بخارى ٢٩٥ ــ ٢٩٨ وحواشيها).

(٢) سمي الأوزبك بالشيبانيين نسبة الى شيباني تحريف شاهي بك والتي حرفت أيضا الى شايبك وهو الأمير محمد شاهي بـك حفـيد الأمير أبي الخير الذي استقل بالأوزبك وبلغ شأوا كبيرا، وكان الأمير محمد شاهي بيك قد نجح في لم شـعث قومه بعد قتل جده ليقيم دولة على حساب التيموريين ببلاد ما وراء النهر، وكان المظهر الملحوظ للحياة الدينية عندهم هو تمجيدهم لوليهم القومي الزاهد خواجه أحمد اليسوى الولي الأثير عند بدو سهوب آسيا الوسطى وكان الأوزبك والقرغيز يقدسون أشعاره ومواعظه تقديسهم للقرآن الكريم (راجع تاريخ بخارى ٢٩٧ ــ ٢٩٨٠).

للمذهب السني لذا فقد آذى الشيعة، فضلاً عن أنه أرسل الى الشاه اسماعيل رسالة جريئة دعاه فيها الى ترك التشيع وهدده أنه اذا لم يقبل دعوته فسوف يتقدم الى آذربايجان ويدخله في المذهب السني بقوة السيف. ولم يأبه اسماعيل برسالته فأخذ الأوزبك يهاجمون حدود كرمان فقصد اسماعيل هذه المرة في أواسط عام (٩١٦هـ) الى خراسان وبعد أن استولى على مشهد تعقب الأوزبك الذين لاذو بمرو. وهاجم اسماعيل في السادس والعشرين من شعبان (٩١٦هـ) قلعة مرو وعلى أثر حرب ضروس قتل فيها نحو عشرة الآف من الأوزبك فتح على اسماعيل فتح مبين ولفظ شيبك خان آخر أنفاسه في المعركة.

ويعدّ فتح مرو من الوقائع الهامة لآسيا الوسطى لأن من هذا الوقت فما بعده أمحت فتنة عظمى كانت تتهدد ايران والهند من جانب الاتراك ونجا مذهب التشيع من خطر عظيم اذ كان لم يشب عن الطوق في ايران بعد وكان شيبك خان الا يألوا جهدا في محوه، كما نجا الشاه اسماعيل وظهير الدين بابر الذي كان أسس في نفس الوقت دولة كبرى في الهند من شر خصم قوى ولهذا السبب قامت من هذا الوقت فصاعدا بين السلاطين الصفويين بايران والملوك الجورجانيين بالهند المودة والألفة، ولكي يحكم الشاه اسماعيل أواصر هذه الصداقة أرسل أخت بابر باحترام عظيم الى أخيها بالهند وكانت قد وقعت أسيرة بقبضة الأوزبك وأطلق سراحها نتيجة لفتح مرو.

وبعد هذا الفتح الكبير أتى اسماعيل الى هراة وأمضى الشتاء بها هانئا ثم أعد جيوشه لضم ما وراء النهر وفي ربيع عام (٩١٧هـ) وجه عنان عزمه اليها فتقدم حتى حدود جيحون لكنه لم يتجاوزها وكر راجعا الى أذربايجان.

غزو ما وراء النهر في (٩١٨هـ):

ونتيجة للمودة التي قرت بين ظهير الدين بابر والشاه اسماعيل قرر الطرفان مهاجمة ما وراء النهر يعاون أحدهما الآخر فيجتثا جرثومة تسلط الأوزبك كلية من هذه الأصقاع فأنفذ الشاه اسماعيل أمير أمرائه المسمى أحمد يار أحمد الاصفهاني والملقب النجم الثاني بجيش اليها وقدم بابر معينا بدوره الا انه بعد عبورهما جيحون وبخارى لحقت بهما الهزيمة على يد خليفة شيبك خان وقتل النجم الثاني وعاد الاثنان من هذه الغزوة بخفي حنين.

وتساقط الأوزبك بعد هذا الفتح على خراسان وهراة وسببوا انشقاقات بالغة لاسماعيل ولم يعد فتح مرو بعد هزيمته شيئاً الا ان اسماعيل وصل معجلاً الى خراسان، وكان ان اطلع الاوزبك بتحرك اسماعيل فاخلوا هراة وخراسان وهربوا الى ماوراء النهر فأمنت هذه البلاد ثانية حتى حدود جيحون وعادت الى ملكية اسماعيل.

وعلينا العودة الآن الى الفاتح الكبير بابر أحد أحفاد (تيمور) وقد مرّ ذكره غيره مرة فيما سبق من ما جريات الاحداث التي تعبّر عن الثقة المتبادلة بينه وبين الصفويين، والواقع أن بابر هو الابن البارز لعمر شيخ ميرزا رابع اولاد السلطان ابي سعيد حفيد تيمور وقد مرّ ذكره قبل تحدثنا عن أحوال الصفوية، وقد ولي عمر شيخ ميرزا والد بابر امارة فرغانه وادى به طموحه الى ان يدخل مع جيرانه من المغول اصهاره والاتراك اخوته في حروب متواصلة ابتغاء توسيع رقعة ملكه، ليمضي عام ٨٩٩هـ، على اثر سقوطه من اعلى حصن له، فيحمل عبئ خصوماته من بعده ابنه الصبي ظهير الدين محمد بابر الذي قيض له ان يقيم أعظم دولة عرفتها شبه القارة الهندية في تاريخها.

❖ ❖ ❖



جنگیزخان

بابر

ولد في ٦ محرم سنة ٨٨٨ (١٤٨٣م) ونشأ في نعمة ابيه وحرص ابوه على تعليمه، فقرأ معظم العلوم الشائعة في عصره وتمهر في الفنون الحربية وتوفي ابوه وهو صغير وكان ذكياً فطناً حاد الذهن سريع الادراك قوي الحفظ فنبغ في الفروسية كما في الادب والشعر والانشاء والخط، وجلس على العرش وسنه اثنا عشر عاماً يوم الثلاثاء ٥ رمضان سنة ٨٩٩هـ (١٤٩٤م) في اندجان من بلاد ماوراء النهر وقد لقي الكثير من الشدائد والصعوبات منذ بداية عهده لكنه قهر اعداءه حيث كان ذا شجاعة لا تبارى فعندما تسلق اسوار سمرقند واستولى عليها للمرة الثانية لم يكن معه الا ٢٤٠ رجلاً وكان عبوره لجبل هند وكش في وسط الشتاء القارص من الاعمال الفظيعة، وقد استولى على افغانستان سنة ٩١٠هـ (١٥٠٤م) وانطلق منها لتوسيع مملكته، وكانت الهند هدفه الاساسي فدخلها غازياً في قلة من الجند وواجه جيوشاً كثيفة في ارض مترامية الاطراف واسعة الثراء، وكانت الهند قد سادها التفكك حتى تقاسم اغلب ولاياتها الامراء الافغان المسلمون والامراء الهنادكة، وصار الحال الى ان سعى اللودي حاكم لاهور في الاستنجاد ببابر ضد ابن عمه ابراهيم اللودي حاكم دلهي، ولم يتردد بابر في تلبية تلك الدعوة الى الأرض التي سبقه اليها من قبل جداه جنكيز وتيمور فسار الى دلهي باثني عشر الف مقاتل فقط، لكنهم كانوا مزودين بالمدافع التي لم يعرفها حاكم دلهي الذي اعتمد على كثرة جنوده وكانوا مائة ألف من الفرسان مزوّدين بالفين من فيلة الحرب، والتقى الجيشان في (بانيابتْ على مسيرة عشرة اميال شمال دهلي) في يوم الجمعة ٨ رجب ٩٣٢هـ يوم الجمعة (٢٠ ابريل ١٥٢٦) ولم تنفع الكثرة شيئاً أمام تنظيم بابر ومدافعه وبنادقه التي لم تكن الهند تعرف نظيرها فضلاً عن شجاعة رجاله وتساندهم معاً، وهكذا دارت الدوائر على جيش دلهي وقتل ابراهيم اللودي كما قتل معه الآلاف من جنده وفرّ الباقون فدخل بابر دهلي ظافراً وجلس على سرير الملك يوم الجمعة ١٥ رجب ٩٣٢هـ (ابريل

١٥٢٦م) فأخذ في توزيع ما وقع بيده من كنوز الهند الكثيرة على رجاله، وبلغ من كرمه أن بعث الى العلماء والفقراء في أغلب المزارات الاسلامية بالعالم الاسلامي بنصيب منها، كما خص كذلك كل قاطن بكابل بقطعة من النقود الفضية تذكارا لانتصاراته هذه. وكانت هذه الكنوز تضم فيما تضم ماسة كوهينور أكبر ماسة عرفتها الدنيا، وهي التي سرقها البريطانيون فيما بعد وزينوا بها تاج ملكتهم فيكتوريا.

ثم سار ابنه همايون على رأس جيش الى (اكرا) فاستولى عليها، ولم يرق هذا الانتصار إلى عدد من الامارات الهندوسية التي كانت ما تزال تحتفظ ببعض قوتها فتجمع ملوك الهندوس «رانا سنك» ملك جيتور وسيد الراجبوتانا وأكبر امراء الهنادكة وأعظم ابطالها حتى لا تزال الهند تترنم في اغانيها الشعبية بذكر بطولته الى اليوم، وكان معه في تلك الحملة ملوك مار قار وآمير، وأجمير، وكواليار وتشنديري «جند يري»، وانظم إليهم محمود اللودي أخو السلطان المقتول، ووجد بابر نفسه أمام تكتل عظيم من قوى المسلمين والهندوس معاً، وهنا برزت مواهبه الحربية، وقدرته في تعبئة قواته نفسياً وحربيا، فوقف يخطب فيهم مذكراً أياهم بالنصر القريب، ومخوفا لهم عاقبة التخاذل أمام هذه القوى المتجمعة، وتقدم في التعبئة النفسية خطوة أخرى، حيث أعلن أمام جنده أنه سيطهّر نفسه من شرب الخمر، وحطم كؤوسها وأراق ما كان عنده منها، ثم قال لهم: هلموا بنا إذن نقسم بالله وكتابه ألا نبرح مكاننا حتى ننتصر أو نهلك جميعاً. وجابه جنده، فرفعوا المصاحف وأقسموا، وغلت دماؤهم، ولعب الحماس بنفوسهم، وتقدموا للقتال، فكانت الغلبة للمدفع والنفس القوية، والتنظيم المحكم، وبذلك تشتت شمل هؤلاء المتجمعين، وأخذ بابر يتعقب من بقي منهم ويأتي على ملكه، وبذلك انكسرت قوة المقاومة أمامه، واستقامت له الأمور، لا سيما بعد أن طارد محمود اللودي الذي فر إلى البنغال وكانت تحكمها اسرة افغانية، وتابعه بابر حتى استولى على بيهار وبهذه الواقعة تم لبابر اخضاع الهند كله وحين بدأت الأمور تستقر له شرع ببعض الاصلاحات فمهد الطرق وحفر الترع وأهتم بالزراعة ونظم الضرائب وأقام مراكز البريد على الطريق بين اكره وكابل لكن القدر لم يمهله طويلاً فمات في ٦ جمادى الأولى سنة ٩٣٩هـ (٢٦ ديسمبر سنة ١٥٣٠م) بمدينة اكره ودفن في كابل، وله خمسون سنة، ولم يكن قد امضى أكثر من سنوات ستة في بلاده الجديدة.

وما من شك ان بابر كان أحد عظماء التاريخ فقد استطاع ان يحقق انتصاره التاريخي في موقفه (باني بت) المذكورة بما لم يحققه من سبقوه من غزاة الهند المسلمين من الغزنزويين والغزنويين الذين كانوا لا يسيرون في أقل من مائة الف من الجند، واستطاع بحزمه وقوة عزيمته أن يتغلب على تذمر رجاله الشديد من حرّ الهند الذي أضاع من قبل على الاسكندر المقدوني ومحمود الغزنوي من بعده ثمرة فتوحاتهم الهندية فأسس ملكاً اسلامياً عامراً ازدهر اكثر من قرنين من الزمان بعده.

وكان بابر أديباً شاعراً، كتب باللغة التركية الجغتائية مذكراته المسماة (بابر نامه) أوالوقائع البابرية وهي سيرة ذاتية له ذكر فيها، قصة حياته وطفولته إلى آخر سنوات عمره، كان فيها صريحاً كل الصراحة فتحدث عن ضعفه وأخطائه وهزائمه، كان فيها واقعياً بعيداً عن الانفعالات النفسية، و لم يكن القصد منها الدفاع عن النفس.

وقد اعتبرها بعض الدارسين بما فيها من قوة الملاحظة والقدرة على التحليل والفهم لنفسية الشعوب والافراد. وما في لغتها من صفاء وبساطة ووصف حافل بالألوان الجياشة بالحياة ـــ اعتبرها من روائع النثر التركي.

ويظهر من اختلاف الأسلوب كما أشار Huart أنّ هذه المذكرات لا بد وأن يكون أملاها المؤلف على كتّاب ثلاثة. وقد نشر نصها إلمنسكي Ilminski في قزان سنة ١٨٥٧ من نسخة نسخها Kehr في سنة ١٧٣٧، ونشرت السيدة، «أنيت بفردج»: Mrs. Annette S. Beveridge مخطوطاً كان يملكه السير سالار جنك الحيدر ابادي (انظر Gibb Memorial جـــ ١، سنة ١٩٠٥، ومعه فهرسان). وترجم «بابر نامه» الى الفارسية عبد الرحيم ميرزا خان بن بيرام خان سنة ١٥٩٠ ثم ترجمت هذه الترجمة الى الانجليزية بواسطة ليدن وإرسكين W.Erskine و J. Leyden سنة ١٨٢٦ أما الترجمة الفرنسية التي قام بها بافيه ده كورتيى Pavet de Courteille وطبعها في باريس سنة ١٨٩١ فهي مأخوذة عن نسخة إلمنسكيIlminski . وفي مذكرات بابر فراغ يرجع إما إلى رغبة المؤلف في إغفال ذكر بعض الحوادث التي ليس في صالحه ذكرها واما الى الحوادث نفسها التي حدثت له خلال حياته الحافلة بالمغامرات وقد نهج ابناؤه من بعده نهجه هذا في تدوين سيرهم وكانوا جميعاً يقتدون في ذلك بما فعله جدهم الأكبر تيمور.

وكان بابر كما ذكرنا شاعراً مقتدراً على الشعر الفارسي والتركي وله ديوان باللغتين يشتمل على الغزل والمثنوي والرباعي والقطعة والمعمى والمفرد، ويدل هذا الديوان على أن بابر لم يكن دون أيّ من الشعراء الجغتائيين في القرن الخامس عشر. وفي الديوان نقرأ أغاني الحب الصوفّي والخمريات إلى جانب موضوعات الحياة اليومية. عدا عن أن قصائد الديوان هي في الأصل باللغة التركية، فإن فيه ما يزيد على عشرين قصيدة باللغة الفارسية.

ويجهر في الديوان بأنه تركيّ مشيداً بشجاعة الأتراك، وإذا عُدَّ بابر في التاريخ السياسي بين الملوك المظفرين المؤسسين الناجحين، فإنه يعد ولا شك في التاريخ الأدبي في أول الشعراء الأتراك، ولا يسبقه إلا الشاعر نوائي.

ولبابر رسالة في العروض اكتشفت سنة ١٩٢٣ مخطوطة في ملحق المكتبة الأهلية في باريس.

وله منظومة في المعارف الالهية نظم فيها رسالة الخواجة أحرار ومجموعة من المثنويات تسمى (مبين) ومن مخترعاته خط سماه بالخط البابري كتب بذلك الخط القرآن الكريم وبعث به الى مكة المكرمة، وشعره قوله:

نوروز ونوربهار دمي دلبرى خوش أست بابر بعيش كوش كه دنيا دو باره نيست

كلبدن بكم ابنة بابر شاه (٩٣٠ ت ١٠١٠هـ)

وقد انجب (همايون) الذي خلفه في الحكم وكان شيعياً وسيأتي تفصيل حياته، كما أنجب (كلبدن بيكم) من زوجته دلدار بيكم ١٥٢٣ م، والتي كانت على مذهب أخيها ومن فضليات زمانها علماً وأدباً ولدت سنة (٩٣٠هـ/١٥٢٣م) في خراسان وقدمت الهند سنة ٩٣٦هـ ونشأت في ظل والدها وصنوها همايون بن بابر شاه، وتعلمت الخط والإنشاء في اللغة التركية والفارسية وبعض الفنون آخر، وتزوجت بخضر خان الخواجة الجغتائي وولدت له بنتً اسمتها رقية سلطان ثم زوجتها فيما بعد بالامبراطور أكبر، ثم رحلت الى الحرمين الشريفين للحج والزيارة في أيام أبن أخيه أكبر بن همايون وكانت معها بنت أخته «سليمة سلطان بيكم» سنة أثنتين وثمانين، فحجت أربع حجات ثم رجعت إلى الهند، وغرقت سفينتها فأقامت بمدينة عدن سنة كاملة ودخلت الهند سنة تسعين وتسعمائة.

وكانت فاضلة شاعرة عفيفة صاحبة العقل والرأي، ومن الزاهدات العابدات لها«همايون نامه» كتاب ضخم في أخبار أبيها وصنوها همايون، ومن أبياتها قولها:

تو يقين ميدان كه هيچ از عمر برخور دار   هر برى روى كه اوبا عاشق خود يار نيست

توفيت سنة عشر وألف (١٦٠٣م) في أيام أكبر شاه، كما في «إقبا لنامه» وكان من علماء عصرها العالم المجتهد السيد أبي البقاء بن عبد الباقي بن تقي الدين محمد الحسيني الخراساني أحد العلماء المبرزين في العلوم الحكمية قدم الهند مصاحبا لبابر شاه وسكن بآكره ودرّس وافاد بها مدة من الزمان ثم خرج مع صاحبه همايون شاه الى ايران وأقام بارض السند معه زمانا، وكان معه حين تزوّج همايون بحميده بيكم فقرأ خطبة النكاح وأعطاه همايون مائتي ألف من النقود الفضّية ثم بعثه الى بهكّر بالرسالة الى صاحبها فقتل بها سنة ثمان واربعين، ذكرته كلبدن بيكم في «همايون نامه» وقال مرزا نظام الدين في الطبقات (ان همايون بعثه بالرسالة الى يادكار ناصر وكان قاصدا الى قندهار ليرجعه الى معسكره فذهب ابو البقاء اليه ثم رجع الى همايون، فلما وصل تحت قلعه بهكر خرجت طائفة من أهلها ورموا اليه بالنشاب فاصابه سهم ومات بها سنة سبع واربعين) والصواب انه قتل يوم الأربعاء لتسع عشرة خلون من جمادى الاخرى سنة ثمان واربعين وتسع مائة.

خان زاده بيكم:

شقيقة بابر وكانت تكبره بخمس سنوات، عاشت معه في سمرقند، ويقال إنها أحبت شيباني (انظر محمد صالح: شيباني نامه، طبعة فامبرى Vambery) وقد اضطر بابر الى السماح بهذا الزواج كي يفر من سمرقند. وقد طلق شيباني عمتها ليتزوج منها، ثم طلقها هي بعد ذلك لارتيابه أنها تحابي أخاها.

وقد أعقبت منه ولدا هو خان شاه الذي أصبح والى بلخ ولكنه توفى صغيرا. ثم تزوجت بعد طلاقها من السيد شيخ هادي بيد أنه قتل في وقعة مرو التي قتل فيها شيباني أيضا. وقد بعث بها الشاه إسماعيل إلى بابر وتزوجت بعد ذلك المهدى (انظر حبيب السير، ج٢، ص ٣٧٢، في رواية لمحمد زمان) وتوفيت خان زاده بيكم في أفغانستان عام ١٥٤٥ وعهد إليها من قبل برعاية أكبر حفيد أخيها عندما كانت أمه في فارس، والظاهر أن خان

زاده بيكم كانت امرأة عظيمة يحترمها الناس كثيراً. وقد سرها أن الطفل أكبر كان يشبه أخاها بابر (أنظر Gulbadan: Memoirs of Humayun، الترجمة ص ٣٧).



همايون

وكان لبابر أربعة أولاد، كان همايون أقربهم الى قلبه، ولذا عهد إليه بالملك في الهند، على أن يكون أخوه «كمران» والياً على كابل وقندهار، ثم أضاف إليه همايون ولاية شمال البنجاب أيضاً، على أن يكون تابعاً إسمياً لدلهي، وأما أخواه الصغيران «هندال مرزا، وعسكرى مرزا» فقد أعطاهما ولايات في الهند، وكان همايون شديد العطف على إخوته حسن المعاملة معهم، لكنهم لم يكونوا معه كذلك، بل ظاهروه بالعداوة، وتفرق شملهم حتى طمع فيهم أعداؤهم، وأصبحت حياة همايون سلسلة من المصائب والمصاعب كما سيأتي.

ولد همايون ليلة الثلاثاء ٤ ذو القعدة سنة ٩١٣هـ بقلعة كابل ونشأ في رعاية والده وأتقن الفنون الحربية والسياسية ما يليق بابناء الملوك وأضاف إلى ذلك معرفة اللغة التركية والفارسية وعلم الهيئة والهندسة والنجوم والشعر والالغاز وتبحر في علم الاصطرلاب أخذ عنه نور الدين السفيدونى وهو أخذ عن السفيدوني غيرها من الفنون وأخذ عن الشيخ جلال التتوى السندى والشيخ أبي القاسم الجرجاني ومولانا الياس الاردبيلى قرأ عليهما درة التاج للعلامة قطب الدين الرازي وكان دائم الاشتغال بمطالعة الكتب ومذاكرتها.

وقد جلس على العرش بعد أبيه في ٩ جمادى الأولى سنة ٩٣٧هـ بمدينة آكره فأرخ له بعض العلماء «خير الملوك» ووزع الأموال الطائلة على الخاصة والعامة ثم نفذ وصية والده وحاصر قلعة كالنجر الشهيرة بالمناعة وفتحها، وبينما هو في سعيه للسير على خطى والده وتطوير الامبراطورية اذا بشحناء الحسد تظهر في أعمال عدد من أمراء الجيش في البلاد وقد أثارتهم كثرة الغنائم والاطماع بالملك الواسع الذي سيطر عليه الغزاة الجدد ذلك ان بابر وبسبب المدة القصيرة التي قضاها على عرش الهند لم يستطع القضاء التام على جميع الخارجين عليه ومما فتّ في عضده ان اخوانه كانوا في طليعة من تآمروا عليه مع اولئك الامراء.

فقد اسرع ميرزا كامران بالمجئ الى الهند مدعياً انه أتى لتهنئة أخيه بالملك، ولكنه لم يأت، في الواقع الا ليحرض أمراء البنجاب على أخيه، وقد علم همايون بالأمر ولكنه تغاضى عن فعل أخيه، لا بل فإنه زاد في إكرامه إذ أقطعه من البنجاب حتى نهر ستلج وعهد إلى إخوانه الآخرين بوظائف رفيعة في الدولة. وبينما همايون يعمل لإطفاء هذه الفتنة العائلية قبل أن تظهر للملأ ويعسر إطفاؤها وإذا بالأنباء تأتيه منبئة بأن محمود لودهي، الذي كان فرّ من أمام بابر وأختبأ في بعض نواحي البنغال، قد ظهر ثانية إلى الميدان، واستولى، بمساعدة بعض الأمراء الأفغانيين، على مدينة جونبور، فسار همايون إليهم وقاتلهم واسترد منهم ما أخذوه، وكان ينوي استئصال شأفتهم ليرتاح، ولكن الذي كان يخشاه من الشرق أتاه من الجنوب، وكانت ثورة الجنوب أعظم شأناً وأشد خطراً وذلك لأن منافسه لم يكن ثائراً عادياً بل كان ملكاً عظيماً ألا وهو بهادر شاه عاشر ملوك كجرات، الذي كانت سلطنته تضم خانديس وبرار وأحمد نكر ومالوي وميوار وغيرها، كما كانت بلاده أصبحت ملجأ للناقمين والفارين والملتجئين من الأمراء الأفغانيين ومن المغول الموتورين ولكثير من أمراء الأسرة اللودهية، ولكل واحد من هؤلاء أنصاره وأتباعه. وقد حرض هؤلاء السلطان بهادر شاه على الاستيلاء على شمال الهند، فأصابوا من نفسه غرضها، فجهز جيشاً يضم أربعين ألف مقاتل وأرسله سنة ١٥٣٤، بقيادة تاتار خان بن علاء الدين لودهي للاستيلاء على آكره، وخرج همايون للقاء هذا العدو، ونشبت بين الفريقين معركة على الحدود الراجبوتانية سحق فيها جيش بهادر شاه سحقاً وقبض على قائده تاتار خان فقُتل. وتقدم همايون ينوي القضاء على سلطنة بهادر شاه فاستولى على سارنكبور في إمارة مالوي التابعة لبهادر شاه بينما كان بهادر شاه يحاصر قلعة جتور، الكائنة في امارة ميوار، لقمع ثورتها عليه، فلما سمع بهادر شاه بزحف همايون إليه لم يرفع الحصار عن القلعة، ولأمر ما لم يشأ همايون أن يهاجمه وهو مشتبك مع عدوه بل أخذ ينتظر، ولما فتح بهادر شاه هذه القلعة كرَّ، سنة ١٥٣٥، على همايون والتقى الفريقان في ضواحي مند سور، على حدود راجبوتانه، فلما رأى الكجراتيون الجيش المغولي خارت قواهم، لا سيما وأن حصار جتور كان قد انهكهم. وقد أدرك بهادر شاه أن لا طاقة له بهمايون وجيشه فأراد اللجوء إلى الحيلة ولكنه فشل وحاصره همايون من كل جانب ومنع

عنه المدد والأقوات حتى هلك الناس والحيوانات وأصبحت الغنيمة بالفرار، فأخذ الناس يفرون، وفرَّ بهادر شاه نفسه، وانتصر همايون نصراً حاسماً مؤزراً من غير أن يلجأ إلى حرب سافرة وأخذ يطارد الكجراتيين حتى استولى على مالوي ثم تقدم فاستولى على محمود آباد، وبهادر شاه يفرّ أمامه من مكان إلى مكان. فلما سقطت محمود آباد بين يدي همايون لم يعد بهادر شاه يأمن على نفسه البقاء في بلاده فذهب ملتجئاً إلى المستعمرة البرتغالية «ديو» الكائنة في رأس كجرات الجنوبي.

أما همايون فإنه بعد أن تجول في أكثر أنحاء كجرات وعيَّن لها الولاة، نصب أخاه عسكري ميرزا والياً عاماً عليها، وظنَّ أنَّ الفتح قد تمَّ له، فأخذ يرتاح في خانديس.

غير أن عوامل الثورة كانت لا تزال موجودة وبهادر شاه ما زال حياً وأنصاره ما زالوا يؤيدونه وولاته لم يقروا بالهزيمة بل كانوا لا يزالون يشتبكون بمعارك مع ولاة همايون ويدفعونهم جهد طاقتهم، ثم إن عسكري ميرزا لم يكن مخلصاً لأخيه همايون بل كان يطمع بانتزاع كجرات منه ليكون هو عليها ملكاً مستقلاً.

وبينما الأمور تجري في الخفاء والناس يستعدون للعصيان من جديد وإذا بالأنباء ترد إلى همايون معلنةً موت واليه على جونبور جنيد برلاس، وهو الوالي الاداري الحازم المخلص الذي كان همايون يعول عليه في الملمات ويتخذه درعاً يقيه الأعداء.

إزاء كل هذا رأى همايون أن يسرع الخطى نحو آكره ليرتق ما انفتق، وبمغادرته كجرات طارت من يده البلاد، إذ خرج بهادر شاه من مخبئه واستعاد ملكه ووجد أنصاره ما زالوا على ولائهم له، فطرد عمال همايون، وفرَّ عسكري ميرزا بعد شهور لا حقاً بأخيه في آكره.

عاد همايون إلى آكره ليواجه صعاباً لم تكن في حسبانه وذلك أن الأفغانيين في شرق الهند اغتنموا فرصة انهماكه في كجرات وساروا، بقيادة زعيم اسمه شير خان، فاستولوا على قلاع كثيره منيعة، وحدث أن مات سنة ١٥٥٦ أمير البنغال نصرت شاه، الذي كان موالياً لهمايون وخلفه أمير تلقّب بالسلطان محمود شاه، ولما كان لهذا الأمير أنصار وأعداء فقد اهتبل شير خان هذه الفرصة وزحف إليه فحاصره في عاصمته كور وظل يوالي عليه

الضربات حتى ألجأه إلى الفرار ففرَّ ملتجئاً إلى همايون الذي كان آنذاك في بهار، فكان على همايون أن يقضي على ثورة شير خان وأن يعيد أمير البنغال إلى عرشه، وبعد أن استعاد سنة ١٥٣٧ قلعة جنار من أيدي رجال شير خان تقدم سنة ١٥٣٨ إلى كور لاسترجاعها من الأفغانيين فالتقت طلائع جيشه في بعض الطرقات الجبلية بالجيش الأفغاني الذي كان يقوده ابن شير خان، ولما رأى الأفغانيون أنهم لا يقدرون على الوقوف في وجه الجيش المغولي تراجعوا ملتجئين إلى الجبال وسار همايون متقدماً حتى قارب قلعة رهتاس وكان الواجب عليه أن يستولى عليها ليضمن لنفسه خط الرجعة، ولكنه لم يفعل، وكانت خطيئة استراتيجية ارتكبها همايون وقطف ثمارها شير خان إذ أنه لما علم بإهمال همايون هذه القلعة ترك كل شيء وراءه ورجع بطريق جبلي فاستولى عليها.

أما همايون فإنه سار حتى دخل كور وجاء فصل الشتاء فلم يعد يستطيع حراكاً وبينما هو في هذه الحال وإذا بالأنباء تأتيه مخبره بأن أخاه هندال ميرزا اهتبل فرصة غيابه عن العاصمة وأعلن نفسه ملكاً على البلاد، وتحرك أخوه الثاني كامران ميرزا، والي البنجاب، يقصد آكره لينتزع الملك من أخيه، مدعياً أنه آت لنصرة همايون، ولما علم هندال بمسير أخيه إليه ترك آكره وفرّ إلى الوز وهكذا فقد أصبحت البلاد في فوضى واضطراب لا حدود لهما وأصبح همايون وكأنه محصور في البنغال إذ أنه لم يعد يستطيع أن يطلب نجدات من آكره ولا يستطيع العودة إليها وهو على حالته تلك لا سيما بعد أن أفنت الأوباء، التي تفشت في جنده، عدداً كبيراً منهم.

وفي هذه الفترة التي كان همايون لا يستطيع أن يأتي بحركة، كان شير خان يستولي على البلاد ويقيم عليها الولاة مكان الولاة المغول. فلما رأى همايون أن لابد له من العودة إلى آكره ترك كور وسار حتى وصل مدينة بنارس وهناك التقى بـ شيرخان ودارت بينهما معركة في (جوسه) على خمسين ميلاً من مدينة آره، وانهزم همايون هزيمة منكرة، وغرق آلاف من رجاله في ماء (الكانج) واشرف همايون على الغرق ولكنه نجا بمساعدة نظام السقاء وكان ذلك سنة ٩٤٦هـ وهكذا كان النصر حليف شير خان وبذلك أصبح سيد البنغال وبهار غير منازع. ولما رأى الأمراء الأفغانيون ذلك بايعوا شير خان ملكاً على البنغال وتلقب بـ شير شاه سور. أما همايون فإنه استطاع الفرار من المعركة ورجع إلى

أكره مهيض الجناح كسير الفؤاد وتوالت الهزائم على المغول حتى خرجت من يد همايون أكثر البلاد الكائنة ما بين نهر جمنا ونهر الكانج وكثير غيرها.

غير أن كل هذه الهزائم لم توهن من عزم همايون ولا فتت من عضده ولا أفقدته الثقة بنفسه بل أخذ يجمع الجموع، من جديد، ليحارب شير شاه، وفي سنة ١٥٣٩ سار همايون إلى بلاد ما بين النهرين ــ جمنا والكانج ــ يريد استئصال الأفغانيين فالتقى بـ شير شاه عند قنوج، وكانت الظواهر تدل على أن الغلبة ستكون لهمايون على خصمه، ولكن حدث أن جاءت السماء بأمطار غزيرة أغرقت معسكر همايون، إذ كان في منخفض من الأرض، فشُلّت حركاته ودارت الدائرة عليه ومني بهزيمة شنعاء كانت القول الفصل في تقرير مصير همايون الذي استطاع أن يفلت من أيدي أعدائه، ولكنه لم يعد يستطيع البقاء في آكره أو في دهلي لأن جيوش شير شاه كانت تطارده، فأخذ يضرب في الأرض بين السند والبنجاب عله يستطيع تأليف جيش ليحابه عدوه ولكن جهوده ذهبت عبثاً ولم يجد له ناصراً بل لم يكن يملك الا بعيراً ركبه مع زوجه وهي حامل حتى وصل الى عمركوت حيث ولد ابنه جلال الدين اكبر، واما قومه من المغول فحين ادركوا، أنهم أصبحوا غرباء في البلاد أخذوا يغادرونها إلى البنجاب حتى ليقال بأن لاهور وضاقت بهم، ثم لما علموا بأن شير شاه ما زال يطاردهم تركوا لاهور إلى كابل وكشمير. وكانت كابل إمارة مغولية منذ زمن بعيد، وأما كشمير فقد استولى عليها حيدر ميرزا ابن خالة بابر ومشير همايون وأسس فيها إمارة أصبحت ملجأ لكل مغولي، وقد دعا حيدر ميرزا همايون مرات عديدة إليه، ولكن همة همايون أبت عليه، بعد أن كان أمبراطور الهند، أن يعيش ضيفاً على قريبه، وظل أكثر من سنتين يضرب ما بين السند والهند محاولاً استعادة ملكه دون جدوى، لما يئس غادر البلاد إلى كابل لكنه ماكاد أن يستقر فيها حتى بلغه أن أخاه خرج إليه ليأسره، ففرّ بنفسه تاركاً أبنه مع أمه في (قندهار) والتجأ الى امبراطور إيران الشاه طهماسب الصفوي الذي أكرم مثواه وأحسن ضيافته.

وفي سنة (٩٤٧هـ ــ ١٥٤٠م) أصبح شير خان أو شير شاه السوري كما عُرف فيما بعد هو السلطان الحقيقي للهند.

وما غدا أن أخضع مالوَه والبنغال لحكمه كما أنزل بالأمراء الهنادكة الرجبوتيين ضربات متلاحقة شديدة. بيد أنه أصيب في إحدى المواقع بشظية من قذيفة قضى بسببها بعد قليل سنة ١٥٤٥ م بعد أن حكم الهندستان سنين خمسة تُعد من خير أيام هذه البلاد. فقد قضى على نظام الاقطاع وأنشأ للدولة جيشاً قويا تلتزم بدفع نفقاته من بيت المال ومدَّ ما يزيد على الألفي ميل من الطرق المعبدة لتي تظللها الأشجار وزودها بمنازل للمسافرين والدواب مما ساعد على رواج أحوال صغار التجار تبعا لذلك. كذلك أنشأ المدارس الكثيرة والمساجد ورتب الأجور للطلبة والمعلمين على السواء، وأقام مطاعم شعبية كثيرة في انحاء متفرقة من البلاد وأباحها للفقراء بالمجان.

وقد خلفه ابنه الأكبر، ولكن أخاه الأصغر ازاحه عن العرش وتولى الملك وتلقب بالسلطان سليم شاه وسار على خطى والده في الإصلاح، إلا أنه أصيب بالغرور والعتو، فأمر بأن توضع له منصة في مركز كل ولاية توضع عليها نعلاه فيأتي الناس يوم الجمعة ينحنون أمامها تعظيماً وخضوعاً. ثم ازداد غروراً ورعونة وفسقاً، فثار عليه والي البنجاب هيبة خان فقضى السلطان على ثورته ولكنه لم يستطع أن يقضي على غضبة الشعب. فأنقسم الناس أحزاباً وطرائق، منهم من يؤيده ومنهم من ينكر عليه، فلما مات سنة ١٥٥٤، ماتت معه الوحدة الأفغانية، التي عمل أبوه جاهداً كل حياته لخلقها وإحيائها، واستقلت أكثر المقاطعات، لا بل وانقرضت اسرة شير شاه لأن السلطنة انتقلت بعد ذلك إلى خاله مبارز خان الذي أزاح فيروز شاه بن سليم شاه عن العرش وتولاه هو وتلقب بالسلطان العادل لكي يستر ما كان عليه من ظلم وجور.

ولما تولى العادل ثار عليه الولاة في بهار وما بين نهري جمنا والكانج فقاتلهم حتى تغلب عليهم، وما كاد ينتهي من قتالهم حتى فوجئ بوالي البنجاب أحمد خان وهو يسير إلى آكره ويعلن نفسه ملكاً على البلاد ويلقب نفسه بـــ سكندر شاه. والسبب الذي حدا سكندر شاه إلى ذلك هو أنه من أسرة شير شاه، وكان أحق بإرث فيروز شاه من غيره، بيد أن نتائج هذا الاختلاف لم تعد على أحد بنفع، بل أدت الى ماتؤدي إليه جميع الاختلافات من هذا النوع إلى خسران الجميع، وهكذا كانت هذه الانشقاقات هو الباب الذي ولج منه همايون للعودة الى عاصمة ملكه، وخلال خمسة عشر سنة من اقامته في بلاد

فارس كان يضع الخطط المدروسة لذلك وقد حظي خلال تلك الفترة بقائد عسكري خطير ومفكر عظيم الشأن وهو بيرم خان التركماني الشيعي الذي قاد عملية رجوع همايون الى الهند ببراعة فائقة، فما ان تنامى الى سمع همايون وقائده بيرم نبأ الفوضى التي عصفت بخلفاء شير شاه السوري حتى انطلقا بجيش جرار من بضعة آلاف محارب جهزها لهم الامبراطور الصفوي، وساروا الى الهند واصطدموا أولاً بميرزا كاميران وعسكري في ارض كابل والسند حتى ظفروا بهم، ومن ثم سمح همايون لأخويه بالهجرة الى الحجاز فبقيا هناك حتى آخر حياتها.

ثم انطلق جيش همايون وعلى مقدمته القائد بيرم خان للالتقاء بجيش سكندر شاه الذي اعدّ جيشاً قواه ثلاثون ألف مقاتل، فلما التقى الجيشان شتت بيرم خان، قائد جيش همايون، شمل هذا الجيش وصدعه وفتح لنفسه باب الهند، إذ أخذ المغول يستولون على القلاع القائمة على الطريق ما بين البنجاب ودهلي. ولكن سكندر شاه جمع جموعه، من جديد، وسار على رأس جيش كبير لطرد المغول، وسار همايون بكامل جيشه، فالتقى الجمعان بالقرب من مدينة سمرقند، ودارت رحى معركة شديدة انتهت بانتصار همايون، وكان ذلك سنة ١٥٥٤، وفرَّ سكندر شاه إلى قلعة حصينة تقع ما بين «رهتاس» وكانكرى وهي القلاع التي بناها شير شاه واتخذها مركزاً لتأديب قبائل الحدود، ومن هناك أخذ يناوش ولاة شمال البنجاب ويزعجهم، وقد تركه همايون في قلعته هذه حتى فرغ من تطويع الهند ثم سار إليه بنفسه وحاصر القلعة حتى استسلم بشرط أن تترك له حياته ويسمح له بالذهاب إلى البنغال. وباستسلام اسكندر شاه زال آخر حصن أفغاني في البنجاب.

وإذا كان القدر قد أسعف همايون بأن جعله يرى الهند ثانية وأن يدخلها فاتحاً منصوراً بعد أن فرَّ منها خائفاً يترقب، فأنّه لم يسعفه بأن ينعم بهذا النصر إذ سقط، قضاء وقدراً من الطابق الأول، في قصره، إلى الأرض فمات. وفي تاريخ فرشته يروي قصة وفاته على هذه الصورة، قال كان ينسزل من مكتبته، واثناء نزوله سمع الآذان فجلس على السلم ووقع مغشياً عليه، وأدركه خدمه ونقلوه الى الحرم الملكي، وجاءوا له بالأطباء، فأفاقَ قليلاً، ولكن ساعته كانت قد حانت، فلم يجد الاطباء شيئاً وتوفي في ١٢ ربيع الأول سنة

٩٦٣هـ (يناير ١٥٥٦م) وهو في الواحد والخمسين من عمره وخلفه ابنه جلال الدين وتلقب بـ «أكبر» وهو لا يزال في الرابعة عشرة من عمره، وبالنظر الى صغر سنه فقد تولى إدارة المُلك القائد الحازم الأمين «بيرم خان» بوصفه نائباً عن الملك.

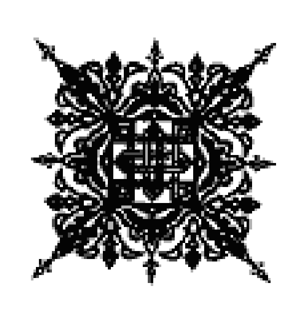
مات همايون ولم يسيطر إلا على الهند المركزية، وكان شرق الهند ما زال بيد أمرائه، وكان الأمراء في قتال واحتراب مستمر، وفي الفترة التي مات فيها همايون كان عادل شاه، الذي ادعى حق وراثة عرش البنغال، قد فرغ من حروبه الأهلية وانتصر على جميع الأفغانيين الثائرين، فجمع قواه وتقدم لقتال المغول حتى وصل دهلي فتصدى له واليها «تردي بيك» بكل ما لديه من جنود ولكنه انهزم أمام جيش عادل شاه الذي كان يقوده القائد «هيمو» ودخل البنغاليون دهلي فخرجت هذه المدينة من يد المغول للمرة الثانية.

أمام هذه الهزيمة المغولية الجديدة، التي كادت نتائجها تكون خطيرة على المغول لو لم يكن فيهم قادة عظام أو لو كان قائد عادل شاه قائداً عليماً بفنون الحرب وأسرارها. ولكن من حسن حظ «أكبر» أن «هيمو» لم يكن جندياً محترفاً بل كان بدّالاً وصل إلى مقام القيادة بذكائه وماله، بينما كان قائد المغول من أحسن القواد، وهو القائد الشيعي والأمير الكبير علي قلي ابن حيدر سلطان الشيباني، ولذلك فلم تكن نتائج هذه الهزيمة لتؤثر على مركز المغول الذين تلقوا النبأ برباطة جأش، وحينما علموا بأن «هيمو» أرسل مدفعيته كلها مع عدد قليل من الرجال إلى باني بت، أرسلوا فرقة مغولية تقدمتها فاستولت عليها. ولما بلغ الخبر «هيمو» أسرع الى الميدان، وهناك استعمل المغول فنونهم الحربية فحطموا عدوهم في بضع ساعات، وفرَّ هيمو، ولكنه أخذ وقُتل، وعادت دهلي إلى المغول بفضل قيادة علي قلي الشيباني المذكور، فزاد اكبر في منصبه ولقبه بخان زمان، وانقرضت بذلك الدولة الأفغانية من شمال الهند ولم تقم لهم بعدها قائمة، وكان ذلك سنة ١٥٥٦. وأما عادل شاه فقد ظل في قلعة جنار مدة من الزمن لا يخرج منها خوفاً من الحرب الأهلية. ثم إنه قتل بيد الأفغانيين.

استولى المغول على ما استولوا عليه من الهند وظلت مالوي بيد ولاة أفغانيين من قبيلة «سور» وكان نظام الحكم فيها إرثياً، فلما رأى الوالي «باز بهادر» اضطراب البلاد أعلن، سنة ١٥٥٥، استقلاله، فأرسل المغول جيشاً استولى على «أجمير» و «بيانه» و «كواليار»

ولم يحرك «باز بهادر» ساكناً بدعوى أن هذه المناطق ليست داخلة في بلاده، فلما دخل المغول مالوي نهض باز بهادر لقتالهم فغلبوه في معركتين، فلما رآى أنه لا طاقة له بهم استنجد بأمير خانديس «ميران مبارك شاه الفاروقي» فأنجده بجيش كبير استطاع أن يدحر به المغول ولكن المغول أعادوا الكرة وسحقوا جيش مالوي وفرّ باز بهادر هائماً على وجهه بضع سنوات ثم إنه أتى إلى «أكبر» خاضعاً طائعاً فأكرمه.

لقد قضى همايون ولكن صيته في الفضل والفروسية والجود لم ينقضي وبقي لمدة طويلة مثالاً للأفذاذ من الرجال، وكان مع المعيته في الحرب والتدبير بارعاً في عدد من العلوم شغوفاً بالعلم دائم الصحبة للعلماء كما وكان ديّناً تقياً محافظاً على الوضوء ويكره ان يسمّى الله على غير وضوء، ذكر في تاريخ فرشته: انه كان أحد كبار رجاله المسمى عبد الحَي، ومرة كان همايون بدون وضوء فلما ناداه همايون لم يجترى على ذكر اسم الله (الحي) وقال (عبد الـ) فقط، فتعجب الحاضرون وسألوه، فقال: لم أكن متوضئاً فكرهت أن أذكر اسم الله وأنا على هذه الحالة، وأما عن طبيعته في الكرم فقد نُسب ألى الاسراف جداً، وأما عن رحمته باخوانه فقد كان ذلك من اسباب نكبته مراراً، وكانوا يغدرون به دائماً وهو يصفح عنهم ويوليهم الأعمال الجليلة ولهذا فقد كجرات والبنجاب مرتين وكان شاعراً أديباً وسيماً اسمر اللون مات في قلعة دهلي القديمة ودفن في كيلوكهري، وشيد ولده اكبر علي قبره بناءاً فخماً يُعد اليوم من الأثار الفنية الرائعة.



جلال الدين أكبر

٩٤٩ - ١٠١٤هـ/ ١٥٤٢ م - ١٦٠٥ م

السلطان المؤيد المظفر ابو الفتح جلال الدين محمد أكبر بن همايون بن بابر التيموري، ثالث أباطرة الاسرة التيمورية في بلاد الهند.

ولد في قلعة امركوت Umarkot من ارض السند في ثاني ربيع الأول سنة تسع وأربعين وتسعمائة الموافق للخامس عشر من اكتوبر عام ١٥٤٢ م، من بطن حميده بانو ابنة أحد العلماء الايرانيين الذين كانوا بصحبة هندال أصغر أبناء جده بابر.

وكانت ولادته في المنفى في الوقت الذي انهزم فيه والده من شير شاه ولم يبق معه الا القليل من الجند، فقصد ايران وترك ولده هذا عند أخيه كاميران ميرزا بمدينة كابل، ولما عاد بعد مدة الى افغانستان وفتح قندهار وكابل لحق أكبر بأبيه، حتى اذا تم فتح الهند جعله أبوه حاكماً على البنجاب، ومعه بيرم خان خانان مستشاراً له وموجّهاً، وعندما وقعت لهمايون حادثة السلم ارسل الامراء رسولاً الى أكبر في البنجاب يخبرونه بمرض والده، ولكن همايون توفي قبل أن يعود أكبر، فاعلن في البنجاب المنادى به سلطاناً على عرش ابيه سنة (سنة ٩٦٣هـ) في الرابع عشر من فبراير سنة ١٥٥٦م. وكان سنه في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة وتسعة شهور وكان هذا الحدث ايذاناً بظهور أعظم من عرفته شبه القارة الهندية من الحكام على الاطلاق منذ القدم، بل إن المؤرخين ليجمعون على أنه كان أبعد حكام العالم صيتاً وأخلدهم ذكراً في عصره.

ولقد ولي أكبر العرش وهو في الرابعة عشرة من عمره عام ٩٦٤هـ «١٥٥٦م» ولكن كان من حسن طالعه أن لقي إلى جانبه قائد أبيه المذكور بيرم خان التركماني الذي أبى إلا أن يلازم همايون طوال محنته بالمنفى دون رجاله جميعاً.

وبهمة بيرم خان هذا قضى على قوات هيمو الكثيفة قائد السلطان محمد عادل سورى

بعد أن كانت قد استولت على دهلي ثم دخلت آجرا نفسها عقب موت همايون، حتى رآى بعض رجال الدولة الارتداد من جديد عن الهند إلى كابل. إذ أمكن لهذا القائد التركماني القدير، بقواته التي لم تكن تعدو العشرين ألفاً من الجند، أن ينزل آخر الأمر بعدوه وجنوده المائة ألف هزيمة حاسمة ألقت الرعب في قلوب جميع الخارجين على السلطان الجديد من بقايا أسرة شير شاه سوري جميعاً.

والتفت بيرم خان من بعد ذلك في عزم إلى تنظيم وإدارة الحكم، كما عنى عناية فائقة بتثقيف أميره وحضه على طلب المعرفة، ثم بعث من بعد ذلك بالجند لاسترداد ما فقدته الدولة من أراضٍ، فلم يمض عامان حتى عادت لها حدودها القديمة التي كانت لها أيام مؤسسها.

وقد نشأ أكبر في ظروف عصيبة، فلم يحظ بعناية من أبيه البعيد عنه، ولم يتعلم مثل أولاد الملوك، وحينما اعتلى العرش لم يكن يحسن القراءة والكتابة بل انصرف باختياره عن التعلم لكنه كان رجلاً فريداً في حدة الذكاء والالمعية، قوياً ودقيقاً في ملاحظاته، متعطشاً للمعرفة، تشوق منذ صغره للدين ودرسه سماعاً على المشايخ الذين كانوا يحضرون عنده أو يلتقيهم في المواسم الدينية وما أكثرها في الهند يومذاك، وقد روى المؤرخون الكثير من النوادر التي تدل على اصالته الدينية وتعلقه بالاسلام ومن ذلك:

أنه تجشم الملك عناء السفر مشياً على الأقدام إلى «أجمير» شكراً لله تعالى على ولادة ابنه سليم وعرّج على دهلي في الرجوع منه، وزار قبور الأولياء والصالحين.

توجه إلى «أجودهن» وزار شيخ المشايخ فريد الدين كنج شكر، «سافر إلى» أجمير «في اوائل شعبان، ومشى سبعة فراسخ على الأقدام، حتى زار الضريح، ونذر الطبول، وقضى وقتاً طيباً في مصاحبة العلماء والصالحين، وحضور مجالس الذِكر».

«وكان يشتغل ــ باستغراق ــ في ذكر «ياهو» و «ياهادي» في مصلاه، وجاء في حوادث عام ٩٨٠هـ ــ حديث أمره لبناء ثلاث عمارات خاصة بعبادته».

«كان يطلب ــ كل ليلة الجمعة في مصلاه، الأشراف والمشايخ والعلماء ويحضر الملك حلقة من العلماء، ويباحثهم في المسائل والأحكام، وصدر الأمر في هذه الفترة إلى القاضي جلال وغيره من العلماء بتفسير القرآن الكريم».

وجاء في وقائع عام ٩٨٦هـ مصاحبته للعلماء والمشايخ ومجالستهم، وإحياء ليلة الجمعة، في مصلاه بـ «فتح بور سيكري».

ولما خرج خان زمان على الملك أكبر، وأعلن الثورة، قام الملك إلى قبور الأولياء والصالحين للدعاء عندها قبل أن يتوجه لمقاومة خان زمان ومحاربته.

«وأطلق رجل كان يدعى فولاذاً سهماً على الملك بإشارة شرف الدين حسين عند مروره بمدرسة «خير المنازل» التي أسستها حاضنته: «ماهم آنكه» وأصيب الملك بجرح خفيف، برئ منه ـــ بعد معالجته لأيام قليلة ـــ فكان يعدّ النجاة من هذه الحملة الباغته ـــ كرامة أولياء دهلي، وتنبيهاً غيبياً له».

وحضر ـــ مرة في طريقه إلى أجمير، في خدمة الشيخ نظام النارنولي، الذي كان من المشايخ الصالحين المعروفين، وذاع صيت زهده وورعه في الآفاق.

«وزار سنة ٩٨٠هـ ضريح السيد حسين خنك سوار في أجمير، ثم زار ـــ بعد سنوات ـــ قبر الشيخ قطب جمال في إعتقاد وحب وإكبار، وقرأ الفاتحة».

«وكان يعظم الشيخ سليم الجشتي ويعتقد فيه، وبنى على قبره قبة فخمة باهتمام بالغ، ولأجل هذا الإجلال والتعظيم للشيخ سليم الجشتي سمى ولي عهده (جهانكير) الذي ولد ـــ كما يقال ـــ بدعائه، «سليم»، وكان الملك بعث بعقيلته الملكة «جودها بائي» إلى بيت الشيخ قبل الولادة، حتى تكون موضع عناية الشيخ وولد ابنه مراد كذلك في بيت الشيخ سليم، ولما أصبح ولي عهده، سليم (جهانكير) في سن يبدأ فيها القراءة وأول ما يقرأ الطفل يكون «بسم الله الرحمن الرحيم» وهي عادة تسمى «باحتفال التسمية» في الهند ـــ طلب من المحدث الشيخ ميركلان الهروي أن يشرف بهذه المناسبة فحضر وأقرأ «سليم» «التسمية» بحضور الملك مع جمع من أعضاء الدولة وأركان المملكة.

وحينما بدأ ولي العهد يشدو في القراءة والكتابة، أمره أن يذهب إلى بيت الشيخ عبد النبي، وكان الملك أكبر يبالغ في تعظيم الشيخ عبد النبي ـــ حفيد الشيخ عبد القدوس الكنكوهي والمتبوأ على منصب «صدر جهان» في عهد الملك أكبر حتى كان يقصد بيته، ويحضر درسه، وقام ـــ مرتين ـــ بوضع نعليه عند احتذاء الشيخ لهما.

«وأقطع الشيخ محمد غوث الكوالياري ــ الذي كان شيخ الطريقة الشطارية المعروف ــ أرضاً كان دخلها السنوي عشرة ملايين «دام» لينفقه على نفسه، وكان يتلقى ابنه الشيخ ضياء الله ــ بعد وفاة والده ــ بالإكرام والإجلال.

وقد كان الملك أكبر ورث هذا الإجلال للمشايخ الحفاوة بهم من آبائه وأجداده، فكان سلفه التيموريون يعتقدون في الشيخ ناصر الدين عبيد الله أحرار، ويعظمونه، وكان جد الملك بابر، السلطان أبو سعيد، يذهب إليه ماشياً لا يركب، تأدّباً معه واحتراماً له، ولم يكن يقدم على عمل أو ينجز قراراً إلا بعد أخذ رأيه، وكان والد الملك بابر عمر شيخ مرزا كذلك، يجل الشيخ عبيد الله ويحترمه، ويذكره الملك بابر نفسه في كتابه «تزك بابر» بتقدير وإعظام، ولما قدم الشيخ يحيى ــ وهو من أعقاب الشيخ عبيد الله أحرار ــ إلى الهند، استقبله الملك أكبر بحفاوة بالغة، ورفع قدره، ووهبه أرضاً لنفقته، وبعثه أميراً على قافلة الحجاج إلى مكة المكرمة، ولما عاد من سفر الحج، جهز له الإقامة الدائمة في مدينة «آكره».

وكان الملك أكبر عينّ سبعة أئمة للأيام السبعة من الأسبوع يتناوبون الإمامة في الأيام المعينة لهم، وكانت الإمامة ــ يوم الأربعاء ــ موكولة إلى الشيخ عبد القادر البدايوني.

كان يبعث ــ كل عام ــ عدداً كبيراً من الحجاج إلى الحرمين الشريفين على نفقة الدولة، ويبعث مع أمير الحجاج الهدايا والتحف إلى والي مكة المكرمة ويبعث النقود والغلات لأهل الحرمين الشريفين، وكان يشيع الحجاج عند توديع قوافلهم محرماً كإحرام الحج، مقصراً للشعر، ملبياً حاسر الرأس، حافي القدمين، وكان هذا المشهد المؤثر يحدث هزة في النفوس، تلين القلوب، وتدمع العيون.

ولما قدم شاه أبو تراب إلى الهند بحجر عليه أثر قدم الرسول (ﷺ)، كما يقولون ــ ووصل قرب مدينة «آكره» خرج الملك مع حشد عظيم من العلماء والمشائخ، والأمراء والوزراء، ومشى معهم أربعة فراسخ على الأقدام لاستقبال الشيخ أبو تراب، وإجلال مقام الرسول (ﷺ).

ونختم الشواهد على تدينه وتعبده بهذا التصريح، الذي جاء في «مآثر العلماء»

لمؤرخ الدولة المغولية الشهير مير عبد الرزاق خافي خان المعروف بصمصام الدولة شاه نوازخان (١١١١ ــ ١١٧١هــ) كان الملك أكبر يبذل جهوداً كبيرة في تنفيذ الأحكام الشرعية، والتأكيد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان يؤذّن بنفسه، ويؤم الناس في الصلاة، حتى إنه كان يكنس المسجد، احتساباً وطلباً لمرضاة الله.

وكل تلك الأخبار عن تدين أكبر مستقاة من مصادر سنية لا سيما عن معاصره العالم السني عبد القادر البدايوني، ولكن ما الذي دعا الكتاب السنة بشكل خاص ان يحولوا نظرهم ويغيروا رأيهم في هذا الأمبراطور المسلم المتسامح، الذي كانت حياته تفيض بالنشاط العقلي، وهو الذي ملأ الهند مآثر ومفاخر، وادار السلطنة الاسلامية ادارة قلّ من سدد لمثلها في الأوائل والأواخر حتى جعلت بفردج A.S. Beveridge أن يعدَّ إدارته الحازمة مثلاً لم يتكرر وأنها في مستوى أرقى من ادارة ملكة الانجليز في ذلك العهد، ولا شك ان هذا التحول في النظرة الى الامبراطور اكبر هو اعتناقه المذهب الشيعي وتقريبه لعلماء الشيعة الذين حفل بهم بلاطه وبلاده وسنأتي على عدد منهم بعد الانتهاء من ترجمتنا لأكبر، وهكذا اتخذ من تشيعه وصمة لأن التشيع بزعم هؤلاء المتعصبين خرج به عن جادة الصواب الذي يعنونه مع أن التشيع كما لا يخفى يقتضي الاسلام الاصيل لأن الشيعة لم يخرجوا قط عن كونهم مسلمين، بل لقد كان والده همايون نفسه شيعياً وجاء بعد همايون اكبر ونشأ في وسط اكثره من القادة الشيعة وبفضل هؤلاء استتب له العرش ثم انه كان في ذاته بعيداً عن التعصب الذميم متمسكاً بروح الدين الاسلامي ولهذا عامل جميع أهل الديانات في بلاده معاملة متسامحة كريمة وحارب التمييز بين الناس في الحقوق بسبب الدين ثم انه بسبب تشيّعه قرب إليه علماء الشيعة كما تقدم وكان من الطبيعي أن تثار ضده كل تلك الضجة من العلماء المتعصبين وخاصة من الشيخ عبد الله السلطانبوري والشيخ عبد النبي بن أحمد الكنكوهي اللذان عفا عنهما واخرجهما للحجاز، كما اخرج القاضي جلال الدين الملتاني الى أرض الدكن ونقل محمد بن المنتخب الامر هوي الى حكومة بكر وسيوستان، وكان بامكان اكبر وهو السلطان المقتدر ان يسئ معاملتهم أو حتى قتلهم جراء ومؤامرتهم ضده لكنه خفض لهم جناح الرحمة فأبعدهم بهدوء كما هي عادته في التسامح مع معارضيه أو من اختلف معه من سائر الاديان الاخرى.

والمشهور عنه انه حارب التمييز بين جميع الناس في الحقوق بسبب الدين وفي سنة ١٥٩٣ أصدر أمراً بأن كل من أجبر على الاسلام من الهنود في مدة أسلافه يمكنه الرجوع الى دينه، وعوضاً عن أن تكون هذه الصفات النبيلة مدار اعتزاز من شيوخ المسلمين فقد اتخذوها سبباً للتشنيع على اكبر والطعن فيه لأنه لم ير رأيهم في اضطهاد الناس بسبب الدين والمذهب ولأنه بالاخص لم يضطهد الشيعة كما لم يضطهد السنة وكما لم يضطهد غيرهم من أصحاب الأديان.

ولكن جميع خطواته كانت من أجل استتباب الأمن والنظام والطمأنينة بين الشعب الذي يحكمه حتى اذا كان ذلك على حساب ابناء طائفته الشيعية كما في حربه للقادة الازابكة الشيعة ومقدمهم علي قلي خان وقد قتلهم وانتصر عليهم بعد ان اعانوه في سلطنته بل وماذا نقول في خذلانه للرجل الثاني في مملكته ومن كان بمثابة والده وقد حافظ عليه ورباه وقاد المعارك الفاصلة من أجل حكمه وهو القائد التركماني الشيعي بيرم خان، حين آخذه بهفوة صدرت منهم، ولم يعف عنه على الرغم من كل المعاذير التي توسل بها اليه، ومن يدري لعل لأولئك الشيوخ الذي نفاهم أكبر فيما بعد أثراً في حبك تلك المؤامرات ضد هذا القائد العظيم الذي خسره اكبر حتى أن بيرم خان هذا لم تعد تطيب له الاقامة في آكره ولهذا طلب من اكبر ان يسمح له بقتال مالوه والبنغال للاستيلاء عليهما ولما لم يوافق أحد من القادة للذهاب معه الى هناك طلب من اكبر ثانية أن يسمح له بالذهاب الى الحجاز ليقضي باقي حياته مجاوراً، فأذن له، وغادر آكره ترافقه حاشية كبيرة، وقتله بعض الافغانيين في الطريق الى كجرات سنة ١٥٦٠ م وحينها أدرك أكبر المدين هو وأبوه من قبله بعرشيهما لبيرم خان التركماني الشيعي مقدار الجحود فيما فعله ببيرم، فاحتضن ولده اليتيم ميرزا عبد الرحيم خان الذي أصبح بعد ذلك يحمل لقب أبيه خانان، كما سيأتي في ترجمته مفصلاً.

حروب أكبر:

بعد أن سيطر أكبر على عصيان قائده الازبكي علي قلي خان زمان توجهت انظاره الى راجبوتانه، حيث كان لايزال فيها بعض الامراء الذين لم يخضعوا له ففتح قلعة

«رنتهنبور» وسار متقدماً نحو رنتهنبور وإذا به يفاجأ بخبر استيلاء بعض الأمراء الثائرين على ماندور فسار إليهم ففروا من وجهه إلى كجرات فطاردهم واستولى على مالوي من غير قتال ثم استولى على ميوار وقلعتها جتور، وهي أمنع قلعة في راجبوتانه، وكان يدافع عنها «جي مل»، وهي قلعة يضرب بها المثل في المناعة، ذهب إليها على رأس جيشه، وأخذوا يهدمون أسوارها بالمتفجرات، وفي إحدى الليالي أطل «جي مل» من فوق أسوار القلعة، فلمحه أكبر وسدد إليه رمية أطاحت به، فدبَّ الذعر والخوف في جنوده وأهله، وأخذوا يقتلون أنفسهم ويحرقونها، ثم فتحوا أبواب القلعة ووقفوا عندها ليقاتلوا المهاجمين حتى آخر قطرة من دمائهم، وفطن أكبر لهذا فساق إليهم الفيلة فمزقتهم إربا إربا، ودخل المدينة سنة ٩٧٦هـ ـــ ١٥٦٨ م.

ولم يجد المغول بعدها أية صعوبة في الاستيلاء على امارات راجبوتانه كلها، وما أتت سنة ١٥٧١ حتى كانت جميع امارات راجبوتانه تابعة للامبراطورية المغولية وتؤدي إليها الخراج.

ثم اتجه اكبر الى كجرات بعد فتن واضطرابات شهدتها عاصمتها (أحمد آباد) فدعا سلطانها مظفر شاه الثالث دعا أكبر للاستيلاء على كجرات والقضاء على الاضطرابات فلبّى «اكبر» هذه الدعوة وسار بنفسه الى كجرات فاستقبله مظفر شاه باحترام وقدم إليه خضوعه وطاعته، وأصبح قائداً من قواده وكان يرافق السلطان أكبر إلى كجرات والي جونبور، وقد أحب هذا الوالي مظفر شاه، فدعاه إلى ولايته، فلبى مظفر شاه الدعوة ونزل في ضيافة الوالي، ثم أنه زوجه ابنته، ويبدو أن مظفر شاه لم يكن مخلصاً في نيته وقد زين له بعض امراء كجرات ان يفرّ اليها ليسترجع ملكه فاستجاب لهم وفرّ من أكرا وحين وصل إلى هناك التف حوله كثير من الأمراء والمحاربين فعيّن أكبر عبد الرحيم خان خانان ابن بيرم خان على رأس حملة لاخضاعه فلما وصل إلى كجرات انهزم أمامه مظفر شاه الى سورت لكنه لم يسلم بل ظل عدة سنين يحارب حرب عصابات حتى استسلامه ومقتله سنة (١٠٠١هـ ـــ ١٥٩٢ م).

أما في هضبة الدكن في الجنوب فقد حدث أن اختلف بعض قواد إمارة أحمد نكـــر مع أميرهم مرتضى نظام شاه كما اختلف معه أخوه من قبل فتركوه مغاضبين وذهبـــوا

سنة ١٥٨٤، إلى «أكبر» ملتجئين يحرضونه على الاستيلاء على إمارة أحمد نكر، فرأى «أكبر»، بهذه الدعوة فرصة سانحة لتحقيق رغبة طالما اعتلجت في صدره وجهز جيشاً بقيادة أخيه من الرضاع «ميرزا عزيز». وكان «أكبر» يظن بأن إرسال هذا الجيش إنما هو رمز لإرادته لأن أهل الجنوب سيتولون بأنفسهم تنفيذ ما اعتزمه، وذلك بأن يثور سكان إمارة أحمد نكر على أميرهم ويؤيدونه هو، ويهبّ راجه علي خان بجيشه لمساعدة الجيش المغولي، ولكنه كان مخطئاً فيما ذهب إليه لأن أمير خانديس علي خان أدرك بأن القضاء على إمارة أحمد نكر إنما يعني القضاء على استقلال الجنوب الهندي كله، ولذا فإنه خيب ظن «أكبر» وهبّ إلى نصرة أحمد نكر لقتال المغول. فلما رأى ميرزا عزيز هذا التضامن عدل عن مهاجمة الإمارة واخذ يستعد لكنه لم يقدم على عمل. واتفق أن مات مرتضى نظام شاه وحدثت في البلاد اضطرابات استمرت من سنة ١٥٨٦ إلى سنة ١٥٩٥، فعجز الأمراء الثلاثة، الذين توالوا على عرش أحمد نكر، عن إخمادها، ولم يرَ ثالثهم بداً من الاستنجاد بـــ «أكبر» لإطفاء نار الثورة، فأنجده بجيش قوامه ثلاثون ألف جندي بقيادة ابنه الأصغر الأمير مراد والقائد ميرزا عبد الرحيم خان خانان. وهنا تغيرت سياسة أمير خانديس، إذ أنه أدرك أنه لم يعد بالمستطاع إصلاح ما فسد في أحمد نكر وأن مصلحة بلاده تقضي عليه بأن ينضم في هذه المرة، إلى المغول. وهكذا سار الجيشان لنجدة أمير أحمد نكر في ظاهر الأمر، وللقضاء عليه في الواقع، وإزاء هذه الحقيقة المرة عاد الثوار إلى السكينة، ولم تعد الإمارة بحاجة إلى نجدة، ولكن الجيش لم يرجع لأنه لم يكن آتياً للنجدة بل للاستيلاء وما النجدة إلا ستاراً، وهنا أسقط في يدي الأمير وندم على ما فرط ورأى من الحكمة أن يذهب بنفسه للاستنجاد بأميري بيجابور وكولكنده وعهد بإدارة أمر البلاد من بعده إلى الأميرة جاند سلطان، التي كانت متزوجة من أمير بيجابور علي عادل شاه، فلما مات زوجها سنة ١٥٨٠ وخلفه ابنهما إبراهيم عادل شاه الثاني، رعته وأشرفت على سير أمور البلاد حتى كبر، ثم إنما عادت إلى بلادها أحمد نكر، وكانت هذه الأميرة مشهورة بعقلها وحنكتها السياسية وكانت شجاعة جريئة تقاتل بنفسها ان اقتضى الأمر فلما تولت إدارة أمور إمارة أحمد نكر رأت من الحكمة ألا تترك العرش شاغراً، فأعلنت إمارة ابن أخيها بهادر بن إبراهيم، وكان طفلاً، وأخذت تقاتل المغول الذين كانوا

يحاصرون أحمد نكر، ولكنها لما رأت عجزها عن الاستمرار في القتال ورأت أن النجدات لم تصل، صالحت المغول، على أن تتنازل لهم عن مقاطعة برار وأن تقاتل معهم إمارتي بيجابور وكولكنده.

فلما رحل المغول انقلب أعوان جاند سلطان عليها وأرسلوا يستدعون المغول إلى بلادهم فأجابوا الدعوة وكروا راجعين، وكانت نجدة بيجابور في طريقها إلى أحمد نكر، فالتقى الجيش المغولي، عند ضفة نهر كوداوري، بجيش بيجابور الذي كان يقوده سهيل خان، ونشبت بين الفريقين معركة حامية الوطيس انتهت بانتصار المغول وقتل أمير خانديس راجه علي خان في المعركة، ولكن من حسن حظ أحمد نكر أن وقع اختلاف بين الأمير مراد وبين القائد خان خانان فلم يستوليا عليها بل تركا لها استقلالها، كما سلم لإمارة خانديس استقلالها بعد أن سارت في ركاب المغول ونصرتهم على أعدائهم وقتل أميرها في سبيل قضيتهم، هذا بالإضافة إلى ما كان من صهر ونسب بين أسرة خانديس وأسرة «أكبر» إذ كان «أكبر» متزوجاً من أميرة خانديسية وابنه الأمير مراد متزوجاً من حفيدة راجه علي خان.

بيد أن كل هذه الأمور لم تنفع بهادر خان الذي خلف أباه، راجه علي خان، على عرش الإمارة، لأنه ظنَّ أن هذه الأمور وحدها كافية للإبقاء على حياة إمارته من غير أن يعززها بين حين وآخر بآية من آيات الولاء ويشفعها بدليل من دلائل الإخلاص للأمبراطورية المغولية، لا بل فإنه أتى من الأعمال ما ينفر المغول منه، وذلك أنه لما مرَّ والي الدكن المغولي ببلاده، قاصداً مقر عمله، لم يخرج إلى لقائه ولا رحب به، فساء عمله هذا الوالي، وأراد تأديبه بغير هذا الأدب ولكن اتفق أن أتى «أكبر» سنة ١٥٩٩ إلى هاندور لترتيب أمور الدكن، فكان في برنامجه القضاء على كل من خانديس وأحمد نكر، وقد تمَّ له ما أراد من خانديس بالاستيلاء على قلعة أسير كره، سنة ١٦٠١، بعد أن حاصرها المغول سنة كاملة فقاوم أميرها بهادر خان حتى عجز عن المقاومة، استسلم وتنازل عن العرش وعاش بعدها في حاشية «أكبر» في بلاط آكره.

وسيَّر «أكبر» سنة ١٥٩٩، خان خانان للاستيلاء على أحمد نكر، فلما حاصرها أرادت جاند سلطان الاستسلام، فاتهمتها حاشيتها وقوادها بالخيانة وقتلوها، وامتنعوا في

قلعتهم سنة كاملة حتى فتحها المغول سنة ١٦٠٠ عنوة، وأعملوا السيف في رقاب أهلها. ويقال أنه لم ينج منهم أحد إلا الأمير بهادر نظام شاه الذي أخذ أسيراً فمات في أسره بقلعة (كواليار) وبهذا قضي على هذه الامارة، ولكن بعض امرائها ظلوا نحو اربعين سنة يقاتلون هنا وهناك والمغول يطاردونهم، حتى انعدمت كل مقاومة.

في أيار ١٥٨٩ اتجه الامبراطور اكبر إلى كشمير على ظهر جواد، وركز علمه في مدينة سرينا كار في ٥ حزيران ١٥٨٩ وقد ذكر الباندیت جوكه انه وزع على الأطفال بعض الهدايا المصنوعة من الذهب ثم ذهب الى مارتاندا فأعطى البراهميين بقراً مزينة باللآلئ والذهب.

مكث أكبر شهراً في كشمير زار خلاله كل بلدة وقرية والقيت أمامه القصائد حيثما حل.

وقد فتش أكبر شؤون الدولة والرعية في هذه الجولة فأمر بمنع الجنود عن الاعتداء على الأهلين ومساس عواطفهم واحساساتهم بأي وجه، وقد بحث في شكاوى تقدير الضرائب وجبايتها وعين لجنة لتحقق ما يشكو منه الأهلون فترفع إليه تقريراً. وعندما عاد الامبراطور رافقه في سفره السيد يوسف خان الرضوي المشهدي بعد أن ترك يادكار ميرزا «ناظماً» يدير شؤون البلاد وقد انتهز يادكار هذه الفرصة فأعلن نفسه ملكاً على كشمير. وبهذا الحادث عادت الاضطرابات إلى كشمير مرة اخرى ولكنها لم تدم أكثر من ٥١ يوماً فقضي عليه واعتقل يادكار ثم قطع عنقه. ثم عين أكبر قليج خان حاكماً على كشمير، وحكم هذا ست سنوات كافح خلالها بعض الاضطرابات.

وقد أمر أكبر في زيارته الأولى لكشمير أن ينشأ حصن «ناكار ــ ناكار» العظيم بالحجارة الضخمة وقيل أنه أنشأ هذا الحصن لمجرد تشغيل السكان العاطلين وقيل انه أراد انشاء هذا الحصن ليأوي إليه المغول فلا يستطيع الجند الاعتداء على الاهلين. كذلك أمر بانشاء القصور الملكية واقامة الحدائق الرائعة مما أضاف إلى جمال البلد الطبيعي جمالاً جديداً. وفي زيارته الثانية لكشمير في ١٥٩٢ أمر بارسال حملة عسكرية الى التيبت لاخضاع حاكمها الذي استمر على مقاومة حكم الامبراطور.

قضى اكبر صيف عام ١٥٩٧ م في كشمير حيث أخفض ضريبة الأرض وطبق طريقة جديدة للتقدير أكثر ملائمة للسكان وعاد في أول الشتاء إلى لاهور. وفي أواخر عهد كشمير حلت مجاعة مخيفة في كشمير اضطرت الامبراطور ان يبعث بالحبوب والأغذية إلى كشمير من سيالكوت وقد رافق الامبراطور في زيارته لكشمير خلال المجاعة أثنان من القسس الاوربيين فذكرا في مذكراقما أنهما وجدا الاهلين يبيعون أطفالهم للتخلص من معيشتهم.

وقد زادت الواردات في كشمير نتيجة تطبيق طريقة التقدير الجديدة واتسعت حدود الايالة إلى ماوراء كابل وقندهار وانشئ طريق امبراطوري يمر بكوجرات وبهيمبار وشوبيان.

وعلى كل حال فهناك الكثير من التفاصيل التي تستوعب مجلدات ضخمة حول تاريخه الحربي الطويل استطاع في نهايته ان يكون من أعظم قادة التاريخ وبالرغم من أن تلك الاحداث قد جعلت منه جندياً عظيماً ولكن طريقته في الحكم هي التي اذاعت صيته حتى اصبح من اخلد حكام العالم صيتاً في عصره.

أكبر في أوامره ووصاياه:

الامبراطور جلال الدين محمد أكبر لعب دوراً مهما في تاريخ الهند فأصلح البلاد والعباد وسن الشرائع وعامل رعيته معاملة العدل والمساواة من غير أن يفرق بين مسلم وغير مسلم وفيما اقتبسه لنا محمود علي خان من الكتب التاريخية نبذة من أوامره ووصاياه أرسلها إلى الحكام والعمال في المملكة لتكون لهم كقانون أساسي يهتدون بها ويعملون بمقتضاها وبهذه الأوامر والوصايا تتضح لنا مكانة أكبر الامبراطور العظيم بين ملوك الأرض في القرون الغابرة. وهي:

١- لا بــد أن تحيط علما بأحوال الرعية ولا تعتزلن في بيتك، لأنك إن اعتزلت يخفى عليك كثير من الأمور التي يجب عليك أن تطلع عليها.

٢- قابل كبار قومك بالعزة واحترمهم احتراماً يليق بشأنهم.

٣- قم بالليل واعبد ربك صباحاً ومساء وبالظهيرة وعندما ينتصف الليل.

٤- اشتغل بمطالعة كتب الأخلاق والنصائح وكتب التاريخ لتتحلى نفسك بالأخلاق الحسنة وتستفيد بعلم الأولين، وتعتبر بخطأ الأقدمين.

٥- أحسن إلى الفقراء والمساكين الذي اعتزلوا في بيوتهم واغلقوا أبواهم دون الناس لئلا يكونوا في مشقة من الحياة وضنك من العيش، وهيئ لهم ما يحتاجون إليه من حياتهم.

٦- تأمل في عقاب المجرمين بالتبصر التام ليتحقق لديك من يستحق العقاب منهم ومن يستحق العفو أو الاغماض، إذ يجوز أن أحداً من رجالك يأتي بذنب والمصلحة تقتضي أن تسكت عوضا من أن تعاقب عليه.

٧- تشرف بحضورك في خدمة أولياء الله وأهل المعرفة من الصوفية واطلب منهم أن يدعوا لك لأن ربك يسمع نداءهم ويجيب دعائهم.

٨- إذا جاءك جاسوس بنبأ فلا تصدقه في أول الأمر بل تبين الخبر بنفسك كي يظهر لك حقيقة الأمر وتعمل حسبما تقتضيه الأحوال.

٩- استمع بنفسك لشكوى المستضعفين ولا تكل جميع امورهم إلى عمالك.

١٠- عامل رعيتك بالمواساة والأسعاف.

١١- ليكن جل مسعاك في ترقية الزراعة وإعانة الفلاحين إعانة مالية، فانها من أهم الواجبات لعمران البلاد وسعادة العباد.

١٢- عليك أن تتوجه إلى أحوال الأفراد من رعيتك وليكن كل فرد منها منظوراً إليه بعين عنايتك ومراقبتك.

١٣- لا تقبلن من أحد هدية ولا تقدمة.

١٤- امنع جنودك أن يدخلوا بيت أحد من رعيتك ويقيموا فيه من غير إذنه ورضاه.

١٥- شاور دائماً أهل الخبرة في إدارة البلاد ولا تكن مستبداً برأيك ؟

١٦- لا تعترضن على الذين يخالفونك في معتقداتهم وتقاليدهم ويتبعون دينا غير دينك، ولا تمسهم بسوء بل عاملهم معاملة الاخوان والخلان. وأعلم أن أيام الحياة معدودة

والانسان لا يريد أن يحتمل الضر والأذى في الحياة الدنيا فكيف يحتمل الجور والاضطهاد في أمر دينه وهو يعتقد أنه على الحق. فلا يخلو إما أن يكون على الحق أو على الباطل. فان كان على الحق فلم تخالفه وإن ظننت أنك على الحق. وان كان هو على الباطل فهو مريض بجهله والمريض يستحق منك المرحمة والمساعدة لا التعرض والتوبيخ.

١٧- أكرم أهل الصلاح والخير وإن كانوا على غير دينك.

١٨- عليك بالسعي في نشر العلوم والآداب والحصول على اكمال وأكرام أرباب العلم لكي لا تضيع ملكاهم العلمية.

١٩- عليك بمساعدة العائلات العريقة في المجد والشرف وهيئ لهم ما يحتاجون إليه في حياهم ليعيشوا عيشة راضية مطمئنة.

٢٠- لا تغفل عن تعبئة العساكر والجنود وأعد لهم ما يحتاجون إليه من الأسلحة وأدوات الحرب وغيرها.

٢١- تعلم الرمي وإطلاق الرصاص واشتغل بالتمرينات العسكرية ولا تضيع وقتك في الصيد. وليكن صيدك لقصد التمرين في فنون الحرب لا للترهة وإضاعة الوقت.

٢٢- لا بد أن تضرب الطبول عند طلوع الشمس المنيرة للعالم وكذلك عند نصف الليل، لأن الطلوع الحقيقي للشمس إنما هو في ذلك الوقت. ويلزم إعلام الناس كلهم إذا انتقلت الشمس من برج إلى برج ليشكروا الله تعالى وليكن هذا الاعلام باطلاق البنادق والمدافع.

٢٣- إن لم توجد في بلدتك شرطة فقم أنت بأعمال الشرطة ولا تستحي من هذه الخدمة وأحسبها عبادة لله تعالى لأنها خدمة لعباده.

٢٤- يجب على ضابط الشرطة في كل بلدة وقرية إحصاء الحارات والبيوت والنفوس وأن يكتب أسماءهم في سجل عنده ويضمن كل واحد من السكان للآخر سلامة نفسه وماله وصيانة عرضه.

٢٥- ليكن لكل حارة من البلدة رئيس، بيده إدارة شئونها، وكذلك لا بد من الجواسيس

ليخبروه بكل من ما يجري في الحارة ليلاً ونهاراً. ويلزم أن يكون على علم تام بكل مـــن يولد ويتوفى ويتزوج وغير ذلك من أحوال الناس. وليتعين رجال في الشوارع والأزقة والأسواق والجسور والقناطر والمعابر للاستخبار بكل ما يقع هناك. وتكون إدارة الطرق على وجه لا يمكن لمن يريد الفرار من البلدة أن يخرج على حين غفلة من أهلها.

٢٦- يجب على كل واحد أن يساعد جاره في الكشف عن السرقة وإطفاء الحريق وغير ذلـــك من المصائب. وكذلك رئيس الحارة وكل من يطلع على مصيبته يلزم عليهم أن يـــسارعوا إلى مساعدته وإنقاذه من نكبته. ومن تقاعد عن المساعدة فهو مجرم يعاقب على جرمه.

٢٧- لا يخـــرج أحـــد من بلدته مسافرا ولا يأتي أحد في البلدة من الخارج ليقيم فيه إلا بـــاذن من رئيس الحارة. وإذ نزل في البلدة تاجر أو جندي أو مسافر فعلى رئيس الحارة أن يراقبهم ولا يغفل عن أحوالهم. والمسافر الذي لا يضمن له أحد فاجعلوا لـــه في الخـــان محلا خاصا بعيدا عن غيره من المقيمين. وإن ارتكب أحد منهم ذنبا فلأعـــيان الـــبلدة أن يعاقـــبوه. والمسؤولية في هذه الأمور كلها على رئيس الحارة وأعيان البلدة على السواء.

٢٨- علـــيك مراقبة أموال الناس من ذوي اليسار فمن زاد خرجه على دخله فلا بد أن تكون لدخله وجوه فاسدة. وأعمل بهذه الأحكام لتنفع بها عباد الله ولاتجعلنها سببا لجلب المنافع وكسب المال لنفسك.

٢٩- عـــين الـــدلالين في الأســـواق، ولا يكون بيع ولا شراء إلا باطلاع رئيس الحارة وصـــاحب أخبار الحارة. وليسجل اسم البائع والمشترى في «اليومية» أى في دفتر الأعمال اليومية، ومن باع أو اشترى خفية يعاقب بغرامة مالية.

٣٠- يلـــزم أن يكـــون في كل حارة من البلدة وفي كل ناحية من نواحيها خفير بالليل يـــراقب الأجـــنبي، حتى لا يبقى للسارق أو النشال أثر في البلاد، وعلى الخفير أن يقبض على السارق مع المسروق.

٣١- من مات ولم يكن له وارث، أو سافر وانقطع خبره فان كان عليه دين من قبل الحكومة فيلزم أولا استيفاء دين الحكومة من ماله ثم إعطاء الباقي لورثته، فان لم تجد له وارثاً فسلم المال لأمين وبلغ الخبر إلى البلاط الملكي، فان ظهر له وارث فأد الأمانة إلى أهلها. وليكن ذلك كله بنية خالصة وأمانة تامة. ولاتكونوا كأهل الروم في مصادرة أموال الناس من غير وجه شرعي.

٣٢- شارب الخمر وبائعها ومشتريها ومعصرها كلهم مجرمون، فاقبض عليهم وعاقبهم أشد العقاب. ولكن من يشربها لحكمة خاصة يريد بها تشحيذ الذهن فلا تعترض له.

٣٣- الأعياد كلها أيام سرور وأبتهاج. فليفرح الناس فيها، ولا سيما يوم النيروز فانه أكبر أعياد السنة لأن الشمس المنورة للعالم تنتقل فيه إلى برج الحمل. وهو اليوم الأول من شهر فروردين (٢١ مارس). والعيد الثاني يكون في اليوم الثالث من اردى بهشت. ويجب تزيين الشوارع والبيوت بالأنوار ليلة النيروز وليلة الشرف كما تزين البيوت بالأنوار ليلة النصف من شعبان.

٣٤- ليس للمرأة أن تركب الفرس إلا لضرورة.

٣٥- لا يستحم الرجال والنساء على الأنهار في محل واحد بل يجب أن تكون مغتسلاتهم على بعد من مغتسلاتهن. وكذلك يكون للنساء محل خاص على الأنهار لحمل الماء إلى بيوتهن.

٣٦- لا يجوز لتاجر إصدار الخيل إلى الخارج بغير إذن من الحكومة.

٣٧- يكون تعيين الأسعار من قبل الحكومة.

٣٨- لا ينعقد النكاح بغير إطلاع لأعيان الحكومة. وإن كان الزواج بين عامة الناس، لابد من حضور الزوجين أمام صاحب الشرطة، وإن كانت المرأة أكبر من الرجل باثنتي عشرة سنة أو أكثر فلا تأذن لعقد النكاح بينهما لأن ذلك يورث ضعف الرجل. ويلزم أن يكون عمر الرجل عند الزواج ست عشرة سنة وعمر المرأة أربع عشرة سنة على الأقل. ولا تأذن لعقد الزواج ببنت العم وبنت الخال لأنه سبب لقلة الميل بين الزوجين وتكون أولادهم ضعفاء.

٣٩- لا ينبغي للنساء أن يمشين في الأسواق كاشفات عن وجهوهن غير مبرقعات، فمن وجـــدت مـــنهم على هذه الحال أو كانت دائماً على جدال وخصام مع زوجها فأرسلوها إلى حارة الشياطين.

٤٠- يجـــوز رهـــن الأولاد إذا مست حاجة شديدة و لم يوجد سبيل غيره. ومتى وجد الراهن المال فعليه أن يفك الرهن ويستلم أولاده.

٤١- لـــو أجبر ولد هندوسي في صباه على الاسلام فله الخيار متى بلغ سن الرشد، فان شاء رجع إلى دين آباءه وإن شاء بقي على الاسلام.

٤٢- لوالتجئت امرأة هندوسية إلى دار مسلم فردوها إلى أهلها.

٤٣- للـــناس حرية تامة في مسئلة اعتناق الدين. فمن ترك ملة آباءه ودخل في دين آخر فليس لأحد أن يمنعه أو يتعرض له.

أكبر في قفص الاتهام:

- اتهم الامبراطور (اكبر) دون اثباتات بالغرور والعتو وادعاء الالوهية ومحاربة الاسلام من اعدائه ومن ذلك إنه قد ابتدع ديناً جديداً اسمه بالدين الالهي وزعموا ان من معتقدات هذا الدين عبادة الشمس اربع مرات كل يوم وتعداد اسماء الشمس الهندية التي يبلغ عددها ألفاً وواحداً، وانه كان يقول كلما ذكرت الشمس: جلّت قدرتها! وان الشمس هي المتصرفة في العالم، واهبة النعم، المظلة على الملك بظلال ربوبيتها وانه كان يعبد النار والماء والحجر والشجر وسائر مظاهر الطبيعة! ونسب إليه تأليه السيدة مريم بنت عمران! وعبادة الكواكب!

ووضع اعداءه ميثاقاً نسبوه الى اكبر، وقالوا انه كان يأخذه على نفسه كلمن أراد أن يدخل في هذا الدين وهو:

«أنا، فلان بن فلان.. أتبرأ من دين الاسلام التقليدي والمجازي الذي ورثته عن آبائي وأدخل في الدين الالهي الأكبر شاهي وأقبل الأركان الاربعة التي هي من مراتب الاخلاص في هذا الدين ـــ وهي ترك المال والنفس والعرض والدين» قالوا: والذين كان يدخلو ن في هذا الدين يسمون (جيله) أي (المريد) لكنه لم يدخل في

الدين هذا الا ثمانية عشر رجلاً من بطانته كلهم من المسلمين الا واحداً وهو نديمه بيربر وانه امر باستبدال السلام بقلمه الله أكبر رمزاً الى تأليه نفسه! وان الردّ عليها يكون بكلمه (جل جلاله) لكون (جلال الدين) لقباً للامبراطور!

- ألغى التقويم الاسلامي واتخذ تقويماً جديداً وجعل بدأه سنة أعتلائه لسرير الملك وسماه «التاريخ الالهي».
- ألغى الجزية على المشركين سنة ١٥٦٤ م، لكي يجعل المسلمين والهنادك من رعيته سواء في التمتع «بالحقوق المدنية» (Citizenship).
- ألغى الضرائب التي كان أوجبها من قبله من الملوك على مواسم الهنادك ومواطن اجتماعهم. وكذلك أذن لهم في بناء معابد جديدة، اذا شاؤوا.

وقد كان ذلك محظوراً في زمن من تقدمه من ملوك المسلمين. فبنيت معابد جديدة للهنادك وشيدت كنائس للنصارى وبيع للمجوس ودور عبادة لفرق اخرى غيرها من سكان هذه البلاد.

- أباح للمسلمين الجدد أن يرتدوا عن دينهم ويرجعوا إلى أديانهم الأولى. وكذلك سمح للنصارى أن يدخلوا في دينهم من شاء ذلك عن طيب قلب وصدق طوية.
- أصدر مرسوماً عاماً بمنع ذبح البقرة لتعظيم الوثنيين اياها وعبادتهم لها، وكذلك منع ذبح غيرها من الماشية في أيام مخصوصة «سنة ٩٩١ /١٥٨٣» ثم تقدم خطوة أخرى وحظر على الناس أكل لحوم الثيران والشياه والمعز والخيول والجمال سنة ٩٩٩هـ وأيضاً أصدر أمراً ملكياً أن يمتنع الناس عن صيد السمك حينما زار كشمير سنة ١٠٠٠ /١٥٩٣ م.

ونقل البدايوني ان منْ ذبح المواشي في الأيام المحظور فيها ذبحها، كان يعاقب بالقتل ومصادرة أملاكه، وروى البعض أنه: امتنع بنفسه عن أكل اللحوم و لم يأمر بذلك أحداً.

- شارك في أعياد الهنادك ومواسمهم، ومن ذلك مشاركته في احتفالات شيوراتري «Shivaratri» ـــ أحد أعياد الهنادك ـــ

- منع المسلمين من تزوج بنات العم والعمة والخال والخالة.
- وكذلك منعهم من الختان.
- حلل الخمر وأباح بيعها على مرأى من الناس ومسمع.
- أباح للبغايا والعواهر ان يتعاطين «أشغالهن» تحت رقابة الحكومة.
- وكذلك أباح الملك لرعيته أن يتعاملوا في ما بينهم بالربا.
- أباح للناس المقامرة وعقد مجلساً خاصاً للمقامرين في القصر الملكي. بل زعموا أن المقامرين يقرضون من الخزانة الملكية بالربا!!
- أسقط الاغتسال عن الجنابة، بل رأى هو ومن تدين بدينه ان الاستحمام قبل الجماع أنسب وأوفق لطبائع البشر.
- شجع السفور وذكر البدايوني ان الفتيات أمرن بالكشف عن وجوههن اذا خرجن لحاجة عرضت لهن.
- أفتى بجواز نكاح المتعة كما تقول به الشيعة.
- أصدر أمراً ملكياً بمنع تعليم اللغة العربية، وكذلك بالغ في تطهير الفارسية من الكلمات العربية الخالصة.
- أمر بسجدة التحية للملك فكان العلماء والمشايخ والصوفية والامراء والاعيان كلهم يخرُّون للملك سجداً، كلما دخلوا عليه وعرفت هذه التحية بـــ (سجدة التحية) و (زمين بوسي) أي تقبيل الأرض وقد روّج من قبله والده همايون التسليم راكعاً منحنياً، وهذا الذي كانوا يسمونه بـــ (كورنش). وقد أصبحت هذه السجدة التكريمية اسلوباً متبعاً في التسليم على الملك. وبقي العمل به جارياً زمن جهان كير بن أكبر (١٠١٤ ــ ١٠٣٤هـــ) أما شاه جهان بن جهان كير (١٠٣٧ ــ ١٠٣٨هـــ)، فاعفى العلماء منها، لكن هذه الطريقة بقيت للعامة زمناً قليلاً من عصره أيضاً.

وقيل أن التحية الملوكية زمن أكبر كانت على ثلاثة اصناف **أولها: الكورنش** وهي

ان يضع يمينه على جبينه ويطأطئ رأسه الى الصدر، **وثانيها: التسلم** وهو أن يضع ظاهر الكف من يمناه على الأرض ويقوم ويضع باطنه على الرأس، **وثالثها: السجدة** كما يسجد في الصلاة.

والمعروف أن العلماء والعامة كلهم يؤدون السجدة في عصر الملك أكبر. والمشايخ في عصره أفتوا بجوازها، وقالوا «أن هذه رخصة والعزيمة ترك السجود».

- اختار طريق الهنادك الوثنيين في الصدقة بان عمل بـــ (قوله دان)، وذلك ان الملك كان يوزن بالذهب والفضة وغيرهما من الجواهر الثمينة ويتصدق بذلك على المساكين والفقراء، لا فرق فيه بين المسلم والكافر.

  وأن هذه الصدقة تكون لصاحبها ردءاً ووقاية من نوائب الدهر.

  ثم جرى من جاء بعده على خطته.

- أوجب على خاصته ورجال حاشيته أن يرتدوا الملابس الحريرية أثناء الصلوات.
- منع الصلاة والأذان في دار الشورى الملكية «ديوان خانه Assembly Hall».
- حظر على الناس أن يصوموا في شهر رمضان!
- منع الناس من أداء فريضة الحج!
- تعطلت أعياد المسلمين وانقطع الاحتفال بها في عصره.
- غير أسماء النبي (ﷺ) والصحابة التي يتسمى بها المسلمون عامة واستبدل بها أسماء أخرى غيرها، وهاك ما قاله عبد القادر البدايوني:

(لقد شق على الكفار ومن في بلاطه من الأميرات الوثنيات اسماء أحمد ومحمد ومصطفى، حتى انه غير اسماء بعض من كانوا يتسمون بها من خاصته، أمثال يار محمد ومحمد خان، فانه كان يدعوهما بـــ رحمة نطقا وكتابة).

- تحولت المساجد على عهده الى مرابط للخيول (اصطبلات) واستولت الهنادك على كثير منها!!
- رغّب الملك رجال مملكته ـــ بل أمرهم في بعض الأحوال ـــ بحلق اللحية. وذكر

المؤرخون ان الملك ورجال حاشيته كانوا يستهزؤون باللحية.

- أبيح للناس ان يأكلوا لحوم النمر والخنازير الضواري.

هذا ما قاله البعض، ونحن لا نستطيع، بما لدينا من وثائق، أن نؤيد هذا بل نميل إلى نفي معظم هذه التهم، ودليلنا على ذلك أمران: الأول هو حسن ظن مؤرخين آخرين بـ «أكبر» وتبرئته من التهم التي ألصقت به وتأويل بعض أفعاله بأنها ضرورات اقتضاها المحيط والوسط. والأمر الثاني هو الفتوى التي أصدرها العلماء في عصره والتي تقول: عن مرتبة السلطان العادل أعظم من مرتبة العلماء العاملين والفقهاء المجتهدين ولما كان «أكبر» عادلاً وعاقلاً ويخشى الله كان رأيه مقدماً على رأي علماء المسلمين وأئمتهم وقوله الفصل في كل الأمور الدينية وأن ممن أثبت توقيعه وتأييده على هذه الفتوى هم أولئك المشائخ الذين عارضوه فيما بعد وأعني وجوه علماء السنة في عصره الشيخ عبد الله مخدوم الملك والشيه عبد النبي صدر الصدور والقاضي جلال الدين الملتاني قاضي القضاة والشيخ نظام الدين البدخشي ورجالاً آخرين من علمائهم الكبار.

وهذه الفتوى دليل ساطع على أن «أكبر» لم يخالف أحكام القرآن فيما فعل وإنما رماه أعداؤه بما رموه.

فاختلاف الناس بأمر «أكبر» دليل على عظمة هذا الرجل، وأنا شخصياً، وإن كنت لا أنفي عن «أكبر» كل ما ألصق به من تهم، إلا أننا نبرئه من مخالفة الإسلام ودعوى النبوة أو الألوهية، وذلك لأسباب، منها:

أولاً ــ ما رواه المؤرخون من أن أحد رجال حاشيته قال له ذات يوم أنه سمع الناس يقولون عنه بأنه نبي وأنه إله. فقال «أكبر»: سبحان الله كيف جاز لهؤلاء الحمقى أن يعتقدوا بان يكون المخلوق إلهاً أو أن يؤمنوا بمجيء نبي وقد خُتمت النبوة.

ثانياً ــ إن أكبر لم يكن جاهلاً حتى يؤمن بمثل هذه الخرافات بل كان عالماً عاقلاً من فحول العلماء والحكماء، وتدل مذكراته التي تركها على علو كعبه في الأمور السياسية والعسكرية ولعله لو كان كتب بالدين لرأيناه لا يقل رفعة من هذه الناحية عن الناحية السياسية، ولكنه لم يفعل، وكونه أهمل هذه الناحية دليل على أن هذه الأمور الدينية لم

تشغل حيزاً كبيراً من تفكيره. كما نعتقد بانَّ، دينه الذي أبتدعه، إن صح ذلك، فإنما يكون لرجال القصر والحاشية الذين كانوا خليطاً من الناس وكان من الواجب أن يؤلف بين قلوبهم في نظام خاص لا علاقة له بالمعتقد، أما وأنه لو كان يحرص على نشر هذا الدين خارج القصر لرأيناه يفعل شيئاً في سبيل ذلك ثم لرأينا كثيراً من المنافقين والمتزلفين والانتهازيين والطامعين يؤمنون بهذا الدين، وهذا مما لم يحدث.

ثالثاً ـــ لو صح ما أتهم به لرأينا العلماء يفتون بكفره وبقتله، وهذا ما لم يحدث أيضاً.

رابعاً ـــ إذا صحَّ أن بعض الناس قد نسبوا إليه دعوى النبوة أو الألوهية فإنه هو غير مسؤول عن عقائد الناس، والهنادكة الذين تعودوا أن يروا آلهتهم تسير على الأرض، يسرهم بأن يؤمنوا بهذا الإله العظيم، فهم إذن الذين نحتوا له صنماً وعبدوه.

وأما تقرب «أكبر» من الهنادكة وغيرهم من أهل الهند فقد فعل نابليون بعده مثل فعله، فأسلم في مصر ولبس العمة وعاش عيشة المماليك المصريين، حتى ظن الناس لا بل وادعى كثير منهم بأنه مسلم، وقاوم البابا والكنيسة حتى ظنَّ كثير من الناس بأنه ملحد، ولكنه لما مات مات مسيحياً مؤمناً بدينه، ولربما لو كان نابليون عاشر الهنادكة أو البوذيين أو غيرهم لصار منهم أو حسبه هؤلاء أنه منهم، فمهمة الملك مهمة عويصة لا يدرك صعابها إلا من يعانيها لا سيما في أيام كان الدين في الحياة كل شيء.

ومن الجدير بالذكر أن عصر «أكبر» كان من أزهى العصور، وكانت الهند في زمانه تعج بالعلماء والفقهاء والمرشدين العاملين والمتصوفين العاكفين، وكانت دعائم الإسلام قوية وثابتة، وكان الهنادكة يدخلون في الإسلام أفواجاً بعد ما رأو من الحرية التي منحها لهم الاسلام في ظل مليكهم المتسامح الفذ، وما جرى من الاصلاحات في عهده الزاهر فقد أدار الهند ادارة ممتازة قل من سدد لمثلها في الأوائل والأواخر، لأنه إلى زمانه هو كانت سلطنة الهند غير متركنة على قواعد ثابتة، ولا سائرة بانظمة مقررة، بل كان السيف وحده حكماً، وكانت الثورات متصلة، واهواء الاشخاص هي الغالبة. فبنى أكبر دولته هذه على أصول ادارة جديدة، فارسية مغولية، غاية في الضبط والدقة، ورفع استبداد الامراء، وازال الفوضى من البلاد، وجذب الى الابواب السلطانية أولئك الامراء والملوك

الذين كانوا يستبدون بالرعايا فأرضاهم واراح الرعايا من ضررهم، وشكّل الدولة على النسق الحالي المتبع بهذا الوقت في العالم فهناك الوكيل أى رئيس النظار (والأتراك الى اليوم يسمون الناظر وكيلا والصدر الأعظم رئيس الوكلاء) ثم الوزير وهو ناظر المالية وخان خانان أي ناظر الحربية. وكان عنده ناظر البلاط السلطاني (نظير مشير المابين الهمايوني عند آل عثمان) وناظر العدلية وكان اسمه الصدر، وغير ذلك من المناصب. وأما البلاد فكانت ١٨ ولاية كبرى كل منها تنقسم الى ما يشبه اليوم الألوية وهلم جرًا. وكانت الادارة الملكية في أيدي الفرس كما أن الجيش كان بايدى المغول والهنود. وكان عـــدد الجيش الدائم ١٤٠ ألفاً وهذا شئ غير معهود في ذلك الوقت وأما دخل الخزانة السلطانيـــة فكان نحو مليارين أى ١٠٠ مليون جنيه، وهذا أيضاً شئ هائـــل بالنسبة الى ذلك الزمن. وعامل أكبر الهنود برفق عظيم، ورفع عنهم ضروب الاهانات.

وصدرت الأوامر الى جباة الخراج بأن يصبروا على الفلاحين في استئداء الأموال الأميرية، بل يقوّوهم من بيت المال في سنى القحط. كذلك توسل أكبر بوسائل ناجعة في قتال المجاعات التي تكثر في الهند في الأعوام التي يحتبس فيها الغيث. وكان يعاقب الأمراء الذين يظلمون الا كرة الذين هم قائمون بخدمة اراضيهم. ومع شدة ميله الى البراهمة، ومراعاته لهم، عارضهم في قضية احراق النساء اللاتي مات بعولتهن، وعادة ابقاء النسوة اللاتي تموت ازواجهن وهن في سن العاشرة أرامل طول الحياة لا يحق لهن أن يتزوجن. ثم منع التبكير في الزواج فكان يلا يسمح بزواج الشاب قبل سن ١٦ ولا بزواج الفتاة قبل سنة ١٤.

وكانت اللغات المعروفة في الهند، عدا لغات الهنود الاصليين، ثلاثاً: العربية لغة الدين الاسلامي، والتركية لغة الأسرة التيمورية، والفارسية لغة البلاط والدولة. فوضع «أكبر أوشجّع على وضع» لغة «الأوردو» التي تشتمل على كثير من العربي والفارسي والتركي مع الهندي. فسهل التفاهم بين الأمم الهندية واتسعت هذه اللغة تدريجياً حتى انه ليتكلم بها اليوم جل سكان شبه القارة الهندية.

أكبر في نظر الغرب:

يزعم البعض بأن أكبر قد حاز رضا الغرب لتحديفه ضد الاسلام في كثير من حالاته، والواقع ان معظم من كتب عنه من الغربيين اطنبوا في ذكر المحاسن والاصلاحات التي ظهرت في عصره وخاصة ما تميز به من التسامح الديني ولكن لم تخلو كتب الغربيين من انتقادات وشطط في تفسير كثير من الحوادث المزعومة أو الصحيحة التي ذكرها الباحثون عنه، وكنموذج عن رأى الغرب في أكبر نقتطف بعض ما كتبه عنه المؤرخ ول ديوارنت، ولا يعني بالضرورة اثباتنا لآرائه بأننا نوافقه على جميع تلك الأفكار التي طرحها بل ستجد ان بعض هذه الآراء قد رددنا عليها في مكان آخر ضمن البحث وهو على كل حال لا يطلق احكامه جزافاً انما ليس من السهل الوثوق بكل ما اعتمد عليه من مصادر كما اننا لا نخفي ذكره لامور مهمة في سيرة اكبر، قال: «وكانت زوجة همايون قد أنجبت له أثناء نفيه وفقره ولداً أسماه (محمداً) تبركاً بهذا الأسم، لكن الهند أطلقت عليه «أكبر» ــ ومعناها «البالغ في عظمته حداً بعيداً» ــ ولم يدخروا من وسعهم شيئاً لتنشئته رجلاً عظيماً، بل إن أسلافه قد تعاونوا على اتخاذ التدابير كلها ليبلغوا به قمة العظمة، ففي عروقه تجري دماء «بابر» و «جنكيزخان» وأعد له المربون في كثرة، لكنه رفضهم جميعاً وأبى أن يتعلم القراءة، وأخذ يُعدُّ نفسه بدل ذلك لتولي الملك بالرياضة الخطرة التي مافتئ يرتاضها، فأصبح فارساً يتقن ركوب الخيل إلى حد الكمال، وكان يلعب بالكرة والصولجان لعب الملوك، ومهر في فن سياسة الفيلة مهما بلغت من حدة الافتراس، ولم يتردد قط في ارتياد الغابة لصيد الأسد والنمور وفي تحمل المشاق مهما بلغ عناؤها، وفي مواجهة المخاطر كلها بشخصه، ولكي يكون تركيا أصيلا، لم يضعف ضعف الإناث فيمج طعم الدماء البشرية: من ذلك أنه لما كان في عامه الرابع عشر، دعي ليظفر بلقب «غازي» ــ ومعناها قاتل الكفار ــ بأن قدموا له أسيراً هندياً ليقتله، فبتر رأس الرجل بتراً في لمحة سريعة وبضربة واحدة من حسامه، تلك كانت البدايات الوحشية لرجل كُتب له أن يكون من أحكم وأرحم وأعلم من عرفهم تاريخ الدنيا من ملوك.

ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره تسلم مقاليد الأمور من يد الوصي على عرشه، وكانت رقعة ملكه تمتد فتشمل أكثر من ثُمن مساحة الهند كلها ــ فهي شريط من

الأرض يبلغ عرضه نحو ثلاثمائة ميل، ويمتد من الحدود الشمالية الغربية عند ملتان إلى بنارس في الجانب الشرقي، وأمتلأ بما كان يمتلئ به جده من حماسة وحشم، فشرع يوسع هذه الحدود، واستطاع بسلسلة من الحروب التي لم تعرف الرحمة أن يبسط سلطانه على الهندستان كلها، ما عدا مملكة راجبوت التي تخضع لأسرة موار، فلما عاد إلى دلهي نزع عن نفسه السلاح، وكرس جهده لإعادة تنظيم حكومة ملكه، وكان سلطانه مطلقاً فهو الذي يعين الرجال للمناصب الهامة كلها، حتى ما يقع منها في الأقاليم النائية، وكان معاونوه الأساسيون أربعة: رئيس الوزراء ويسمى «فقيراً» ووزير المالية ويسمى «وزيراً» أحياناً، وأحياناً يسمى «ديوانا»، ورئيس للقضاء ويسمى «بخشى» ورئيس للديانة الإسلامية ويسمى «صدراً»، وكان كلما ازداد حكمه استقراراً ورسوخاً في القلوب، قل اعتماده على القوة الحربية، مكتفياً بجيش دائم من خمسة وعشرين ألفاً، فإذا ما نشبت حرب، زادت هذه القوة المتواضعة بمن يُجندهم الحكام العسكريون في الأقاليم — وهو نظام متصدع الأساس كان من عوامل سقوط الإمبراطورية المغولية في حكم «أورنجزيب» وفشت الرشوة والاختلاس بين هؤلاء الحكام ومعاونيهم، حتى لقد أنفق «أكبر» كثيراً من وقته في مقاومة هذا الفساد: واصطنع الاقتصاد الدقيق في ضبط نفقات حاشيته وأهل أسرته، فحدد أسعار الطعام وسائر الأشياء التي كانت تُشتَرَى لهم، كما حدد الأجور التي تدفع لمن تستخدمهم الدولة في شئونها، ولما مات، ترك في خزينة الدولة ما يعادل بليون ريال، وكانت إمبراطوريته أقوى دولة على وجه الأرض طراً.

كانت القوانين والضرائب كلاهما قاسياً، لكنهما كانا مع ذلك أقل قسوة منهما قبل ذلك العهد، فقد كان مفروضاً على الفلاحين أن يعطوا الحكومة مقداراً من مجموع المحصول يتراوح بين السدس والثلث، حتى لقد بلغت ضريبة الأراضي في العام ما يساوي مائة مليون ريال، وكان الإمبراطور يجمع في شخصه السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وكان إذا ما جلس في كرسي القضاء الأعلى، أنفق الساعات الطوال ينصت إلى أقوال المتخاصمين في القضايا الهامة، وكان من قوانينه تحريم زواج الأطفال وتحريم إرغام الزوجة على قتل نفسها عند موت زوجها وأجاز زواج الأرامل، ومنع استرقاق الأسرى وذبح الحيوان للقرابين، وأطلق حرية العقيدة للديانات كلها، وفتح المناصب

لذوي الكفاءة مهما يكن من أمر عقيدهم أوجنسهم، ومنع ضريبة الرؤوس، التي كان الحكام الأفغان يفرضونها على الهندوسين الذين يأبون الدخول في الإسلام، وكان تشريعه في بداية حكمه يبيح عقوبات من قبيل بتر الأعضاء، أما في نهاية عهده فربما بلغ التشريع في بلاده من الرقي ما لم تبلغه أية حكومة أخرى في القرن السادس عشر، إن كل دولة تبدأ بالعنف ثم تأخذ في طريق المدنية الذي ينتهي إلى الحرية (ذلك إن أمنت على نفسها الخطر).

لكن قوة الحاكم كثيراً ما تكون ضعفاً في حكومته، فقد كان بناء الحكم قائماً إلى حد كبير على «أكبر» بما كان له صفات عقلية وخلقية ممتازة، ولذلك كان من البديهي أن يتعرض كل ذلك للإنهيار بعد موته، وبالطبع قد تحلّى بمعظم الفضائل ما دام قد استأجر معظم أقلام المؤرخين: فكان خير رياضي وخير فارس وخير محارب بالسيف، ومن خير المهندسين في فن العمارة، وكان كذلك أجمل رجل في البلاد كلها، أما الواقع فإنه كان طويل الذراعين، مقوس الساقين، ضيق العينين كسائر المنغوليين، رأسه يميل نحو اليسار، وفي أنفه ثؤلول (زائدة جلدية)، لكنه كان يكتسب شكلا محترماً بنظافته ووقاره وهدوئه وعينيه اللامعتين اللتين كانتا تتلألآن (كما يقول أحد معاصريه): «تلألأ البحر في ضوء الشمس» أو كانتا تشتعلان على نحو ترتعد له فرائص المعتدي كماحدث لفاندام أما نابليون، كان ساذج الثياب يغطي راسه بغطاء مزركش، ويرتدى صدراً وسراويل، ويرصع نفسه بالجواهر، ويترك قدميه عاريتين، وكان لا يميل كثيراً إلى أكل اللحم، ثم امتنع عنه امتناعاً تاماً تقريباً في أواخر سنيه قائلا «إنه لا يجمل بالإنسان أن يجعل من معدته مقبرة للحيوان» ومع ذلك فقد كان قوى الجسد قوى الإرادة، وبرع في كثير من أنواع الرياضة التي تحتاج إلى حركة ونشاط، واستخف بستة وثلاثين ميلا يمشيها في يوم واحد، وكان يحب اللعب بالكرة والصولجان حباً حدا به أن يخترع كرة منيرة ليتمكن اللاعبون من القيام بلعبتهم هذه في ظلمة الليل، وورث من أسلافه في أسرته ميولها الاندفاعية القوية، وكان في شبابه (مثله في ذلك مثل معاصريه) قادراً على مشكلاته بالاغتيال، لكنه راض نفسه شيئاً فشيئاً على أن يجلس على بركان نفسه ــ على حد تعبير وودروولسن ــ وامتاز من عصره امتيازاً بعيد المدى في ميله إلى العدل، يقول «فرشتا»: إن رحمته لم

تعرف حدوداً بل إنه كثيراً ما ذهب في هذه الفضيلة حتى جاوز بها حدود الحكمة «وكان كريماً ينفق الأموال الطائلة إحساناً، أحبه الناس جميعاً، وخصوصاً الطبقات الدنيا، فيقول عنه مبشر جزويتي «إنه كان يتقبل من أهل الطبقات الدنيا عطاياهم الحقيرة بوجه باسم، فيتناولها بيديه ويضمها إلى صدره، مع أنه لم يكن يفعل ذلك مع أفخر الهدايا التي كان يقدمها له الأشراف، وقال عنه أحد معاصريه إنه كان مصاباً بالصرع، وروى عنه كثيرون أن داء السوداء كثيراً ما كان يستولي عليه إلى درجة تسود معها نظرته إلى الحياة اسوداداً مخيفاً وكان يشرب الخمر ويأكل الأفيون في اعتدال، ولعله فعل ذلك لِيُكسِبَ واقع حياته المظلم شيئاً من البريق، ولقد كان أبوه كما كان أبناؤه يشربون الخمر كما شربها ويأكلون الأفيون كما فعل.

لكنهم لم يكونوا يشبهونه في ضبطه لنفسه وكان له حريم يتناسب مع سعة ملكه، فيروى لنا أحد الرواة «إن له في «أجرا» وفي «فتحبور ـــ سكرى» ـــ هكذا يروون بصيغة الصدق ـــ ألف فيل وثلاثون حصاناً وألف وأربعمائة غزال وثمانمائة خليلة لكنه لم يكن له فيما يظهر شهوات حسية ولا ميول تدفعه إلى الانغماس فيها، نعم إنه أكثر من زوجاته، لكنه كان زواجاً سياسياً، فكان يتودد إلى أمراء الراجبوت بزواج بناتهم، وبهذا كسبهم في تعضيد عرشه، وأصبحت الأسرة الحاكمة المغولية من ذلك الحين نصف وطنية فيما يجرى في عروقها من دماء، ولقد أعلى رجلا من أسرة راجبوت حتى نصبه قائداً أعلى لجيشه، كما رفع أحد الراجات إلى منصب كبير وزرائه، وكانت أمنيته التي يحلم بها أن يوحد الهند.

لم يكن ذا عقل واقعي دقيق له برودة النطق كما كان لقيصر أونابليون بل كان يترع بعاطفته نحو دراسة الميتافيزيقيا، ولوأنه خلع عن عرشه لكان من الجائز أن يصبح صوفياً معتزلا، كان لا يكف عن التفكير ولا ينقطع عن اختراع الجديد واقتراح الإصلاح لما هو قائم، وكان من عاداته مثل هارون الرشيد أن يمشي بالليل متنكراً، ثم يعود إلى مأواه وهو جياش الصدر برغبة الإصلاح، واستطاع وسط هذه المناشط الكثيرة أن يفسح بعض الوقت لجمع مكتبة عظيمة تتألف كلها من مخطوطات جميلة الخط والنقش، دبجها له نساخون بارعون كانت لهم عنده منزلة الفنانين، فهم في عينه لا يقلون مكانة عن

المصورين والمهندسين المعمارين الذين كانوا يزينون مُلكه، وكان يزدرى الطباعة باعتبارها آلية تتجلى فيها شخصية الكاتب، ولم يلبث أن استغنى عن العينات المختارة من الرسوم الأوروبية المطبوعة التي قدمها له أصدقاؤه من الجزويت، ولم تزد مكتبته على أربعة وعشرين ألف كتاب، لكن قيمتها بلغت ما يساوى ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف ريال عند أولئك الذين حسبوا أن أمثال هذه الكنوز الروحية يمكن تقديرها بأرقام مادية، وأجزل العطاء للشعراء بغير حساب، وقرب أحدهم من نفسه ــ هو بربال الهندي ــ تقريباً جعله ذا حظوة كبرى في حاشية قصره، واخيراً نصَّبه في الجيش قائداً، فكان من نتيجة ذلك أن قام «بربال» بحملة حربية أظهر فيها عجزاً شديداً، وقتل في جو أبعد ما يكون الجو عن خيال الشعراء: وأمر «أكبر» أعوانه من الأدباء أن يترجموا إلى الفارسية ــ وقد كانت لغة قصره ــ آيات الأدب والتاريخ والعلم في الهند، وراجع بنفسه ترجمة «الملحمة الخالدة» «ما ها بهاراتا» وازدهرت الفنون كلها في ظله وبتشجيعه. فشهدت الموسيقة الهندية والشعر الهندي في عهده عصراً من أعظم عصورهما وبلغ التصوير ــ الفارسي منه والهندي ــ مرتبة تالية في ارتفاعها للأوج بفضل تشجيعه وأشرف في «أجرا» على بناء الحصن المشهور، وأمر أن يبنى بداخله خمسمائة بناء، عدّها معاصرون من أجمل ما تراه العين في العالم كله، وليس في مقدورنا أن نحكم عليها استنتاجاً من آثار العمارة الباقية من عهد «أكبر» مثل مقبرة «همايون» في دلهي، والآثار الباقية في «فتحبور ــ سكرى» حيث أقيم ضريح لصديق «أكبر» المحبوب، الزاهد الشيخ سليم شستى، وهو بناء، من أجمل ما في الهند من بناء.

ثم كان له اتجاه آخر أعمق من هذه الاتجاهات كلها، وهو ميله إلى التأمل، فهذا الإمبراطور أوشك أن يكون قادراً على كل شئ، تحرق فؤاده شوقاً إلى أن يكون فيلسوفا كما يشتهي الفلاسفة أن يكونوا أباطرة، ولا يستطيعون، أن يسيغوا حمق القدر في حرمانه إياهم ما هم جديرون به من عروش، فبعد أن فتح «أكبر» العالم، أحسَّ شقاء نفسه لأنه لم يستطع فهماً لهذا العالم الذي فتحه وقد قال: «على الرغم من أني أسُود هذا المُلك الفسيح، وزمام الحكومة كلها في يدي، فلست مطمئن الفؤاد لهذه العقائد الكثيرة والمذاهب المختلفة من حولي، ما دامت العظمة الحقيقية كائنة في تنفيذ إرادة الله، فدع

عنك هذه الأبهة الظاهرة المحيطة بي، وقل لي كيف أطيب بالا، في مثل هذا اليأس، إذا ما حملت عبء الإمبراطورية ؟ إني لأرقب ظهور رجل حصيف ذى مبدأ ليزيح عن ضميرى هذه المشكلات التي يتعذّر على حلها ... إن الحديث في الفلسفة يفتنني فتنة تصرفني عن كل ما عداها، وإني لأنصرف عن سماعها رغم أنفي حتى لا أهمل واجباتي التي تقتضيها أمور الساعة» ويقول بادوني: «كان يحجّ إلى قصره طوائف العلماء من كل أمة، والحكماء من كل ملة ومذهب، وكانوا يظفرون لديه بشرف استماعه إليهم، وإذا ما فرغوا من بحثهم وتقصّيهم اللذين كانا شغلهم الشاغل ومهمتهم الأولى ليلا ونهاراً تحدثوا في مسائل عميقة في العلم، ونقط دقيقة في الوحي، وأعاجيب التاريخ وغرائب الطبيعة، ويقول «أكبر» : إن سيادة الإنسان تعتمد على جوهرة العقل.

دعوى الدين الالهي:

ولما كان فيلسوفاً فلا عجب أن يأخذه شغف شديد بالدين، فقد أغرته قراءته الدقيقة لملحمة «ماهابهارات» ودراسته الوثيقة لشعراء الهنود وحكمائهم بدراسة العقائد الهندية، ولبث حيناً ــ على الأقل ــ يؤمن بمذهب التناسخ، وخيّب فيه ظن أتباعه من المسلمين حين ظهر على الملأ بعلامات دينية هندية على جبهته، فقد كان له شغف بملاطفة أصحاب العقائد كلها، لذلك تودد إلى الزرادشتين بأن لبس ما يلبسونه من قميص ومنطقة مقدستين تحت ثيابه، وانصاع للجانتين حين طلبوا إليه أن يمتنع عن الصيد، وأن يحرم قتل الحيوان في أيام معلومة، ولما سمع بالديانة الجديدة المسماة بالمسيحية، التي جاءت إلى الهند مع بعثة «جوا» البرتغالية، ارسل خطاباً إلى هؤلاء المبشرين التابعين لمذهب بولس، يدعوهم أن يبعثوا له باثنين من علمائهم، وحدث بعد ذلك أن قدم جماعة من الجزويت مدينة دلهي، وحبّبوه في المسيح حتى أمر كتابه ان يترجموا له العهد الجديد واباح لهؤلاء الجزويت كل حرية في أن ينَصروا من شاءوا بل عهد إليهم بتربية أحد أبنائه، وفي الوقت الذي كان الكاثوليك يفتكون بالبروتستنت في فرنسا، والبروتستنت ــ في عهد اليصابا ــ يفتكون بالكاثوليك في إنجلترا، ومحاكم التفتيش تقتل اليهود [والمسلمين] في أسبانيا وتسلبهم أملاكهم و«برونو» يقذف به في النار في إيطاليا، كان «أكبر» يوجه الدعوة إلى ممثلى الديانات كلها في إمبراطوريته ليعقدوا مؤتمراً، وتعهد لهم بحفظ السلام بينهم وأصدر

المراسيم بوجوب التسامح مع المذاهب كلها والعقائد كلها، ولكي يقيم الدليل على حياده، تزوج من نساء البراهمة ومن نساء البوذية، ومن نساء المسلمين جميعاً.

وكان ألذ ما يمتعه بعد أن بردت في نفسه جذوة الشباب المضطرمة، المناقشات الحرة في العقائد الدينية، وضاق أكبر ذرعاً بالانقسامات الدينية في مملكته، وأفزعه الاحتمال بأن تؤدي هذه الديانات المتنافسة إلى تمزيق المملكة بعد موته، فاستقر رأيه آخر الأمر على أن يكوّن منها ديانة جدية، تضم أهم تعاليم العقائد المختلفة في صورة بسيطة ويحكى لنا المبشر الجزويتي هذا النبأ كما يأتي:

«عقد اجتماعاً دعا إليه كل رجال العلم البارزين والقواد العسكريين في المدن المجاورة، لم يستثن أحداً إلا الأب «رِد لُفْو» الذي كان من العبث أن ترجو منه شيئاً غير مناصبة هذه الدعوة الدينية العداء، فلما أن اجتمعوا جميعاً أمامه، خاطبهم بأسلوب سياسي ماهر ماكر قائلاً:

«إنه لمن الشر في إمبراطورية يحكمها رأس واحد أن ينقسم الأعضاء بعضهم على بعض وأن يتباينوا في الرأي.. ومن ثم نشأ في البلاد أحزاب بمقدار ما فيها من عقائد دينية، وإذن فلزام علينا ان ندمج هذه العقائد كلها في دين واحد، على نحو يجعلها كلها ممثلة في هذا الواحد، وتكون الفائدة الكبرى التي يجنيها كل من هذه الديانات، أنه لن يخسر شيئاً من جوانبه الحسنة. ثم يكسب كل ما هو حسن في سائر الديانات، وبهذا وحده نمجد الله ونهيئ للناس سلامة وللإمبراطورية أمناً».

ووافق المجلس مرغماً، فأصدر «أكبر» مرسوماً يعلن نفسه رئيساً دينياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذه الرئاسة الدينية هي أهم ما أثرت به المسيحية على الديانة الجديدة، وكانت هذه العقيدة الجديدة توحيداً يمثل التقاليد الهندية في التوحيد خير تمثيل، مضافاً إليه قبس من عبادة الشمس والنار مأخوذاً من العقيدة الزردشتية، وفيه عنصر شبيه بالمذهب الجانتي في ايثاره للإمتناع عن أكل اللحوم، وعُدَّ ذبح الأبقار كبيرة من الكبائر، فما أشد ما اغتبط لذلك الهندوس، وما أقل ما اغتبط له المسلمون، وصدر بعدئذ مرسوم يجعل الاقتصار على أكل النبات إلزاماً على الناس جميعاً مدى مائة يوم على الأقل

كل عام، ثم سار مع ميول الوطنيين خطوة أخرى فحرَّم الثوم والبصل، وحرَّم تشييد المساجد وصيام رمضان والحج إلى مكة وغير ذلك من شعائر المسلمين، ولما أراد المسلمون مناهضة هذه المراسيم، نفى كثير منهم، وأقيم وسط «محكمة السلام» في «فتح بور ــ سكرى ــ» معبد للديانة المتحدة الجديدة (ولا يزال هذا المعبد قائماً) رمزاً للأمل الذي كان يضطرم في صدر الإمبراطور، وهو أن يكون أهل البلاد جميعاً ــ بفضل العقيدة الجديدة ــ إخواناً يعبدون إلهاً لا يختلف من طائفة إلى طائفة.

ولم يكن النجاح حليف «الدين الالهي» باعتباره دينا ووجد «أكبر» أن التقاليد أقوى من أن يهدمها بقوله إنه يجل عن الخطأ، نعم إن بضعة آلاف من الناس التفّوا حول الدين الجديد، كان معظمهم ممن يريدون من وراء ذلك اكتساب حظوة عند الدولة لكن الأغلبية العظمى ما زالت مستمسكة بآلهتها الموروثة، وأما من الوجهة السياسية فقد كان لخطته الدينية بعض النتائج المعينة، فلئن كان «أكبر» بوحيه الديني الجديد قد أبدى شيئاً من الأنانية ومن الإسراف، فقد عوّض عن ذلك خير العوض بإلغائه لضريبة الرؤوس وضريبة الحج المفروضتين على الهندوس، وبإطلاقه الحرية للعقائد الدينية كلها، وبإضعافه لروح التعصب الديني والجنسي وما يتبع ذلك من جمود الرأي وانقسام الطوائف، ولقد كسب إلى جانبه بفضل دينه الجديد ولاء الهندوس، حتى أولئك الذين لم يعتنقوا منهم تلك العقيدة الجديدة، فاستطاع بذلك أن يحقق غايته الرئيسية إلى حد بعيد، وأعني بها الوحدة السياسية للبلاد.انتهى كلام ديوارنت، ويظهر انه اسرف اسرافاً واسعاً في خياله بشأن الدين الالهي، وهذا ما لا يفقدنا الثقة بما قدمناه من رأي فيه.

الخزانة الاكبرية:

من مآثر الامبراطور أكبر أنشائه في أكرا لمكتبة ضخمة تحتوي على معظم ما هو موجود من عصره من مختلف الكتب وفي سائر العلوم والفنون.

ويقول أبو الفضل عن هذه المكتبة قسمت المكتبة الملكية الى عدة أقسام، قسم يحتفظ فيه الكتب في داخل الحريم وقسم آخر يحتفظ فيه خارجه. ورتبت الأقسام على حسب قيمة الكتب ومنزلة المواضيع التي كتبت فيها. فنجد لكل من كتب العربية والفارسية

واليونانية والكشميرية قسم مختص بها، كذلك خصص لكتب الشعر مكان ولكتب النثر مكان آخر. ويحضر العلماء بعض الكتب القيمة كل يوم ويقرأونها لجلالة الأمبراطور، وهو يستمع إليها بسرور وشغف وعندما تنتهي قراءة اليوم يعلم جلالته في الصفحة بقلمه الخاص ويمنح القارئ من النقود أو من الجوائز الذهبية أو الفضية جائزة يختلف قدرها باختلاف عدد الصفحات التي قرأها، وقلما نجد من الكتب الهامة كتابا الا وقد تم قراءته أمام جلالة الامبراطور في ردهته الخاصة للقراءة، وكان من سعة أفقه أن لايخطر على بال المرء موضوع سواء كان علميا أوأدبياً الاوكان الامبراطور على علم به، وانه ليس من المواعظ والعبر المستفادة من تاريخ الأمم في العصور الغابرة، إلا وقد وجد الامبراطور قد سبق بها علما، والمعجب أن لم يكن يشعر بملل أوسأم ولو قرئ له الكتاب الواحد أكثر من مرة، بل نراه ينصت ويصغي إليه في المرة الثانية أكثر منه في المرة الأولى.

ويقول الراهب الاسباني الأب سباتشيان منتريك الذي زار آجرا سنة ١٦٤١ الميلادية

تشتمل المكتبة الملكية على ٢٤ ألف مجلد تبلغ قيمتها ٦,٤٦٣,٧٣١ روبية. (ستة ملايين وأربعمائة وثلاث وستين ألفا وسبعمائة وواحد وثلاثين روبية، أو سبعمائة ألف وعشرين ألف جنية استرليني ٧٢٠,٠٠٠).

الحركة التأليفية في عهده:

أمر أكبر بتصنيف وترجمة الكثير من الكتب ومنها على سبيل المثال:

١- ترجمة حياة الحيوان الكبرى للدميرى بالفارسية، ترجمه أبو الفضل بن المبارك الناكوري سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، ٢ – ترجمة الانجيل إلى الفارسية، ترجمه أبو الفضل سنة ست وثمانين وتسعمائة، ٣ – ترجمة كليلة ودمنة من اللغة الفارسية الغير المتعارفة إلى المتعارفة، نقله أبو الفضل، ٤ – آئين أكبرى بالفارسية، كتاب ضخم لأبي الفضل، صنفه سنة أربع وألف، وهو أحسن الكتب المصنفة في أيام أكبر، ٥ – «أكبر نامه» كتاب في التاريخ لأبي الفضل، ذكر فيه أحوال ملوك الهند من أولاد تيمور كوركان إلى عهد جلال الدين أكبر، ٦ – ترجمة ليلاوتي في الحساب والمساحة، نقله من سنسكرت إلى الفارسية أبو الفيض بن المبارك بأمر السلطان، ٧ – نلد من منظومة بالفارسية لأبي

الفيض المذكور منقولة من اللغة الهندية، ٨ – ترجمة اهر ابن ويد رابع الكتب المقدسة في زعم الهنود في لغة سنسكرت، نقل شيئا منه الى الفارسية عبد القادر بن ملوك شاه البدايوني، وأعانه على ذلك الشيخ بهاون الهندي، ونقل شيئاً أبو الفيض بن المبارك المذكور باعانته ثم الحاج إبراهيم السرهندي حتى تم الكتاب، ٩ – ترجمة «مهابهارات» أحد الكتب التاريخية المقدسة في زعم الهنادك، ترجمه عبد القادر المذكور بشركة غياث الدين القزويني وسماه السلطان «رزم نامه»، ١٠ – ترجمة «رامائن» (الرامايان) أحد الكتب التاريخية للهنادك في لغة بهاكا، ترجمه عبد القادر سنة سبع وتسعين وتسعمائة، ١١ – منتخبات الجامع الرشيدي في اخبار الخلفاء العباسية في بغداد ومصر والخلفاء الأموية والخلفاء الراشدين، صنفه عبد القادر بالفارسية، ١٢ – «تكملة بحر الأسماء» وهو كتاب في الأخبار الهندية، صنف السلطان زين العابدين الكشميرى، وقد فات منه بعض القصص المفيدة فجمعها عبد القادر في كتاب وجعله الجزء الثاني من بحر الأسمار، ١٣ – «منتخبات تاريخ كشمير» لملا شاه محمد الشاه آبادى، انتخبها عبد القادر، ١٤ – ترجمة «تزك بابرى» من التركية إلى الفارسية، ترجمه عبد الرحيم بن بيرم خان الدهلوى سنة سبع وتسعين وتسعمائة، ١٥ – «زيج مرزائي» ترجمه من الفارسية إلى الهندية كشن جوتشى وكناكدهر ومهيش ومهانند أخبار البراهمة باعانة الأمير فتح الله الشيرازى وأبي الفضل بن المبارك الناكورى، ١٦ – «الناجك» في «التنجيم»، ترجمه مكمل خان الكجراتي، ١٧ – «هربنس» كتاب في أخبار كشن، ترجمه ملا شيرى بن يحي اللاهوري. ١٨ – ترجمة معجم البلدان من العربية إلى الفارسية، قسم أجزاءه السلطان على اثنى عشر رجلا منهم البدايوني، والتتوي والشيخ منور وقاسم بيك فترجموه، ١٩ – التاريخ الألفي في أخبار الف سنة، أمر السلطان بتصنيفه أصحابه واصطفى منهم سبعة رجال: فتح الله الشيرازي، غياث الدين القزويني، همام بن عبد الرزاق الكيلاني، الحكيم على الكيلاني، الحاج ابراهيم السرهندي، نظام الدين الأكبر آبادي، عبد القادر البدايوني، لأسبوع كامل ليكتب كل واحد منهم في اسبوع أخبار سنة، فامتثلوا أمره حتى حررت من ذلك أخبار خمس وثلاثين سنة، ثم أمر السلطان أحمد بن نصر الله التتوى فاشتغل به وحرر إلى أيام جنكيز خان ثم قتل، فأمر باتمامه جعفر بيك، فأتمه وحرر الوقائع

الى عهد السلطان أكبر، وكتب له الخطبة أبو الفضل ابن المبارك الناكوري، ٢٠ – «الطبقات الأكبرية» لمرزا نظام الدين بن محمد مقيم الهروى الأكبر آبادي، كتاب جمع فيه أخبار الملوك والسلاطين إلى السنة الثانية والثلاثين الجلوسية، ٢١ – «منتخب التواريخ» لعبد القادر بن ملوك شاه المذكور في ثلاث مجلدات: الأول في أخبار الملوك من سبكتكين إلى همايون، وهو ما بين الإيجاز والإطناب، والثاني في أخبار السلطان جلال الدين أكبر إلى سنة أربعين الجلوسية، والثالث في ذكر السلطان جلال الدين أكبر إلى سنة أربعين الجلوسية، والثالث في ذكر من عاصره من المشايخ والعلماء والأطباء والشعراء، وهو كتاب مفيد جدا، ٢٢ – «كتاب التسهيلات في الهيئة» صنفه ملا جاند، ونسخته موجودة في لندن الآن ٢٣ – «هاكوت كيتا» نقله من سنسكرت الشيخ أبو الفيض بن المبارك المذكور، ٢٤ – «راك ساكر» كتاب في الموسيقى صنفوه في أيامه كما في راك دربن، ٢٥ – حل لنظم شاهنامه، جعله تقى الدين التسترى منثورا بأمره.

الحركة العمرانية والفنية:

وكان من الطبيعي ان تزدهر الحركة الفنية في هذا العهد فقد اسس اكبر عاصمة جديدة هي فتح بور سكري، وكان يحيط بها من ثلاث جهات سور كبير طوله خمسه كيلومترات، وتطل من الجهة الرابعة على بحيرة صناعية. وشيدت فيها قصور فخمة ودور للحكومة ومساجد وأسواق. وكان مسجدها الجامع من الرخام النقي الناصع البياض، ويبدو من مباني هذه المدينة انه لم يراعي في تخطيطها وحدة عامة وانما شُيد كل بناء منها مستقلاً عن غيره. ومن هذه المباني الديوان العام وقوامه خمس طبقات مدرجة تضيق كلما ارتفعنا، ومنها «الديوان الخاص» للاستقبالات الملكية الخاصة وهو بناء مربع من طابقين له أربعة أبواب وأعمدة تعلوها مقرنصات تحمل السقف، وتبدو من الخارج في أركان البناء أربع قباب صغيرة. وقد كانت هذه الظاهرة المعمارية الأخيرة من مميزات القصور الهندية بوجه عام.

ومبالغة في التفنن في تشييد هذه المدينة أن الإمبراطور قد بنى فيها أبراجاً للحمام وطلاها باللونين الأزرق والأبيض وبنى فيها ساحة كبيرة للعب «البولو» وأخرى لقتال

الفيلة وبنى كذلك ساحة واسعة مربعة الشكل على هيئة لوح الشطرنج ليتسلى الإمبراطور بهذه اللعبة المحببة إلى نفسه وبدلاً من اللعب بقطع الشطرنج وتحريكها تم تخصيص فتيات راقصات يجثن ويذهبن على الطريقة التي يتم فيها نقل قطع الشطرنج. وقد أحيطت هذه المدينة الواسعة بسور عظيم من الحجر الرملي الأحمر. وعندما توفي الشيخ سليم الشيشتي دفن في مدينة فتح بور ـــ سكري وشيد له ضريح فخم من المرمر الأبيض وأصبح مرقده مزاراً للنساء العقيمات تبركاً به وتيمناً.

ولقد وصف الإنكليزي رالف فتش هاتين المدينتين أجرا وفتح بور ـــ سكري عندما زارهما في عام ١٥٨٤ (أو العام الذي تلاه) بقوله «إنهما أعظم من مدينة لندن وعلى نسبة عالية من السكان».

ومن الفائدة أن نذكر أن الإمبراطور أكبر عندما شيد مدينة فتح بور ـــ سكري كان قد شيد أيضاً جامعاً ذا بوابة فخمة تدعى «بُلند ـــ دروازة» ومعناها «البوابة الشامخة» شيدها تخليداً لانتصاراته ووصفها وليم فتح الإنكليزي الذي زار مدينة فتح بور ـــ سكري عام ١٦١٠ بأنها من «أجمل البوابات وأعلاها». وهذه البوابة تعلوها مجموعة من القباب ومن الغريب أن كتب على أعلى البوابة عبارة تقول: «قال عيسى عليه السلام: هذا العالم مثل الجسر أعبر عليه ولكن لا تبن فيه بيتاً وإن هذا العالم باقٍ ولكن لأمد قصير فاقضه في النسك». هذه الكتابة وبألفاظها المذكورة رواها Wilfrid Blunt بالشكل المذكور. ولكن رواها ابن عبد ربه الإندلسي في كتابه العقد الفريد بألفاظ أخرى هي قال المسيح عليه السلام لأصحابه: «اتخذوا الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها».

ومع أن الإمبراطور أكبر كان قد بنى هذه المدينة باذلاً أقصى العناية والاهتمام فإنه قد نقل عاصمة ملكه إلى مدينة أجرا وهي العاصمة القديمة وعلى الرأي الراجح في سنة ١٥٨٥ ويعزى سبب تحوله عنها بهذه السرعة إلى عجز في الإمدادات المائية التي تروي وتسقي مدينة فتح بور ـــ سكري.

ومن آثار الامبراطور أكبر قلعة آكرا المشيدة بالحجر الرملي الأحمر ولهذا عرفت بالقلعة الحمراء (لال قلعه) ولعل أعظم أجزائها الباب الكبير المعروف باسم باب دهلي، ويبدو في

بناء هذه القلعة مجمع بين الاساليب الفنية الايرانية والأساليب الهندية المحلية وعلى صعيد التصوير الفني فقد انشأ اكبر معهداً حكومياً للرسم والتصوير الفني التحق به ما يزيد على مائة فنان كانوا يعملون تحت ارشاد المصورين الايرانيين، وجمعت لهم الصور الفنية الرائعة من ايران ليحاكوها فانتجوا كثيراً منها، كما تم في عهده ما بدأ في عهد أبيه من تصوير قصة الامير حمزة وهي قصة ايرانية شهيرة تضمنت نسختها الاصلية على حدود ألف واربعمائة صورة رائعة على القماش، وتفرقت هذه الصور في عدد من المتاحف العالمية اليوم.

وشجع أكبر التصوير الاوربي أيضاً وكان أول اطلاعه على هذا النوع من الفن بعد أهداء نفر من المبشرين الجزويت نسخة من الانجيل مزينة برسوم السيد المسيح وأمه العذراء وذلك سنة ١٥٨٠ م.

ويحتوي متحف المتروبوليتان بأمريكا عدد من صور المخطوطات الجميلة من عصر أكبر وتحمل امضاءات مشاهير الفنانين حينذاك ومن بينها ثلاث صور من مخطوطة (رزم نامه) وهي الترجمة الفارسية للملحمة (المهاهاراتا) وأكثر هذه الصور ابداعاً صورة تمثل الاله الهندي كرشنا محاولاً رفع أحد الجبال في سيلان.

وجاء في (آئين اكبري) قول أكبر عن التصوير:

«أن فريقاً من الناس يعادون فن التصوير، ويبينون عيبه وفساده، ولكن القلب لا يقبل أقوالهم وأدلتهم، بل أنّ ما يدل عليه العقل، وتشهد عليه القرائن فالمصوِّر يكون أقرب إلى معرفة الله تعالى من غيره من الطبقات البشرية المختلفة، لأنه عند تصويره لحيوان يأتي بشبيه لكل عضو من أعضائه، ثم حين يكمل الصورة وينظر اليها يرى انه رغم هذه الريشة المصورة الساحرة، يعجز تماماً عن أن ينفخ فيه الروح، فتتجلى له عند ذاك قدرة الخالق المطلقة، ويسجد أمام هذا الصانع العظيم».

وقد حظى الرسم بالانتعاش والرقى بفضل عناية أكبر، أكثر مما نال في عهد غيره من الأباطرة المسلمين، وقام المعهد بأداء مهمته خير قيام، وملأ خزائن الفن ذخراً ثمينا و لم يزل في تقدم وازدياد مستمر.

يقول أبو الفضل «لقد وُشيِّتَ الكتب الفارسية نظمها ونثرها بروائع الصور والاشباه، وحوت عددا وفيرا، من نماذج الفن» وبالاضافة الى «قصة أمير حمزة» المذكورة سالفا، وُشيِّت كتب أخرى منها جنكيز نامه، وظفر نامه، وآئين، ورزم نامه، وهمايون نامه، ونل دمن، وكليلة دمنة، وعيار دانش وغيرها. وقد كانت الكتب الموشاة بالصور والرسوم أكثر من أن تحصى كما كانت كثرة عدد الرسامين تدعو إلى الأعجاب، ولعله من أهم المخطوطات الموشاة قدمه هذا المعهد في عهد أكبر، وما يشهد على الفن فيها مع الحيوية النابضة والنشاط اليقظ، والروعة المدهشة، هي «بابر نامه» (النسخة المرقمة ٣٧١٤) و«درب نامه» (٤٦١٥) و «أنوار سهيلى» (١٨٥٧٩) في المتحف البريطاني بلندن، و«تيمور نامه» في المكتبة الشرقية بـــ «بتنه» و «رزم نامه» في مكتبة الولاية بـــ«جابور» و«أنوار سهيلى» (النسخة المرقمة ١٠١٠٢) في مكتبة معهد للدراسات الشرقية والافريقية بلندن و «ليلى مجنون» (أبيات ٢٥٤) في مكتبة بوديليان باكسفورد و «أكبر نامه» في القسم الهندي بمتحف «فكتوريا والبرت» بلندن. وكذلك أعدت للكتب الفارسية نسخ أخرى، زينت بصور خلابة تشهد بجودها. منها «خمسة نظامى» في مكتبة دايسن بيرنس و «نفحات الأنس» لمولانا الجامى (١٣٦٢) في المتحف البريطاني بلندن.

«أمر جلالة الأمبراطور بتصويره كما أمر بتصوير جميع الأمراء والرؤساء الذين ضمهم بلاطه فاعدَّ «البوم» ضخم يشتمل على صور الذين توفوا من قبل، لتخليد ذكراهم، واتبع نفس الطريقة لتخليد ذكرى الأحياء منهم، ويعتبر هذا الوقت بدء العصر الزاهي لصنع الصور والتماثيل التي تعبر للفن مساهمة ثمينة قام بها المعهد المغولى.

ونتيجة لاهتمام أكبر بفن الرسم وتشجيعه لذويه أن حاز عدد وفير من الرسامين سمعة كبيرة وطار صيتهم في أرجاء العالم من أقصاه إلى أدناه، ومن ابرزهم ـــ كما قرر ذلك أبو الفضل ـــ مير سيد علي من تبريز، وخواجه عبد الصمد، دسونت، وبسوان. وهم بجانب ثلاثة عشر آخرين حازوا السمعة العالمية، وهم كيسولال، ومكند ومشكين، وفرخ، وقلمك، ومادهوم جكن، ومهيش، وخولش كرن، وتارا، وساولا، وهرى باس، ورام، وأمثالهم. ولا يستبعد أن يكون هؤلاء هم دعاة للرسامين الموجودين في بلاط أكبر. ويمتاز مير سيد علي وخواجه عبد الصمد اللذين جئ بهما من فارس بأنهما من الرواد

المجيدين الذين انبثق على ايديهما فجر النهضة الحديثة، اذ قاما في البلاط المغولي ببداية النشاط الفني خير قيام، ثم لم يلبث أن توصل أكبر بفضل عنايته الواسعة الى معرفة الفنانين الهنود أيضا، منهم دسونت وبسوان وكلاهما كانا من الهنود أرومة وجاء ذكرهما في حديث أبي الفضل بمزيد التبجيل والاحترام، وعدهما أيضا من رواد الفن وقد قيل عن دسونت، انه فاق الأقران طرا، وعدّ أول رسامي عصره. وأما بسوان فكان ممتازا بتخطيط المنظر الخلفي وتنفيذ الملامح واختيار الألوان وصنع الأشياء، وما الى ذلك، ويقتصر أبو الفضل عن ذكر ميزات جميع الرسامين الذين سبق ذكرهم في «آئين أكبرى» معتذرا بأنه لو أسهب في سردها جميعا لطال بنا الحديث.

وعن ولع (أكبر) بهذا الفن وما كان يجري له من المراسيم مع الفنانين ندرج ما ورد أيضاً ضمن كتابات أبي الفضل، يقول:

إن التصوير هوصنع ما يضاهي شيئا من الأشياء وكان جلالة الامبراطور مولعا بهذا الفن منذ حداثة سنه. فشجعه أي تشجيع وافرد له كل تسهيل ممكن. والسبب أن هذا الفن كان في رأي الامبراطور من خير وسائل التعليم وظنه خير ما تشتهيه الأنفس وتقربه الأعين فأصبحت هذه الغرسة بفضل عنايته أصلها ثابت وفرعها في السماء وآتت أكلها من الصيت الذائع لكثير من أهلها.

وكانت من دأب الامبراطور أن يقدم اليه المشرفون والكتاب (داروغات) جميع النتاجات الفنية كل أسبوع، فيأمر لهم بالجوائز حسب احقيتهم بها. ومن ضمن الجوائز أن يأمر لبعضهم بزيادة المرتب الشهري. وأنتج ذلك أن حازت المواد الأولية لهذا الانتاج تقدما ملحوظا وكانت الحاجيات والأشياء المستعملة في العمل تختار من أرقى الأنواع وأجودها من غير نظر الى ارتفاع ثمنها. فذخر هذا المعهد بنتاج أرفع وأجود منها في العهود السابقة. فحفلت نماذج الرسم والتصوير بالجودة والروعة التي لم يكن لها عهد بها من قبل، وبرز من مهرة الفنانين من لم يوجد لهم ند ومثيل. فها هي ذخائر الفنون لبهزاد التي لا تقل جودتها وبداعتها من انتاجات الرسامين الأوربيين الذين يشهد العالم بفضلهم ولعمري أنك تجد فيها من الانسجام ودقة الصنع وتوضيح الملامح، وما الى ذلك، مما لم يشهد الفن له مثيلا. وحتى صور الأشياء الجامدة قد يخيل إليك أنها تترقرق حركة وحياة،

والذين بلغوا منهم درجة الكمال الفني وحازو الشهرة الفائقة يزيد عددهم عن مائة. أما الذين دونهم أو الذين عدوا من الطبقة المتوسطة فلا يحصى عددهم.

ازدهار الشعر الفارسي في عهده:

كان لأعراض الصفويين عن الشعر، ان كسد الشعر في ايران، فقصد الشعراء بمدائحهم سلاطين الدولة التيمورية في الهند فلقوا من الكرامة والعطاء ما فاتهم في بلادهم وقد عدّ البدايوني مئة وسبعين شاعراً من أصل ايراني مدحوا هؤلاء السلاطين ونالوا جوائزهم.

وذكر شبلي النعماني في كتابه (شعر العجم) واحداً وخمسين شاعراً هاجروا الى الهند في عصر الامبراطور اكبر وحظوا بلقاءه ومدحه.

وقد جمع شبلي المذكور ابياتاً من الشعر الفارسي تبين عن حنين شعراء الفارسية في ذلك العصر الى بلاد الهند، وتمنيهم ان يظفروا بالسفر اليها، منها قول صائب:

«لا يخلو رأس من الفكر في حبك كما لا يخلو قلب من أمل السفر الى الهند»

وقد كان صائب هذا أحد الشعراء الذين هاجروا الى الهند في صباهم واتصل بالامبراطور اكبر وتوفي في الهند سنة ٩٩٩ في سن السادسة والثلاثين، والواقع ان هنالك مسعات الشعراء الفرس الذين قدموا الى الهند لما كانوا يسمعونه من عطايا ملوكها للشعراء ذلك ان الفارسية طبعت الهند المغولية بطابعها الثقافي، فكانت لغة البلاط الرسمي، ولم يكن من المستغرب ان يجد كثير من أهل فارس فرصتهم في الهند وفي بلاط اكبر بالذات، فشغلوا مناصب، وكان منهم وزراء وقادة وكانت الهند بارة بأبناء فارس فحققت للكثيرين منهم آمالهم، واعطتهم في سخاء اكثر مما كانوا ينتظرون في حين كانت تقعد بأمثالهم وربما (ممن يفوقونهم علماً وفكراً ولكن ينقصون عنهم مغامرة) تقعد بهم آمالهم وهم في بلادهم الاصلية عن الوصول الى ما كانوا يتوقون الى تحقيقه من امنيات غالية وشهرة وثراء ومن بين الاسماء اللامعة من أدباء وشعراء الفارسية على عهد اكبر شاه وجهان كير وشاه جهان: ظهوري، نظيرى، طالب الآملي، طالب الاصفهاني، طالب كليم، ميرزا قوام الدين جعفر بيك بن آصف خان، ملا شكيي الاصفهاني، حياتي

كـــيلاني، نـــواي مشهدي، مير محمد هاشم سنجر الكاشاني، دكالي الاصفهاني، امير الامـــراء شـــريف خان فارسي، شيدا، سعيدي الكيلاني، مير محمد أمين، محمد صوفي، حكـــيم حاذق، خواجه ميرزا أحسن الله، مظهري الكشميري، مولانا تقي الشوشتري الغيوري، كمال الدين جشمي، مير اسماعيل شاملو، عبد الباقي، تبيني، حكيم فكفور لا هيجاني، قبلان بيك، مرشد خان، تاج عليا، تقي بيرزاد، حيدر عطاي، شاه نظير بيك، مـــولانا قـــدري، ندم كيلاني، رسمي قلندر، محمد كاظم شيرازي، مولانا لطفي، محمد هاشـــم كيسا، اسكند كيسا خان، محمد شريف معتمد خان، محمد هاشم هند وشاه، عـــبد الباقـــي النهاوندي، عبد الحق بن صفي الدين الترك، محمد قوصي بن حسين بن موســـى الـــشطاري، الـــشيخ اسكندر، حاج محمد جان قدسي، محمد قلي سالم، عبد بـــركات منير، مير يحيى الكاشي، مير الالاهي، حكيم ركن الدين مسعود مسيح، مولى نـــسبتي تانيـــسر، مير حسن بيك رفيع مشهدي، محمد لسان الله، درويش حسين ولي هـــروي، محمد طاهر خاني كشميري، محمد علي ماهر، محسن فاني، سيد خان ملتاني، حسن فاروقي، مولى حاجي لاهوري، خيالي، فاروق، دليري، جاندرا بان برهمان، عبد الحميد اللاهوري، محمد وارث، هلامي سعد الله خان، مدار المحامي علاء الملك التوني، محمـــد صادق، محمد طاهر أسنا، محمد امين بن عبد الحسن القزويني، محمد صالح كنبو، خـــواجه كمكر خيرات خان، جلال الدين الطباطبائي، الشيخ عنايت الله، عبد اللطيف الكجـــراتي الـــشكر كـــاني، ملا توكرا وغيرهم وغيرهم من مئات الأعلام مما لايسعنا الاحاطه بهم واخبارهم وان ذكرنا خلال بحثنا بعض اعلامهم فان الحديث عنهم تفصيلاً يخـــرج عـــن نطاق استطاعتنا وحرى بمن يتطلع الى المزيد من أخبارهم مراجعة الكتب المختصة[1]:

(١) • Persian Literature in India during the time of Jahangir and shah Jahan. by: M.L.Rahman. Baroda (١٩٧٠).

• Literary Hostory of Persia by E.G. Browne Ahistory of Persian Literature at the moghul court by :abdul Ghani

• Sherul- Ajam by :shibli

• Nigaristan i Fars by ; Mohmamad Hosain Azad

الشعر الهندي على عهد أكبر:

كان حكم الامبراطور اكبر «عصرا ذهبيا» لا باعتبار الشعر الهندى فقط بل وبما أنه انتج عددا غير قليل من شعراء الطراز الأول الذين انخرطت دواوين شعرهم ومؤلفاتهم المنظومة الرائعة في سلك المختارات الكلاسيكية.وانما انطبعت بطابعها اساليب الثقافة الهندية كما هي حركت عواطف ملايين من الناس وأثرت في قيمها اكثر من كل شئ آخر في تاريخ العهود الوسطى بالقارة الهندية فمن أشهر مشاهير هذا العصر تلسى داس (Tulisidas) وسورداس (Surdas) ومان سنكهه (Mansingh) وكارنيش (Karnesh) وجانج (Gang) وكيشب داس (Keshavdas) وتودر مال (Todar Mal) وعبد الرحيم خان خانان (Khan Khanan) وراس خان (Raskhan) وتان سين (Tansen).

أقام تلسي داس بمدينة بنارس (Banaras) في معزل عن الناس وكان وحيد الطراز، محباً للخلوة، لكنه كان مع ذلك قد حاز على شهرة ادبية طائلة. وكان هو الشاعر الأكبر الذي قرب العقيدة الهندوكية المختصة بقداسة رام ومثله في ذلك مثل المهاراناا برتاب سنكهه (Maharana Partap Singh) بطل ميوار (Mewar).

ومن أشهر المؤلفات لتلسى داس كتابه المنظوم المسمى برام جريت مناس (Ramacharita Manas) الذي ينعت باسمى النعوت فيقال انه «كالكتاب المقدس لدى ملايين من الهنادكة» وليس ذلك مثالا اروع للادب الهندي فقط ولكنه في الواقع كان دستور الفلسفة والأخلاق الذي يقرر في أذهان المواطنين المعاني السامية الفاضلة للحب والاذعان. أما اللغة التي استعملها تلسى داس فهي لغة سهلة مألفة، لغة جماهير الطوائف الهندكية أو لوك بهاشا (Lok Bhasha) هذا ويمثل الكتاب ضروبا شتى من الأفاعيل المألوفة لدى الجمهور، كدوها (Doha) وسوراتها (Soratha) وسوائي (Chhand) وتشوباى (Chupai) ثم انه ينقسم الى سبعة أجزاء، تصور أمام القراء سيرة الورد رام تشندر (Sri Ram Chandra) ملك اجودهيا الشهير في أساطيرهم الملفقة. والذي يعتبر عند الهنادكة مثالا جسدانيا لله ويقدم اليه تلسى داس أبر التحيات على مامعناه:

«العالم تماما ملآن من الأم المقدسة (سيتا) ومن اللورد (رام) فها انا ذا اسلم بالانحناء

امامهما، مطبقا لليدين».

وانما يتلو ذلك في الأهمية ويناى بتريكا (Vinaya Patrika) لتلسي داس ايضا، وهو مجموع يتألف من أناشيد وأغان في الأدعية والتسبيحات. ولقد لاحظ المؤرخ اسمث (Smith) ووافقه على ذلك السير جورج جريرسون (Sir George Grierson) بان كتاب الرامايانا (Ramayana) لتلسي داس واسطة العقد في الأدب الهندي وان مؤلفه الكبير تلسي داس نابغ عبقري بلا مدافع. وبموجب رأيهما تطورت أساليب تلسي داس على اختلاف المواضيع وتغاير الشخصيات التي يحوك الكلام حولها. فكل بطل متمايز بشخصية بارزة على وجه التحديد تخاله يعيش ويتحرك أمام عينيك متسما بسمات الكرامة والتمجيد المألوفة في عصر بطولته. لقد كان الامبراطور اكبر المغولي العظيم في ظهور اسم هذا الشاعر.

وهناك شاعر آخر يتلوه شهرة، اسمه سورداس (Surdas) وهو الى جانب الموهبة الشعرية كان ايضا كاتباً قديراً وربما يفوق تلسي داس وطار صيته وخاصة بعد تأليفه لكتابه الموسوم بسورساكر (Sur Sagar) وما الى غير ذلك من أناشيده. وليس هناك احد من شعراء اللغة الهندية قبل سورداس ولا بعده يكون أوسع معرفة منه بسيكلوجيا الاطفال. ولقد رأى بعض النقاد أنه كان أكثر تفوقا من تلسي داس. وكان ملتحقاً ببلاد الامبراطور اكبر الى ان اشتهر لدى الجماهير بشاعر اكرا الأعمى. وكان ابوه رام داس ايضا شاعر البلاط المغولي في عصر اكبر.

وكذلك يمتاز عصر الامبراطور اكبر بمساهمة الشعراء المسلمين في حقل الأدب والشعر باللغة الهندية ينوه جريرسون من بينهم هؤلاء: جلال الدين، وقادر بخش، وجمال الدين من سكان هرودوئي (Hardoi) ومبارك على وتاج ودلدار ومن أكثرهم شهرة عبد الرحيم خان خانان. وما زال اسمه مذكوراً في النهاية متميزاً كالكوكب الدرى في قبة الأدب الزرقاء في عهد أكبر. فانه علاوة على تبحره في اللغة الفارسية والعربية والتركية. كان من علماء الطراز الأول في اللغة السنسكرتية وشاعراً مجيدا يفصح عن قرارات صدره باللغة الهندية مرة وباللغة الراجستهانية مرة اخرى. وقد وصلتنا مئات من نفثات قلمه المصبوبة في بوتقة الشعر الهندي وعلى الخصوص هذه المزدوجات المعروفة في الأدب الهندي بدوها (Doha) ومن بعض اناشيده تعريبه:

«ان الحنظل المر ملأ الفم، ينبغي أولا وقبل كل شئ ان يقطع رأسه، وثانيا ان يملح تماما وهذا هو القول الفصل فيه فإنه على مرارته لا يستوجب الا هذه العقوبة».

وكانت تربطه بتلسى داس صداقة حميمة واتصل بعضهما بالبعض بتبادل الرسائل والمخاطبات. وعبد الرحيم خان خانان ولد في سنة ١٥٥٦ للميلاد وكان نجل الأمير الشهير بيرم خان. وكان قائداً كبيرا فاتفق في سنة اربع وثمانين وخمس مائة والف للميلاد ان قاد عساكر الامبراطور اكبر ضد كجرات كما قادها في السنة التالية ضد احمد نكر.

وتوا بعد ان اختلس ريب المنون الراجا تودر مال، تبوأ عبد الرحيم كرسي الوزارة العظمى في سنة تسع وثمانين بعد خمس مائة والف للميلاد. وبقى حيا يرزق ويخدم الامبراطور جهانكير نحو إحدى وعشرين سنة وسنأتي على ذكره بشكل أكثر تفصيلاً فيما بعد.

ومن نبغاء المسلمين بالهندية راس خان (Ras Khan) وكان متحمسا في اعتقاده بقداسة اللورد كريشنا (Lord Krishna) وله منظومات كثيرة تصف جوانب من حياة كريشنا في الغابة الشهيرة وريندابن (Vrindaban) وهذا من بعض أقاويله المنظومة: «انني على تقدير كوني بشرا سويا ارضى فقط بالسكن بقرية جوكل (Gokul) ولو كنت كائنا من الانعام لأحببت ان اسوم في مرعى خصيب كبقرات ناند (Nand).

وكان الامبراطور اكبر نفسه يحب الشعر الهندي حبا جما ويقال انه نظم بالهندية أبعاض المقطعات وانتحل اسم اكبر راى (Akbar Rai) ومنه ما وصل الينا وطالما انخرط في سلك النخب المودعة في مجاميع الشعر الهندي. ومما يكون اكثر طلاوة من ذلك هاتيك الاقاصيص التي على كثرتها تدور حول العلاقات المتواصلة بين الامبراطور اكبر وبين الشعراء في عصره وبلاطه. وانما يجدر بالذكر ههنا على سبيل المثال ان الامبراطور على اقتراح الشاعر فدياپتي (Vidyapati) تجاوز عن ذنب للراجا شيو سنكهه (Raja Shiv singh) صاحب متهيلا (Mithila) وذلك بعد ان حكم عليه بالعقوبة. وكذلك يقال عن الشاعر كيشب داس (Keshavdas) انه ذات مرة قام بمثل هذه الخدمة على حساب الراجا اندرجيب صاحب اورتشا (Orchha) وبناء على اقصوصة اخرى اتفق ذات مرة انه سافر

الامبراطور اكبر وصحبه بيربل فسارا مستقيما من آكرا الى مارواز (Marwar) كيما يسعدهما الحظ برؤية ميرابائي (Mirabai) وهناك اقصوصة اخرى تشير الى أن الشاعر دادو (Dado) ارشد الامبراطور وهو معصوب الأعين، الى مركز الغابة ورنداين، حيثما صادفته الموهبة بمنظر اللورد كريشنا. هذه الاقاصيص تروى عن شغف أكبر شاه وتسامحه ازاء الادب الهندي.

ولم تكن هذه الفعاليات الأدبية مقصورة على البلاط الملكي ولا على اعيان الحكومة ولكنها كانت حركة مستمرة للجمهور فكانت توجد في الأرياف المترامية الأطراف أيضا طائفة كبيرة من الأدباء والشعراء باللغة الهندية وكانوا يتمتعون بتعضيد لجانبهم من كبار الأقطاعيين والأثرياء الأغنياء ومن شاء فليراجع صحائف الكتاب الموسوم بيندهو ونود (Bandhu Vinod) تأليف السيد ميشرا (Mishra) أو الكتاب المسمى «هندي ساهتياكا اتيهاش» أى تاريخ الأدب الهندى تأليف السيد رام تشندر شكلا (Ram Chandra Shukla) وهنالك فقط يمكن للمطالع ان يقدر قيمة الروح التي سادت ذلك العصر الذهبي في تاريخ الشعر الهندي على عهد أكبر.

وفاته وذريته:

بعد ان ألحق أكبر كلاً من خانديس وأحمد نكر بالسلطنة المركزية ورضي من امير بيجابور بالطاعة والخراج، عهد بولاية الدكن الى ابنه الأمير دانيال وعززه بالقائد خان خانان ليشد به عضده، ورجع الى آكره، وتوفي على فراشه في جمادى الثانية سنة اربعة عشرة والف (١٦ اكتوبر ١٦٠٥م) ودفن في اسكندر آباد قريباً من أكرا تاركاً العرش لأبنه سليم (جهانكير) وهو ولده من زوجته البرهمية الأصل بنت بيهاري مل (راجا جيبور) التي كان قد تزوجها سنة ١٥٦٢ م، وكان لأكبر عدة زوجات أخريات منها بنت راجا بيكانير وبنت راجا جيسلمير وكان قد أقام بذلك الروابط الودية بين المسلمين والهندوس.

ولم تكن رغبة اكبر ان يتولى العرش من بعده ولده سليم هذا وذلك بسبب ما خلفه في نفس والده اكبر من عدم الارتياح بعد العصيان الذي أبداه سليم بمدينة اله آباد، بقصد الاستيلاء على الملك ثم تراجع عن ذلك واعتذر لأبيه، لكنه عاد وخاصم والده الامبراطور

وسبب له المًا كبيراً بقتله لأحد أكبر رجاله العلامة ابو الفضل وقد كانت بين سليم وبينه جفوة بسبب نصيحته اياه بالانقياد المطلق الى طاعة ابيه، فأشار الى أحد اتباعه المسمى (راجا رام) والي «بندهيل كند» أن يقتله، فقتله سنة (١٠١١هـ ـــ ١٦٠٢م) فغضب أكبر وحزن حزناً صادقاً وانتقم من القاتل شرّ انتقام، وفي أثناء الحملة على الدكن توفي ولده (مراد) وفي سنة ١٠١٣هـ ـــ ١٦٠٤م) وتوفي (دانيال) في الدكن أيضاً، فاغتمّ كثيراً، فتسلم (سليم) الملك ولم يكن يخلو الأمر من المتاعب فقد رأى رجال البلاط ان يبعدوه عن العرش وان يولّوا ابنه خسرو لكن الأمور لم تتفق لولده خسرو ومن معه من رجال البلاط بل انتهت الى فراره سنة ١٦٠٦ م، فأرسل سليم وراءه اثناء عشر الف رجل ولاقوه في لاهور فاقتتلوا ففرَّ خسرو من المعركة ولكن ألقي عليه القبض وأُتي به الى اكره فسجن فيها، وبقي في سجنه الى أن مات سنة ١٦٢١ م، وبذلك استتبت الأمور للامبراطور سليم جهان كير.

من أعلام الشيعة في عهد الامبراطور أكبر:

الأمير علي قلي خان الشيباني الأزبكي ت ٩٧٤هـ

أمير الأمراء بيرم خان خانان التركماني ت ٩٨٥هـ

أمير الأمراء عبد الرحيم خان خانان التركماني (٩٦٤ ـــ وت بعد ١٠٠٠هـ)

الأمير منعم خان التركماني ت ٩٨٣هـ

الأميرة خانان بيكم بنت عبد الرحيم خان خانان ت ١٠٧٠هـ

من العلماء الذين رعاهم أمير الأمراء عبد الرحيم خان خانان:

كاظم بن عبد علي الكيلاني ت بعد ١٠١٥هـ

تقي الدين التستري ت ١٠٢٠هـ

محمد رضا الاصفهاني ت ١٠٢٣هـ

محمد علي الكشميري ت ١٠٢٥هـ

عبد الباقي النهاوندي (٩٧٨ ـــ ١٠٤٦هـ)

ومن العلماء في عصر اكبر:

العالم الأمير الوزير فتح الله بن شكر الله الشيرازي (٩٢٠ ـــ ٩٩٧هـــ)

القاضي محمد اليزدي (ت ٩٩٨هـــ)

الوزير العالم شريف الآملي (ت بعد ١٠٠٣هـــ)

الوزير شمس الدين الخوافي (ت ١٠٠٨هـــ)

الوزير الشاعر آصف خان ميرزا بك (٩٥٨ ـــ ١٠٢١هـــ)

العالم الطبيب صدر الدين بن فخر الدين الشيرازي (ت ١٠٦١هـــ)

الطبيب مسيح المُلك الشيرازي

همام بن عبد الرزاق الكيلاني (ت ١٠٠٤)

تقي الدين الحسيني الشيرازي

أسرة آل الناكوري

خضر بن موسى اليماني (٩٣٤ ـــ ٩٥٤هـــ)

مبارك الله الناكوري (٩١١ ـــ ١٠٠١هـــ)

ابو الفيض الناكوري (٩٥٤ ـــ ١٠٠٤هـــ)

ابو الفضل الناكوري (٩٥٨ ـــ ١٠١١هـــ)

ابو المكارم الناكوري (٩٧٦ ـــ ....)

ابو تراب الناكوري (٩٨٨ ـــ ....)

عبد الرحمن بن ابي الفضل (٩٧٩ ـــ ١٠٢٢)

عبد الله بن علي الشيرازي (القرن ١٠هـــ)

نور الدين محمد عبد الله الشيرازي (ت بعد ١٠٣٨هـــ)

ومن أمراء الشيعة المعروفين في هذا الدور:

علي قلي خان الشيباني

قتل سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٧م

الأمير الكبير علي قلي بن حيدر سلطان الشيعي الشيباني أحد الأمراء المشهورين. قدم الهند صحبة همايون شاه التيموري عند رجوعه عن العراق مع من رجع معه من كبار

القادة الازابكة وهم فرع من التيموريين انشقواعنهم في عهد اميرهم شيباني خان حتى صاروا كأنهم لا ينتسبون إليهم، وقد قام هؤلاء القادة وكلهم من الشيعة وبزعامة علي قلي خان ببذل كل امكاناتهم القتالية من أجل فتح الهند ولذلك أقطعه همايون شاه المذكور البلاد والقلاع بناحية سنبهل، فضبط تلك البلاد واحسن السيرة في الرعية، ولما قام بالملك اكبر شاه وخرج عليه هيمون الهندي وقبض على دهلى تقدم اليه وسار معه الى دهلى، فلما قرب من دهلى خرج من المعسكر ومعه عشرة آلاف مقاتلة، فقاتل هيمون المذكور اشد قتال وهزمه فلقبه أكبر شاه بخان زمان وزاد في منصبه، واقطاعه فرجع الى سنبهل واقام بها زمانا ثم ولى على جونبور ونواحيها فضبط تلك البلاد وفتح الفتوحات العظيمة وتحسس منه اكبر شاه شيئا لا يرضيه تحسّس على قلى من صاحبه شيئا خاف نفسه فخرج عليه، والتف حوله كثير من الجند والقواد والأمراء، وانتهز فرصة ذهاب أكبر لأخضاع ثورة البنجاب وهجوم أخيه حكيم مرزا عليها، فاستولى على قنوج وأوده، لكن أكبر رجع بسرعة إلى آكرا، وكان الموسم موسم الامطار والسيول وفيضان الأنهار، وبرغم ذلك سار أكبر حتى وصل إلى شاطئ «كنكا»، وكان خان زمان على الشاطئ الآخر غارقاً في بحار الأمن، مطمئناً إلى أن أكبر لا يستطيع أن يصل إليه في مثل هذه الأيام، ولكن أكبر كانت له همة تتغلب على كل ما أمامه من صعاب، فعندما وصل إلى الشاطئ ولم يجد سفناً تنقله إلى الشاطئ الآخر ألقى بفيله إلى النهر وهو يركبه، والأمراء والقواد من حوله يعارضونه في هذه المجازفة الخطيرة، ولكنه لم يبال بالمعارضة ولا بالخطر، وأخذ معه عدداً قليلاً من الجند، وعبروا النهر ليلا، وما إن أصبح الصباح واشرقت الشمس حتى كانت طبول الحرب تدق على أبواب «كره مانك بور» التي كان خان زمان يتحصن فيها، فذهل هو وجنده من هذه المفاجأة، وفقد السيطرة على الموقف، وهجم أكبر بجنده القليلين، فقتل خان زمان وتفرق جنده، واستولى اكبر على البلدة وكانت من أعمال اله آباد وسماها (فتح بور) وغنم الغنائم وقضى على خصم عنيد. وقد أرخ بعض الفضلاء ــ كعادتهم ــ لهذا النصر الغريب بهذه الكلمات «مبارك فتح أكبر» سنة ٩٧٤هــ ــ ١٥٦٧ م. ولم تكن معارك أكبر مع هؤلاء القادة معارك بسيطة أو مناوشات كما يحدث بين رجال الأمن والعصابات، بل كانت معارك ذات شأن كبير، اذ

بلغ عدد الفيلة التي اشتركت في المعركة الأخيرة نحو ألفي فيل.

وكان الشيباني رجلاً شجاعاً مقداماً باسلاً ذا جرأة ونجدة يقتحم في المخاوف ويفتح الأبواب المغلقة عليه بهمته ونجدته وكان يحب العلماء ويحسن إليهم ويقرّبهم إليه ويبذل الصلات الجزيلة عليهم وعلى الشعراء.

كما كان شاعراً مجيد الشعر، له أبيات رائقة بالفارسية منها:

عيسى نفسى كه راز اوحيرانم كرد   جون طرّه خويشتن بريشانم كرد

ازكفر سر زلف خودم كافر ساخت   وز مصحف روى خود مسلمانم كرد

ـــ مآثر الأمراء، نزهه ٤ / ٢٨٤ ـــ ٢٤٩ رقم ٣٨٢.

بيرم خان خان خانان

استشهد في ٩٨٥هـ ـ ١٥٧٧م

(خان خانان) لقب كان يخلعه أباطرة دهلي على أكبر موظف في الدولة، وهو مقابل اللقب التركي بكلر بك، وكان هذا اللقب مستعملاً في عهد بابر فقد مُنح لدولاور خان ولد دولت خان، ومن الألقاب المماثلة لهذا اللقب هو (خان دوران) و (خان جهان) أي سيد العالم، واشهر رجل حمل لقب خان خانان هو الأمير الكبير بيرم خان بن سيف علي بن يار علي بن شير علي التركماني البلخي الشيعي، وولده من بعده الأمير عبد الرحيم خان.

كان الأمير الشهير بيرم خان من اسرة تعرف بـــ (البهارلو) أحدى الفروع القوية لقبيلة قره قويونلو، وهي قبيلة تركمانية شيعية سكنت منذ القدم شمال بحيرة (وان) وعرفت بهذا الأسم نسبة الى لون علمهم وبقول بعض آخر لون خرافهم، لهذا يطلق عليهم هؤلاء أسم قبيلة الخروف الأسود، أو قبيلة الشاة السوداء والتي قاد كتائبها الحربية الزعيم الطموح قره يوسف منذ عام ١٣٩٠ ثم كان له ولاسلافه الدور الكبير في الأحداث التاريخية التي شهدها المناطق المجاورة لارمينية وآذربيجان والعراق وغيرها، وكان الجدّ الأكبرللمترجم له بيرم، والمسمى علي شكر التركماني صاحب املاك واسعة في همدان

وغيرها اما ابنه أوحفيده شير علي المذكور والد جدّ بيرم فكان يُعرف أيضاً باسم شير علي وهو أحد قادة ميرزا جهان شاه براني الذي تزعم قبيلة قره قويونلو، بعد قتل الزعيم أسكندر القرة قويونلو، والذي حكم آذربيجان وحصل على اعتراف السلطان شاه رخ التيموري، ورافق بير علي التركماني جميع الخطوات الناجحة التي قام بها الزعيم ميرزا جهان شاه وخاصة بعد وفاة شاه رخ وتقدم قبيلة القره قويونلو باحتلالها مساحات واسعة جنوب وغرب آسية وخصوصاً في الفترة ما بين ١٤٥٢ ـــ ١٤٥٦، ومع أنه اصطدم فيما بعد بمعارضة أبي سعيد التيموري (السلطان الذي خلف شاه رخ) الا انه احتفظ لنفسه بحكم آذربيجان وميديا وما بين النهرين (بعد أن كسر شوكة حكامها الذين كانوا من نفس قبيلته) وكذلك كرمان وحتى شواطئ عُمان في بلاد العرب الشرقية، ولكن ثورات ابنائه عليه عكّرت صفو حكمه، ومع ذلك بقي صامداً حتى عام ١٤٦٦، عندما كسره اوزون حسن وقتله وبعد سنتين من هذا الحادث قُضي نهائياً على دولة قره قويونلو وبالقضاء على هذه الدولة أصبح شير علي (والد جدّ بيرم) واحداً من قادة السلطان أبي سعيد التيموري وحين قتل ابو سعيد عام ١٤٦٩ م أصبح شير علي واحداً من قادة ابنه السلطان محمود ميرزا، ومكث معه في حصار (شادمان) حيث تزوج السلطان محمود من ابنته باشا بيكم. وسار شير علي من حصار إلى كابل ثم إلى شيراز حيث هزمه ملكها وحاول الفرار، بيد أن خدم السلطان حسين صاحب هراة قبضوا عليه وقتلوه. واستقر ابنه جان علي بك في بذخشان التي كانت تشمل قُندر، والتحق بخدمة بابر وكذلك فعل ابنه سيف علي الذي توفى وهو عامل على غزنة كما ذهب إلى ذلك فرشته. وجان علي هو الذي أشار إليه بابر في مذكراته (طبعة Erakine، ص ٣٥٠) عند حديثه عن الأعوام ٩٠٣ و ٩٠٥ و ٩١٠ و ٩٣٣هـــ. وولد بيرم في بدخشتان، ويقال إنه التحق هو الآخر بخدمة بابر، وهذا القول إن صح فلا يمكن أن يكون إلا وقت صباه، وتعلم في بلخ، ويظهر أنه كان من طلاب العلم المجدين والمثابرين ثم وفد بعد ذلك على كابل وصحب همايون إلى الهند وحضر وقعة «قنوج» المشئومة، والتجأ مع زميندار الهندى إلى سمبهل التي كانت من أملاك همايون، ولم يسمح له بالبقاء هناك فقد أرسل إليه شير شاه وأغراه على خدمته. بيد أن بيرم أبي وقال في معرض الجواب على شير شاه إنه لا يوجد من يخلص لمولاه ثم يرتضى

العار ــ وحاول الفرار صحبة زميل له فقبض عليهما، ولم ينقذ بيرم غير تضحية زميله إذ أقنع الذين قبضوا عليه بأنه بيرم وقيل أن نصير خان أحد قادة شير شاه شفع له، ففر المترجم له إلى كجرات حيث مدَّ له السلطان محمود يد المساعدة، ولكنه تظاهر بالرغبة في الحج فسمح له بالتوجه إلى سورت، ثم عاد أدراجه ولحق همايون في السند في ٧ محرم سنة ٩٥٠ وحرضه على السفر الى ايران، وبرز في بلاط الشاه طهماسب بمهارته في الفروسية، وكان قائد همايون في أفغانستان والهند. وليس من شك في أنه كان السبب في استعادة همايون لملكه، وكسب وقعة «ما شيفاره» في إقليم لدهانه عام ١٥٥٥ م، وربما يعود إليه كما يعود إلى همايون الفضل في صدور الأمر الرحيم الذي أحال استرقاق نساء الأفغان المدحورين وأطفالهم. وكان بيرم مع أكبر في البنجاب عندما باغت الموت همايون، وما إن وصل إليه نعيه، وكان في «كلانور» حتى نادى بأكبر سلطاناً وأجلسه على العرش في فبراير عام ١٥٥٦م (٩٦٧هـ) ولما حاقت بتردى بك الهزيمة المنكرة على يد «هيمو» في دهلي، أمر بيرم بقتله، وبرَّر فرشته صنيعه هذا، وشهد بيرم مع أكبر وقعة بانيبت في نوفمبر عام ١٥٥٦م. ومن المؤسف ان نقول إنه هو الذي قتل بيده الأسير الجريح هيمو الرواري. ونستبين من مسلك بيرم في شأن تردى بك وأوامره الدقيقة فيما يتصل بملاهي أكبر انه لم يخرج على حقوق الوصاية (خافى خان، جـ ١. ص ١٣٤) والحق أنه كان يعتبر نفسه في مكان الوالد من أكبر، ولذلك كان يلقب، بـ «خان بابا» أي والد الخان. وفي عام ١٥٥٧ وفى أكبر بما كان أبوه قد وعد فزوج بيرم من ابنة عمه سليمة بيكم، واحتفل بالزفاف احتفالاً فخماً في جالندر. وكان بيرم قد تزوج قبل ذلك بابنة مسلم هندى اسمه جمال خان المواتى وهي أم ولده المشهور عبد الرحيم (الآتي ذكره)، ولم يكن له ولا لأكبر ولد من سليمة. وقد أدت تصرفات بيرم وتأثير «ماهم أنكه» حاضنة أكبر إلى حدوث وحشة بين الوصي وبين تلميذه، فاضطر بيرم أول الأمر إلى التسليم والتخلى عن سلطته بيد أن سلوك خصومه أدى به إلى العناد. وأخفق بيرم في نضاله فعفا عنه أكبر بما جبل عليه من علو النفس. وسار يقصد الحج الى مكة ولكنه قتل في فتّن من أعمال كجرات في عراك مع رجل من الأفغان، وكان ذلك في سنة ٩٨٥هـ الموافق (٣١ يناير عام ١٥٦١) وأرخ لعام وفاته بعض العلماء «شهيد شد محمد بيرام» ونقل ابن أخيه رفاته

إلى مشهد المقدسة بجوار مرقد الأمام الرضا عليه السلام.

قالت Beveridge بفردج: كان بيــرم شيعياً، ومن الأدلة على عظمته أن رجــلاً سنياً متعصباً مثل البداعوني قــد أكثر من مدحــه، وكانت له مشــاركة في الأدب، ولا يزال ديوانــه موجــوداً. وقد نقل البداعوني وفرشته مختارات من أشعاره، وهناك شيء من أخباره في أكبر نامه وفي فرشته (عند تأريخه لوفاته) وفي مآثر الأمراء للشاه نوازخان (جـ ١، ص ٣٨١) ومن هذا المصنف الأخير استمد بلوخمان Blochmann فذلكتــه في ترجمته لكتاب «آئيــن أكبــرى» (ص ٣١٥). وهناك فقرة طويلة هامة عن بيرم في كتاب ألفه بالهندستانية شمس العلماء محمد حسين عنوانه «دربار أكبرى» (ص ١٥٧ ــ ١٩٦).

وذكره عبد الحي واثنى عليه جداً ومما قاله الأمير الكبير صاحب السيف والقلم والشهامة والكرم بيرم ... وكان اكبر قواد الدولة التيمورية لم يكن له نظير في الشجاعة والكرم وجعل إليه همايون شاه ثم ولده اكبر شاه الاشراف على الديوان واستنابه في الحضور مع الحكام عند فصل الخصام وجعل اليه ولاية بعض البلاد، وله من كمال الرياسة وحسن مسلك السياسة والمهابة والصرامة والفطنة بدقائق الأمرو والاطلاع على احوال الجمهور وجودة التدبير والخبرة بالخفي والجلي ما لايمكن وصفه مع النقاوة التامة والشهامة الكاملة وبُعد الهمة وكثرة المعرفة للأدب ومطالعة كتبه والاشراف على كتب التاريخ ومحبة أهل الفضائل وكراهة ارباب الرذائل والنــزاهة والصيانة والميل الى معالى الأمور، وكان شاعراً يجيد الشعر بالفارسية والتركية، ومن شعره قوله:

شــهى كــه بكــذرد از نه سپهر افسر او اكــر غــلام علــي نيــست خاك بر سر او

وهذا في مدح الأمام علي (ع) ترجمته: «ان الملك الكبير الذي يبلغ علمه عنان السماء، اذا لم يكن خدم علي فقد تربت يمينه، ورغم انفه».

ــ دائرة المعارف الاسلامية ٣٨٤/٤ ــ ٣٨٥ ،نزهة ٤ / ٦٤ ــ ٦٦ رقم ١١٤.

ــ مستدركات ٧٠/٢ ــ ٧١.

عبد الرحيم بن بيرم خان

(ولد ٩٦٤ ....)

الأمير الكبير البطل الأعظم صاحب السيف والقلم مبارز الدين ميرزا عبد الرحيم بن بيرم خان الشيعي الدهلوى خانخانان سبهسالار الذي لم ينهض من الهند أحد مثله ولا من غيره من الأقاليم السبعة من يكون جامعا لأشتات الفضائل.

جاء في النُزهة: ولد يوم الخميس الرابع عشر من صفر سنة أربع وستين وتسعمائة بمدينة لاهور من بطن ابنة الأمير جمال خان الميواتي، فلما طعن في الرابعة من سنة قتل أبوه سنة ثمان وستين وتسعمائة بمدينة فتن من بلاد كجرات، فحملوه إلى آكره فتربى في مهد السلطنة، وخصه أكبر شاه ابن همايون التيمورى بأنظار العناية والقبول، وقرأ بعض الكتب الدرسية على مولانا محمد أمين الأندجاني وبعضها على القاضي نظام الدين البدخشى، واستفاد فوائد كثيرة عن الحكيم على الكيلاني والشيخ العلامة فتح الله الشيرازي، ولما وصل إلى كجرات أخذ عن الشيخ وجيه الدين بن نصر الله العلوى الكجراتي، وحيث كان مربيا للعلماء جمع لديه من رجال العلم ما لم يجتمع عند غيره من الملوك والأمراء فلم يزل يستفيد منهم في كل باب حتى تبحر في العلوم.

وكان من أهل التفتن في الفضائل واللغات، مقدما في المعارف متكلما في انواعها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع الى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الجانب والحلم والتواضع والشجاعة والكرم، جعله أكبر شاه مؤدبا لولده جهانكير سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة ولقبه مرزا خان وله ثمان وعشرون سنة، وأعطاه النقارة وأربع قباب من لوازم السلطنة، وزوجه بابنة الأمير الكبير شمس الدين محمد الغزنوي، ولم يزل في ازدياد من الرقى حتى نال منزلة في الإمارة لا يرام فوقها، وفتحت على يده بلاد كجرات وبلاد السند وأقطاع من إقليم الدكن، ولقبه أكبر شاه المذكور بخانخانان أي أمير الأمراء.

وكان له من النقاوة التامة والشهامة الكاملة وعلو الهمة والكرم ما لا يمكن وصفه مع المعرفة للأدب ومطالعة كتبه، والإشراف على كتب التاريخ، ومحبة أهل الفضائل، وكراهة

أرباب الرذائل، والنزاهة والصيانة والميل إلى معالى الأمور، حتى لم أحد ممن كان قبله أوبعده من يأويه في مجموع كمالاته، وكان مع ذلك لا يعفو نفسه عن مطالعة الكتب، فاذا كان على ظهر الفرس وقت طعنة أو نهضة رأيت الأجزاء في يده، وإذا كان يغتسل رأيت الأجزاء في يد خدامه يحاذونه وهو يطالعها ويغتسل.

قال عبد الرزاق الحوافي في «مآثر الأمراء»: إنه كان أوحد أبناء العصر في الشجاعة والكرم، ماهرا باللغات المتنوعة من العربية والفارسية والتركية والهندية وغيرها، وكان يتكلم في كل من تلك الألسنة بغاية الفصاحة والطلاقة، وينشئ الأبيات الرائقة، ويكرم العلماء ويبذل عليهم الأموال ويعطيهم الصلات والجوائز سرا وجهارا، ويرسل إليهم في البلاد النائية، وقال في موضع آخر من ذلك الكتاب: إنه كان مغناطيس القلوب، جمع حوله من العلماء والشعراء وغيرهم من أرباب الكمال ما لا مزيد عليه ـــ انتهى.

وقال السيد غلام علي الحسيني البلكرامي في الخزانة العامرة: لو وضعت عطاياه في كفة من الميزان و عطايا الملوك الصفوية كلهم في كفة أخرى لرجحت كفته انتهى. ومن مصنفاته ترجمة «تزك بابرى» نقله من التركية إلى الفارسية سنة سبع وتسعين وتسعمائة، ومن أبياته الرقيقة الرائقة قوله:

شمار شوق ندانسته ام كه تا جند است　　　جز اين قدر كه دلم سخت آرزومند است

ـــ نزهة ٥/٢٢١ ـــ ٢٢٣ رقم ٢٣٥

منعم خان بن بيرم خان خانان

ت ٩٨٣هـ

كان من الأمراء المشهورين في الهند خدم همايون شاه ثم ولده اكبر شاه التيمورى مدة طويلة حتى ولى امرة الامارة ولقبه اكبر شاه خانخانان ومعناه امير الأمراء سنة سبع وستين وتسع مائة فاستقل بها اربع عشرة سنة، ومن آثاره جسر على نهر كومتى بمدينة جونبور

بناه سنة احدى وثمانين وتسع مائة وهو من عجائب الزمن ونوادر الهند ارخ لبنائه بعض الناس «صراط المستقيم».

وكان منعم خان موضع ثقة الامبراطور أكبر، ولما كان أمر البنغال لم يستقر بعد لأكبر فقد أوعز (أكبر) لقائده منعم التحرك لضمان خضوع البنغال لسلطته فطلب منعم خان وكان يومها والياً لجونبور، طلب من ملك البنغال سليمان خان كرراني الاعتراف بسيادة «اكبر» على البنغال، فكان سليمان خان لا يرفض صراحة ولا يعترف صراحة بل يساير رغبة منه بإقامة صلات حسنة مع المغول، فلما توفي سليمان خان سنة ١٥٧٤ وخلفه ابنه داود خان، ترك هذه المصانعة ورفض الاعتراف صراحة، كما أسلفنا، فنشبت بين الفريقين معركة، ولما رأى لودي خان قائد داود خان أنه لا طاقة له بجيش «اكبر» عرض الصلح، فغضب داود خان على قائده واتهمه بالخيانة وأخذه فقتله، ثم إنه استنفر الناس للقتال فانشق عنه كثير منهم وسار بمن تبعه للقتال، والتقى الفريقان عند ملتقى نهر السون بنهر الكانج، وكان يقود جيش «اكبر» منعم خان فدارت الدائرة على داود خان وجنده ففرّ ملتجئاً إلى قلعة بتنه فحاصره منعم خان فطلب الصلح على أن يتزل عن كل شيء في البنغال شريطة أن يظل أميراً على اريسه فقط وعلى أن يكون تابعاً للمغول يؤدي إليهم الخراج، فصالحه منعم خان على ما طلب. لكنه عاد إلى عصيانه بعد وفاة منعم خان وانتهى عصيانه بقتله في معركة كبيرة قرب مدينة بها كليور وبذلك خضعت البنغال للسلطة المركزية.

توفي منعم خان ببلدة تاندة من بلاد بنگاله سنة ثلاث وثمانين وتسع مائة كما في «مآثر العلماء».

الأميرة جانان بيكم

(ت ١٠٧٠هـ)

بنت الأمير الكبير عبد الرحيم بن بيرم خان خانخانان المشهور، ولدت ونشأت في مهد

الأمارة، وبلغت من العلم والكمال رتبة لم تصل إليها الرجال فضلا عن النساء، زوجها السلطان جلال الدين أكبر بن همايون الكوركاني بولده دانيال ووجهه إلى أرض كجرات فمات بها، فعاشت بعد ذلك مدة طويلة ولم ترغب إلى النكاح قط حتى قيل إن السلطان جهانكير بن أكبر شاه المذكور أراد أن يستنكحها فلم تقبله، وتشرفت بالحج والزيارة، ولها تفسير على القرآن الكريم وأبيات رائقة بالفارسية منها قوله:

عاشق خلق عشق تو بنهان جان كند بيدا است از دو جشم ترش خون كريستن

توفيت سنة سبعين والف كما في مرآة كهان نما

المراجع: نزهة ٥ / ١٢٤ رقم ١٧٧.

ومن العلماء الشيعة الذين رعاهم عبد الرحيم خان خانان:

كاظم بن عبد علي الكيلاني

وهو الشيخ كاظم بن عبد علي الكيلاني التنكابني، المعاصر للشيخ بهاء الدين العاملي(٩٥٢ ــ ١٠٣٠هــ) وتلميذه وقد شرح كتاب تشريح الافلاك بأمر استاذه البهائي في ١٠٠٧هــ وسماه نهاية الادراك أو «برهان الادراك» وكان كثير المناقشة مع المحقق المير الداماد دفاعاً عن البهائي، وله أنموذج العلوم الموسوم بالاثني عشر ألفه ١٠١٥ باسم الشاه عباس (٩٩٤ ــ ١٠٣٨) في اثنى عشر علماً ثم اخرج منه الفقه والحديث ١٠١٥ وسماه العشرة الكاملة وأهداه إلى عبد الرحيم خانان، او زاد عليه العلمين في التاريخ المذكور وكان قبله عشرة مهداتا الى أحد امراء الهند. وله الحاشية علي «المحصول» للفخر الرازى وكتاب «اللوح المحفوظ» وغير ذلك. ترجمه في «الرياض ــ ٣: ١٦١» وجعل اسمه في «العشرة الكاملة» عبد الكاظم وفي «الاثني عشرية» محمد كاظم.

المراجع: طبقات اعلام الشيعة القرن ١١هــ (ص ٤٦٢ ــ ٤٦٣).

تقي الدين التستري

(ت ١٠٢٠هـ/١٦١١م)

الشيخ الفاضل الكبير تقي الدين التسترى، أحد العلماء المشهورين في التاريخ والإنشاء والشعر والفنون الرياضية، قدم الهند وتقرب إلى عبد الرحيم بن بيرم خان ثم إلى السلطان جلال الدين أكبر، وتدرج الى الإمارة حتى ولى الصدارة في أيام جهانكير، ولقبه الملك المذكور مؤرخ خان، مات في سنة عشرين والف، كما في «يد بيضاء».

محمد رضا الاصفهاني

(١٥٥٦-١٦١٤م / ٩٦٤. ١٠٢٣هـ)

الشيخ الخواجه محمد رضا بن عبد الله الأصفهاني الشاعر المشهور المتلقب بالشكيبي، كان من ذرية الشيخ عبد الله بن أمين الدين حسن الإمامي، ولد سنة أربع وستين وتسعمائة، وقرأ بعض الكتب الدرسية على أساتذة شيراز وبعضها على أهل اصفهان، ثم قدم الهند وتقرب إلى عبد الرحيم ابن بيرم خان وصاحبه مدة من الزمان، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار، ورجع إلى الهند بعد ثلاث سنوات، فولى الصدارة بدهلى فاستقل بها مدة حياته، وكان شاعرا مجيد الشعر، من أبياته الرائقة قوله:

درد است متاغم نه طرب نرخ جه برسى

دانم كه تونستانى ومن هم نفروشم

مات سنة ثلاث وعشرين وألف، كما في «نتائج الأفكار».

محمد علي الكشميرى

(ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م)

الشيخ الفاضل محمد علي الكشميرى، أحد العلماء المبرزين في العلوم الأدبية، سافر الى

بلاد الدكن ودخل أحمد نكر فتقرب إلى سعادت خان أحد مماليك نظام شاه ولبث عنده زمانا، ثم تقرب إلى برهان شاه ثم إلى عبد الرحيم بن بيرم خان التركماني، فوظف له عبد الرحيم وأقطعه أرضا وأمره أن ينقل الكتاب «حافش» للعلامة ضياء الدين التركماني من العربية الى الفارسية، فنقله سنة خمس وعشرين وألف، فاستحسنه وقربه إليه قربا لا مزيد عليه، مات في خامس عشر من ربيع الثاني سنة خمس وعشرين وألف بملكابور، كما في «مآثر رحيمي».

نزهه ٥ / رقم ٦٤٦.

عبد الباقي النهاوندي

(٩٧٨ ـ ١٠٤٦هـ/ ١٥٧٠ ـ ١٦٣٦ م)

الشيخ الفاضل عبد الباقي بن آقا بابا الشيعي النهاوندى، أحد العلماء المبرزين في العلوم الأدبية، ولد ونشأ بقرية جولك من أعمال نهاوند وتنبل في ايام أبيه وصنوه آقا خضر، وولى الأعمال الجليلة بهمدان ولما قتل صنوه المذكور سنة ١٠١٦ سافر إلى الحجاز فحج وزار، وقدم الهند سنة ١٠٢٣ فتقرب إلى عبد الرحيم بن بيرم خان بمدينة برهانپور وصنف في أخباره «مآثر رحيمي» في مجلد كبير، ثم تقرب إلى مهابت خان الجهانكيرى فولى على ولاية بهار.

وكان شاعرا مجيد الشعر، ومن أبياته الرقيقة قوله:

تا بكى غلطم بخون ديده مزكان نيستم
تابكى سوزم بحسرت داغ حرمان نيستم

عندليب باغ عشقم ليك در كنج قفس
سوزشى دارم كه محتاج كلستان نيستم

كر بشاخ كل زنم آتش نه بيدادى بود
منكه مجنون كلم از باغ وبستان نيستم

تا نشان يابم ز ليلى جانب حى ميروم

ورنه دلگیر از سموم این بیابان نیستم

در عراق بر نفاق این آرزو می سوزدم

کز سخن سنجان بزم خانخانان

وهذه الأبيات انشأها بهمدان سنة ١٠٠٧ قبل قدومه إلى الهند ومات في أيام شاه جهان سنة اثنتين واربعين والف، كما في تاريخ محمدي.

نزهه / ٢٠٠ رقم ٣١٥ وفيه وفاته ١٠٤٢هـ ـــ مطلع انوار ٣٠٤، قاموس المشاهير ـــ تاريخ أدبيات فارسي ٤ / ٥٠٨.

وأما العلماء في عصر الإمبراطور أكبر فمنهم:

فتح الله الشيرازي

(٩٢٠ ـ ٩٩٧هـ/ ١٥١٤ ـ ١٥٨٩ م)

الشيخ الفاضل العلامة فتح الله بن شكر الله الشيعي الشيرازي أحد العلماء المتبحرين في العلوم الدينية والفلكية والرياضية والطبية والحكمية، ولد ونشأ بشيراز وقرأ العلم في مدرسة العلامة جمال الدين محمود ومولانا كمال الدين الشرواني ومولانا كرد بضم الكاف والمير غياث الدين منصور الشيرازي ولازمهم مدة حتى صار أوحد ابناء العصر واشتهر ذكرة في الآفاق، فطلبه علي عادل شاه البيجابورى الى بلاد الهند، وطابت له الإقامة بمدينة بيجابور مدة طويلة. ولما قتل علي عادل شاه المذكور وتولى المملكة ابراهيم عادل شاه وكان صغير السن فصار لعبة في ايدى الوزراء فنفى احدهم فتح الله الشيرازى عن بيجابور فدخل آكره سنة احدى وتسعين وتسعمائة فنال الحظّ والقبول من اكبر شاه وولى الصدارة سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة، ولقبه اكبر شاه بآمين الملك ثم بعضد الدولة ثم بعضد الملك وادخله في ديوان الوزارة وكان قدوم هذا العلامة الى الهند بركة على النظام التعليمي الاسلامي وباعثاً جديداً، وحافزاً على التقدم في التعليم. وأمر راجه نودرمل ان يستصوبه في مهمات الدولة ولكن الموت لم يمهله فاغتم بموته اكبر شاه، وقال

لو كان وقع في اسر الافرنج وكنت افديه بالاموال والخزائن كلها لكنت ربحت باطلاقه من ايديهم بتلك الفدية ولكانت هذه الصفقة رخيصة ورابحة.

ذكره اصحاب دانشوران ناصري في اثناء ترجمة الشيخ ابو الفضل ابن المبارك اليماني الهندي ووصفوه بعلامة الزمان الحكيم فالهم بعدما ذكروا ان الشيخ شمس الدين السلطانبوري الملقب بمخدوم الملك والشيخ عبد النبي الملقب بالصدر كانت في اوائل سلطنة اكبر شاه في الهند تدبر امور السلطنة برأيهما وكانا في غاية التعصب فتوصل الشيخ ابو الفضل إلى أن صار في اعلى مراتب القرب عند اكبر شاه، وكان علامة الزمان الحكيم فتح الله الشيرازي وآخرون من علماء وامراء العراق وشيراز قد جاؤوا بكثرة إلى بلاد اكبر شاه فاتفق الشيخ ابو الفضل مع العلامة المذكور وآخرون من العلماء على طريق واحد وكلمة واحدة لتدارك الشدة واراقة الدماء من ذينك المتعصبين المذكورين وتحزموا لذلك بحزام همهم المحكم فوجدوا السلطان نفسه قد رجع عن مذهبه وعدل عن طريقته الأولى في الانقياد لرأي هذين الرجلين فأرسلهما إلى مكة إلى آخر ما ذكروه وذلك في سنة ٩٨٧هـ، وقد مرّ ذكر ذلك الحادث في ترجمة اكبر.

وقال الأمير شكيب ارسلان في كتاب حاضر العالم الاسلامي فيما حكاه عن مؤرخي الافرنجة: انه كان من اكابر علماء الشيعة جاء من فارس واوطن بيجابور فاستدعاه اكبر شاه جلال الدين محمد بن همايون بن بابر ظهير الدين محمد بن عمر الشيخ بن ميرانشاه ابن تيمورلنك الكوركاني الشهير وصار مستشاره الشرعي (١هـ).

قال ابن المبارك ولم يكن له نظير في الدنيا قال ولو أصبحت أسفار القدماء في العلوم الحكمية كلها لكان مقتدرا على ان يخترع العلوم ويبدع من تلقاء نفسه انتهى.

وقال عبد الرزاق في «مآثر الامراء» ((انه كان مع اقتداره في العلوم المتعارفة ماهرا بالنيرنجات والطلسمات، قال ومن مخترعاته رحى كانت تتحرك بنفسها بلا تحريك وتدوير يطحن الحبوب، ومنها المرآة يترآى فيها الأشكال الغريبة من القريب والبعيد، ومنها انه اخترع بندقية كانت تطلق اثنى عشرة طلقه في الدورة الواحدة، ومنها أنه أحدث التاريخ الجديد ووضعه على الدورة الشمسية انتهى)).

قال البلكرامي في «مآثر الكرام» هو الذي دخل الهند بمصنفات المتأخرين كالمحقق الدوانى والصدر الشيرازي وغياث الدين منصور ومرزا جان فأدخلها في حلق الدرس وتلقاها العلماء بالقبول (انتهى).

ومن مصنفاته منهج الصادقين تفسير القرآن بالفارسي وتكملة حاشية الدوانى على تهذيب المنطق وحاشية المنطق وحاشية على تلك الحاشية وشارك في تأليف التاريخ الألفي مات سنة سبع وتسعين وتسعمائة عند رجوعه من كشمير فدفن على جبل سليمان.

(نزهه ٤/ ٢٥٤ ــ ٢٥٥ رقم ٣٩٢، اعيان ٨/ ٣٩٣، مآثر الكرام ٢٣٦ وما بعدها، مطلع انوار ٣٩٩ ــ ٤٠١، بي ها ٢٧٨، منتخب التواريخ، تاريخ فرشته، حاضر العالم الاسلامي).

محمد اليزدى

(ت ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩ م)

الشيخ الفاضل القاضي محمد الشيعى اليزدي احد العلماء المبرزين في المنطق والحكمة، ولد ونشأ بيزد من بلاد الفرس وسافر للعلم فقرأ على الفاضل مرزا جان الشيرازى وقدم الهند سنة ثلاث وقيل اربع وثمانين وتسع مائة وتقرّب الى اكبر شاه ولبث عنده زمانا ثم ولى القضاء بمدينة جونبور سنة سبع وثمانين او ما يقرب ذلك قال البدايوني: وكان شديد التعصب على أهل السنة والجماعة.

ولما خرج محمد معصوم الكابلى على اكبر شاه في بلاد بنكاله واراد معز الملك بجونبور ان يساعدهم في الخروج عليه افتاه القاضى محمد اليزدى وقيل انه وافقه في ذلك وكان الحكيم ابو الفتح بن عبد الرزاق الكيلانى قدم جونبور عند رجوعه عن بنكاله فوقف على ارادتهما فلما وصل الى الحضرة اخبر اكبر شاه بذلك فأمر السلطان ان يأتوا بهما مقيدين مغلولين فاخذوهما وركبوا بهما على الفلك في ماء جمن فلما وصلوا الى اتاوه غرق الفلك في الماء، وقيل ان اكبر شاه امر باتلافهما فاغرقوا الفلك في ماء جمن وكان ذلك سنة ثمان وتسعين وتسع مائة.

(مطلع انوار / ٤٥٠، نزهه ٤ / ٣٢٩ رقم ٤٩٤، منتخب التواريخ للبدايونى (الترجمة الاوردية ص ٤٤٠)، مقالات مولوي محمد شفيع ج ٤).

شريف الآملي

(ت بعد ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م)

الشيخ الفاضل مير شريف الآملي، أحد العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، قدم الهند وتقرب إلى اكبر شاه، وولي الصدارة بكابل سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة فأقام بها زمانا، ثم ولي الصدارة، بأرض بنكاله لعله في سنة تسع وتسعين أو مما يقرب من ذلك، وأقطع أجمير سنة ثلاث وألف، وكانت موهان من أرض أوده أيضا من اقطاعه، مات ودفن بها.

زعم الخوافي في مآثر الأمراء: إنه خلط التصوف بالفنون الحكمية، وكان يقول لكل شئ يراه: إنه هو الله، ولِسعة مشربه صار مقبولاً عند السلطان المذكور وحصل له الرسوخ في قلبه ـــ انتهى.

(نزهه ٥/ ١٦٩ ـــ ١٧٠ رقم ٢٦٨).

شمس الدين بن علاء الدين الخوافي

(ت ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م)

الشيخ الفاضل خواجه شمس الدين بن علاء الدين الخوافي، أحد الرجال المعروفين بالسياسة والتدبير، قدم الهند وتقرب إلى الإمبراطور أكبر، وترقى درجة بعد درجة حتى نال الوزارة الجليلة.

وكان رجلا فاضلا عادلا كريما صادق اللهجة طيب النفس، لم يزل مشتغلا بتعمير البلاد وإرضاء النفوس وإيصال النفع إلى الناس.

مات في سنة ثمان وألف بمدينة لاهور، كما في «مآثر الأمراء».

(نزهه ٥/ ١٧١ رقم ٢٧٠).

آصف خان ميرزا جعفر بك

(٩٥٨ - ١٠٢١هـ/ ١٥٥١ - ١٦١٢ م)

هو الميرزا جعفر بك المعروف بآصف خان بن الميرزا بديع الزمان بن الآغا ملا شاعر هندي ينظم بالفارسية، ومؤرخ، ومن امراء بلاط المغول في عهد اكبر وجهانكير.

كان أبوه وجده من كبار رجال الحكم في العهد الصفوي بايران، كما كان عمه الميرزا غياث الدين علي آصف خان من امراء بلاط اكبر شاه (١٥٥٦ ـــ ١٦٠٥م) وقد سافر المترجم من ايران الى الهند في شبابه سنة (٩٨٨هـــ ـــ ١٥٧٧م) واتصل بالبلاط البابري عن طريق عمه، وعين في وظيفة فيه لم ترضه فترك البلاط، ثم أُرسل من قبل اكبر شاه في مهمة إلى البنغال فأدى مهمته العسكرية في فتح (بور سكري) وعاد الى العاصمة لعدم استقرار الا-حوال هناك، ملازماً البلاط، وبعد وفاة عمه ميرزا غياث الدين سنة ١٥٨١ م عُيّن وزير خزانة البلاط (منصب بخشيكري) مضافاً إليه منصب عسكري ولقب بـــ (آصف الدولة).

وفي عهد (اكبر) برزت كفاءته العسكرية فيما عهد اليه من مهمات فأعطي ولاية كشمير، ثم منصب (ديوان كل)، وهو منصب الوزارة ثم عين والياً على (بهار).

ولما تولى جهانكير الملك عهد اليه بالاشراف على تربية الامير (برويز)، ثم ـــ بصفته مشرفاً عليه ـــ الى الدكن لقمع الفوضى هناك. ولكنهم لم ينجحوا لانغماس الامير في شهواته واختلاف الامراء. ثم توفي المترجم في برهانبور.

كان يتخلص في شعره بـــ (جعفر) أو (جعفري) وبلغ ما نظمه ثلاثة آلاف بيت فيها مقطوعات غزلية وقصائد ومثنويات. وله مدائح في النبي (ص) وعلي بن أبي طالب (ع)، كما مدح محمد اكبر وهانكير.

وهو ممن ساهموا في تأليف كتاب تاريخ الفي (التاريخ الألفي) الذي الف سنة ١٥٨٥م بأمر من محمد اكبر في حلول الذكرى الألفية للهجرة النبوية. وكان الذين عهد اليهم بتأليف هذا الكتاب هم: احمد التتوي ونقيب خان وعبد القادر البدايوني، ولما توفي التتوي انتدب المترجم ليحل محله فتولى تسجيل الأحداث حتى سنة ١٥٨٩ م. وقام عبد

القادر البدايوني بمراجعة الجزء الأول والجزء الثاني من الكتاب، واكمل المترجم الجزء الثالث.

كما كتب كتاباً في تراجم الشعراء بـ (تذكرة آصف خاني).

وللمترجم حفيد اسمه جعفر بن الميرزا زين العابدين كان من شعراء عصر شاه جهان وكان يتخلص في شعره كجده بـ (جعفر). وله حفيد آخر اسمه ميرزا إيزدبخش كان من شعراء عهد أورنك زيب وفضلائه، وكان يتخلص في شعره بـ (وسا) أو (رسا)!

(البداؤني: منتخب التواريخ، جـ ٣، ص ٢١٦ وما بعدها، Eilliott – Dowson: History of India جـ ٥ ، ص ١٥٠ وما بعدها، دائرة المعارف الاسلامية / ٢، مستدركات ٩٠/٧ ـ ٩١ وكررها في ٨ / ٥٨ – ٥٩).

صدر الدين الشيرازي

(ت ١٠٦١هـ/ ١٥٥٠ م)

الشيخ العالم الكبير مرزا صدر الدين بن فخر الدين الشيرازي اللاهوري المشهور بمسيح الزمان أو حكيم صدرا، كان من ذرية الحارث بن كلدة طبيب العرب، ولد ونشأ بشيراز، وقرأ أكثر العلوم المتعارفة على الشيخ بهاء الدين العاملي، وقرأ بعض الكتب الطبية على محمد باقر بن عماد الدين محمود الشيرازي. وقدم الهند سنة إحدى عشرة وألف، وكان عمه زنبل بيك دخل الهند قبله وتقرب إلى صاحب الهند فجاء واخذ عن الحكيم على الكيلاني وتطبب عليه، ثم وظفه أكبر شاه وأدخله في زمرة الأطباء، ثم لقبه جهانكير بن اكبر شاه مسيح الزمان، وأضاف في منصبه شاهجهان بن جهانكير حتى صار ثلاثة آلاف له، ثم استكره المسيح المعالجة لاحتمال المضرة تورعاً، فولاّه شاهجهان على العرض المكرر، فاستقل به مدة، ثم اشتاق إلى الحج والزيارة ـ وكان حج وزار قبله أيضا في أيام جهانكير ـ فسافر إلى الحرمين الشريفين وحج مرة ثانية، ورجع إلى الهند فولاه شاهجهان على بلدة سورت واستقام أمره في ذلك، كما في «بادشاه نامه».

قال شاهنواز خان في «مآثر الأمراء» إنه كان عالما كبيرا ماهرا في الطب وسائر الفنون الحكمية شيعيا في المذهب ديّناً تقياً، سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار، وعاد

إلى الهند واعتزل بلا هور وعكف على الدرس والإفادة، ووظفه شاهجهان بخمسين ألف روبية في كل سنة — انتهى.

وقال الداغستاني في رياض الشعراء: إنه قدم الهند في عنفوان شبابه ونال المنصف، وسافر إلى الحجاز سنة ثلاث وثلاثين والف ثم عاد إلى الهند، ومن أبياته قوله:

بكلدر از خود هركه رهائى يابد

كر بصد قيد كرفتار بود آزاد است

توفي سنة إحدى وستين وألف بكشمير، كما في «مآثر الأمراء».

(نزهة / ١٨٣ رقم ٢٨٨، مطلع انوار / ٢٨١، مآثر الامراء ١/ ٥٧٤. بي ها ١٩٢).

مسيح الملك الشيرازي

(القرن ١١هـ)

مسيح الملك الشيرازي ولد بشيراز ونشأ وتربى لدى الحكيم نجم الدين عبد الله بن حسن الشيرازي وأخذ عنه حتى بلغ مبلغ الرجال من اهل النظر والحكمة، ثم قدم الهند وأقام ببلاد الدكن مدة طويلة، ثم دخل آكره، فاجزل عليه اكبر شاه عطاياه، وجعله نديماً لولده مراد، ثم وجهه إلى كجرات، مات بأرض مالوه وكان طبيباً ممتازاً له يد بيضاء في معالجة امراض البشر في الهند.

— (نزهة ٧ رقم ٦٨٩، منتخب التواريخ).

همام بن عبد الرزاق الكيلاني:

(ت ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م)

الحكيم والقاضي الكبير الشيخ همام بن عبد الرزاق الكيلاني، كان شقيق ابي الفتح ابن الرزاق الحكيم المشهور، قدم الهند مع صنوه أبي الفتح ونال حظا وافرا من عناية السلطان

اكبر والتفاته إليه، وكان اسمه همايون فبدله السلطان بهمايون قلي ثم بالهمام تأدبا لأسم والده، كما في «مآثر الأمراء». وذكره البدايوني وغمزه كما هي عادته في ذكر مخالفيه في المذهب، مات في سادس ربيع الأول سنة أربع بعد الألف. (نزهة ج٥ / رقم ٧٤٥ ـــ مآثر الأمراء).

السيد تقي الدين الشيرازي

(القرن ١١هـ)

الشيخ العالم الكبير العلامة تقي الدين فارغي الحسيني الشيرازي، كان ابن أخ الشيخ العلامة فتح الله الشيرازي، اخذ عنه العلوم الحكمة ودرس وأفاد زمانا، قال البدايوني في تاريخه إنه كان عالة الهمة، أخذت عنه شطرا من «بست باب» في الاصطرلاب ـــ انتهى.

وفي النـــزهه نقلاً عن المنتخب ان المترجم نسب نفسه إلى السنة والثابت انه من اسرة شيعية، ولا يعرف الأمر على وجه التحقيق.

خضر بن موسى اليماني

(٨٣٤ - ٩٥٤هـ/١٤٣٥-١٥٤٧م)

الشيخ خضر بن الشيخ موسى اليماني، من علماء الهند نزح والده اليها فنبغ المترجم له في ظل والده الذي كان يسكن في (ناكورة)، وقد غلب عليه وعلى ابيه التصوف الذي شاع في عصره جداً وقد عاش المترجم له ١٢٠ سنة وكان قد قرأ في أحمد آباد كجرات على نحارير العلماء وأخذ من كل فن بسند عالٍ وعرف المذهب المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي والامامي أصولاً وفروعاً ووصل الى درجة الاجتهاد وهو وان كان منتسباً الى المذهب الحنفي لكنه في الحقيقة كان نابذاً للتقليد ومتجاوزاً علم الظاهر الى الحقائق المعنوية وسالكاً مسلك التصوف والاشراق وعارفاً بأساليب التصوف خصوصا مسلك الشيخ محيي الدين بن العربي وابن الفارض والشيخ صدر الدين القونوي ومن

جلائل النعم الإلهية عليه اختصاصه بملازمة الخطيب أبو الفضل الكازروني فاتخذه بمنزلة الولد فقرأ عليه التجريد وكثيراً من غوامض الشفاء والإشارات ودقائق التذكرة والمجسطي وتلمذ على مولانا جلال الدين الدواني وأخذ في جزيرة العرب انواع العلوم النقلية عن الشيخ السخاوي المصري تلميذ ابن حجر العسقلاني وطوّف في اوائل المئة العاشرة مع جماعة من خواصه في الهند لأجل رؤية الأولياء والتقى بالسيد يحيى البخاري الذي له نصيب وافر من الولاية المعنوية وبالشيخ عبد الرزاق القادري البغدادي من أولاد الشيخ عبد القادر الجيلي المشهور وبالشيخ يوسف السندي وسافر الى السند وأخذ عن الشيخ فياض البخاري وتوفي سنة ٩٥٤هـ.

مبارك الله الناكوري اليماني

(٩١١ - ١٠٠١هـ/١٥٠٥-١٥٩٢م)

الشيخ مبارك الله بن الشيخ خضر بن الشيخ موسى اليماني، من اسرة عربية يمانية كريمة، نزح جده الشيخ موسى الى الهند وأقام في مدينة ناكوره وهي من جهة أجمير.

وفي ناكوره ولد الشيخ مبارك سنة احدى عشرة وتسعمائة، وسافر لطلب العلم الى كجرات فاشتغل بها على عدد من اساتذة عصره من امثال:

الخطيب أبي الفضل الكازروني، والشيخ عماد الدين محمد الطارمي وغيرهما وكان مفرط الذكاء يحضر المجالس والمحافل في صغره فيتكلم ويناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يتحير به أعيان العلم، وجدّ في البحث والاشتغال حتى برز بين اقرانه كأحد اكبر علماء الهند في عصره واشتهر امره في كافة اصقاعها، وكان على عادة اسلافه من اعاظم علماء الشيعة يدرسون ويتعمقون في فقه جميع المذاهب الاسلامية حتى لا يكاد يميزهم احد في اجاباتهم المعمقة وسعه افقهم وتفكيرهم عن أي واحد من فطاحل العلماء من غير الشيعة، والشيخ مبارك تأهل للفتوى للأغلبية السنية شأنه شأن نور الله الشوشتري الذي جاء من بعده حتى اشتهر امره وبلغ صيته امبراطور الهند اكبر شاه فاستدعاه الى عاصمته اكبر آباد فسافر إليه سنة ٩٥٠هـ وكرمه الامبراطور غاية التكريم واعزه غاية الاعزاز واختاره ان يكون سيد

العلماء في بلاطه فأخذ بقية العلماء يخطبون وده والاستفادة منه، لكنه ما كاد أن أطمأن الى ثقة الامبراطور به وبعلمه ومعرفته بتسامحه المعهود في معاملة جميع اصحاب الديانات فضلاً عن بقية أتباع المذاهب الاسلامية، فكان ان قرّب فئة من علماء المذهب الامامي الشيعي، ثم كان لا يأبه بجواب سائليه بأمر فتاواه بحسب مذهب السائل وما هو أدنى لمعرفته وافضل مسلك لحل مشكلته فزاد بذلك تعظيم العامة لأمره وهو مع ذلك مشتغل بالتدريس والافادة، والمناظرة والمساجلة، وهذا ما أثار حقد بعض ضعاف النفوس من علماء وقته، فأخذوا يكيدون له كيد الشياطين، ويوصمونه بكل شين، كونهم قد تبين لهم تشيعه، وأخذه بمذهب أهل البيت عليهم السلام، وهو الذنب الذي لا يغتفر لدى هؤلاء النفر النواصب المتعصبين، ومن هؤلاء عبد القادر بن ملوك شاه البدايوني الذي طالما غمز في تاريخه اهل الشيعة رغم اعترافه بعلميتهم وورعهم لكنه لا يفتأ بعد قليل الا ويكيل التهم بلا ورع ولا دين ولا أخلاق جرياً وراء تعصبه الذميم، وانظر لما ذكرْ عن المترجم له في بداية سطوره ثم انظر ماذا يختم به حديثه من التهم الباطلة، وامثال هؤلاء في التاريخ كثير وخاصة لدى اصحاب التراجم منهم واسبق منه الخطيب البغدادي، والذهبي وامثالهما ممن ابتلي بهم شيعة أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما قاله البدايوني في تاريخه:

إنه كان ذا اطوار مختلفة، لحق بالمهدوية وصحب الشيخ علاء بن الحسن البيانوي مدة مديدة، فلما شاعت الطريقة النقشبندية في أوائل عهد أكبر شاه صار يقتفى آثار تلك الطائفة العلية، وكان ينتسب إلى المشايخ الهمدانية، ولما رأى أن أهل ايران غلبوا ونالوا في الدولة أعز منال صرف إليهمُ عنان العزيمة.

وكان عالما كبيرا بارعا في الفقة وأصوله عارفا بدقائق العربية ماهرا بالتصوف والشعر واللغز وفنون أخرى، وكان يقرأ القرآن بالقراءات العشر ويدرس «الشاطبي»، وكان كثير المطالعة دائم الاشتغال بالدرس والإفادة سريع الإدراك قوى الحفظ لم يكن يحفظ شيئا فينساه، ولما ضعف بصره لكبر سنه وعجز عن المطالعة اشتغل بتفسير القرآن وصنف تفسيرا كبيرا في أربع مجلدات كبار سماه «منبع نفائس العيون»، واظب في آخر عمره على التائية لأبن الفارض، وقصيدة البردة للبوصيري، وقصيدة كعب بن زهير، وقصائد أخرى كانت محفوظة له فيقرأها كل يوم عن ظهر قلب.

وفي كتاب نزهة الخواطر لعبد الحي الذي لا يكاد ان يظفر بأحد من أعلام الشيعة إلاّ ويضع في سيرته ما يفيد التشنيع ثم لا يخفى تضايقه منه بأية وسيلة حتى اذا كان ذلك مدعاة للطعن بدين ذلك الشخص وورعه، بل انه نسب الى المترجم له وهو بعيد عن عصره كل البعد ما هو برئ منه ومما لم يذكره عنه حتى المعاصر له البدايوني المذكور.

قال عبد الحي «وقد انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل والزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يستطيع أحد من الأمراء أن يحضر في مجلس تذكيره وعليه ملابس حمراء أو من الحرير أو في يده خواتم الذهب أو إزاره مسبل، وكان في ذلك الزمان شديد النكير على السماع حتى إذا قرع صماخه في اثناء الطريق صوت الغناء يترجر عنه ويثب إلى غير ذلك المكان».

وما ان ينتهي من هذه الفقرة وكل ما فيها من وصف ورع المترجم له وتدينه فلا يجد ذلك مقنعاً مع تشيعه، فيستتبع ما ذكره بهذه الوصمة ويقول:

«ثم رغب الى السماع في آخر امره وقلما يخلو عنه وربما لا يستريح بدون الغناء والمزامير».

والبدايوني على تعصبه اكثر انصافاً من (عبد الحي) فقد اقرّ واعترف في ترجمته المذكورة السابقة للشيخ الناكوري بأنه اشتغل في اواخر عمره بتفسير القرآن وبعد ا ن ضعف بصره واظب على قراءة ما يحفظه من مطولات المديح النبوي.. الى آخر ما ذكره فباى كلام نصدق، أبكلام عبد الحي (الندوي) وهو يصف أواخر أيام تلك الشيبة المقدسة وسط المزامير وآلات الغناء وهو بعيد عن عصره اربعة قرون متطاولة، أم نصدق بقول البدايوني وقد عاصر المترجم له وبرغم حسده له وانكاره عليه اخذه لمذهب الشيعة لكنه لم ينسب اليه ما نسبه عبد الحي بل أشار الى انه ختم عمره بين الصحف المطهرة حتى وافاه اجله فلحق بالخالق الباري رحمه الله تعالى، فقد كان هذا الشيخ كأسمه مباركاً مقروناً بالخيرات فقد خلف اسرة علمية ممتازة فيهم من العلماء الاجلاء الذين خدموا شريعة الاسلام أجل خدمة واعظمها لكنهم لم يخلصوا من تشنيع الحاقدين وتزييف المدلسين فأجرهم عند ربهم وهو أعلم باسرار الخلائق ظاهرها وباطنها.

وبعد عمر قضاه بالبر والتقوى وخدمة الاسلام توفي الشيخ مبارك الله الناكوري في السابع عشر من ذي القعدة سنة احدى والف بمدينة لاهور ودفن بها كما في منتخب التواريخ، وفي سبحة المرجان دفن بأكبر آباد وخلف ثمانية اولاد ذكور كلهم من العلماء منهم اثنان ولدا في بطن واحدة بعد وفاته بأشهر وهم الشيخان ابو حامد وابو راشد ولا يزال بعض المنتسبين الى هذا البيت العلمي الرفيع في باكستان، وخلف أيضاً عدة بنات منهن: لا دطلي بيكم زوجة خداوند خان الشيعي، وبنت هي زوجة ابن راجا علي خان، وبنت كذلك تزوجها الشيخ عبد الله بن علي الشيرازي وانجبت له نور الدين محمد الشيرازي المتوفى بعد ١٠٣٥هـ.

وتعرف مقبرته اليوم بـ (روضة لا دطلي) وقد اهتم ببنائها ولده (ابي البركات) وجاءت على عمارته الكتابة التالية:

«هذه الروضة للعالم الرباني والعارف الصمداني جامع العلوم شيخ مبارك قدس سره والعزيز قدوقف بنيان بحر العلوم شيخ ابو الفضل سلمه الله تعالى في ظل دولة الملك العادل يطلبه المجد والاقبال والكرم جلال الدين والدنيا اكبر باد شاه غازي خلد الله تعالى ظلال سلطنته باهتمام حضرت أبي البركات في سنة اربع والف».

أما كتبه فالمعروف منها تفسير كبير في اربع مجلدات كبار سمّاه: منبع عيون المعاني أو «منبع النفائس العيون في تفسير كتاب الله المكنون»، كان من ضمن مخطوطات مكتبة السيد محمد تقي (الدلداري) ممتاز العلماء بمدينة لكهنو.

ومن كتبه أيضاً: ترجمة كتاب حياة الحيوان.

المصادر:

ـــ دربار اكبري ٤٠٧، تذكرة علماء هند ١٧٤، بوستان أخيار ١٤٧، ترجمة منتخب التواريخ ٦٠٢، مطلع انوار ٦١ ـــ ٦٢، منتخب التواريخ ٢ /٣٢ و ٣٨٨ و ٢٧٠ و ٣ /٧٢.

ـــ صبح صادق، الورقة ٥٠٥، مآثر الكرام ١٩٧، تذكره رحمان علي / ١٧٤، منتخب اللباب ١ / ٢٤١ ، طبقات اكبرى ٢ /٤٧٢، النزهة ٥ /٣٣٠ ـــ ٣٣١ رقم ٥٣٩، الأدب العربي في الهند ٢٣٦. طبقات اعلام الشيعة ٦ /٤٨٦ (القرن ١١هـ).

أبو الفيض الناكوري

(٩٥٤ ـ ١٠٠٤هـ/ ١٥٤٧ ـ ١٥٩٥ م)

العلامة الجليل ابو الفيض بن المبارك الناكوري المعروف بفيض وبـ (العلامي) كان من العلماء الفضلاء المفسرين.

ولد في اكبر آباد (آكره الحالية) ليلة الخامس من شعبان ٩٥٤هـ وتوفي بعد مرض عضال في ١٠ صفر ١٠٠٤هـ.

ترجم له غلام علي آزاد تحت عنوان «ملك الشعراء الشيخ ابو الفيض المتخلص بفيض الاكبر آبادي» قال:

هو عالم جيد وشاعر مفلق بالفارسية، ولد بمستقر الخلافة أكبر آباد سنة أربع وخمسين وتسع مائة، وتلمذ على أبيه الشيخ مبارك صاحب التفسير المسمى بمنبع عيون المعاني المتوفى سنة إحدى وألف وأخذ عنه الفنون المتداولة وحصل الفراغ من تحصيلها وهو ابن أربع عشر سنة وخاض كثيرا في الحكمة والعربية ولما وصل صيت كماله إلى مسامع السلطان أكبر أرسل منشوراً في طلبه سنة أربع وسبعين وتسع مائة فذهب إلى السلطان وأمه واختص بمزيد القربة والمصاحبة ولقبه السلطان بملك الشعراء[1].

وله قصيدة فارسية في مدحه. وأبيات ديوانه الفارسي خمسة عشر ألفاً. وله تصانيف أخرى مثل موارد الكلم بالعبارة العربية وهي رسالة غير منقوطة في الأخلاق[2] وترجمة ليلاوتي ـــ بكسر اللام وسكون التحتانية واللام والألف وفتح الواو وكسر الفوقانية. بعدها تحتانية ساكنة ـــ كتاب في علم الحساب والمساحة، مصنفه باسكر البيدرى من علماء الهنود وبيدر ـــ بكسر الموحدة وسكون التحتانية وفتح الدال المهملة آخرها راء ـــ كان عالماً عديم المثل في الرياضي. وما ذكر في ليلاوتي تاريخ تأليفه ولكن له كتاباً آخر أرخ تأليفه بالتاريخ المعمول في الدكن، وهو مطابق لسنة اثنين وعشرين وست مائة الهجرية. وأجل تصانيف الشيخ فيضى «سواطع الإلهام» وهو تفسير القرآن الغير المنقوط.

---

[1] " لقبه أكبر بملك الشعراء ". راجع منتخب التواريخ ٢ / ٢٤٨ و مآثر الأمراء ٢ /٥٨٤ وسر وآزاد ٢ /١٥.

[2] صنف في سنة ٩٨٥. النزهة ٥ /٣١.

وصنفه في عرض سنتين وأتمه في سنة اثنين وألف ووجد امير حيدر المعمائي [1] الكاشاني في تاريخ اتمامه: سورة الإخلاص من أولها إلى آخرها. وأعطاه الشيخ فيضى صلة التاريخ عشرة آلاف ربية [2].

وقال شبلي النعماني عن سيرته ونبوغه:

«لم ينجب الشعر الفارسي في الهند في عمره الطويل الممتد على ستة قرون سوى شخصين، أذعن لهما، طوعاً أو كرهاً ــ أصحاب هذا اللسان، هما خسرو وفيضى».

تتلمذ فيضي على خواجة حسين المروزي، وبرز في كل علم وفن، ودخل بلاط الملك عام ٩٧٤هـ، العام الثاني عشر من تربع السلطان، على عرش الدولة ــ ونال الشرف والتقدير، ولم يزل يتقرب إلى السلطان إلا أنه لم ينسلك في وظيفة من الوظائف في البلاط، كان طبيباً نطاسياً، وكان شاعراً مجيداً، وكان مؤلفاً قديراً، يقضي وقته في هذه الأعمال العلمية، وأسند إليه تأديب أبناء الملك وتعليمهم وتثقيفهم، ففي العام الثاني عشر من تولي السلطان عهد إليه بتعليم ولي العهد دانيال، وعلمه فيضي ــ في فترة وجيزة ــ مبادئ العلوم، وألقى أكبر ــ هذا العام ــ خطبة في المسجد ادعى فيها الاجتهاد والإمامة، وكان فيضى مؤلف هذه الخطبة، وقلل أكبر من نفوذ الشيخ عبد النبي وحدّ من سلطانه، وفرق الصدارة ــ الرئاسة ــ في عدة شعب، فأسند عام ٩٩٠هـ رئاسة آكره ولكالنجر وكالپي إلى فيضي، ولما بعث الجيوش لمقاومة قبيلة يوسف زئي، أنفذ معهم فيضى للقيام بهذه المهمة معهم، وفي عام ٩٩٦هـ وهو العام الثالث والثلاثون من تولي أكبر للحكم، لقب فيضي بملك الشعراء، وعين سفيراً في «خانديس» عام ٩٩٩هـ الموافق للعام السادس والثلاثين من حكمه ــ فقام بهذه الخدمة خير قيام، ونجح فيها نجاحاً

---

(١) هو المير رفيع الدين حيدر المعمائي الرفيعي كان تخلصه " كاشى " وفي مآثر رحيمي: أحيانا أختار تخلصه " رفيعي " ترك وطنه وقدم الهند سنة ٩٩٩ هارباً من سلطان ايران، وكان ماهراً في فن المعمى ولذلك يلقب بالمعمائي وكان يــورخ في الشعر بطرز طريف. كان أصله من سادات طباطبا. مات سنة ١٠٣٢. راجع طبقات اكبري ٩٩/٢، ومآثــر رحيمــي ٣/ ٦٢٠ وميخانه للملا عبد النبي فخر الزمان القزويني (راجع هدايت حسين على حاشية مآثر رحيمي) ونتائج الأفكار: ٢٦٣ وصبح صادق الورقة: ٥٠١ ومآثر الكرام ضمناً: ١٩٩.

(٢) وجازاه اكبر على هذه الخدمة بعشرة آلاف روبية (مآثر العلماء ٥٨٧/٢).

كبيراً، وتوفي في شهر صفر ١٠٠٤هـ الموافق للعام الأربعين من ولاية السلطان.

وقال البدايوني المعاصر له:

«كان نسيجاً وحده في الفنون كالشعر والألغاز والعروض والقوافي والتاريخ واللغة، والطب والأنشاء».

ونظراً لاختلافه في المذهب وعداوته له فالبدايوني يخرج عن طوره كعادته مع كافة من ترجم له من الشيعة، فيُوصم المترجم بكل ماهو قبيح ويرميه بالالحاد والزندقة.

قال: حتى كانت اليهود والنصارى والهنود والمجوس يفوقونه ألف مرة في هذا الباب فضلاً عن الترارية والصباحية، وكان يحل المحرمات الشرعية على رغم الدين ويحرم الفرائض والمباحات».. وصنف القرآن في حالي السكر والجنابة وكانت الكلاب تطأ اوراقها حتى مات أي تطأ أوراقها التي كتبها في تفسير القرآن، فانظر الى أي حدّ بلغ التهور في حقده على المترجم له ومثله حال زميله عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي ولا يحلو لعبد الحي (الندوي) الاّ ان ينقل امثال هذه الاتهامات جزافاً تشفياً من ابي الفيض لا لشئ الا لكونه شيعياً موالياً لأهل البيت عليهم السلام.

وبلغ من حقد اولئك النفر انهم شمتوا حتى في موته بعد مرض عضال ألّم فيه وقالوا في مرض موته انه كان يعوي كالكلاب! واستخرجوا له تواريخ فظيعة الالفاظ بعيدة عن الرحمة قالوها تشفياً في موته، وقد اثبتها (عبد الحي) من باب الاستئناس والغمز بالشيعة، ومن تلك التواريخ (فيضي ملحدي) و (خالد في النار) و (قاعدهء الحاد شكست) وقول الآخر:

سال تاريخ فيضي مردار   **شد مقرر بجار مذهب نار**

وأمثال ذلك، والدليل على انه اثبتها حقداً وغيضاً ان ولده «ابو الحسن الندوي» جعل هذه التواريخ مع انها صادرة من اعداء المترجم له وبعيدة عن اخلاق العلماء وما ينبغي ان يكونواعليه من الانصاف والعبرة في الموت فان هذا الناصبي جعلها شاهداً على كفر المترجم له والحاده وبذلك أفصح عما أراد به والده في اثباته لتلك التواريخ الرخيصة التي لا تصدر الا عن صاحب قلب أسود فاسمع ما يقول الندوي وما سيذيعه من سرّ خطير،

يقول هذا المفتري:

«ويبدو ان افكار فيضي وآراءه الملحدة انتشرت في الآفاق، وذاع صيتها في الأطراف في حياة فيضي نفسها، فان التواريخ التي استخرجت منظومة بمناسبة وفاته تدل على ذلك، وقصة وفاته تحمل في نفسها العبرة والدرس ـــ كتابه السر هندي ص ٨٩».

حتى تفسير القرآن الكريم الذي ألفه فيض، لم ينجو من قلم الندوي بالتوهين والتقليل من شأنه وبالرغم من أن والد الندوي (عبد الحي) اعترف في النزهة ٥ /٢٨ «بأن هذا التفسير يدل على طول باعه في اللغة العربية» يأتي ابنه فيقول حسداً وحقداً:

«ألف فيضي هذا التفسير ـــ الذي التزم فيه بان لا يستعمل أياً من الحروف المعجمة والذي طار صيته في عصره، وتحدث به القاصي والداني ـــ لاثبات فضله ونبوغه، والرد على اتهامه بالانصراف عن العلوم الدينية، ولكن هذا العمل ـــ مهما أثبت له من قدرته على اللغة العربية، وامتلاك لناصية البيان فيها ـــ لم يضف شيئاً علمياً مفيداً، وانما مثله مثل بعض الكتبة البارعين في الخط، الذين كانوا يتظاهرون بدقة خطهم وجمال فنهم، بكتابة سورة الاخلاص ـــ كاملة ـــ على حبة واحدة من الأرز، فجاءت ـــ نتيجة ذلك ـــ عبارة متكلفة لا لذة ليها ولا جمال ولا طراوة».

قال الشيخ أغا بزرك عن المترجم له: وهو الذي روّج التشيع.. بوسيلة اكبر شاه، وأجاب عن اعتراضات عبد الله اوزبك على اكبر شاه والأجوبة موجودة في منشآته.

مؤلفاته:

١- سواطع الالهام (وسنخصه ببحث خاص).

٢- (مركز ادوار) و (نلد من) مزدوجتان له على نهج مزدوجتي النظامي الكنجوي من خمسته.

٣- موارد الكلم مخطوط في مكتبة ندوة العلماء ٧٦ ص برقم رديف ١١٣٥.

٤- ومنها: لطائف فيضي، وهو مجموع رسائله جمعها ابن اخته نور الدين محمد بن عبد الله بن علي الشيرازي.

٥- ومنها (طباشير صبح) وهو ديوان شعره وفيه تسعة آلاف بيت، وله ديوان آخر في قصائده وهو الذي أشار له غلام علي آزاد في ترجمته ــ كما يبدو ــ وعرف رحمه الله بعنايته في جمع الكتب النفيسة، حتى تجمعت له خزانة كتب عامرة زادة على اربعة آلاف من الكتب المصححة المضبوطة اكثرها كانت مكتوبة بأيدي مصنفيها، وبعضها كانت قريبة العهد من عصر التاليف كما في النزهة، وفيه ايضاً نسب له هذه الأبيات بالفارسية:

غافل نيم ز راه ولى آه جاره جيست

اين رهزنان كه بر دل آكاه مي زنند

آن نيست كه من هم نفسان را بكذارم

يا آبله بايان جه كنم قافله تيز أست

وله:

كعبه را ويران مكن أى عشق كآنجا

كه كهى بس ما ندكان عشق منزل

المصادر:

ــ دربار اكبري ٤٤٥ طبع لاهور ١٩٤٧.

ــ نكارستان فارس / الطبعة الثانية لاهور ص١٢٦، منتخب التواريخ ٢ /٢١٢ ــ ٢٤٨ / و/٣٩٣ و ٢ / ٤٠٥ و مع الشعراء ٣ / ٢٩٩ و طبقات أكبرى ٢ / ٤٨٦ و منتخب اللباب ١ / ٢٤١ ومآثر الكرام: ١٨٩ ومآثر الأمراء ٢ / ٥٨٤، وتذكرة رحمان علي: ٤ ومفتاح التواريخ: ٢٠٠ ونتائج الأفكار: ٥٣٣ وأبجد العلوم ٣ / ٨٩٣ و الأدب العربي في الهند: ٢٠ وتذكرة علماء محمد حسين آزاد: ٢٥. الأعيان ٢ / ٤٠٢، مطلع انوار ٦٢ ــ ٦٤، مستدركات ٥ / ٦٨، سبحة المرجان ١ / ١١٧ ــ ١١٩. النزهه ٥ / ٢٧ ــ ٣٢ رقم ٤٩، (طبقات اعلام الشيعة «القرن ١١» ص ٤٤٥ وفيه ارخ وفاته شير علي خان الذريعة ٩ / ٨٥٥ ــ ٨٥٦ في مرآة الخيال بعنوان أبي الفيض. وكتاب زبيد أحمد ٦٨ وما بعدها.

تفسير القرآن المسمى سواطع الالهام

وأجل وأخلد ما ألفه (فيضي) هو تفسيره سواطع الالهام، فسّر القرآن الكريم بكلمات غير منقوطة، قام فيه بشرح وتوضيح معاني كتاب الله العزيز كله ولم يكتب فيه إلا كلمات مهملة، فهذا الكتاب الخالد ــ إلى جانب ما يدل على غناء اللغة العربية ودقة فوائدها وغزارة مفرداتها وخصب مناهجها وسعة صدرها حيال الاظهار والتعريب وتوخيها الوصول إلى الغرض من أكثر الطرق ــ يدل على اضطلاع المؤلف باللغة ومعرفته التامة بمفرداتها وتراكيبها، وإدراكه أساليب بيانها وقدرته الباهرة على تعبيراتها. وزين المؤلف كتابه بمقدمة بسيطة حدث فيها عن نفسه وعن أقاربه وعن مسقط رأسه وأنه كيف تسنى له الوصول إلى بطانة الملك، وقسمها وجعلها قسمين أجمل في الأول ما سنح له من الأحوال، واهتم في القسم الثاني بتحلية علوم القرآن ففسرها وشرحها وذكر مبادئها وأصولها ثم قسم القسمين إلى ابواب شتى، وسمى كل باب بساطعة وهذه السواطع يختلف بعضها عن بعض، فمنها ما تطول إلى ثلاثين سطراً ومنها ما تقصر دون سطر واحد. ووضع ساطعاً طويلا يمدح فيه أباه. وألحق المقدمة منظومة يصف بها كتابه.

ويأتي باسم ابيه وأسماء اخوته في كتابه مرموزاً بالأحاجي والألغاز، إتباعا للصنعة المهملة وتفاديا من الحروف المنقوطة، وهذه الأحاجي غامضة، ربما لا يهتدى إلى حلها من لا علم له بتلك الاسماء من قبل. لكن الخبير بها بدوره لا يدركها بسهولة. إنها تسعة. ستة منها معميات وثلاثة إلغاز. والفرق بينهما ان الأول يصح برد واحد. والآخر يصح بردود عديدة، فالأسماء التي ألغز بها الواضع ثلاثة. أبو الفيض وأبو الفضل فيضى (الواضع نفسه) وأبو الخير. وهي بكلمات ليست بقاطعة المدلولات، ومن الطريف أن اسم المؤلف كذلك منقوط. ونرى أن نقتبس هنا من مقدمته، ونبذة من تفسيره، وذلك قبل أن نتكلم على الكتاب نفسه.

﴿ الله لا إله إلا هو لا أعلمه ما هو ما أدركه كما هو ﴾

احامد المحامد ومحامد الأحامد لله مصعد لوامع العلم وملهم سواطع الالهام: مرصص أساس الكلم وموسس محكم الكلام. مرسل الكلام سهما سهما أصالح الحصص وأكامل

السهام ومحدر السور كلاما كلاما صالحا للمصالح والمهام، ملوح معالم الدرك وملمح مدارك الأعلام، مصلح اسرار الصدور، ومطلح وساوس الأوهام، مطهر ألواح الأرواح ومصور صور الأرحام. محول أحوال الدهور ومدور أدوار الأعوام.محرك سلاسل الأسار ومعطر دماء الارام. مطاوع عادل أمره السوام والهوام. ومهلل حرم طهره الرمال والسلام.

اللهم صل وسلم رسولا مودودا محمداً محموداً إماماً لكل إمام: ارسله الله ممهداً لصوالح الأوامر والأحكام مصلحا للامم محددا لحدود الحلال والحرام واوحاه طرساً معلوما ولوحا مرسوما لاصلاح الكل، وإسعاد العام. حصار امره لا مر ماصكه صواكم الاعدام. وسور حكمه الا حكم ما دكه صوادم الاهدام. حرم سدده مصمد الدعاء ومصمم الاحرام، وهو رسول وما صار آدم مودما وما وسوسه المارد اللوام، وهوسام وحام للعالم، وما ولد سام وحام، وطاوعه الكل وما ساد هود وما عصاه عاد، وما اطاحهم الصرصر والسهام.

اعلموا رهط روساء العلوم والعلماء الاعلام، أحرر مدلول الكلام كلام الله الملك العلام، وارسم محصول ما اوله الكمل وحاوله الكرام. واحكم مادل سوره ومدلول دواله كمال الاحكام والاحكام. واسطر ما هو اصل المروم واس المرام. ولما طار اسم المحرر حوم الدهر وحام. وكساه الطالع ملحم العلم موسع الأكمام.واراد اولو الكمال مراه واراوع كلامه ورام. سدد المسطر وحرك المرسام. واسال المداد كما هطل الركام. وصور كلمه عواطل مع روع مسرع ومسحل كهام. وإما لاكمل الكلم واكرم الكلام. لا اله الا الله محمد رسول الله وهو مدار الامر وملاك الاسلام. وامل حاصلا ما صلا رسعا للآسام وسرع لسطره اسحارا وآصالاً عدو العوام. ولاكماله كما هو مصور الصدر وملهم السر ركع وصام. كل امره رأه إهمالا ولا إهمال له حار وهام. وما وهطه إلا الحاسد العاصد والآم. ما اوهطه إلا المطر المصر السمسام. ما وصمه إلا صداد العواور وحساد اللوام. والحسد لمسامع السداد كالسداد والدسام. وسماعه لصدورهم كصم المداعس ومرط السهام. كلامه وكلامهم كالسلاسل والرمام. وعلمه وعلمهم كالداماء والرهام واصمهم سوء وهمهم كسد الصمام، ولا مسلك لهم. حال سماعه مآلا الا الارمام. ولله در سطره صار طرساً طامسا لرسوم كل رسام. ودارسا لمراسم كل وصام ....

ساطعه: محرر سواطع الالهام موم اسم والده الواطد لعدم الورود مصرحا وهو: أساس العلم واصل الروع ومطلع الالهام وراس الرؤس وامام الكرام علا اسمه ومسماه ....

واختتم هذه المقدمة البديعة بأشعار هي كذلك مهملة فارغة عن الحروف المنقوطة، وإليكم بعضها:

ألواح سحر أم طلسم مكرم ... لأسرار روح للسواطع ملهم

لسحر حلال والسطوع طلسمه ... وما هو سحر أو طلسم محرم

صواح لأصل الأصل طرس مطهر ... سواد لكل الكل طلس مطهم

وما العلم إلا وهو اصل لكله ... لاعلام أسماء العوالم آدم

إمام همام للكلام ماول ... صلاح سداد للسلام مسلم

مدار مراد للمدارك مطرح ... ملاك كلام للمعالم معلم

كلام كمال للاكامل مسلك ... صراط سداد للاكارم أسلم

مآل كلام للمدارس أعود ... دعاء سماء للصوامع محرم

حسام سماح للمصارم اسطع ... لواء ولاء للمعارك احكم

سماء سعود السر للروح مصعد ... ودأماء أسرار السماء مطحرم

دعاء حصار الحول والطول موطد ... عماد أساس الأمر والعدل محكم

لإعلاء أعلام الصوالح أصلح ... لإدراء آلاء المكارم مكرم

لبرسم اطلاح الوساوس مصلح ... لكلم سهام الوهم والصرع مرهم

دواء سمو للوسام مطلّس ... كساء علو للكرام موسم

لكحل عروس الحلم والدرك مرود ... لسطر سطور الروح والعمر مرسم

لكأس حساء الصحو والسكر سكر ... لسطح سماء العلم والروع سلم

مراصه الماح وعاها مهلهل ... مصادر أرواح حماها مطلسم

طوالع آصال لها السطح أكمل ... مطالع أسحار لها اللمع أدوم

لحـوراء علـو الطهـر حال دلالها — لـسمط وصـدر أو سوار ومعصم

ألا هـو لـلأرواع صـرح ممـرد — ومـا هـو للأوهـام درع مـردم

سـواطع إلهـام مكـارم سـودد — مـراحم إرسـال هـو الله أرحم

عـواطل أعـراس حُلاهـا دلالها — مـلاح لهـا سدلا سدوس مسهم

وهـا كـل لـوح سطروه مكرما — ركـام ودأمـاء الـسواطع أكرم

ومدلـولها المعهـود ممـا أراده — لكـسر لهـام الـوهم طرا عرمرم

ولـو طـار مُـلاَّك الكلام مطاره — لـرد ومـا كـل الأعاور أعصم

محـرره الله در كلامـه — لأطلـع سـر الله للعلـم عـالم

لأدركـه كـد وصـدر موسـع — وأسـعده هـمّ وسـاد مـصمم

وأمهلـه العمـر الطهور المسارع — وسـاعده الدهـر الحصور المحصرم

لـه هـرول الأحـلام لوعا وولوا — لـه طأطـأ الأعلام طوعا وطرسموا

لعمـرك علم الكل مطموس علمه — مـآل أمـور الـسرّ الله أعلـم

ونرى أن نشير إلى حل بعض الألغاز التي وردت في هذه المقدمة.

١- أساس العلم، أصل الروع مطلع الالهام رأس الرؤوس، غمام الكرام، ويريد الواضع بهذه الكلمات المهملة اسم «مبارك» فان الميم اساس للعلم والباء أساس للقلب الذي يرادف الروع والألف محل طلوع كلمة إلهام والراء راس للرؤوس. والكاف إمام للكرام وهكذا يتكون اسم «مبارك».

٢- مدلول الوالد والمكارم معه. وهو ليس بغامض بل يمكن أن يفهمه كل واحد، فان مدلول الوالد هو الأب ويضيفه إلى المكارم فتصبح أبو المكارم لا محالة.

٣- الأمل الروع الولع الروح المكرر الروع المرح (بطر). فاذا أخذنا أوائل هذه الكلمات لوجدنا اسم أبو تراب.

٤- الحال الطود (الجبل) الطول الصحو الروع (البال) السمو الحدس، فاذا أخذنا الوسط من هذه الكلمات لقرأنا اسم أبو حامد.

٥- الطاء، الروع (القلب) الهدوء الأمر الطس المرسوم، الراى، الأمد، فاذا رتبنا أواخر هذه الكلمات لرسمنا كلمة ابو راشد.

ولا أرى من الحاجة في شئ إلى أن أقول أن المؤلف يختار كلمات رائعة عند التعبير عن أسماء اخوته، وهم أبو تراب، أبو حامد وأبو راشد. ويشير المؤلف إلى أعمارهم أيضا، فان الأسبق هو الأكبر، وأعجب منه أنه اختار للسابق أوائل الكلمات وللمتوسط أواسطها واللاحق أواخرها.

ومعلوم أن المسلمين في الهند كانوا ولا يزالون يهتمون باللغة العربية كلغتهم الدينية، ومع أن اللغة الفارسية أصبحت مرة لغة رسمية للبلاد، إلا أن حبهم وشغفهم للعلوم العربية ما زال كما كان، وما برحوا عاكفين على دراسة كتاب الله العزيز، ومع ذلك كان منهم من نبغ في اللغة والأدب، وولع بهما ولعاً بالغا، ومنهم من كرس حياته للنحو والصرف ومنهم من اعتنى بالشرح والتأويل، ويسرنا أنه كان — ولا يزال — من بينهم من جمع بين الأدب والدين واللغة والفلسفة وأثبت بأن الهنود لهم اليد الطولى في الانشاء والفهم، ولعلنا لا نبالغ أن مولفنا هذا كان منهم.

فلما انتهى المؤلف من ذكر حاله وملكه. بدأ بذكر ما يحتاج إليه دارس للقرآن الكريم من مبادئ واسس تفسيرية، ولا شك أنه أجاد في شرح هذه المعاني. ونكتب فيما يلى بعضها.

السواطع اللوامع لعلوم كلام الله العلام وأسراره الصوالح لصدر المرام.

ساطعه، أصل المراد وأس المرام هو الله وحده وله رسل ارسلهم، لاصلاح العالم وهم موصلو المراد لا حصر لاعدادهم أولهم آدم وأمدهم وحماداهم محمد صلعم ولله طروس وألواح أرسلها للرسل للحكم والمصالح كلها كلام الله أرسل لآدم ألواحا ولمحمد رسوله صلعم طرسا.

ساطعه، علم كلام الله لا ساحل له، وطود لا مسلك له وكل واحد أراد وصوله وما وصل أمده ورام سلوك دركه وما أدرك حده.

ساطعه، الماول هو العالم لعلم مدلول كلام الله، وهو إعلام ما أراده الله وإما لامام

ووراء سهما اسطاع وهو أكرم العلوم كلها لحصول علو العلم لعلو معلومه أكرم كل معلوم.

ساطعه، للماول روم المدلول لدوال كلام الله عما ورد محلا سواه ما اسطاع، والارام كلام رسول الله صلعم، والاعاد وصمد كلام الرحماء لما لهم علم كامل وعمل صالح.

ساطعه، أما علوم كلام الله ١ــ علم ما وحده وهو علم الماسور كله، وعلم أسره ومصوره مع الأسماء ٢ ــ علم ماوعد واوعد وادكار دار السلام ودار الألام ٣ ــ علم الأحكام وهو الأمر والردع وماسواهما وللمحه سموا الحمد لله أم كلام الله لما عم صروع مدلوله، وهولاء أصول كلام الله المرسل.

ساطعه، أصل الارسال الهام الله كلامه، وإعلامه للملك مصاعد السماء وهو عال مما حل المحل والملك أداه للرسول (ص) وورد هو سماع كلام دال معلم عما هو أصل كلام الله.

ساطعه، الرسول صلعم صار كالملك وسمع كلاما أورده الملك أو الملك صار كأحد ولد آدم وأداه للرسول صلعم وهما مسلكا الارسال والأول أعسر.

ساطعه، المرسل إما هو الكلام ومدلوله. وهو كلام الله الرسل المرسوم طرسا واحداو وإما المدلول لا الكلم وهو كلام رسول الله (ﷺ) كله.

ساطعه، لكلام الله موارد ومراسل كام رحم وما حولها ومصر رسول الله صلعم وما حوله كاحد وسلع والصرط والمسالك والمراحل والمرامك ومصاعد السماء والهواء حال صعوده وحدوره صلعم آصالا واسحارا وحرا وصردا.

ويبدأ المؤلف بعد ذلك كله في تفسير القرآن الكريم وهذا نموذج من تفسير (الفاتحة) المباركة:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الاسم أصله سمو، كعلم ومصدره السمو، وهو العلو واحد الاسماء. وورد أسم وسم أو وسم، وأسمه اعلمه، والموسم المعلم والاسم العلم. والأول أصح لعدم ورود الاوسام مكسرا وعامله أصدر، والاسم إما مسماه ما سواه أو هو مسماه لا ما سواه أو مسماه لا

هو ولا سواه. ولكل واحد اصل وأهل الرسم طولوا أولها اعلاما لما هو المطروح أو اكراما لصدر كلام الله الاحكم الاكمل. الله: اصله الاله وهو المالوه أو هو مصدر اله مكسور اللام ولوها ووها حار، والاصل ولاه اعل واوه كما عل او وعاء حل محل الاسم كعدل وورد اصله مصدر اله كسمع اولع والعالم كله مولع له. وورد اله حار او ركد او عال، والهه رعاءه ولاح لمها واحد أو احد وورد أصله لاه مصدر هو العلو وورد اصله هاء وصلوها لام الملك، واللام للعهد وهو الاله المعهود والمولود المحمود، وورد هو علم لا اصل له ولا مصدر له كمسماه وهو اصل الكل ومصدره، وهو اصح ما اوردوه. الرحمن الرحيم: مصدرهما الرحم وهو روم صلاح الامر لاهله ومدلولهما وساع الرحم، راحم الكل احاط الصور والاسرار مراحمه، وعم الالواح والارواح مكارمه، والاول اعم مدلولا، صدره لما صار كالعلم لله. والحمد وهو معكوس المدح. وما هو الا للعطاء ومورد الحمد هو المسحل وحده، أصله احمد او احمدوا حمدا وعدوله للدوام، ولامه للعهد والمراد هو الحمد الكامل وهو حمد الله لله أو حمد الرسل أو كمل أهل الولاء أو للعموم، وحاصله المحامد كلها لله وهو المحمود اصلا والممدوح عدلا. ورووا الحمد لله مكسور الدال مطاوعاً للام، ورووا واللام مطاوعا للدال عكسا للاول. رب العالمين: مكمل العوالم ومصلح الكل طورا طورا ومالكهم أو ملكهم وهو مصدر مدلوله اكمال الامر مرارا وصار اسما لله اطراء كالعدل. والعالم اسم لما اسره الله وعلم لكل ما سواه وورد هو عالم الملك، وأصله العلم او العلم. الرحمن الرحيم: مر مدلولهما، اعادهم اعلاء لكمال مراحمه. ملك ملك الامور كلها وما سواه مملوكه وما سوره ومحكومه، واصله الملك مكسورا رواه عاصم، ورووا ملك وهو الاصح لما ورد كل ملك مالك ولا عكس، وكل مالك مامور ملك لا عكسه، وملك كحكم، وملك كعدل ومالكا مدحا او حالا ومالك وملك محمولا لمطروح وملك مدحا وهو الملك المالك له الملك والامر والحكم والعدل. يوم الدين: وهو الموعود المحدود، والمعاد لاهل الصلاح والطلاح، والمال لكل ولاحد اطاع الله او عصاه، صرحه لاكرامه واعلاء حاله اول ما لا ملك ولا مالك له احد الا الله والملوك اولوا الامر كلهم معطلوا اوامرهم واحكامهم. اياك لا ما سواك لعبد طوعا لاكرها كما هو مامودك ومرارك وهو حصر لكمال الطوع والهكوع، امال الكلام وعدل عما هو المسلوك لسرور

السامع وورح المسامح، وهو اطراء لا داء المرام، وورده مكسور الاول. واياك لا ما عاداك كره امحا ولوهم عدم الحصر. نستعين: حال اداء اوامرك وطرح محارمك ومكارهك وما لاحد مسؤل لمصالح الامور وصوالح الاعمال الا عولك واسعادك حالا ومالا ورووه مكسور الاول كالاول وهم لما راموا الاسعاد لعل الله سالهم ما مرومكم ومما أسعدكم سالوه. اهدنا سوال للاسلاك ودعاء لوصول الأصل، ارادوا اكمالها ودوامها أو راموها مالا كما حصلوها حالا. الصراط المستقيم. اسواء ممر اهل الولاء ومسلك مكارم اهل الله وهو الاسلام الكامل او كلام الله واوامره واحكامه او صراط دار السلام او هو عام، ولله صرط لا احصاء لها واصله السراط صار اوله صادا وإما للطاء وسماه سراط لما هو سارط لسالكه كما سرط احدكم الطعام. صراط الملاء الذين انعمت عليهم وهو الرسل أو اهل الاسلام كلهم أو الملك، اعاد الصراط وكرر العامل حكما لما اكد واعلم الصراط السواء هو صراط اهل الاسلام لا سواه. غير المغضوب عليهم. المروم اصرهم او الملوم عملهم عموما او هم الهود. ولا الضالين: هم ما سلكوا مسالك هداه، وهم اهل الاعمال السوداء كلهم أو رهط روح الله واما المروم صراطهم هم رهط والاهم الله ولاء كاملا ووصل لهم آلاؤه وهم سلموا مما حردهم وما هم اهل الصدود والعدول عمداً. آمين ممدوا والاصل لا مد له وهو اسم لا سمع والمراد اللهم امسع الدعاء. أو هو اسم الله علمه الملك رسول الله صلعم حمادها وما هواه الامام اورد امد الكلام اكمالا للمدعو.

وإليكم بعض ما فسر به المؤلف من سور قصيرة:

سورة الكوثر. موردها أم الرحم محصول اصول مدلولهااعداد آلاء اعطاه الله لا كرم الرسل محمد صلعم والامر له لما صلاه ولسحط الداعر واعلام العلاك الاعداء له.

«بسم الله الرحمن الرحيم» لما رحل ولد رسول الله صلعم وأدركه السام وسمعه العاص ووصمه صلعم وكلم وهوعسور لا ولد له، لو ادركه السائم وهلك حسم اسمه صلعم ارسل الله. انا أعطينك الكوثر. العطاء الكامل علما وعملا او المورد الامرء ماء واحمد هواء ورد ماءه المدام وهو مورد رسول الله صلعم اعطاه. الله له صلعم كرماً أو المراد الاولاد اوعلماء الاسلام او كلام الله المرسل. فصل دواما لربك الله لا لما سواه كما هو عمل مرء مراء عمدا لا سهو ا. وانحر واسدح لله واعطه اهل السؤال وهو عكس الكلام

الأول المصرح لا حوال أهل السهو والصد واعمالهم. إن شانئك عدوك ـــ هو الابتر. المعدم لا ولج له وادام الله اولادك ومراسم اوامرك ومكارم عصرك ومحامد اسمك.

سورة الاخلاص ـــ موردها أم الرحم ومحصول أصول مدلولها اعلام وجود الله الاحد الصمد واعلاء علوه مما ولد وولد وسموه عما عادله احد وساهمه.

بسم الله الرحمن الرحيم. لما سال الحمس رسول الله صلعم وارادوا اعلاء محامد الله ارسل الله قل محمد هو الله احد. واحد لا مساهم له ولا اله سواه اصله وحد ووروا هو الله الواحد ووروا احد. الله موصولا الصمد. المصمود المعمود امالا واعمالاً لكل ما عداه وهو المالك الحاكم لما اراد ولا مرد لحكمه ولا ردا لامره. لم يلد احداً وهو رد للهود. و لم يولد ما هو ولدا مولودا لا حد ومعلوم كل احد لكل مولود اول ولا اول له. وهو رد لرهط روح الله. ولم يكن له لله كفوا مساهما معادلا وهو حال او محمول. أحد. حالا ومآلا وهو رد لاهل عدول وهموا الها مساهما له عملا وامرا علا اسمه ومسماه عما هو مدرك الاوهام وورد هو عدل لكلام الله كله ومدلوله ملاك كل موحد.

ولعلنا لا نرى حاجة بعد ما قلنا وكتبنا إلى أن نقول أن كتابه من حيث النقد الفني يدل على نبوغ المؤلف في الأدب وسعة نظره في اللغة، إلا أنّ الالتزام الغريب حتم على المؤلف ايجازاً مخلا أو شرحا مملا، فان جلّ همّه عند كتابته كان ان يتفادى الكلمات المنقوطة ويتحاشى كل اسم وفعل منقوط، فاضطر إلى ايراد الغرائب أو الى ايجاز أصبح أعقد من المتن أو الى شرح مطنب يملّه القارى.

ومن ميزات المؤلف أنه يحاول أن لا يترك شيئاً من معاني القرآن إلا ويفسره ويشرحه، ولا يحفل في ذلك بما يكبل قلمه من الالتزام الغريب المستحق الثناء.

أبو الفضل الناكوري

(٩٥٨ ـ ١٠١١هـ/ ١٥٥١ ـ ١٦٠٢م)

الشيخ ابو الفضل بن المبارك بن خضر الناكوري، كتب صاحب النزهة في وصفه:

الشيخ العالم الكبير العلامة، اعلم وزراء الدولة التيمورية وأكبرهم في الحدس والفراسة وإصابة الرأي وسلامة الفكر وحلاوة المنطق والبراعة في الإنشاء.

ولد ليلة الأحد سادس شهر المحرم سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وكان أبوه المبارك قد فتح له أبواب خزائن العلم منذ نعومة أظفاره، فتعلم الخط والحساب والإنشاء واشتغل بالعلم، وقرأ أياما في العربية على صنوه الكبير أبي الفيض بن المبارك وعلى أبيه، وفرغ من تحصيل العلوم المتعارفة في الخامسة عشر من سنه، ثم أقبل على العلوم الحكمية إقبالا كليا، واستفاد بعض الفنون عن الشيخ حسن على الموصلي، ودرس وأفاد نحو عشر سنين حتى فاق فيه أهله المنسوبين إليه، ودعاه السلطان أكبر بن همايون التيموري بمدينة أكبر آباد مع والده، فادركه في حدود سنة إحدى وثمانين وتسعمائة مرة أولى، وأهدى إليه كتابه في تفسير آية الكرسي، ثم أدركه في حدود سنة اثنتين وثمانين مرة أخرى، وأهدى إليه كتابه في تفسير سورة الفتح فاستحسنه السلطان وقربه إلى نفسه، فتدرج إلى نهاية القرب حتى نال الوزارة الجليلة.

كان من الطبيعي أن يجد مثل هذا العالم الترحيب والرعاية عند سلطان شغوف بالدرس والتحصيل بدوره مثل جلال الدين أكبر حين قدموه إليه عام ٩٨١هـ - ١٥٧٤م. وفي هذا يقول أبو الفضل في كتابه أكبر نامه الذي ضمنه تاريخ التيموريين:

«لقد زاد كثرة تلاميذي من الغرور في نفسي، ودفع بي الإمعان في الدرس والتحصيل إلى طلب العزلة. ولكم كنت أشعر بالسعادة والرضا وأنا أقضي الليالي منفرداً بطلاب الحق والباحثين عن الحقيقة المجردة بما يعمر ذهني ويشرح صدري، لتتفتح من بعد ذلك عيني على مدى الأنانية والجشع الذي يكمن في نفوس من يدعون العلم والمعرفة. ولكم كنت أشتاق للوقوف على الحكمة عند المغول ودروز لبنان أو مناظرة لامات التبت وقساوسة البرتغال والاستماع إلى كهنة البارسيين وحملة الأبستاق. ولقد ضقت ذرعاً بعلماء بلادي حتى نصحني أخي وبعض أقاربي آخر الأمر بأن ألتحق بالبلاط، وقد أملوا بذلك أن أجد عند السلطان الهداية مثل الفكر السنية. ولكن كنت قد عارضتهم في ذلك أول الأمر إلا أني وجدت، لحسن طالعي، من بعد ذلك، في السلطان خير رائد ومرشد لي في دنيا الواقع مما بعث السكينة في نفسي وأشاع الطمأنينة في وجداني. ففيه اجتمع لي

شوقي للتحصن بالإيمان وتحقق أملي في أن أقوم بالدور الذي قدر لي القيام به في دنياي. فهو المشرق الذي تبزغ منه أنوار الإبداع والمثل، وهو الذي علمني أن العمل الدنيوي، على تعدده وتنوعه، لا يتعارض مع جوهر الحقيقة».

قد رماه صاحبه عبد القادر بن ملوك شاه البدايوني (بغضاً وحسداً) بالإلحاد والزندقة وقال في المنتخب: إنه دسّ في قلب السلطان أشياء منكرة، ورغبه عن الملة السمحة البيضاء ـــ (كذا). ولابد ان هذا الاتهام صدر عن البدايوني بعد أن أحتل الشيخ مبارك الناكوري وأولاده المكانة اللائقة بهما في بلاط أكبر وبعد أن ظهر تشيّع الامبراطور اكبر وتوضحّ تشيع المبارك وأُسرته للعيان، جاء في كتاب دانشوران ناصري:

«ومن أمعان النظر الدقيق وأعمال الفكر العميق يُعلم أن الشيخ مبارك والشيخ أبو الفضل كان كل منهما باطناً شيعي المذهب امامي المشرب ومن هذه الجهة كان علماء ورؤساء المخالفين لهما في المذهب يعادوهما عدواة قبيحة والشيخ أبو الفضل في وقت رياسته العظمى سعى في تفريق كلمة هؤلاء الجماعة والسلطان أكبر شاه قصر أيدي المتعصبين عن الخلق».

وقد فصل السيد غلام حسين الطباطبائي قصة اولئك المتعصبين مع اسرة آل المبارك على النحو التالي:

ان الشيخ عبد الله ابن الشيخ شمس الدين السلطانبوري الذي كان يلقب في عهد شير شاه بصدر الاسلام وفي زمان همايون بشيخ الإسلام وفي وقت أكبر بمخدوم الملك كان طالباً للجاه غاية الطلب متعصباً محباً للدنيا كما ذكره الشيخ عبد القادر البدايوني في كتابه مع اتحاد المذهب فيهما والمناسبة التامة في العمل والطبيعة. ولما مات مخدوم الملك وكان بينه وبين السلطان منافرة ظهرت له خزائن ودفائن كثيرة منها عدة صناديق فيها قطع من الذهب بشكل اللبن كان قد دفنها في المقبرة فأخرجت وأدخلت مع كتبه إلى الخزانة العامرة السلطانية. والشيخ عبد النبي الصدر كذلك كان رجلاً متعصباً طالباً للجاه وهو من أولاد أبي حنيفة الكوفي وفي أوائل عهد اكبر وصل أقتداره الى حد أنه كان أحد وزراء الملك يقدم له نعله والافاغنة يحبونه كثيراً وأكبر كان صغير السن جداً وجاءته السلطنة في

الطفولية وكانت عامة الدعاوى وأكثر أمور السلطنة تدبر برأي هذين الرجلين بمقتضى حب الجاه والنفس وشدة التعصب كلما رأوا رجلاً هو محل التفات السلطان والسلطان يميل إلى مشربه ومسلكه يتوسلان الى قتله بكل حيلة باسم حماية الشرع وحراسة الاسلام ولا يدعان أحداً يرفع رأسه كما أن الشيخ أبو الفضل وأبوه الشيخ مبارك وأخوه الشيخ فيضى وقعوا في بلية هذين الرجلين وبالتأييد الإلهي نجوا من هذا البلاء ووصلوا الى أوج العزة والاختصاص ووصل الحال إلى أن خلقاً كثيراً يفوقون حد الحصر قتلوا بغير حق بسعي أولئك الفساق. والذي يستفاد من مجموع الحكايات وتقريرات نقلة اخبار ذلك العصر ان كلا هذين القدوتين كانوا في الظاهر في نهاية التعصب والتصلب للدين لكن لمجرد حب الجاه والنفس واتباع الهوى، ولم تصل الى مشام روحهم رائحة الإيمان لا هم ولا أتباعهم كالشيخ عبد القادر البدايوني وغيره، ومن شدة تعصبهم أصدر احدهم مخدوم الملك على ماذكره الشيخ عبد القادر البدايوني فتوى عجيبة وهي: أن الذهاب الى الحج في أيام الحج غير واجب حيث انه سأل فاخبر: أن طريق الحج منحصر إما في طريق العراق أو طريق البحر وطريق العراق يسمع فيه كلام غير ملائم من القزلباشية «ويقصدون الشيعة» وطريق البحر يلزم أن يؤخذ فيه جواز من الافرنج وهذا الجواز قد صوروا فيه صورة مريم وعيسى عليهما السلام وانه إلاه فاذا السفر على كلا الطريقين ممنوع. والبدايوني عند ترجمة أحوال نفسه يقول إن الشيخ مبارك وان كان له على حق عظيم من جهة انه استاذي لكن حيث انه وأولاده مغالون في الانحراف عن المذهب الحنفي لم تبق له علي حجة وأيضاً لجلب تأييد مدعاه نقل عن مخدوم الملك أنه كان كلما رأى الشيخ أبا الفضل في أوائل عهد أكبر شاه يذمه ويذم أباه الشيخ مبارك ويقدح فيهما.

قالوا وبسبب هذين الشخصين المرائيين المحبين للدنيا اريقت دماء كثيرين من عباد الله لا سيما على التشيع ووصل التعصب في العوام الى حد انه في اوائل سنة ٢٣ في سلطنة أكبر كان رجل من أرباب المناصب اسمه فولاد يرلاس وكان رجل يسمى الملا أحمد شيعي المذهب فللعداوة المذهبية استدعاه ليلاً من منزله وضربه بخنجر، وكان أكبر شاه في تلك الأيام قد خرج من قيد العصبية، فأمر أن يربط برلاس في بلدة لاهور حتى هلك وتوفي الملا أحمد المجروح بعد وفاة قاتله بثلاثة أيام وبعد دفن الملا أحمد أقام الشيخ فيضي وأخوه

الشيخ أبو الفضل حرّاساً على قبره خوفاً من أن يُنبش ومع هذا الاهتمام فإن أهل لاهو بعد سفر عسكر أكبر شاه الى كشمير نبشوا قبره وأخرجوا جثته وأحرقوها وحيث ان مؤتمن الدولة الشيخ أبو الفضل صار في أعلى مراتب القرب عند أكبر شاه وعلامة الزمان الحكيم فتح الله الشيرازي وآخرين من علماء وأمراء العراق وشيراز جاؤوا بكثرة إلى ديار أكبر شاه اتفق الشيخ أبو الفضل مع العلامة المذكور وآخرون من العلماء على طريق واحد وكلمة واحدة لتدارك الشدة واراقة الدماء من قبل أولئك المتعصبين المعاندين المذكورين وتحزموا لذلك بحزام هممهم المحكم فوجدوا السلطان نفسه قد رجع عن مذهبه ورأى أن المذهب الذي هو عليه والبناء الذي أحكمه من مدة طويلة يؤدي الى فناء الخلق فلم يجد بداً من الخروج عن قيد التعصب وخلص عباد الله من مخالب اولئك وأتباعهم وأبدل الشدة بالرخاء واطلع شيئاً فشيئاً على خبث نيات أولئك وحبهم لجمع المال وطلب الجاه.

ولما دخلت السنة الرابعة والعشرون من جلوسه جرى يوماً في مجلسه حديث بين القضاة والعلماء في المسائل المختلف فيها بين المجتهدين وانجز الكلام الى أن السلطان هل يمكن ان يجتهد في بعض الأمور ؟ فكتب الشيخ مبارك والد معتمد الدولة الشيخ أبو الفضل الذي كان أعلم علماء زمانه حسب الأمر تذكرة بهذا الخصوص وختمها بخاتمة وحاصلها أنه بعد التأمل وامعان النظر في معنى الآية الكريمة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وأحاديث واردة في ذلك فقد حكمنا بأن مرتبة السلطان العادل عند الله تعالى أعلى من مرتبة المجتهدين لأن نص آية أولي الأمر يؤيد وجوب اطاعة السلاطين وموافقتهم على رأيهم لا معاضدة المجتهدين والسلطان أعدل وأفضل وأعلم بالله تعالى فإذا وقع الاختلاف في مسائل الدين بين العلماء واختار السلطان أحد القولين لأجل تسهيل معاش بني آدم وصلاح حال أهل العالم فحكم به وجبت اطاعته على كافة الأنام وأيضاً إذا حكم بحسب اجتهاده بحكم لا يخالف النص لأجل المصلحة العامة فمخالفة هذا الحكم موجبة للسخط الإلهي والعذاب الأخروي والخسران الديني والدنيوي وختم الجميع هذه التذكرة بخواتيمهم وبعد هذا أحضر مخدوم الملك وعبد النبي الصدر وأمرهما بختمها وأمضائها بخطهما فختماها وأمضياها بخطهما طوعاً أو كرهاً وكان ذلك في شهر رجب سنة ٩٨٧ من الهجرة المقدسة فلما كتب هذا المحضر شرع السلطان في اجراء مايصلح

العباد شيئاً فشيئاً فأمر مخدوم الملك والشيخ عبد النبي بالسفر إلى الحج وعين العلماء المتعصبين قضاة في الأمكنة البعيدة وبهذا التدبير استراح الخلق من أضرار الأشرار وتفرغوا لأمور معاشهم ومعادهم فإن السلطان يلزم أن لا يكون متعصباً ويلزم أن تكون الرعايا في ظله سواء فلما وصل مخدوم الملك الى مكة المكرمة كان ابن حجر صاحب الصواعق المحرقة حياً موجوداً في مكة وباعتبار تناسبه مع مخدوم الملك في التعصب استقبله واحترمه كثيراً وفتح له باب الكعبة وكان ذلك قبل أيام الحج وباع مخدوم الملك شعيره باسم الحنطة فإنه كان في الصورة من أهل الدين وفي الحقيقة من طلاب الدنيا فأخذ في ذم السلطان والأمراء في المجالس والمحافل بسبب ما ناله حتى نسبهم الى الارتداد عن الدين والرغبة في الكفر فوصل ذلك الى مسامع السلطان والشيخ عبد النبي لما سمع بخبر بغي محمد حكيم ميرزا أخي السلطان أكبر شاه وفتحه مدينة لاهور عزم هو ومخدوم الملك على الرجوع الى الهند طمعاً في الرياسة وحباً للجاه فعادا إليها ووصلا الى أحمد آباد كجرات فوجدا أن اكبر شاه بتمام الاقتدار فخافاه على أنفسهما وكان بعض نساء السلطان قد ذهبن الى الحج في تلك السنة وعدن منه ووصلن أحمد آباد فتوسلا بهن ليشفعن لهما عند السلطان ففعلن ولماكان السلطان غاضباً عليهما أشد الغضب لسوء أفعالهما أظهر لنسائه أنه قبل شفاعتهن وأرسل بعض رجاله خفية للقبض عليهما ففعلوا فتوفي مخدوم الملك في الطريق فحمل محبوه نعشه خفية ودفنوه واستخرج السلطان من داره أموالاً عظيمة وحملها الى خزانته. وأما الشيخ عبد النبي فبعد وروده حول الى الشيخ أبو الفضل لمحاسبته فتوفي بهذه الأثناء وللعداوة التي بينه وبين الشيخ أبو الفضل أتهم بقتله وبقي الحال على هذا والناس في أمان وراحة من التعصب على عهد جهانكير وفي عهده شرع التعصب المذهبي في الظهور واشتد في عهد عالمكير (اورنك زيب)، هذا باختصار ما ذكره أحد المؤرخين الشيعة صاحب (سير المتأخرين)، وهذا المؤلف من المؤرخين المنصفين المعروفين بنزاهتهم لكننا ما تقديرنا لما كتبه عن حادثةابعاد علماء البلاط المغولي، نريد أن نستطلع رأي الجانب الآخر من طرفي الصراع، لا سيما اذا كان هذا المتحدث، وعن هذه القضية بالذات أحد شيوخ التعصب ضد الشيعة في هذا العصر وهو (أبو الحسن الندوي) وممن يكفر الشيخ مبارك وأولاده وينسبهم إلى الالحاد والزندقة مع اعترافه بأنهم كما يقول

أفضل وأعقل وأرقى نتاج للمناهج الدراسية المطبقة في ذلك العصر، واسلوب البحث والتحقيق والتدريس، والعلوم والثقافات المفضلة السائدة في عصرهم، ولو كانوا قد جمعوا الى هذا الادراك الدقيق، والعقلية النابغة والقريحة الفياضة والقلم السيال واللسان الذرب الطليق ــ استقامة في الدين، ورسوخاً في الايمان ... لكان لهم دور أي دور، وقاموا بمآثر جليلة.. الى آخر ما كتبه في كتابه عن السرهندي ص ٨٢ والاستقامة والرسوخ في الايمان اللذان شكك فيها الندوي كونهما من اتباع أهل البيت عليهم السلام الذين يدعي الندوي الانتساب اليهم!، لأنّ الجنة خلقت له ولإمثاله بس وهس ولس، ولهذا يستخدم اسلوب اللعن والتكفير كلما عنّ له ذكر أحد الموالين لأهل البيت أو الآخذين من بحر علومهم وفكرهم وهذا الداء المزمن في فكر الندوي وامثاله فرّق المسلمين وشتتهم وآذن للناصبة ان تنجم بقرونها على من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وللكلام الذي نقلناه اشباه كثيرة فيما ورد في كتابات الندوي وكم اتى هذا الناصبي فيها من آراء تتجافى مع خلق العلماء ويتنافى مع الاسلام. فهو حين يتحدث عن فيروز تغلق (٧٥٢ ــ ٧٩٠) يتباهى بان هذا الملك اضطهد الشيعة وشتمهم في كتابه (فتوحات فيروز شاهي) فهو ينقل عنه قوله مؤيداً له في هذا القول: «شرعت الروافض في نشر عقائدها الباطلة ودعوة الناس إليها واستعانوا في مهمتهم الواهية هذه بتأليف كتب ورسائل» إلى أن يقول فيروز تغلق «فاخذناهم باعمالهم المنكرة وعاقبناهم عقاباً وأمرنا باحراق كتبهم على مرأى من الناس ومسمع حتى انعدمت هذه الطائفة عن بكرة أبيها».

ويعلق الندوي على ذلك قائلاً:

«تبين من هذا ان الشيعة كان قد نجم قرنها في الهند في المائة الثانية للهجرة او قبلها، على انها ما انبتت وازدهرت واصبح لها صوت مسموع في المجتمع الاسلامي إلاّ في عصر همايون (٩٣٦ ــ ٩٦٣)هـ وبعده».

ويقول الندوي بعد ذلك في مكان آخر: «مات الملك (اكبر) وتولّي ولده سليم وتلقب بنور الدين جهان كير. فاقتفى اثر ابيه وحذا حذوه في عدم الاعتناء بالدين، بل زاد الطين بلة. في عصره بان تطاولت الشيعة باعناقها وتطلعت إلى تسلم زمام الامر والنهي في الملك

لمكانة حظيته نور جهان من قلبه، حتى ان كبير دعاة الرفض، نور الله الشوشتري (١٠١٩ هـ/ ١٦١٠م) عُيِّن رئيس للقضاة» ثم يعلق في الحاشية عند ذكر نور جهان: «يقال أنها هي التي كانت تُسيِّر دفة الحكم وقسوس البلاد وجهان كير غارق في بحار الملذات، وكانت شيعية ذات جمال بارع وذكاء مدهش توفيت سنة ١٠٥٦هـ/ ١٦٤٥ م.

ولا ندري كيف يبيح الندوي لنفسه ان يسمى الزوجة (حظية) فنور جهان كانت زوجة جهان كير. ومع كل ما يظهره الندوي من التعصب فان الله سبحانه يظهر على فلتات لسانه الكثير من الحق ما يدعم به موقفنا وموقف صاحب (سير المتأخرين) إتجاه علماء البلاط الذين مرَّ ذكرهم ممن اساءوا الى الاسلام في تصرفاتهم الهوجاء ووجهوا سهام حقدهم وظلمهم للشيخ المبارك واولاده وقبل ان يذكر الندوي رأيه في مشايخه الافذاذ يستطرد بنقل تلك الحادثة التي ادّت إلى ابعادهم معتمداً على معاصرهم المؤرخ البدايوني [في كتابه منتخب التواريخ ٢: ٢٠٢ ــ ٢٠٣، ٢٠٥]، والذي صور علماء البلاط بريشته البارعة (كما يقول) هذا التصوير المثير:

كان (الامبراطور اكبر) يدعو العلماء والمشايخ، والأشراف والأمراء كل ليلة جمعة إلى مصلاه فكان العلماء والمشايخ يتسابقون إلى المقاعد، ويتنافسون في الحصول على مكان أقرب إلى السلطان، فعالج السلطان هذه المشكلة، فأمر الأمراء بالجلوس في الجانب الشرقي، والأشراف في الجانب الغربي، والعلماء في الجانب الجنوبي، والمشايخ في الجانب الشمالي، وكان السلطان يخرج عليهم في حلقة من خاصته فيبحث معهم المسائل ويتحقق فيها».

ويقول البدايوني: إن العلماء ــ ذات ليلة ــ بدأوا يرفعون أصواتهم في الجدال والمباحثة، فتكدر خاطر الملك، واعتبر منهم ذلك سوء أدب، وتنافساً في الدنيا، ويقول:

«كادوا يتقاتلون بأسنّة اللسان، وبلغ التفرق والاختلاف بينهم حتى جعل بعضهم يكفر بعضاً، ويضلل بعضهم بعضاً، وانتفخت أوداجهم وارتفعت أصواتهم، وكدر ذلك صفو خاطر السلطان».

وخاطب الملك الشيخ عبد القادر في غضب وتألم وتكدر بال، وقال: «أي عالم يخالف آداب المجالس، أخرجوه من هناك».

وكان الشيخ عبد الله السلطانفوري يحتل مكانة كبيرة في كبار أصحاب المناصب الدينية وكان لقبه ومنصبه «مخدوم الملك» فأصدر فتوى عدم فرضية الحج على مسلمي الهند لحيلولة البحر، وعدم تحقق شرط مَنِ استطاع إليه سبيلاً «حتى لا يتجشم هو مشاق السفر في الحج، وكان يستخدم الحيل «الشرعية»[1]، في إسقاط فريضة الزكاة، ويتخلص من أدائها كل عام، وقد اقتنى في عهد الملك أكبر وفي أوج وجاهته وشهرته أموالاً طائلة، حتى عثر على عدد من الصناديق المملوءة ذهباً في المقبرة الخاصة بآبائه، وكان قد دفنها بحيلته وشطارته مع دفن الموتى [2].

وكان يلي مخدوم الملك في المنـــزلة والوجاهة عند السلطان، ونفوذ الكلمة في البلاد «صدر الصدور» الشيخ عبد النبي، الذي كان يعد أكبر عالم في الهند، ومن أهل الاختصاص في فن الحديث، ولكن تفيد بعض التصريحات الواردة في «منتخب التورايخ» أنه لم يكن عالي الكعب، راسخ القدم في العلم، وكان يجهل بعض الألفاظ العربية ولا يُعرف صحتها من خطئها، ولم يقف على التحقيق فيها[3]، سلم إليه الملك أكبر منصب «صدر الصدور» ونال من الإجلال والاحترام، وعظمة المكان والجاه والسلطان، بحيث لم يكن لأي ركن من أركان الدولة أن يتقدم عليه، ويتفوه لديه، وقد قدم إليه الملك نعليه أدبا وتواضعاً عدة مرات، وكان كبار العلماء والأعيان ينتظرون ساعات طويلة على بابه ليؤذن لهم بالدخول عليه، وكان بيده إجراء رواتب العلماء والمشايخ وشيوخ الطرق، وإعطاؤهم الأملاك، وإقطاعهم الأراضي، وضرب في ذلك أمثلة رائعة للأريحية والسخاء، والعطاء الكثير، مما لا يوجد له في الحكومات السابقة نظير.

ولكن العلامة عبد القادر ـــ الذي كان صديقه ومعاصره وزميله في علماء البلاط ـــ

---

[1] وهـــي أنه كان يعطي المال الذي يفرض فيه الزكاة زوجته أو بعض أقربائه قبل حولان الحول عليه، ثم يسترده فيما بعـــد، ويـــتخلص بذلك من فريضة الزكاة وهكذا يعيد كل عام هذه الحيلة اذ ان حولان الحول على المال شرط لوجوب الزكاة.

[2] ويذكر انه اكتشف في هذه القبور لبنات من ذهب كانت قيمتها ثلاثين ملايين روبية.

[3] مـــن ذلـــك خطأه في بعض الألفاظ البسيطة، فكان يقرأ (حجراً) بتقديم الحاء بدل جحر بتقديم الجيم فيقول حجراً والقول للبدايوني.

يصرح بأنه كان عاطلاً عن الأخلاق الرفيعة، وتقاليد أسرته وخصائصها الطيبة، بل عن الثقافة العامة، وتقدير الظروف والمناسبات، ويمكن أن يكون هذا التغير في سجاياه نتيجة هذا المنصب السامي، فكان تأثير هذه الأخلاق المتحلية فيه على الملك وأركان البلاط تأثيراً سيئاً، ويتهمه العلامة عبد القادر باستغلال سلطته ونفوذه، واستخدام منصبه في الأغراض الشخصية، يقول:

«إنه اضطر الإقطاعيين الدينيين في طول الهند وعرضها أن يترددوا إليه، وينتظروا فتح الباب لهم حتى لم يجد الوافدون عليه من هؤلاء الإقطاعيين بداً من أن يعطوا الرشوة لنواب الشيخ، وكنّاسيه وحجابه، وسوّاق أفياله ومنظفي حماماته، فما كانت تنجز الأعمال إلاّ عن طريق هذه الرشوة».

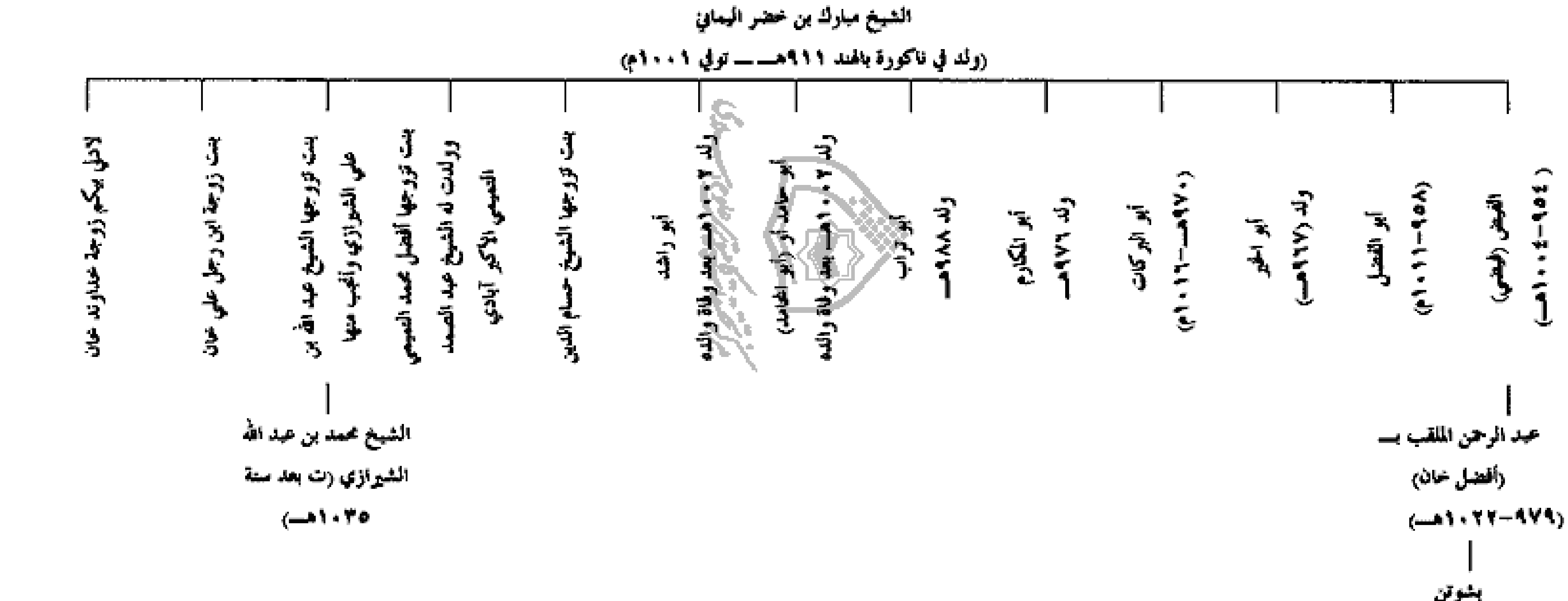
كان لا يراعي الحال ولايأخذ بالحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة الدينية، حتى كان يواجه الملك أحياناً ـــ بما لا يليق بشأنه ويعتبر من الخرق وإساءة الأدب، كما جاء في «مآثر الأمراء»:

«إن العلماء والمشايخ والأمراء كانوا يهنئون الملك بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاده، وكان الملك لا بساً ـــ آنذاك ـــ لباساً معصفراً مصبوغاً بلون الزعفران فاعترض عليه الشيخ، وأكد عليه بتغيير هذا اللباس، وشدّد في ذلك وتحمس حتى ارتفعت عصاه، ووقع طرفها على ثوب الملك، وتحمل الملك منه ذلك، ولكنه شعر بإهانته، ودخل قصره، وشكى إلى والدته ما لقي من الشيخ، وكات والدته سليلة أسرة طيبة معروفة بالفضل والصلاح، فأهدأت ثائرة الملك وقالت أن احتماله هذه الشدة من الشيخ سوف يكتب في سجل مناقبه في التاريخ، ويروي أن عالماً من العلماء من رعية السلطان ضربه بالعصا، فصبر على ذلك وتحمله إجلالاً للشريعة وتعظيماً لها».

وكانت رزيئة أخرى ـــ علاوة على ما تقدم ـــ أن «مخدوم الملك» والشيخ عبد النبي، أصبحا عدوين متنازعين، فكان «مخدوم الملك» يرميه بالجهل، فينقسم نتيجة ذلك أتباعهما وحلفاؤهما في معسكرين متحاربين متنابذين، ويقفون وجهاً لوجه.

أسرة الشيخ مبارك الناكوري العلمية

الشيخ خضر بن موسى اليماني (٨٣٤ ـ ٩٥٤هـ)



وعلى ضوء ما تقدم من سيرة «مخدوم الملك» والشيخ عبد النبي ـــ يقرر الندوي ما يلي: «أنهما لم يكونا جديرين بتمثيل الدين الإسلامي تمثيلاً صحيحاً، وخلافة الأنبياء، وأداء رسالتهم في ذلك العصر الدقيق الحرج ـــ عهد الملك أكبر ـــ وفي تلك البيئة المعقدة الخطيرة ـــ بلاط الملك أكبر ـــ لا في العلم والثقافة، ولا في الفهم الصحيح للدين، ولا في هدوء النفس وسمو الاخلاق» وهكذا يتساوى الجلاد والضحية لدى الكاتب الندوي فلا آل المبارك مبرأون من الكفر والضلالة ولا مشايخه جديرون بتمثيل الدين وبهذا يتبّين ان عقدة مركب النقص Inferiority complex ومركب الاستعلاء Superiorty complex اللذان اطلقهما الندوي على آل المبارك جديران به ولائقان على شخصيته المجبولة على معارضة العلماء وظلم ذوي الاصل، ممن لا يرى رأيه.

وهنا ننتقل إلى ندوي آخر ولعله أدهى وأمر وهو (مسعود الندوي) وهو واحد من أعداء اهل البيت المجاهرين ببغض شيعتهم ولا يجد مناسبة في كتابه (الدعوة الاسلامية في الهند) لذكر الشيعة إلاّ ويرعد ويزبد متهدداً متهوراً وهو يرى «دخول الشيعية في الهند مستظلة براية المملكة المسلمة فتنة عمياء وجرحاً على الوحدة الاسلامية أشد وانكى ومن غيرها (كذا) ـــ قال: ومازال يستفحل امرها ويشتد خطبها في العصور التالية حتى أصبحت من اعقد العقد استعصى على الحذاق والدهاة حلها وأعيا تداويها النطاسيين العارفين بأدواء الامة وآلامها» انظر كتابه المذكور ص٥٦، وقد تعمدنا ذكر هذا النص من كلامه ليتبين مقدار حقده على الشيعة ولكونه ايضاً من المحسوبين على النفر المتعصب الذين اتهموا آل المبارك بتأثيرهم على الامبراطور اكبر فانحرف بزعمهم مع أن انهم ما جاءوا إلاّ منقذين للامة من شرور ائمة السوء الذين كانوا يحيطون بأكبر ويشوهون صورة الاسلام لديه اعني من مرّ ذكرهما من رؤوس علماء البلاط الاكبري امثال عبد النبي الكنكوهي ومخدوم الملك الملا عبد الله السلطان بوري، ، فتعال معي وانظر بنفسك ما رأي صاحبهما (مسعود الندوي) في هذين البطلين وأنا انقل اليك كلامه بنصه عن علماء السوء هؤلاء كما سجله في كتابه (ص٦١ وما بعدها) فاقرأ سيرتهم بقلم أحد المحسوبين عليهم ولا تعجب بعد ذلك لو القى هذا الكاتب الافّاك تبعة جرائمهم على اسرة آل المبارك الطاهرة وكان الأحدر أن يشكرها جراء تصحيحها للمسار الخاطئ الذي انقذ عرش المملكةالاسلامية المغولية من بلاء اسلافه من علماء البلاط الافاكين، قال والكلام له من موضع كتابه المذكور.

علماء السوء في عصر (اكبر):

.. ان الملك [أكبر] نشأ على حب الاستطلاع — وكان امياً — فعقد مجلساً سماه بيت العبادة (عبادت خانه) ودعا اليه العلماء من كل طائفة من السنة والشيعة والبراهمة واليهود والنصارى والمجوس. ولما جرى الكلام بين يدي الملك وتجاذبوا حبل الحديث، ظهر له ان علماء المسلمين جامدون على ماورثوه من مشايخهم من مسائل الفروع، متقسمون في ما بينهم لا يكادون يتفقون على شئ.

ولم يكن هذا الخلاف منحصراً في دائرة الفروع، بل وللأسف كانت آراءهم ومذاهبهم متضاربة ومتشعبة في اصول الدين ايضاً. ومما يسيل له القلب حزناً ودماً من أمر علماء السوء اولئك، ان اول نزاعهم بين يدي الملك كان على تبوء المقاعد والدنو من مجلس الملك، كل منهم يود ان يكون من الملك على قاب قوسين او ادنى. ولا يكاد يرضى ان يؤثر غيره عليه.

ولو كان لهم رأي واباء في نفوسهم وشرف في خلقهم، لصبروا على أمر تافه مثل هذا ولما بدوا لمن حولهم ما في نفوسهم من حب الدنيا والانانية. ولما ارتفعت أصواتهم انكشفت سوءات أخلاقهم وعلا صريخهم بين يدي الملك، الذي أمر باخراجهم من مجلسه وجعل يسيء الظن بالدين الذي لا يعرف حملته حتى ولا آداب الجلوس والأخذ بأهداب الكلام. وما ظنك بالذين يقول احدهم — وهو الحاج ابراهيم السرهندي — ان الثياب المصطبغة باللونين الاحمر والاصفر، لا بأس بهما للرجال. ثم يقوم آخر منهم وهو سيد محمد مير عدل[1] — فيرد على الأول وينكر عليه قوله ويشتمه بين يدي الملك شتماً.

وجملة القول ان الشيوخ قد كَفَّر بعضهم بعضا وتبادلوا في ما بينهم الشتائم، فكان من ثمرات تنابزهم وجدالهم في ما بينهم ان الملك بدأ يجنح شيئاً فشيئاً الى عدم التدين بدين الحق وأخذ يركن الى ما كان يلقنه نوّاب الطوائف الاخرى من آرائها ومعتقداتها المتضاربة.

---

(1) مير عدل، معناه رئيس العدل أو حارسه. وكان هذا لقبه الرسمي. ومنصب مير عدل كان عبارة عن رئيس مصلحة الاحتساب الشرعي. وذكر بعض المؤرخين ان مصلحة الاحتساب الشرعي قد فقدت بهاءها واضاعت حسن سمعتها بعد محمد الامروهوي هذا.

ومما غض من شأن الدين وحط من كرامة أهله في عين الملك وحاشيته أعمال علماء السوء المزرية بالدين، ولاسيما رؤساؤهم أمثال عبد النبي الكنكوهي (ت سنة ٩٩٣هـ) ومخدوم الملك الملا عبد الله السلطان بوري (ت سنة ٩٩٠هـ) ومن نحا نحوهما من أقرانهم وأحزابهم.

وعبد النبي هذا كان حفيداً للشيخ العارف عبد القدوس الكنكوهي (ت سنة ٩٤٤ أو ٩٤٥هـ): وكان يعد من كبار العلماء والمحدثين في عصر اكبر. وبلغ من تكريم الملك اياه انه كان يقوم له تجلة واكراماً كلما دخل عليه ويقدم له نعليه اذا اراد الانصراف.

لكن هذا الرجل كان يقرأ الحديث النبوي «الحزم سوء الظن» دائماً بالخاء والراء (بدلاً من الحاء والزاي). لما تولى منصب صدر[1] الصدور، نفخ في أوداجه شيطان الغرور فجعل يتشمخ بأنفه ويتطاول على المساكين الذين كانت وظائفهم وأرزاقهم منوطة بالمصلحة الدينية، ففشت الرشوة وجعل المشايخ والعلماء من أصحاب الاقطاعات والجرايات الشهرية يترددون على باب «صدر الصدور» ويتوددون الى نائبه وخدمه وبوابه بانواع من التزلف والرشوة، حتى اصبحت المصلحة الدينية في عهده[2] عاراً وسبة على المملكة.

وأما ثاني اثنين من كبار مشايخ العصر ــ وهو مخدوم الملك الملا عبد الله السلطان

---

(1) ولما احس الملك بان مصلحة صدر الصدور لا تؤدي وظائفها كما يرجى من مثلها من المصالح الدينية: عقد العزم على التضييق من دائرة نفوذها فبدأ بتعيين ستة صدور في مقاطعات مختلفة لئلا تكون للصدر الواحد الكلمة في جميع البلاد. وذلك سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٦١ م ثم بدأ له بعد البحث والتنقيب ان الاقطاعات والاراضي التي منحت للعلماء كانت اوفر بكثير من حاجاتهم: وان رئيسهم عبد النبي، صدر الصدور هو الذي استبد من دون غيره بقسط عظيم من الاقطاعات وملك من الاراضي ما لم يملكه أحد قبله، فاضطر الى ان يدبر الامر من جديد وجعل الامر تحت حوزته رأساً.

(2) ومن غريب أعاجيب الدهر انه لما ساءت الملك اعماله واغضبه الاعتداء على حقوق الناس نفاه الى مكة المكرمة ثم رجع الى الهند بعد قليل وشاهد ما آل اليه امر الملك من الهزء بالدين فاجترأ ذات يوم على ان يرفع عقيرته بالنكير امامه فلكمه الملك لكمة بيده .. وفي مثل ذلك عبرة لمن اعتبر. قتل بأمره سنة ٩٩٣ وهناك من يرى انه مات قبل لقياه أكبر ــ كما تقدم.

بوري، فقد بلغ الغاية في حب المال واكتناز الذهب وادخاره وتجاوز الحد في تحريف الدين وتلفيق الاباطيل، وان تعجب، فعجب أنه أفتى بسقوط فريضة الحج[1] لئلا يتقول الناس ان مخدوم الملك لم يتشرّف بزيارة بيت الله الحرام على ما به من نعيم الدنيا والاموال الطائلة، وأدهى من ذلك وأمرّ انه كان يهب أمواله لزوجه قبل تمام الحول وكانت هي تهبه تلك الاموال نفسها من جديد بعد مضي ستة أشهر. فراراً من أداء الزكاة، كأنه أراد بحيله الملعونة ان يخدع الله ورسوله، وهيهات ان ينال بغيته (وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون) (البقرة: ١٠) ولما توفي مخدوم الملك سنة ٩٩٠هـ في أحمد آباد أمر الملك بداره في لاهور فحفظت وعين رجلاً خاصاً للتحقيق في أمر خزائنه وكنوزه، فانكشف التنقيب عن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة مما ينوء بحمله العصبة أولوا القوة.

ومما عثروا عليه من ذخائر كنوزه قبور مزورة اصطنعها لامواله وأودعها صناديق مملوءة بالذهب الخالص لئلا تصل اليه أيدي الناس. ولا يجترئ أحد على نبشها، ظناً بأنها قبور للأموات من أهل بيته وأسرته.

ومن سيآت هذين «العلمين» من اعلام عصر اكبر انهما ما زالا يتنازعان في ما بينهما ويتجادلان بالرسائل والفتوى، فربما يفتي احدهما بان الصلاة لا تجوز خلف خصمه، ثم يأتي الآخر بحيلة أخرى مثلها ويعارضه بها. ولذلك كان يدور بينهما الجدال والنزاع. يأتي هذا في الوقت الذي كان اكبر يرى فيهما أنهما أرسخ علماً وأطول باعاً من الغزالي (المتوفى ٥٠٥هـ) والرازي (المتوفى ٦٠٦هـ).

فلما رأى من أعمالهم وصنيعهم بأخوانهم وتنازعهم في ما بينهم ما رأى، جعل يشك في ما يروى من حسن سيرة من تقدم من اعلام علماء الاسلام والأئمة المعروفين بالصدق والنـزاهة واباء النفس.

---

(١) ومـن صنع الله في خلقه ان لا يمضي يوم الا وقد اتى من العجائب ما يدهش له الناس ومنها ان الملك أكبر لما ساء ظـنا بعبد النبي ومخدوم الملك نفاهما معاً الى مكة المكرمة ليأمن الناس شرهما لكنهما ظلا يتنازعان في الطريق وفي الحرم الشريف وما استطاعا أن يمكثا بها أكثر من ثلاث سنين فرجعا معاً الى الهند فذاقا وبال أمرهما فبس ما عادوا اليه بعد النفي الذي يسر لهما التوبة والرجوع الى الله العزيز الغفار.

والذي كتبناه عن ذينك الشخصين الكبيرين يصح في أتباعهم ومعاصريهم ممن كانوا يترددون على باب الملك ويختلفون الى مجالسه.

وان شئت ان أضرب لك مثلاً، فدونك الحاج ابراهيم السرهندي «صدر» مقاطعة كجرات، أخذ بالارتشاء وعزل عن وظيفته. وكذلك «القاضي» جلال الدين الملتاني زور مرسوماً ملكياً ليكتسب به نصف مليون «تنكة»[1].

قد قلنا آنفاً أن علماء السوء في عصر أكبر، هم الذين عليهم جل تبعة ضلالته وتنكبه عن محجة الحنيفية السمحاء. وهذا مما اتفق عليه الجميع.

والأمر اشهر من نار على علم. وهاك ما يقوله بهذا الصدد الشيخ أحمد السرهندي (٩٧١ ــ ١٠٣٤هــ): رأى أحد من يعز علينا في مايرى النائم ان الشيطان الملعون جالس بهدوء وسكينة، لا همٌّ له في تضليل الناس وغوايتهم، فاستفسره الأخ ــ الآنف الذكر ــ عن ذلك. فقال ــ لعنه الله ــ ان علماء السوء في هذا العصر أنفسهم قائمون بهذه المهمة دوننا، فنحن اليوم في غنى عن السعي فيها.

ومما لامجال فيه للشك ان كل ما وقع من المداهنة والتخاذل في الاحكام الشرعية في هذا الزمان وما ظهر من الفساد والوهن، انما يرجع سببه الى «علماء السوء» الذين هم لصوص الدين وشر من تحت أديم السماء ــ اولئك حزب الشيطان، الا ان حزب الشيطان «هم الخاسرون».

وذكر الاميني أنه بسبب تشيع المترجم له فقد كان ينافره المتعصبون ممن لم يكونوا على مذهبه لكنه كان يدعو الملك الى جمع الكلمة وتوحيد صفوف المسلمين فكان من ذلك لمذهب أهل البيت عليهم السلام تقدّم ظاهر وقصرت عنه عادية المرجفين قال: وقد نشأ نشأة راقية، وحوى علوماً جمة على غضاضة من شبيبته وأخذ العلم عن أبيه فكان يؤلف له مختصرات في العلوم ويلقنها إياه وقد افرغ هو وسعه للتعلم فحسب حتى نال من

---

[1] عملة من الذهب والفضة كليهما. كانت رائجة بهذا الاسم في عصر ملوك المسلمين بالهند. واول من أجراها محمود الغزنوي (ت ٤٢١هــ)، ثم تغير اسمها في عصر أكبر وسمي " مهر ". (دائرة المعارف الاسلامية: مقالة tanka الطبعة الانكليزية).

العلم مقامه الشامخ، وتسنم ذروته المنيعة، وحصل على جاه عريض عند العامة وخصوص الملك بعد أن عاثت في المملكة ايدي الدجالين، وعبث بها سماسرة الأهواء لما خلى لهم الجوّ، على حين أن الملك المذكور تمكن من عرش الملك على غرة منه وميل مع سكرة الشباب، ولهنية العيش، فعمل القوم ما شاء لهم الهوى، وحدتهم اليه الشهوات، وبدت الضغاين، واريقت دماء زكية، وهتكت الحرمات، وشاعت الفتاوى المنكرة، لكن «المترجم» تمكن بحكمته العملية وزلفته الى السلطان من كبح جماح القوم وكلائه النفوس المحترمة وتفريق المفسدين الى بلاد شاسعة وحرية المذهب غير أن المراجل كانت تغلي عليه والقوم يرتطمون في حقدهم وغلوائهم حتى قتله على التشيع (راجه نر سنكه ديو) بامر من (الامير) جهانكير في غرة ربيع الأول سنة ١٠١١ بين قصبة (انترى) ومحل القاتل المذكور خرج عليه مع لفيفه مناجزين له فثبت لهم الشيخ واحتدم النضال حتى استشهد رحمه الله بطعن الرمح وقتل معه رفاقه وقطع القاتل رأس الشهيد وأخذه الى (الأمير) في (اله باس) فجزع له السلطان غاية الجزع ولطم وجهه وحكم باعدام القاتل وقتل ذويه وهدم دوره وعقاره.

وجاء في مجلة (الحقايق) الهندية ما ملخص معناه: انه الوزير الاعظم في القارة الهندية على عهد السلطان اكبر شاه قد احيا بغزارة فهمه آلافاً من الشيعة الهندية وهداهم الى الصراط المستقيم وقد اشتبه امره على جمع وبهتوه بما هو براء منه من التصوف وغيره ويستفاد من تآليفه القيمة أنه كان رجلا دينيا روحيا من الفرقه الناجية الاثني عشرية وكان ينعقد في ليالي الجمعة بمحضر الملك المذكور نادى المناظرة في المذاهب يجتمع فيه علماؤها وزعماء الملل المختلفة ويقيم كل منهم براهين وادلة على صحة مذهبه بزعمه وكان لشيخنا المترجم واخيه الشيخ فيضى قصب السبق في المناظرة وقد كتب المؤرخون جملة من تلك المناظرات ومن شدة عمله بالتقية توهّم بعض انه ليس بامامي كما صرّح به شمس العلماء مولانا محمد حسين المعروف بـــ (آزاد) في كتابه (دربار اكبري) ص ٤٩١ ونص على ما يرمي به المترجم في مذهبه بعيد عن ساحته ولا يقتضيه غزارة علمه ويدل على صحة مذهبه ما كتبه الى (خان خانان) في طريق تعليمه ابنه (ايرج) العلوم الدينية، وروى البعض قصة استشهاده بانها كانت بأمر سليم (الذي عرف بجهان كير فيما بعد) ابن

الامبراطور اكبر، وكان سليم هذا مطروداً من أبيه بعد ثورته ضده في «اله آباد» فجاء اليه سليم بعد ذلك معتذراً وصفح عنه اكبر وفي ذلك الوقت رجع ابو الفضل من الدكن وكان مستشاراً للامير دانيال ابن اكبر ولما كانت بين ابي الفضل وسليم جفوة فخشي ان يحرض أباه عليه فأشار الى أحد اتباعه المسمى (راجا رام) والي (بندهيل كهند) أن يقتله قبل ان يصل فقتله سنة ١٠١١هـ ـــ ١٦٠٢ م فغضب اكبر وحزن كثيراً، وانتقم من القاتل شر انتقام.

وفي النُزهة قتله راجه نرسنكه ديو أحد مرازبة اندجه بأمر جهانكير بن أكبر شاه حين مراجعته من أرض الدكن في غرة ربيع الأول سنة إحدى عشرة وألف في أيام جلال الدين أكبر. فتأسف السلطان بموته تأسفا شديداً وبكى عليه، وفي تكملة أكبر نامه لعناية الله (مجموعة اليوت وداوس ج٦ (ص١٠٦، ١٠٧، ١١٣) تفاصيل عن مقتله وعن مبلغ الحزن الذي استبدَّ بالإمبراطور أكبر حين علم بمقتل وزيره وصديقه وشيخه أبي الفضل حتى اعتزل الناس أياماً عدة، ليصرّح من بعد ذلك بأنه ودَّ لو كان هو المقتول مكانه، فنوابغ العلماء على حد قوله لا يجود بهم الزمان إلا في القليل النادر بخلاف الملوك إن صلحوا.

وأرخ لوفاته كثير من الناس، فمنهم الأمير الكبير عزيز الدين محمد الخان الأعظم، أرخ لوفاته من قوله:

«تيغ اعجاز نبي الله سر باغى بريد».

وفي مطلع انوار: انه قتل في بلدة كواليار في طريقه الى جهان كير ودفن في (انترى). وفي شهداء الفضيلة أن بين سليم والمترجم له عداوة سابقة وقتله على التشيع ومن ذلك أنه: دخل (سليم) يوما من الأيام دار الشيخ المترجم على حين غفلة منه فرأى اربعين كاتباً يستنسخون تفاسير القرآن المجيد فشبت فيه نار الغضب وامر بالكتاب وآلات كتابتهم أن تحضر عند الملك وشكي المترجم للسلطان واخبره بالقضية واعلمه ان الشيخ ابا الفضل يكتم خلاف ما يظهره ويبرز عندنا ما لا يوافق مذهبه وعقيدته، قال: وهذه القضية ايضاً مما يدل على صحة مذهبه.

وقد نشر رحالة هولندي يُدعى دي لايت De Laeat عاصر هذا الحادث بالهند تفصيلاً له ذكره الأستاذ E. Lethbride في Fragments of Indian Hist, calacatta review 1973.

ومن مصنفاته المشهورة:

١- «ائين اكبرى» وهو كتاب عجيب لا يكاد يوجد مثله كتاب في كتب الأخبار، ذكر فيه نظام السلطنة وآدابها في الأمور المالية والملكية، وبيان اقطاع الهند وما يختص بها من الحرث والنسل وغير ذلك، وذكر فيه أمورا من عادات الهنود والبراهمة في تقسيم الأزمنة والساعات، وضبط التواريخ والأوقات، واعتقاداتهم في ابتداء خلق الفلكيات والعنصريات من تقادم عهده إلى ما ينتهي من بعده (مطبوع) وسيأتي عرض شامل لهذا الكتاب النفيس كتبه الدكتور أحمد محمود الساداتي. اعتماداً على القسم الثاني منه، في نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية.

٢- ومن مصنفاته المشهورة «أكبر نامه» وهو أيضا كتاب كبير ذكر فيه أخبار ملوك الهند من أولاد تيمور كوركان إلى عهد جلال الدين أكبر، وقد خلط بينها الجلبي في كشف الظنون فذكر «آئين اكبرى» ووصفه بما يوصف به أكبر نامه والآئين وكلاهما (مطبوع).

٣- دفتر ابو الفضل وهو (مجموع الرسائل والمكاتيب) جمعها ابن اخته عبد الصمد بن أفضل محمد التميمي الأكبر آبادي في ثلاثة أجزاء، وهي متداولة في أيدي الناس يدرسونها في المدارس.

٤- ترجمة حياة الحيوان الكبرى للدميرى، ترجمه بالفارسية سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة بأمر السلطان، وقال البدايونى في المنتخب إن هذه الترجمة لوالده المبارك عزاها إلى ابنه.

٥- ترجمة الإنجيل بالفارسية ترجمه نحو ست وثمانين وتسعمائة بأمر السلطان.

٦- عيار دانش وهو ترجمة كليلة ودمنة بالفارسية الشائعة في ذلك العصر، نقله من الفارسية القديمة بأمر السلطان سنة ٩٩٦ (مطبوع).

٧- ديباجه رزم نامه ـــ ترجمة ملحمة المها بهاراتا الهندوسية الى الفارسية مع مقدمة (سنة ٩٩٥هـــ).

٨- رقعات ابو الفضل، مرتبه نور الدين محمد (مطبوعة).

٩- مناجات (أشعار فارسية سنة ٩٩٣) مطبوعة.

١٠- مكاتبات علامي.

آيين أكبري:

من آثار أبي الفضل الأدبية التي بقيت لنا حتى اليوم كتاب «عيار دانش» وهو ترجمة بالفارسية الإسلامية رصينة الأسلوب لكتاب كليلة ودمنة عن الفارسية الدرية التي كان قد نقل بها هذا الكتاب عن العربية أبو المعالي نصر الله في القرت السادس الهجري، ثم مجموعة من رسائله البليغة تشتهر باسم «مخاطبات علامي ورقعات شيخ أبي الفضل». هذا فضلاً عن مشاركته في تأليف «تاريخ ألفى» عن وقائع التاريخ في الألف سنة الأولى من الهجرة، وإشرافه على نقل بعض الكتب السنسكريتية إلى الفارسية، لسان الثقافة في الهندستان لوقته، على ما نشير إليه في النموذج الأول بالصفحات التالية.

على أن أعظم أعماله الأدبية التي أذاعت من شهرته هي مجموعته الموسومة بأكبر نامه. وهي تنقسم إلى قسمين رئيسيين: فالقسم الأول منها تناول المؤلف فيه تاريخ أسرة تيمور منذ أول ظهورها على مسرح التاريخ ثم تأسيس الأمير التيموري ظهير الدين محمد بابر، جد أكبر، للدولة المغولية بالهند، وعهد ابنه همايون، وحكم أسرة شيرشاه سوري. حتى إذا ما وصل إلى عهد سلطانه أكبر خصه بالقسم الأكبر من كتابه وفصل فيه الحديث عن ستة وأربعين عاماً من حكمه. ويقع هذا كله في ٣٨٦ ورقة (أي ٧٧٢ صفحة)[1].

أما القسم الثاني من هذه المجموعة فهو الموسوم بآيين أكبري، وهو كتاب قائم بذاته، ويقع في مجلدين بالأول ٢١٧ ورقة وبالثاني ٢٧٢ ورقة (أي ٩٧٨ صفحة معاً)[2].

ويعد آيين أكبري هذا من أعظم ما كتب مؤرخو الهند المسلمين على الإطلاق. ولئن

---

(١) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨-م تاريخ فارسي.

(٢) وهو مخطوط في مجلدين بدار الكتب برقم ٥٠ تاريخ فارسي وهو المرجح في هذا العرض.

كان هذا الكتاب لا يعد في الواقع تاريخاً بالمعنى العام، فهو يعطينا على كل حال صورة مفصلة واحدة لنظم حكومة أكبر ومجتمع بلاده إذ ذاك. والآيين اصطلاحاً، هو العادات والعرف والتقاليد والشرائع والنظم، وهذا كله هو ما قصد به أبو الفضل من وراء تأليف كتابه هذا.

ويقع هذا الكتاب في خمسة أجزاء.

ويبدأ أبو الفضل في مقدمته هذه بشرح كلمة الملك وواجباته. فيقول في تفسير كلمة شاه، أي ملك، أن المقصود بها أصلاً التفوق على الأقران، ويبين أن هناك فارقاً كبيراً بين الحاكم الجدير بالملك الخادم لأمته والحاكم الذي لا هم له إلا إشباع غرائزه وشهواته. فهو حين لا يتعلق بأسباب القوة والجاه والثراء بقدر ما يجعل شغله الشاغل هو القضاء على الظلم مع إحقاق الحق في كل شيء على أكمل وجه، ينتج على صنيعه هذا إشاعة الأمن في الناس وإقرار العدل بينهم وذيوع الفضائل عندهم وتمكن الإخلاص من نفوسهم. في حين يؤدي تعلقه بمظاهر السلطان والتفاته إلى أغراضه الخاصة ومآربه فحسب إلى إشاعة الفتنة في الناس وانتشار الظلم بينهم وتسرب الخيانة إلى نفوسهم وانعدام الولاء عندهم.

ويرى من بعد ذلك أن الحاكم العادل لا بد وأن تتوفر فيه صفات أربع:

الأولى: أن يحب رعاياه كما يحب أبناءه، وبذلك يجد الناس الطمأنينة والراحة في عهده، ويستطيع هو بدوره أن يصل بحكمته إلى تحقيق أهدافه.

والثانية: أن يكون صاحب قلب كبير، رحب الصدر، يغلب عليه الحلم، شجاعاً لا يخشى في الحق لومة لائم، فلا يحابي مخطئاً لحسبه أو نسبه، ولا يمل الاستماع إلى شكاوى الخلق أو يتوانى عن تحقيق أمانيهم.

والثالثة: أن يكون على صلة وثيقة بربه يزداد اعتقاده فيه يوماً عن يوم ويوقن يقيناً قوياً بمشيئته في إبرام الأمور وقضائها وأنه هو الفعال لما يريد.

والرابعة: أن يواظب على تأدية الفروض والعبادات لا تلهيه عنها مفاتن الحياة أو تصرفه تصاريف الزمان وغيره عن ذكر الله، ويسعى على الدوام إلى ما فيه صلاح الناس ورضاء الله، ولا يتوانى عن إنصاف المظلوم.

وهو من بعد ذلك يسلك الناس في طبقات أربع كذلك:

الطبقة الأولى: هم رجال الجندية، ولهم في الكيان السياسي طبيعة النار التي تحرق ما تزرعه الفتنة من الخبث، وتضيء كذلك مصابيح الطمأنينة في هذا العالم المضطرب.

أما الطبقة الثانية فهم أصحاب الحرف والتجار، وهم بمثابة الهواء، فبفضل أسفارهم وجهودهم تعم الناس نعم الله وتزدهر شجرة الحياة الموردة بنفحات الرضا والسادة.

أما الطبقة الثالثة فهم العلماء، وفيهم الفلاسفة والأطباء والمشتغلون بالرياضيات والفلك، وهم بمثابة الماء. فبما تجري به أقلامهم وما ينطقون به من الحكمة يفيض نهر الحياة في هذه الدنيا القاحلة وينتعش بستان الخليقة أيما انتعاش.

والطبقة الرابعة هم الزراع والعمال، وهم بمثابة الثرى، فبكدّهم وجدّهم تنمو شجرة الحياة وتشيع القوة والسعادة في الناس.

لذلك وجب على الحاكم أن يضع كل واحد من هؤلاء جميعاً في مكانه اللائق به، ففي تنسيق جهود هؤلاء جميعاً معاً صلاح الدنيا وتقدمها.

ولما كان الكيان السياسي لا يستمد وجوده عنده من هذه الطبقات الأربع وحدها فهو يرى لذلك أن الحكم بدوره لا يستكمل مقوماته إلا إذا ارتكز كذلك على طوائف أربع:

الطائفة الأولى: هم رجال الدولة، وبثقة السلطان فيهم واعتماده عليهم تسير الأمور على أحسن وجه، وهم الذين يبيعون أرواحهم في حومة الوغى بيع السماح. وعلى رأس هؤلاء الوكيل (كبير الوزراء) وهو نائب السلطان في إدارة شؤون الدولة. ومثل هذا الرئيس يجب أن يكون ممن حنكتهم التجارب يتسم بالحزم والحكمة وسعة الأفق، ميالاً إلى السلام، يعامل الناس جميعاً على قدم المساواة سواء في ذك خصومه منهم أو أصدقاؤه، لا يلق القول على عواهنه، متمرساً بواجباته، أميناً على أسرار بلاده، يرى أن واجبه قضاء حقوق الناس، ويبذل لهم البشاشة والاحترام ما وسعه ذلك حتى يكتسب محبتهم جميعاً.

وإلى جانب الوكيل يذكر أبو الفضل طائفة من كبار موظفي الدولة وهم بمثابة خاصة

السلطان، كحامل الأختام وعارض الشكاوى ومدير المراسم، وما ينبغي أن يتوفر فيهم من الكفاية وحميد الخصال.

أما الطائفة الثانية: فقد جعل أبو الفضل على رأسها الوزير ويعرف بالديوان. وهو نائب السلطان في شؤون الملك، ويشترط فيه أن يكون قديراً في الحساب مقتصداً من غير بخل، صادقاً غيوراً في عمله.

ويسلك معه أبو الفضل جملة من كبار عمال الدولة كالمستوفي والخازن والمشرف على مصانع الدولة(١).

ومدير الشؤون المالية للجند وكبير الكتاب.

وأما الطائفة الثالثة فهم خاصة السلطان. وهم يزينون البلاط بأنوار حكمتهم وغزير علمهم مع معرفتهم المكينة بطبائع البشر فضلاً عما جبلوا عليه من الصراحة والأدب الجم. وبهم تشرح صدور البشر وتزدهر الحياة. فإذا كانوا على غير ما ذكرنا من الصفات امتلأت الدنيا بالشرور واجتاحتها المصائب وعمها الخراب.

وعلى رأس هذه الطائفة يقف الفلاسفة الذين ترتقي بحكمتهم ومُثلهم نواميس الأمة الأخلاقية. وتضم هذه الطائفة الصدر (المفتي) وأمير العدل، وهو المنوط به تنفيذ الأحكام، ثم القاضي، وهو المنوط به سماع الدعاوى.

وأما الطائفة الرابعة فهم خدم السلطان، وهم إذا أحسنوا الخدمة كانوا بمثابة ماء الحياة للبدن، وإلا كانوا آفة وبلاء ومصدراً لكدر العيش.

وهو بعد إذ يصرح أن هؤلاء جميعاً إنما يستلهمون في أعمالهم ما أوتي سلطانهم من الحكمة ورجحان العقل وعلو الهمة، يعلن أن يُخرج للناس على ذلك كتابه هذا وفيه يحاول أن يسجل فعاله العظيمة ومآثره العجيبة التي تنبئ عن عظمته كسلطان.

والقسم الأول من كتابه، ويشتمل على تسعين آيناً، يتحدث فيه عن بلاط السلطان وخاصته، فيذكر لنا ما عند البادشاه من أموال وكنوز وجواهر كريمة، وما يجري ضربه في

---

(١) يذكر كثير من المؤرخين أنه كان عند أكبر أكثر من مئة مصنع ضخم للنسوج والصباغة والأسلحة.

دار المسكوكات من العملات الذهبية والفضية والنحاسية، ومعايير كل نوع منها، وطبيعة المعادن التي تستخدم فيها. كذلك يتحدث عن حريم السلطان ومضاربه وأختامه ومراسيم الخدمة في البلاط، ليذكر لنا بعد ذك ثبتاً طويلاً يبين فيه أنواع المحصولات المختلفة ومواسمها وأسعارها والعطور وطرق استخراجها، ومصانع النسيج من الحرير والقطن والصوف ومبلغ اهتمام البادشاه بتقدم العمل فيها. ثم يشير من بعد ذلك إلى الأيام التي كانت كثيرة. كما يكتب كتابة خبير كذلك عن الألوان وطرائق تركيبها ومزجها، ليفرد بعد ذلك في كتابه باباً طريفاً ممتعاً يتحدث فيه عن الخطوط وتاريخها، مع الإشارة إلى كبار الخطاطين، وحركة التأليف والترجمة بالبلاط. ويختم هذا الفصل بالكلام عن فن التصوير وندواته التي كان يعقدها السلطان بالبلاط مع ذكر كبار النقاشين في عصره ورأى البادشاه القيم في هذا الفن. ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان مختلف الأسلحة التي يستخدمها الجيش وصنوف دوابه، ومنه الفيلة والجمال والخيول، وفصائلها وأنواع علفها وطرق العناية بها. كما يتحدث عن مبادئ المذهب الإلهي الذي ابتكره أكبر ومراسم التحية فيه، ويختم هذا القسم من الكتاب بذكر مواد البناء وأسعارها وأجور العمال المشتغلين بها.

وفي القسم الثاني من الكتاب، ويشتمل على ٣٠ آيناً، يتحدث أبو الفضل عن أقسام الجيش وقواته وقادته ونظمه وطرائق تدريبه، ثم يذكر لنا من بعد ذلك ما يقوم به الكتاب من أعمال في الدولة، والنظام الذي يقوم عليه توزيع الصدقات، لينتقل من بعد ذلك إلى وصف حفلات الأعياد ومنها الاحتفال بوزن السلطان والأمراء وأبنائه وأحفاده. ويجري هذا الاحتفال مرتين في العام يوزن الواحد منهم عدة مرات في كل دورة بما يعادل ثقله من الذهب أو الفضة أو المعادن الأخرى والحبوب والأقمشة ويبذلك ذلك كله للفقراء صدقة. وهذا التقليد تمارسه اليوم معدلاً طائفة الإسماعيلية بإزاء زعيمهم.

كما يتحدث كذلك عن نظم التعليم، ويفرد باباً يصف فيه حفلات الصيد وطعام الوحوش والحيوانات البرية، وفنون الرياضة التي كانت تمارس في عهده ومنها لعبة «جوكان» التي كانت تنتشر في الهند انتشاراً واسعاً، وقد طورها الأوروبيون عندهم فيما

بعد فكانت الهوكي أو البولو. ولا يزال أبناء شبه القارة الهندية من باكستانيين، وهنود هم أبطالها في العالم حتى اليوم.

ويبدأ القسم الثالث: وهو يشمل على ١٦ آييناً، ببيان التقاويم المختلفة منذ عرفها البشر حتى اليوم، ومنها التقويم القبطي والتقويم الروماني والتقويم المسيحي وتقويم يزدجرد والتقويم الجلالي الذي وضعه عمر الخيام لملكشاه السلجوقي والتقويم الإلهي الأكبري ويقارن بعضها ببعض. ثم يذكر من بعد ذلك أصحاب المناصب الكبرى في الدولة ومنهم القواد وأمراء العدل والقضاة وعمال المكوس وخزنة بيت المال ورؤوساء الشرطة ويفصل في ذلك ما يضطلع به كل واحد منهم من أعمال، لينتقل من بعد ذلك إلى الكلام عن إمارات الدولة وولايتها وهي اثنتا عشرة: البنغال ومعها أوريسة ثم بهار والله آباد وأوده وآكرا ومالوه ودانداش (خاندش) وبدار والكجرات وآجمير ودهلي ولاهور بالإضافة إلى إقليمي كابل وكشمير. وهو يذكر لنا في ذلك الأقسام الإدارية لكل ولاية ومساحتها، كما يصف موقعها الجغرافي، وما يجري فيها من روافد وأنهار، وما بها من المدن والحصون والقلاع، وما تغله من الحاصلات، وما يحصل منها من أموال الخراج، وما بها من قوات حربية من الفرسان والمشاة، ويقدم ذلك كله بمجمل يذكر فيه تاريخ كل ولاية من هذه الولايات منذ أقدم عصورها حتى وقت تأليف كتابه.

أما القسم الرابع: فيستهله بدراسة الفضاء والأفلاك والبروج السماوية ومواقعها والنجوم والكواكب ومسالكها. ثم يذكر من بعد ذلك أقسام العالم السبعة وما يقع بكل قسم منها من الأقاليم والبلدان مع الإشارة إلى عروق السكان والأجناس في تلك المناطق جميعاً. وينتقل من بعد ذلك إلى الحديث عن الفلسفة الهندية فيذكر لنا أن بالهند ستين وثلاثمئة من المناهج الفلسفية المختلفة، وأنه قد وقف على ذلك من أفواه رجال مختلف مدارس الهند الفلسفية وبطون كتبهم، وحصر تلك المدارس الفلسفية في تسع، ثمان منها تؤمن بالبعث والنشور والتاسعة تنكر وجود خالق للكون ولا تعترف ببداية الخليقة أو نهايتها. وهو لا يكتفي بالإشارة إلى ذلك كله حتى يتحدث عن مؤسسي تلك المدارس وطرائقها في البحث ومبادئها ومعتقداتها ويقارن بينها وبين ما عند غيرها عن الأمم الأخرى كاليونان وفارس. ويعقد من بعد ذلك فصلاً يتحدث فيه عن الآلات الموسيقية

على اختلاف أنواعها، ليفضي إلينا من بعد ذلك بمجمل يذكر فيه من وفد إلى أرض الهند من مشاهير الأعلام والغزاة مبتدئاً بقصة نزول آدم في جزيرة الياقوت (سيلان) ومن ورد ذكرهم كذلك في أساطير الهند من الأبطال، إلى أن ينتهي بذكر الغزاة المسلمين وأولهم محمد بن القاسم الثقفي ثم الغزنويين والغوريين من بعده حتى دخول تيمور الهند وقدوم بابر، جد السلطان أكبر إليها، ويختم هذا القسم بذكر الأولياء الذين عاشوا في الهند والطرق الصوفية التي عرفتها تلك البلاد ويعدها أربع عشرة طريقة.

أما القسم الخامس من الكتاب فهو صفحات قليلة ضمنها أبو الفضل مأثور أقوال السلطان أكبر هي وحكماً كثيرة ينسبها إليه.

ويضم الكتاب جداول بيانية كثيرة وخرائط تخطط مضارب السلطان وما بها من طرقات ودروب وما يقوم بها من أسواق. ويزين المخطوط، الذي اعتمدنا عليه في هذا العرض، بمجموعة كبيرة من اللوحات الفنية الدقيقة المذهبة تحوي أشكال الأسلحة المختلفة والدروع والرايات والبنود فضلاً عن صور السروج الفاخرة والآلات الموسيقية والطبول العسكرية. ومنها ما يعرض علينا كذلك صوراً لدور الصناعة إذ ذاك وحفلات الاستقبال والمباريات الرياضية المختلفة.

وقد نقل بعض المستشرقين أجزاء من هذا السفر الضخم إلى لغاتهم. والترجمة الوحيدة الكاملة التي ظهرت له هي التي بدأها المستشرق الإنجليزي H. Blochmann وأكملها H. S. Jarrett وظهرت بكلكتا عامي ١٨٧٣ و١٨٩١م في مجلدين ضخمين يضمان ألفاً وسبعمئة واثنتين وخمسين من الصفحات، وقد ألحق بها مجموعة من الصور تمثل جانباً كبيراً من لوحات المخطوط.

وما يعيب أبا الفضل في كتابه هذا هو أنه يجعل البادشاه محور حديثه على الدوام، فكل ما يجري في الدولة عنده هو رهن مشيئته، وكل ما ينتهي إليه من نتائج وفعال هي جميعاً مستمدة منه. على أن هذا لا يقلل بطبيعة الحال من قيمة ما كتب ولا يبخس من شأن تلك المعلومات المفصلة الدقيقة التي ذكرها لنا عن نظم الدولة الإسلامية الهندية وطرق حكم تلك البلاد المترامية الأطراف، وما بها من مصادر الثروة ومختلف الصناعات،

وما لأهلها من معتقدات وتقاليد، وما اشتغلوا ويشتغلون به من مختلف صنوف المعرفة. كتب ذلك كله في أسلوب يعد من أمثله النثر الفارسي بالهند وينم عن علم واسع غزيز وجلد في الدرس والبحث مكين شديد.

المصادر:

ــ مطلع انوار / ٦٠-٦٢، ترجمة مآثر الامرار ٢/ ٦١١.

ــ دربار اكبري / ٥٧٠، نكارستان فارس ١٣٤، منتخب التواريخ ٢/ ٢٠٢ –٢٠٥.

ــ شهداء الفضيلة ٢٠٩ ــ ٢١٢، السر هندي / ٨٢ وما بعدها.

ــ نزهه ٥/ ٣٦ ــ ٣٨ رقم ٤٨، اعيان ٢/ ٣٩٩ –٤٠٢.

ــ طبقات اعلام الشيعة القرن ١١هــ ص ٤٤١. نامهء دانشوران ٢/ ٦٣٩ ــ ٦٦٢، مجلة الحقائق (الهند سنة ١٣٥٣هــ)، سير المتأخرين للطباطبائي. كتاب تراث الإنسانية (مقال للدكتور أحمد الساداتي).

أبو المكارم بن المبارك الناكورى

(ولد ٩٧٦هـ - ١٥٦٨م)

الشيخ الفاضل الكبير أبو المكارم بن المبارك الناكورى، أحد العلماء المبرزين في المنطق والحكمة، ولد في الثالث والعشرين من شوال سنة ست وسبعين وتسعمائة، وقرأ أكثر الكتب الدرسية على والده وبعضها على الشيخ فتح الله بن شكر الله الشيرازي الأستاذ المشهور، كما في «آئين أكبرى».

ــ نزهه ٥ / رقم ٥٨.

عبد الرحمن بن ابي الفضل بن المبارك

(٩٧٩ ـ ١٠٢٢هـ/١٥٧١-١٦١٣م)

الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن أبي الفضل بن المبارك الناكورى سماه جده الشيخ مبارك، احد العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، ولد لأثنتى عشرة خلون من شعبان سنة

تسع وسبعين وتسعمائة، وقرأ العلم ولازم أباه، وخدم الدولة مدة حياته قام مقام والده الشهيد ١٠١١هـ وولد له ابن سنة ٩٩٩ سمّاه بشوتن. لقبه جهانكير بن أكبر شاه التيموري بأفضل خان، وولاه على إيالة بهار وأقطعه كوركهبور، فصار صاحب العدة والعدد، ومات في سنة اثنتين وعشرين وألف.

ـ نزهه / ٢٢٠ رقم ٣٣٢. طبقات أعلام الشيعة ٦ / ٣١٧.

أبو تراب بن المبارك

(ولد ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م)

الشيخ العلامة ابو تراب بن الشيخ مبارك بن خضر المولود سنة ٩٨٨هـ، ترجمه اخوه ابو الفضل في تاريخ اكبرى.

ـ طبقات اعلام الشيعه ٦ / ٩٢ (القرن ١١).

عبد الله بن علي الشيرازي

(القرن ١٠هـ)

عبد الله بن علي الشيرازي صفي الدين عين الملك، كان من العلماء المبرزين في الصناعة الطبية، أخذ عن والده الحكيم عين الملك وتفنن عليه بالفضائل، وتزوج باخت الشيخ أبي الفيض بن المبارك الناكورى وكان له ولد تسمى بمحمد.

نور الدين محمد بن عبد الله الشيرازي

(ت بعد ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م)

الشيخ الفاضل نور الدين محمد بن عبد الله بن علي الشيرازي الحكيم عين الملك، كان ابن أخت الشيخ أبي الفيض بن المبارك الناكورى، ولد ونشأ بأرض الهند، وقرأ العلم على خاله ابي الخير بن المبارك وعلى غيره من العلماء. ثم تقرب الى شاه جهان بن جهانكير

الدهلوى فلقبه بعين الملك. له ألفاظ الأدوية في المفردات ــ صنفه في ايام السلطان المذكور سنة ثمان وثلاثين وألف، وله طب دار شكوهي ــ صنفه لدار شكوه بن شاهجهان، وله لطيفة فيضى ــ جمع فيه رسائل أخواله الشيخ أبي الفيض وأبي الفضل وأبي الخير، صنفه سنة خمس وثلاثين وألف.





جهان كير نور الدين محمد سليم
(٩٧٧ - ١٠٣٦هـ/ ١٥٧٠ - ١٦٢٧م)

هو الامبراطور نور الدين محمد سليم الملقب بـ جهان كير ولد يوم الاربعاء ٢٣ ربيع الأول بأكبر آباد، وامه من الراجبوت وهي بنت الراجا بهارط امل كحلاهي راجا جيبور ـ ولقد لقبت فيما بعد باسم (مريم الزماني) وكان اسمه سليم سماه به والده على اسم الشيخ سليم بن بهاء الدين السيكروي، لأن الشيخ بشّر به والده قبل ولادته ودعا له، فلما استقل بالملك يوم الخميس ١٤ جمادى الأولى سنة (١٠١٤هـ ـ ١٦٠٥م) لقب نفسه نور الدين محمد جهان كير وكان له من العمر ٣٦ سنة وفي بداية حكمه ثبّت رجال القصر في مراكزهم ليكسب ثقتهم واخلاصهم، ثم توجّه للقضاء على تمرد ولده خسرو سلطان[1] الذي كان قد اعلن العصيان في لاهور مع جيش يزيد على اثني عشر الف رجل، فارسل جهان كير اليه من القى عليه القبض وفرق الجموع من حوله، وأُتي بولده الى آكره فسجن بها حتى وفاته سنة ١٦٢١م وفي راجستهان كان الراجا ران سنك متمرداً ايضاً فارسل اليه جيشاً بقيادة مهابت خان فلم يوفق الى كبح جماح هذا المتمرد، فاردفه بجيش آخر أو كل قيادته لولده خرم وذلك سنة ١٠٢٣هـ ـ ١٦١٤ م فاستطاع أن يحاصره ويقضي على تمرده.

---

(١) " خسرو سلطان " اكبر أبناء جهانكير من زوجة ابنة راجا بهكوان داس، ولد في لاهور عام ١٥٨٧. وكان خسرو أثـيراً لدى جده أكبر، ولعله رغب في أن يجعله خليفة له. وقد خرج خسرو على أبيه في السنة الأولى من حكمه، ولكنه هزم وسجن. وتآمر عليه مرة اخرى في افغانستان، ولكن كشف امره فسجن بقية حياته ما عدا فترة واحدة. وتوفى خسرو في أسير كَرة بالقرب من برهانبور بالدكن عام ١٦٢٢، والراجح أنه قتل على يد شاه جهان، وقامت أخـته بدفن جثمانه في خسرو باغ عند اله آباد أما ولداه داور بخش ـ أو بلاقى ـ وكر شاسب فقد قتلهما شاه جهـان عند اعتلائه العرش. انظر عمل صالح (وهو مخطوط): ومذكرات جهانكير، جـ ١، ٢، في المجلة الأسيوية الملكية سنة ١٩٠٧ عن [بيفردج H Beveridge].

وفي الجنوب كانت الممالك الاسلامية في الدكن تحاول قطع علاقاتها بالبلاط المغولي، ووجدت في قلائد العسكري الحبشي (عنبر) بغيتها، فاستطاع هذا ان يفزع البعثات المسلحة المرسلة اليه لتأديبه فصمدت بفضله مدينة اورنك آباد، ومدينة أحمد نكر، ولم يهدأ لجهان كير البال حتى قضى عليه وعلى ثورته المسلحة بفضل ولده (خُرَّم) ايضاً وتم ذلك سنة ١٠٢٥هـ ـــ ١٦١٦ م بما تحدثنا عنه تفصيلاً في حديثنا عن المملكة النظامية شاهية.

قالت بيفردج:

ولم يكن (جهانكير) خلواً من الكفايات فقد كان يحب الطبيعة حباً صادقاً كما كان ميالا إلى الإنصاف ولكنه كان سكيرا يتعاطى الافيون، ولا يمتاز حكمه بأي مأثرة حربية أو مأثرة عامة اللهم إلا تشييده طريقاً مُظللاً من آكره إلى لاهور. وقد استولى الفرس على قندهار في السنة السابعة عشرة من حكمه (١٦٢٢). وتسبب وهو أمير في مقتل أبي الفضل وزير أبيه، كما أنه انغمس في الشهوات لدرجة جعلت أكبر يفكر في تخطيه وجعل ولده خسرو ولي عهده. وقد خرج جهانكير أيضا على أبيه، ولعل تراخيه وجبنه لا العاطفة البنوية هي التي حالت دون تحقيق مشاريعه. وكان جهانكير اسوأ من معاصره جيمس الأول ملك انجلترا كما كان أقبح منه نشأة، ولكن ثمة تشابهاً عجيباً بين الرجلين. فكلاهما يحب العلم والصيد وكلاهما ضعيف الإرادة يخضع لسلطان محظياته كما أن في كل منهما شيئاً من الطيبة وحلاوة الشمائل. وكان كلاهما أيضا يبغض التبغ أشد البغض. وقد بيّن ما كولي أن جيمس يشبه الإمبراطور كلوديوسClaudius وهذا يؤدى بنا إلى القول بأن جهانكير كان يشترك مع كلوديوس في بعض الصفات. ولعل مما يؤسف له أن أكبر لم يسمح لولده وهو في شبابه بالزواج من نور جهان. ولو حدث هذا لكان خليقاً أن يحدث فيه أثراً طيباً، صحيح أنه تزوج نور جهان بعد أن أصبح ملكا ولكنه اضطر أن يسلك في ذلك مسلكا شبيها بمسلك داود مع أوريا فيدبر هلاك زوجها. ولم يعقب جهانكير من نور جهان ولداً فقد كانت في واقع الأمر عالية في السن عندما بنى بها. وكان لها ابنة من زوجها الأول. وكان لتعلق نور جهان بشهريار أصغر أبناء جهانكير وشجارها مع شاه جهان نتائج وخيمة على الهند وقد وصفت هذه الوقائع وصفا بليغا في كتاب

«مآثر الأمراء» (جـ١. ص١٣٣) في الإشارة الواردة عن أبيها غياث بك. ومن أشهر الأحداث التي وقعت في عهد جهانكير وقوعه في ألأسر وخلعه عن العرش على يد مهابت خان عام ١٦٢٦ وانتهى الأمر بان خلصته نور جهان من الأسر. وكان لجهانكير خمسة أبناء وابنتان.وقد خرج عليه سلطان خسرو أكبر أبنائه في مستهل عهده ولكنه هزم وأسر وتوفي في الدكن بعد أن طال سجنه. وكان سلطان برويز أميرا حلو الشمائل ولكنه ورث عن أبيه رذيلة الإدمان على المسكر، وتوفي قبل أبيه. وثار سلطان خرّم الذي عرف فيما بعد باسم شاه جهان في وجه أبيه ولكن خضع آخر الأمر وخلف أباه. أما سلطان جهانكير الذي ولد وقت اعتلاء أبيه العرش، ومن ثم عرف باسم «سلطان تخت» (سلطان العرش) فقد كان معتوها منذ ولادته على ما يظهر، وكان سلطان شهريار رجلاً تافهاً ولذلك عرف بأنه لا يحلي ولا يمر. وقد حاول أن يعتلي العرش بعد وفاة أبيه ولكنه قتل.

وهنا نتوقف لذكر بعض الحقائق التي ذكرها ديورانت عن هذا الامبراطور اذ قال أن جهان كير لم يكن متوسط القدرات والمواهب بقدر ما كان منحلاً قادراً، فقد ولد لأب تركي وأميرة هندية، وانفتحت الفرص كلها التي تسنح لولي العهد، فانغمس في الخمر والدعارة، وأطلق لنفسه العنان في التمتع السّاديّ بالقسوة على الآخرين، وقد كان هذا الميل مجبولاً في فطرة أسلافه «بابر» و«همايون» و«أكبر» لكنهم دسُّوه دساً في دمائهم التترية، فكان يمتعه أن يرى الناس يُسلخونَ أحياء، أو تنفَذُ فيهم «الخوازيق» أو يقذفون إلى الفيلة تمزّقهم تمزيقاً: وهو يروى لنا في «مذكراته» أن سائسه وطائفة من الخدم قدموا ذات يوم إلى ساحة صيده، وكانوا من عدم الحذر بحيث أدى ظهورهم هناك إلى فزع الطرائد التي كان يتربص لها في صيده، حتى أفلتت منه تلك الطرائد، فأمر بالسائس أن يقتل، وبخدم السائس أن تخلخل رُكَبُهم فيعيشوا أعمارهم كساحاً، وهو يقول إنه بعد أن اشرف على تنفيذ أمره هذا «مضى الى صيده»، ولما تآمر عليه ابنه «خسرو» جاء بسبعمائة من أنصار الثائر وأنفذ فيهم «الخوازيق» وصفّهم صفًا على امتداد الشوارع في لاهور، وهو يذكر لنا في نشوة من السرور كم انقضى على هؤلاء الرجال من زمن حتى فاضت ارواحهم، وكان له حريم من ستة آلاف امرأة يرعين له حياته الجنسية لكنه فيما بعد انصرف إلى زوجة مفضلة، هي «نور جهان»، التي ظفر بها بقتل زوجها، وكان

يسود حكومته عدل محايد لكنه قاس، غير أنه إلى جانب ذلك قد أسرف في نفقاته إسرافاً أبهظ أمة كانت قد أصبحت أغنى أمم الأرض طرا بفضل ما أبداه «أكبر» في سياسته لها من حكمة، وما أسداه عليها أمن طال أمده أعواماً كثيرة.

ولما دنا عهد «جهان كير» من ختامه، زاد الرجل انغماساً في خمره، وأهمل واجباته الرسمية في الحكومة، فكان من الطبيعي أن تنشأ المؤمرات لملء مكانه، وحدث فعلا سنة ١٦٢٢ أن حاول ابنه «جهان» أن يعتلى العرش، ثم لما فاضت روح «جهان كير» جاء «جهان» هذا مسرعاً من الدكن حيث كان مختفياً، وأعلن نفسه إمبراطوراً وقتل كل إخوته ليضمن لنفسه راحة البال، وقد ورث عن أبيه صفات الإسراف وضيق الصدر والقسوة، فأخذت نفقات قصره والرواتب العالية التي كان يتقضاها موظفوه الكثيرون تزداد نسبتها بالقياس إلى دخل الأمة التي كانت تنتجه لها صناعة مزدهرة وتجارة نافقة، ومع تلك الصورة البشعة التي صور منها ديورانت هذا الامبراطور يأتي المؤرخ المسلم السيد عبد الحي ليصفه بما يلي:

يقول «كان جهان كير رحيماً كريماً شاعراً لطيف الطبع حسن المعاشرة ظريف المحاضرة حسن الصورة، سليم الذهن، باهر الذكاء، فصيح العبارة له يد بيضاء في التحرير والتحبير».

وبالرغم من انه قد ذكر ادمانه للخمرة فقد وصفه بالعدل وصحة العقيدة والتدين وسماع الحديث الشريف ايضاً قال: «افتتح امره بالعدل والسخاء وقرّب اليه العلماء، وكان صحيح العقيدة خلافاً لوالده، وهو سمع الحديث من الشيخ محمد سعيد الهروي المشهور بمير كلان، وقرأ عليه شيئاً من العلم بأمر والده، وسمع أيضاً من المفتي صدر جهان البهانوي».

ولعله يريد بلفظة (صحة العقيدة) رجوعه عن مذهب الشيعة، وعندي ان هذا الرجل الغليظ القلب لا يرعى حرمات الدين ولاثمة خير في نسبته الى أي مذهب من مذاهب الاسلام اذ انه تعدى حرمات الله في كثير من الاحداث التي مرت في حياته وفي مقدمتها عدم رضا والده عنه وغضبه عليه لسوء تصرفاته وعصيانه حتى وفاته، ومن الأفعال الشنيعة

التي سوّد بها تاريخه قتله العلامة ابي الفضل ابن المبارك والعلامة السيد نور الدين الشوشتري وتقريبه للمبشرين الجزويت الذين قدموا مع المستعمرين البرتغاليين ومنحه الامتيازات للانجليز في سورتوآكره وأحمد آباد وكان هذا الباب الضيق الذي عبروا منه الى الاستيلاء على الهند، ومع كل ما اقترفه هذا الامبراطور يقولون انه كان مؤمناً وكان يحافظ على الشعائر الدينية ولا يرضى بالاستهانة بها، يقول عبد المنعم النمر، وهو ممن لا يتورع في كتاباته من اللمز والغمز والوقوع بالشيعة أينما ورد ذكرهم، يقول في تزكيته لهذا الطاغية «هذه التربية مع تأثير الشيخ سليم فيه قد وجهته غير وجهة ابيه، فكان صحيح العقيدة في الاسلام يحترم العلماء ويكرمهم» [الاسلام في الهند ٣٠٠]. أما الفتن والاضطرابات على عهده فيحمّلها (عبد المنعم النمر) زوجته نور جهان (ص٣٠٤) لكونها شيعية ايرانية لا غير، ويطيب للمتزمتين من أمثال هذا الكاتب ان يوقعوا في هذه الزوجة الشرعية التي أحبها وتزوجها زواجاً شرعياً أمام الملأ بل لا بد أن يكون أحد اسلاف من ينتقدونه من اولئك المشايخ قد قاموا بواجبهم في اجراء صيغة العقد الشرعي وأدّوا ما يليق من الانحناءات أمام ولي الأمر حتى اذا كان جائراً!

وبالرغم من كل ذلك توصف هذه الزوجة المثالية القوية في شخصيتها والتزامها وتطلعاتها توصف بمعشوقة السلطان لدى الشيخ عبد الحي الحسني (نزهه ٥ /١٢٢) وتوصف بحظية السلطان لدى مسعود الندوي واعجب من ذلك ان الندوي هذا يعتبر عصر جهان كير من عصور الشيعة الذهبية مع ماعانوه من اضطهاد وقتل لعلمائهم فهو يقول عن جهان كير (ص٩١):

فاقتفى نهج ابيه وحذا حذوه في عدم الاعتناء بالدين، بل زاد الطين بلّة بان تطاولت الشيعة باعناقها وتطلعت الى تسلم زمام الامر والنهي لمكانة حظيته (كذا) نور جهان من قلبه ــ وكانت تُسيِّر دفة الحكم وتسوس البلاد وجهان كير غارق في بحار الملذات ــ وكانت شيعية ذات جمال بارع وذكاء مدهش.. حتى ان كبير دعاة الروافض نور الدين الشوشتري عين رئيساً للقضاة «ثم يستشهد بقول ولي الله الدهلوي احد النواصب الذين اطالوا لسانهم في سبّ السلف الصالح من اتباع مذهب أهل البيت (ع)، يقول عدو نفسه هذا: (وعظمت الفتنة وتولى جهان كير فرفعت الهنود رؤوسها، ونصبت الروافض

رؤوسها (كذا) وضيعت الديانات» (تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٩١ ــ ٩٢).

وعلى عهد جهان كير تطلعت النواصب باعناقها للنيل من مذهب اهل البيت (ع) فكتب احمد بن عبد الاحد السرهندي الذي يسمونه بمجدد الالف الثاني كتب كتاباً في التفريق والفتنة بين المسلمين تحت اسم «رد روافض» بالفارسية دعا فيها كما يقول النواصب الى ((رتق الفتق وطهر الدين المبين في ارجاس الوثنية ونقى ثوبه الطاهر من ادران الرفض والالحاد.. الخ، ولما حدثت الفتنة في البلاد طلب جهان كير هذا المفرق بين الجماعات الى قصره وعاقبه بالسجن في مدينة كواليار))، ولا أدري ماذا يريد الندوي على تلك الفعلة الشنعاء، هل يطلب تكريمه أو الاحتفاء به مع ان واجبات المُلك تحتم على السلطان العدل بين الرعية ونحن نحملّ علماء السوء عدم اعتناء اولئك السلاطين بالدين واهله لوقوفهم وقفة المتفرج الراغب في العطايا، وان كل ما ظهر من الفساد في تلك الايام وحتى اليوم انما هو بسبب سوء اعمال علماء السوء وقبح سيرتهم وتهاونهم فهم في مثل هذه المواقف المخزية لصوص الدين لأنهم لا يبتغون الا التقرب الى الملك والكرامة في اعين الناس والكبرياء في ارض الله وبسببهم انتكست راية الاسلام وخفق لواء الكفر وعمت الفوضى الدينية.

نور جهان بيكم

(ت ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م)

اسمها مهر النساء وهي بنت اعتماد الدولة غياث الدين بن محمد شريف الطهراني، انتقل والدها غياث الدين من طهران إلى بلاد الهند بعد ما توفى أبوه محمد شريف سنة أربع وثمانين وتسعمائة، فلما وصل إلى قندهار ولدت مهر النساء وجاءت مع والديها إلى فتحبور في أيام أكبر شاه التيموري ونشأت في مهد العفة والطهارة، وتعلمت الخط والحساب وفنونا أخرى، وكانت نادرة في الجمال فافتتن بها جهانكير بن أكبر شاه، فلما علموا ذلك زوجوها بعلي قلي الأصفهاني، تولى المملكة جهانكير ولاه على بردوان ولقبه شير أنكن خان وولى قطب الدين أخاه من الرضاعة على بلاد بنكاله، فلما وصل قطب

الدين إلى بردوان استقبله شير أنكن خان ولكنه أساء الظن به فوقع فيه وقتله ثم قتل، وكان ذلك سنة ست عشرة بعد الألف، فقبضوا على أهله وأمواله وأرسلوها إلى جهانكير، فأراد أن يتزوج بمهر النساء فأبت ثم رضيت فتزوج بها، فحبيت إليه حتى ألقى بيدها زمام السلطة ولقبها نور جهان بيكم وامر أن يضرب الدراهم والدنانير باسمها فضربت، ومما كتب على تلك العُملة:

بحكم شاه جهانكير يافت صد زيور — بنام نور جهان بادشاه بيكم زر

وكانت من خيار النساء حسنا وجمالا وعلما وعقلا، اخترعت أمورا كثيرة في الزى واللباس والحلى والأشياء العطرة، وكانت ماهرة بالرمي والفروسية والسياسة والتدبير، دبرت لختنها شهريار بن جهانكير من بطن آخر ليوليه الملك بعده، ورغبت زوجها جهانكير عن ابنه خرم الذي دبر جهانكير بولايته بالملك بعده، فوقع الخلاف بينهما حتى آل إلى الحرب، وتفصيل ذلك هو أنه كان لجهانكير أربعة أولاد هم: خسرو، خُرّم، ولكن نور جهان كانت تخشاه، وازدادت خشيتها منه بعد أن مات أبوها اعتماد الدولة، وزير جهانكير، وخلفه في الوزارة أخوها آصف خان، وكان لهذا الأخ بنت من أشهر بنات عصرها جمالاً وفتنة، وكانت مخطوبة للأمير خرم فأيقنت نور جهان أنه إذا ما تولى خرم العرش وكان سينقاد لامرأة ما فإنه لن ينقاد إلا لزوجته وستكون هي كمية مهملة إلى جانبها وهذا ما كان يزعجها ويقض مضجعها. ولذا فإنها أخذت تباعد بين زوجها وابنه صاحب الحق وزوجت بنتاً لها من زوج سابق، من الأمير شهريار ثم صارت تسعى لدى السلطان ليعهد إليه بالملك لتبقى لها سيطرتها على ابنتها الملكة المقبلة وعلى زوجها الملك معاً.

وقد استطاعت أن تنفذ إلى قلب جهانكير فغلظ قلبه على ابنه خرم وشاعت هذه الأخبار في البلاد فخشي خرم بطش والده وخاف جهانكير عصيان ولده عليه، وصار كلما طلب خرم إلى أبيه الأذن بالرجوع إلى آكره يرفض جهانكير هذا الطلب خيفة أن يستولي على العاصمة. وحدث أن زحف الايرانيون سنة ١٦٢٢ إلى مدينة قندهار يريدون الاستيلاء عليها لأنها كانت موضع نزاع بينهم وبين الهند، منذ عهد اكبر، وكل من الفريقين يدعيها، فأمر جهانكير ابنه خرم بالسير إلى قندهار لرد الإيرانيين فلم يجب طلب والده واحتج بكثرة الأمطار، فاستولى الإيرانيون على قندهار، وإزاء تلكؤ خرم عن تلبية أوامر أبيه وحدث نور

جهان باباً عريضاً تلجه إلى قلب زوجها لتوغره على أبنه، فتأثر جهانكير بقولها وأمر الجيوش المرابطة في مالوي بقيادة خرم بالعودة إلى آكره وسار السلطان إلى لاهور لإعداد حملة لاسترجاع قندهار، وبينما هو في لاهور وإذا بالأنباء تأتيه مخبرة بأن ابنه آت بالجيش للاستيلاء على آكره، ولعل ذلك من دسائس الأعداء، لأن خرم لم يفعل إلا ما أمره به أبوه، أي برجوع الجيش إلى آكره، وبدهي أن الجيش لا يعود بدون فائدة.

ومهما يكن من أمر، فقد أزعج هذا النبأ السلطان، وجهز جيشاً سيّره للقاء ابنه ولمنعه من السير نحو آكره، فلما علم خرم بمسير هذا الجيش أبى أن يقاتل والده بل ترك جيشه وعاد وحده إلى الدكن، ولكنه عاد طريداً شريداً، وظل سنوات يضرب في البلاد فارّاً بروحه من ولاة أبيه الذين كانوا يطاردونه، فلما ضاقت عليه الأرض بما رحبت عزم على الاستسلام لوالده وأرسل إليه أولاده رهينة وسلمه القلاع التي يسيطر عليها، وكادت الأمور تعود إلى صفائها لولا وسوسة نور جهان. ويبدو أن وزير جهانكير، آصف خان، كان من أنصار إصلاح ذا ت البين، لأن خرم شاه هو زوج ابنته، فأغضبت سياسة الوزير أخته الملكة نور جهان فحرضت زوجها على عزل اخيها من الوزراة، فعزله وعيّن مكانه القائد مهابت خان وهو من أخصاء جهانكير وأتباعه الأمناء، وقد ظنت نور جهان بأنّ الوزير الجديد سيعينها على تحقيق برنامجها، ولكنها لما رأت أنه يميل إلى الأمير برويز غضبت عليه أيضاً وحرضت السلطان على عزله فعزله وأذلته وأهانته، فكتمها في نفسه، حتى كان في يوم من الأيام، في سفر بمعية السلطان في جند قليل، تآمر عليه وسجنه، ولم يعد يسمح له بأن يمضي أمراً بغير مشورته لأنه رأى بأن نور جهان هي التي أصبحت تسيّر أمور البلاد على هواها وأنها سائرة بها إلى هاوية سحيقة في سبيل تحقيق رغبة قد تجرُّ على البلاد بلايا كثيرة.

ولم يسيء مهابة خان إلى السلطان قط، بل كان يوفيه حقه من التعظيم والاحترام، ثم إن السلطان ذهب إلى كابل ومن هناك استطاع أن يرفع عن نفسه هذا الحجر، فلما علم مهابة خان بالأمر فرّ إلى الأمير خرم.

وحدث بعد ذلك أن مرض السلطان فعزم على الرجوع إلى آكره، فلما كان في طريقه إلى لاهور أصيب بنوبة حادة من الربو فوافته المنية، لثلاث بقين من صفر سنة ١٠٣٦هـ الموافق للثامن والعشرين من اكتوبر سنة ١٦٢٧ وكان مدته احدى وعشرين سنة وثمانية اشهر وثلاثة عشر يوماً

ودفن بالقرب من لاهور على الضفة اليمنى لنهر راوي والى جانبه قبر زوجته نور جهان.

وقد توفي جهان كير ساخطاً على ابنه خرم شاه كما كان اكبر ساخطاً على جهان كير وما أن مات، سارعت نور جهان فنادت بصهرها شهريار بن جهان كير ملكاً وأجلسته على سرير الملك ببلدة لاهور.

ودبر أخوها آصف جاه الوزير لختنه خرم بن جهان كير الحيلة فأعلن لولاية داور بخش بن خسرو بن جها نكير، فوقع الحرب بينهما حتى دخل خرم بمدينة آكره وجلس على سرير الملك في جمادى الآخرة سنة (١٠٣٧هـ ــ ١٦٢٨م)، واجتمع معه آصف جاه ودفع فتنة أخته نور جهان فاقتعدت بلاهور، ووظف لها شاهجهان مائتي ألف تصل إليها كل سنة ولها أبيات رائقة بالفارسية، منها قولها:

دل كسي كه بحسن ادا كرفتار است   نه كل شناسد وني رنك وبو نه عارض

وكانت وفاتهاسنة خمس وخمسين وألف ببلدة لاهور ولها اثنتان وسبعون سنة، فدفنوها في حديقتها التي كانت قريبة من مقبرة جهانكير.

جهان كير في تركته الادبية:

خلف جهان كير كتاباً مهماً في سيرته الذاتية وسيأتي ذكر مختارات منها تتناول صوراً مختلفة من حياته واسم كتابه هذا تزك جهانكيري وهناك الكثير من الكتب المصنفة في أخباره ومنها كتاب اقبال نامه لمؤلفه معتمد خان، وكتاب مآثر جهان كيري لمؤلفه مرزا كامكار الملقب بعزت خان.

ولجهان كير نفسه كتاب آخر تحت اسم «بند نامه» بالفارسية ألفّه لابنائه، كما انه امر الشيخ محمد بن الجلال الحسيني الكجراتي أن يترجم القرآن الكريم الى الفارسية وأن لا يباشر التصنع ولا يزيد على الترجمة اللفظية من جانبه. وكان جهان كير شاعراً ومن ابياته قوله:

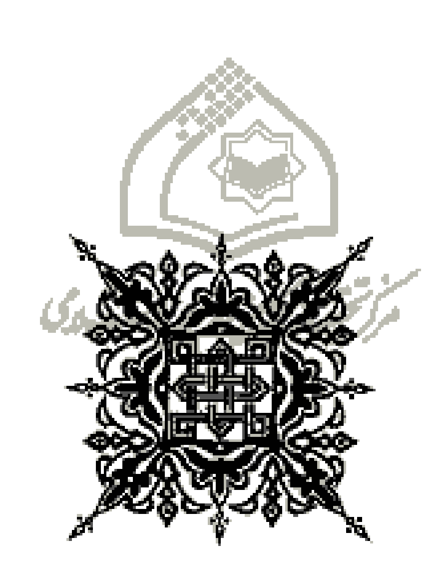
از من متاب رخ كه نيم بي تو   يكدل شكستن تو بصد خون برابر

وله:

جام مي را بر رخ كلزارمي بايد   ابر بسيار است مي بسيار مى بايد

وله:

ما نامه بيرك كل نوشتيم   شايد كه صبا باو رساند



صفحات من مذكرات الامبراطور جهانكير
معربة من كتابه الموسوم «توزك جها نكيري» (×)

Tuzuki – Jahangiri

مطبعة نولكشور- لكهنو

Nawal Kishore Press

• بفضل الله وعونه جلست على عرش الملك في دار الخلافة، آكره يوم الخميس في الثامن من جمادى الأخرى سنة الرابعة عشر بعد الألف وأنا في الثامن والثلاثين من عمري، وكان لا يبقى لوالدى من الأولاد حياً إلى أن بلغ الثامن والعشرين من حياته، فكان يتوجه إلى الصالحين من عباد الله ويلتمس اوليائه ليدعوا له بولد، وقد عاهد نفسه ونوى أن لو رزق غلاماً يحيى، يزور قبر معين الدين جشتى، منبع الأولياء في بلاد الهند، ماشيا على رجليه، قاطعا مسافة مائة وأربعين فرسخا من العاصمة آكره إلى مدينة أجمير بكل إجلال وإكرام. فولدتُ ظهيرة يوم الأربعاء في السابع عشر من ربيع الأول سنة تسعمائة وسبع وسبعين من الهجرة.

(×) " توزك جهانكيري " وهي مذكرات شيقة لها قيمتها. وقامت الجمعية الأسيوية الملكية بترجمة المجلد الأول من هذه المذكـرات ونـشرة (لندن عام ١٩٠٩)، وثمة نسخة أخرى منها ولكنها منحولة على تفاوت في ذلك ونشرت الجمعية الأسيوية الملكية عام ١٨٢٩ ترجمة الميجر برايس Major Price لهذه المذكرات. ونشر السيد أحمد العليكري النص الفارسي لهذه المذكرات في غازى بور عام ١٨٦٣ ثم في عليكره عام ١٨٦٤ وهذا النص أخطاء كثيرة. وقد تـرجم جـزء كبير من هذه المذكرات في المجلد السادس من كتاب History of India لمؤلفه Eiliot. وتحتوي يومـيات الـسير رو Sir Thomas Roe's Journal, وكـتاب قس بيته Edward Terry إشارات طريفة عن جهـانكير. وهناك أيضا سيرة فارسية لحياة جهانكير كتبها كاتب سره معتمد خان وقد نشرت في Bibi.Ind. عام ١٨٦٥.

- وكان هناك جبل «سيكرى» على مقربة من آكره، اتخذ سفحه الشيخ سليم مسكنا له، وكان معمرا مرتاضا بلغ في الورع والصلاح ما بلغ. والتف حوله من أهالي سيكرى كثير من الناس مسترشدين إليه، فلما سمع والدى عن الشيخ وعن كماله في أحواله، وكان في تلك الأيام أشد رغبة إلى الولد، أقبل على الشيخ ذات يوم وسأله مذهولا: كم يكون لي من الأولاد، أيها العارف الجليل ؟ فأجاب الشيخ: إن الله يهب لك ثلاثة أولاد. فقال أبي: إني نذرت أن أفوض الأول منهم إليك ليتربى تحت نظرك وعنايتك. فتقبل الشيخ سليم مهنئاً وقال: قد جعلناه لنا سمياً.
- فلما حان أوان الوضع أرسل أبي، أمي إلى دار الشيخ في قرية سيكرى فسماني بعد ميلادي «محمد سليم» ولقبني بالسلطان، ولكنه كان يدعوني محادثا إياي بالعطف والحنان بـــ «شيخو بابا» وجعل مولدى دار الحكومة متبركا به. فبدلت ارض سيكري غير الأرض، وأنقلبت غاباها التي كانت تسكنها السباع والأسود، جنات وروضات، وأصبحت أحراشها وميادينها التي كانت تنقلب فيها الوحوش والحشرات مدينة ذات شوارع جميلة ومباني ضخمة وتم كل ذلك في أقل من خمسة عشر عام. وسماها «فتح بور» بعد ما فتح كجرات.
- أول ما أمرت به أهالي مملكتي بعد جلوسى على عرشها، تعليق سلسلة العدالة لأطلع أنا بنفسى ما يشكو إلى المظلومون، عمال إدارة العدالة من الأهمال أو التحيز في القضاء عند ما حركوها، فأنتبه لصوها فأقضى بينهم. فقلت ليعملوا سلسلة من ذهب خالص تطول ثلاثين ذراعاً، تربط بسبعة أجراس وتعلق ما بين مشرفة البرج الملكي للقلعة وعماد حجرى ينصب على شاطئ «جمنا».
- نهيت أخذ الجباية على الشوارع والأنهار باسم «تمغا» و«مير بحري»، وكذلك أمرت أن يقضى على الفور على كل ما فرض الولاة في جميع الولايات من ضريبة لينتفعوا بها أنفسهم. إن الشوارع والطرقات التي تبعد عن المسكونات واتخذها اللصوص والقطاع مواضع لمآرهم، إن كانت تقع على أراضي الدولة فليقم عاملها بأمر بناء سراى، ومسجد وحفر بئر على الأراضي المجاورة لها ليسكنها الناس ويعمروها وإن كانت تقع داخل حدود الولاة فليقوموا بأنفسهم بهذا الأمر.

- «لاتكشف رزمة بضاعات التاجرين على الشارع إلا أن يأذنوا له».
- وإذا مات أحد داخل حدود مملكتي سواء كان مسلماً أو غيره، فليؤدوا ما ترك ورائه من الأموال والأمتعة إلى من ورثه، ولن يحول دون ذلك مأمور ولا موظف رسمى، فان لم يكن له من يرثه فليوظف من يتعهد حراسة المتروكات ويجمعها في بيت المال وتنفق فيما تأمر به الشريعة في مثل بناء المساجد، والسراى، والجسور، وحفر الآبار، والحياض، ولا تصرف في مصالح الدولة منها ألبتة.
- «ولا يخرجن أحد أحدا من داره ليتخذها لنفسه مسكناً».
- «لا يجدع المجرم ولا تقطع منه الأذن مهما كبرت جريمته. وإني عاهدت الله أن لا أجزى أحداً بمثل ذلك».
- «ليس لأحد من موظفي الدولة ولا من اصحاب الأراضي أن يأخذ أرض أحد من الأهالي عنوة فيزرعها مكانه».
- «أمرت عمالي وولاتي ألا يتصلوا باهالي ولاياتهم برابطة القرابة والزواج إلا بعد أن آذن لهم في ذلك».
- «تقام المستشفيات في البلاد، ويوظف فيها الأطباء للتداوي، ويُنفق على رواتب الأطباء والمستخدمين ومصارف الأدوية والأغذية للمرضى من خزانة الدولة. ولا يطالب الأهالي بشيء، وذلك مثوبة لي من عند الله».
- «نظراً إلى ضعف الناس وعجزهم، وخشية أن يدخل بعض من الجنود دور الأهالي قهرا فيضيقوا عليهم ويبسطوا إليهم أيديهم، ويلين القاضي وأمير العدل جوانبهما للمعتدين، من أول يوم نزلت مدينة أحمد آباد، اجلس كل يوم مع شدة حرها وسمومها، بعد الفراغ من صلوة الظهر، في شرفة على جانب البحر ساعتين أو ثلاث ساعات، لا يحول بيني عندئذ باب ولا جدار ولا حاجب ولا حارس، فأقضى بعد ما أسمع شكاوى المستغيثين فأجزى الظالمين عما عتُوا وارتكبوا. وما خلفت يوما حتى أيام ابتلائي بالوجع الشديد عن حضور الشرفة، ولو كان في ذلك حرمانا لنفسي من الراحة والهناء».

- بفضل من الله وعونه اعتادت نفسي السهر، فلا تدع النوم ينهب متاع أوقاتي إلا ساعتين أو ثلاث ساعات كل يوم في الغالب، فأقضي ما يبقى من أوقاتي في الوقوف على أحوال الملك وذكر الله تعالى.
- «(في الطريق إلى كجرات) أمرت حرسي أن يتفقدوا من الأيامى والقاعدين المعذورين في القرى المجاورة وياتونني بهم، لأقدم لهم العطايا بيدى فليس عندى عمل أجل وأنفع من هذا».
- «... وفي تلك الأيام أتتني امرأة أيّم تشتكي إلى الاعتداء والعنف من مقرب خان، فقالت إن مقرب خان أكره بنتي فأدخلها في داره قهرا في بندر كهمبات، وعند مطالبتي إياها يجيبني بأنها ماتت موتتها. فأمرت بالتفتيش وانكشف الأمر بعد جد واجتهاد أن الجريمة كانت على يد أحد مستخدميه فجزيته، وأمرت بتنصيف مرتب مقرب خان وكرمت المدعية بالنصف لتعيش به».
- «... ولما توالت عليَّ مثل هذه الأنباء دعوت الشيخ بنارسي وغياث زين خان وغيرهما من الأمراء الذين قصَّروا عن صيانة البلد، وتخلفوا عن حراسة القلعة، فلما حضروا آكره أمرت ليحلقوا رؤسهم ولحاهم ويضربوا عليهم بالخُمُر فيركبوهم على الحمير ويطوفوا بأزقة البلد وشوارع أسواقه».
- «... امتثالا للامر غرسوا الأشجار قبل ذلك على جانبي الشارع من آكره إلى نهر اتك، وأنسقوها بالصفوف، وكذلك من آكره إلى بنغاله، والآن أمرت أن ينصبوا على كل فرسخ علامة ميل ويحفروا على بعد كل ثلاثة أميال بئرا ليتمتع به العابرون».
- ... علمت أن على قلى خان استاجلوا ضرب قطب الدين خان بسيفه في الثالث من صفر ضربا قضى به بعد ساعتين من الليل. وصراحة الأمر أن على قلى خان هذا كان سفيراً لملك إيران الشاه اسماعيل، ففر من عنده إلى قندهار لأعماله الشنيعة، ومن قندهار إلى ملتان حيث لقى خان خانان الذي استصحبه وأدخله غيابا في حاشية والدى، وعلى قلى خان أتى في هذا السفر بامور حسنة فاز لأجلها

بالمنصب المناسب، واستمر منخرطا في سلك سيادة والدى حينا من الزمن. ولما قام أبي الى الدكن (الهند الجنوبية) وأمرني أن أعد العدة لحرب «رانا» تعلق على قلي خان بحاشيتي، فأكرمته وعززته بخطاب شير أفكن، (غالب الأسد)، ولما أقبلت على والدى من مدينة إله آباد، وكان لا يبالى بي لسخطه عليّ ولا يكترث لشأني، اعتزل عنيَ أتباعي، وضرب الكشح عنّي رجالى، فانقطع على قلى خان كذلك وتنحىٰ، ولكن بعد جلوسى على عرش الملك، عفوت عنه بعاطفة المروءة والاحسان وأوليته على مقاطعة بنغال ولكن وافتني من بنغال أنباء تصرح أن تعيين أمثال هؤلاء المفسدين في تلك البقاع لا يستحسن ولاتحمد عواقبه، فكتبت إلى قطب الدين أن يبعث بعلى قلى خان، وإن أبى أن ينقاد للأمر وطغى، يعاقبه ويجزيه، كان قطب الدين خان يعرفه تماما، فما وصل إليه بلاغي حتى قام ومن معه من رجاله قاصدين مدينة بردوان، مركز ولايته، فلما بلغ على قلى خان ذلك خرج إليه يستقبله ومعه من حراسه نفران، فأحاط رجال قطب الدين رجاله، وخلا به على جانب ليقرأ عليه البلاغ الملكي، فاغتنم على قلى خان هذه الفرصة وضربه بسيفه ثلاث ضربات، فتقدم أبنه خان الكشميرى بجرأة، وكان من الأمراء وكانت له صلة بقطب الدين خان فضرب رأس على قلى خان، ولكن أصابته جراحة شديدة منه، فلما رأى ذلك رجال قطب الدين وما أصاب قطب الدين، هجموا على على قلى خان وجعلوه جذاذا.

- «انحرفت صحتي في الثامن من شهر أمرداد وما زالت حتى أخذتني الحمّى والصداع، فلم أخبر به أحدا، حتى أطبائي، حرصا عليَ أن لا يحدث القلق والانزعاج في البلاد وفي الناس. استمر بي الحال كذلك، وما كان أحد يعلم ما بي، إلا نور جهان التي هي احب إلى من كل شيء!! ».
- ذهبت إلى البناء الذي يحتوى على اضرحة الحكام الخلْجيين، وكان بينهما قبر ناصر الدين الذي وصم وصمة العار إلى الأبد، فكلنا يعرف أن هذا المنكود قد ارتقى إلى العرش باغتيال أبيه، فجرّعه السم مرتين، واستطاع أبوه في كلتا الحالتين أن يطهر آثار السم بترياق كان يحمله على ذراعه، وفي المرة الثالثة مزج الإبن

قطرات السم بكوب من الشراب وقدمه إلى أبيه بنفسه ... ولما كان أبوه يعلم ما يبذله ابنه من جهود في سبيل التخلص منه، فقد نزع عن ذراعه التميمة وقذف بها أمامه، ثم أدار وجهه في خضوع وخشوع إلى عرش الخالق وقال: اللهم إني قد بلغت من العمر ثمانين عاماً أنفقتها في ازدهار وسعادة لم يتمتع بمثلهما ملك قبلي، ولما كانت هذه آخر لحظات حياتي، فأضرع إليك اللهم ألا تحول بين ناصر وبين قتلي، وأن تعد موتى أمراً من أمرك فلا تنتقم لي منه ، وبعد أن فاه بهذه الكلمات جرع ذلك الكوب من الشراب المسموم بجرعة واحدة وأسلم روحه إلى ربه.

- ويضيف «جهان كير» ولما ذهبت إلى قبره (أي قبر ناصر) ركلته عدة ركلات.
- راجه نرسنك ديو، كان يعيش تحت إعتنائي، وكان شجاعاً صالحاً، شرفته بمنصب ثلاثة آلاف، فازداد عندى قربة ودرجة، لأن أبي كتب في أواخر عهده إلى الشيخ أبي الفضل في الدكن، يدعوه عنده، وهو من شيوخ الهند ذو فضل ورأي، وكان يضمر لي بسوء، فخيل إلى انه لو تيسر له الوصول إلى والدى لزاد الطين بلة، ويكون عثرة في سبيلى ويعوقني عن اللحاق بأبي، وحيث كانت ولاية نرسنك ديو تقع على ممر الشيخ، كتبت إليه أن يقتل الشيخ في طريقه ،انا له من المحسنين.
- اليوم يوم الجمعة الخامس والعشرون من الشهر، يوم زنة ولدى «خرم»[١]، ويوم بلوغه الرابع والعشرين من عمره، ولد له الأولاد ولم يشرب الخمر قط! فقلت له في حفلة الوزن: بابا! صرت والد أولاد، والملوك وأبنائهم، اعتادوا الشرب فأسقيك أنا اليوم يوم زنتك، وآذنك في أن تشربه في الأعياد والحفلات الخصوصية، يوم نوروز على قدر الأعتدال، حيث لا يذهل عنك شعورك، إن ذلك ينفعك فقد قال أبو على، وهو من أحذق الأطباء. إن الخمر عدو للثمل الذاهل، وصديق للمتنبه الواعي، قليله ترياق وكثيره سم، ليس في كثيره ضرر قليل كما في قليله نفع كبير، ثم بالغت وألححت حتى وضعت الكأس في يده!
- وأنا بنفسي ماشربته إلى الخامس والعشرين من حياتي، غير أن والدتي أوان صغرى

(١) خلف أباه في الملك بلقب " الامبراطور شاه جهان ".

سقتني به مرتين أو ثلاث مرات ممزوجا بماء الورد قدر «توله» دواء للسعال. ثم بعد ذلك يوما من الأيام، وكانت جنود والدى على شاطئ نهر نيلاب في جهة اتك لازاحة ما آثار أفاغنة يوسف زئي من الفتنة ودفعها، ذهبت للصيد فتعبت ورائه أشد التعب، فقال أستاد شاه قلى، وهو أحد الضباط لمدفعية عمى مرزا محمد حكيم: «لو شربت كاسا من الخمر لذهب عنك التعب والنصب كله». كانت الأيام أيام شبابي ولغريزتي من الميل إلى مثل هذا، أمرت المامور على الماء ـــ محمود آب دار ـــ أن يذهب إلى الطبيب على، ويأتيني بشربة مكيفة، فأرسلني الطبيب من الكأس نصفه، أصفر اللون حلوا، في زجاجة صغيرة، فلما شربته أعجبت سكره، وبعد ذلك بدأت بالشرب مضيفا كل يوم كميته، حتى لم أكد أسكر من خمر العنب، فبدأت بالعرق وأزيد فيه يوماً فيوماً إلى تسعة أعوام، كنت أشرب فيها عشرين كاسا من عرق معرق مرتين ـــ أربعة عشر في النهار والستة الباقية في الليل. فزنة جميع ما كنت أشربه يومياً كانت ستة «سير»[1] من وزن الهند وسير ونصفه من وزن إيران وكان من طعامي تلك الأيام ديك بخبز وبقول. ولم يكن يستطيع أحد أن ينهاني، فاستمرت بي الأحوال، وانتهت إلى أني ما كنت أتمكن من رفع الكأس لشدة الارتعاش في يدي، فكان يسقيني غيري، فدعوت الطبيب همام، وهو أخو الطبيب أبي الفتح من مقربي والدى، وأخبرته بما أنا فيه. فقال رقة وإخلاصاً بي: يا صاحب العالم! العياذ بالله العظيم، قدر ما تشرب من العرق لو استمر بك الحال على هذا المنوال ستة أشهر لتعدى المرض حد التداوي، فتأثرت بما أظهر من التوجع وعواطف الخير، وجعلت أقصر وأنقص وصرت أتناول «فولنيا»، وما قصرت في الخمر أضفت في فلونيا، ثم بعد ذلك أمرت أن يقدموا إلي، حين يقدمون خمرا مزدوجا بالعرق جزئين من الخمر وجزء من العرق، وهكذا أقصرت يوماً فيوماً، حتى أنتهى الأمر في سبعة أعوام إلى ستة كؤوس، وكل كأس كان يوازي ثماني عشر مثقال، ولا أزال أشرب هذا القدر منذ خمسة عشر سنوات حتى اليوم، لا أزيد ولا أنقص، وأشرب في كل ليلة إلا ليلة الخميس، لأن يومه يوم

(١) "سير" واحد يساوي رطلين.

جلوسي المبارك، وليلة الجمعة لأنها ليلة مباركة، ولا أبغى أن تنقضى وأنا في غفلة من الله والشكر على نعمائه، ولا آكل من اللحم في يومين ــ يوم الخميس ويوم الأحد. أما الأول، فلأنه يوم جلوسي والثاني لأنه يوم ميلاد أبي، وكان يُجلّه ويحترمه. ثم بعد ذلك عوضت أفيون عن فلونيا، واليوم أنا في السادس والأربعين واربعة أشهر من عمري على حساب السنوات الشمسية والسابعة والاربعين وتسعة أشهر على حساب السنوات قمرية آخذ من أفيون ثماني «رتيات» في النهار بالساعة الخامسة، وستة «رتيات» بعد أن تنقضى ساعة من الليل.

- خطر ببالي مرة وضع قائمة لمصيدى كلها منذ ما بدأت بالصيد إلى اليوم، فأمرت بذلك مسجلى الأحوال وكاتبي الأخبار، فوضعوا قائمة، علمت بها أنه قدم أمامي من المصائد ثماني وعشرون ألفا وخمسمائة واثنان وثلثون رأسا من الحيوانات، منها سبعة عشر آلاف ومائة وسبع وستون رأسا من مصائدي المختصة بي، فيها ٨٦ من الأسد، والدب، والنمر، وغيرها من السباع، و ٨٩٩ من بقر الوحش، و٣٥ من الغزال، و١٦٧٠ من الظباء والثور والوحش، و ١٢٥، ٢ من الكبش والغزال الحمر، و٢٢ من الوعل، و٢٣ من الأرنب، والعصافير ٩٦٤، ١٣، منها ٣٤٨، ١٠ من الحمامة، و٢ من الحدأة و٣ من البازى، و٣٩ من البوم، و٢٥ من القمرى، و٩٧ من البط، و٢٧٦، ٣ من الغراب، و ٧٠ من التمساح.

- قام بابا حسن الأبدالى بعمل الاحاطة والسياق، فدخلت في المحاط من الغزال الحمر السبع والعشرين، ومن البيض ثمان وستين. وفرميت أنا تسع وعشرين غزالا، ورميا كذلك برويز وخرم منها العديدة، وبعد ذلك أجازوا الندماء والمأمورين والخدم أن يصيدوا. فكان خان جهان من أرمى المصيبين هدفا فأوقع بكل رمية غزالا، ولم يطش له ولا سهم.

- في الحادى والعشرين على بعد ثلاثة فراسخ من قلعة رهتاس، أحاطوا المصائد تحت إدارة هلال خان، كان اليوم لنا يوم نجاح فقد صدنا مائتي غزال، واستصحبتنا في هذا الصيد من بعض الكريمات، ثم جعلوا من مضافات «رهتاس» محاطا في الرابع والعشرين، وقد حضرته أخواتى وأخرى من السيدات المحترمات،

وفزنا ذلك اليوم بمائة غزال».

- «في السابع أخبر الصيادون بأربعة أسود، فقمت إليها ومعي النساء، واستأذنتي نور جهان[1]، بعد ما رأت الأسود، فأذنتها فأسقطت أسدين، وريثما نحن كذلك إذ أطلقت على الباقيتين واردتهما بطرفة العين، لم يسبقني من الاصطياد مثل هذا، وما رأيت إطلاق الرصاص من الهودج وإصابة من غير خطأ، فان الهودج ينصب على الفيل، والفيل لا يقيم ساكنا عند ما يشعر بوجود الأسد على مقربة منه، بل لا يزال يتحرك، فطربت بذلك، وأنعمت على نور جهان بألف أشرفي، وبسوار مرصع من الألماس، بالغ ثمنه مائة ألف أشرفي».
- أتوا في تلك الأيام بطير من ولاية زير باد. كان لونه كلون «طوطي» وكان أصغر جثة منه. ومن إحدى مزاياه أنه عند ما يقبل الليل. ينوط رجليه بفرع أوبخشبة تنصب لجلوسه، فيبيت معلقا مقلوبا مغردا بالنغمات طول الليل، ويستوى على الشجر عند ما يطلع السحر، ولا يغترف من الماء شربة أبدا، فان الماء يفعل به فعل السم بالحياة!.
- «اهدى نجل الملك داور بخش أسدا ألف بشاة، فكانا في قفص واحد، وكان الأسد يعاشرها معاشرة الحب والوداد، فيأخذها تحت جنبيه ويتحرك حركات الحيوانات عند السفاد، فأمروا أن تحتجب الشاة عنه فعز ذلك على الأسد واشتد قلقا واضطراباً!».
- «أتاني مرزا رستم بذئب صاده، فأردت أن أعلم محل مرارته، هل هي داخلة الكبد كما في الأسد، أو هي خارجة عنه كما في غيره من الحيوان، فبان لي بعد الفحص أنها داخلة الكبد».
- «أروني تمساحاً طوله ثماني أذرع وعرضه ذرع واحد».
- «أهدى راجه نرسنك ديو، نمرا أبيض، وعندى في قاعة الحيوانات من الطيور والدواب البيض ما شاهدت كثيراً، ولكنى ما رأيت قبل ذلك نمرا أبيض. تكون

---

(١) زوجته التي احبها أكثر من كل شئ في الحياة، وكانت خليقة بذلك.

الوصمات والنقاط للنمر سوداء ولكن في هذا الأبيض رأيت الوصمات زرقاء. وعندى من الطيور البيض الشاهين. والهاشة، والصقر والعصفور، والغراب والسلوى، والطاؤس. وهذه الظباء السود لا تجدها إلا في بلاد الهند».

- وسمعت من الصيادين المعمرين أنه تتولد في قرن الكبش البرى دودة تسبب الحكة، وتدفعه يزحف ويحارب، فان لم يجد كبشا يعاركه، يدق برأسه شجراً أو حجراً ويقرع به ليخفف عن ألمه. فلما فحصت عن ذلك وجدت الدودة في قرن الأنثى وهي لا تحارب ولا تتصادم فعلمت أن ما يروون لا أساس له.
- «في تلك الأيام أتاني دوريش من سرنديب، كان عنده من الحيوان أنواعاً وأصنافاً فمنها حيوان رأيت وجهه وصدره كوجه الغنم، وصدره وهيئته كهيئة القرد من غير ذنب، وكان يتأتي بأعمال القردة السود، فنظراً لندرته أمرت المصورين أن يرسموه ويصوروا هيآتها المختلفة».
- «وضعت أمامي فيل أنثى، وقد سبق مني الأمر بفحص مدة الحمل، فأخبروني بأن الفيل تضع أنثى في ثماني عشر شهرا، وتضع الذكر بعد عام وتسعة أشهر».
- «أمرت بوزن أكبر المعز فكان ٢ منا و ٢٤ سيرا. ووزنوا حمارا وحشياً، وكان أقوى جنسه جثة، فعادل ٩ منا و١٦ سيرا».
- «ما رأيت فيما صدت من الأسود إلى الآن أسدا كبيرا ذا روع، متناسق الأعضاء كهذا. فأمرت أن يصوروه كما هو بوصفه، وكانت زنته ½ ٢٠ من جهانكيري».
- «كتب جدى الملك بابر رحمه الله وجعل الجنة مثواه في أحواله بعض الصور للحيوانات، وذكر من أشكالها وهيآتها، ولكنه لم يأمر ليصوروها، وإنني حيث أرى هذه الحيوانات ذات غرابة، لم أقتنع بالكتابة عنها، وأمرت المصورين أن يرسموا تصاويرها، فيتعجبون برؤيتها، ويدهشون أكثر مما يسمعون عنها ويقرؤن».

ولعه بالتصوير:

كان جهانكير مغرما بالتصاوير والمصورين، فكان يقدرهم أحسن تقدير ويجلهم ويكرمهم بالألقاب ويجزل لهم العطايا. ترى في حاشية دولته المصور أبا الحسن، ومنصور

النقاش، وبشن داس، أئمة اصلناعة وأساتذة العصر في عملهم، وكان جهانكير نفسه مصورا متقنا، كتب عن نفسه:

- «فلو كانت صورة، رسم وجهها مصور، ورسم العين والحاجب مصور آخر، فأنا أفطن للذى رسم الوجه، وادرك الذي رسم العين والحاجب».

لم تكن فراسته في التصوير أمرا مبالغا فيه ولا مصطنعا، ولكنه كان أمرا واقعا، فانه منذ ما أرسل مقرب خان تصويرا، وصله من أوروبا، وشاع عنه أنه صور حينما ألقى تيمور القبض على السلطان بايزيد يلدرم، أبي أن يقبل الاشاعة وقال:

- «لو كان ما يزعمون حقا، لكانت هذه الهدية السنية عندى، من أغلى الهدايا وأعليها ولكنه لا يمثل حلية الأنجال والأولاد من الأسرة العالية الملكية تمثيلا صحيحاً، فلا يطمئن فؤادي لصدق الأمر وصحته».

ولما عاد خان عالم من العراق، وقدم معركة حربية مصورة لتيمور أمام جهانكير، هز فرحا مطربا وقال:

- «من حسن الحظ لخان عالم وسعادته، أن وُفق لهدية ثمينة كهذه تعد من نفائس الدهر ونوادره، وهي المعركة الحربية المصورة «لصاحبقران» (تيمور)، فيها صورته وصور أنجاله الأمجاد وأمرائه العظام الذين كانوا معه في الحرب وكانوا مائتين وأربعين نفرا مكتوبة أسمائهم تحت صورهم. وقد كتب المصور أسمه خليل مرزا، ولا شك أن عمله جليل، وصناعته في غاية الحسن والاتقان».

وبعد ما ذكر المعركة الحربية المصورة كتب يقول:

- «أرسلت بشن داس المصور، وكان وحيد عصره في صناعته، إلى العراق مع خان عالم، يرسم صورة الملك وصورة العمائد والأعيان في دولته».

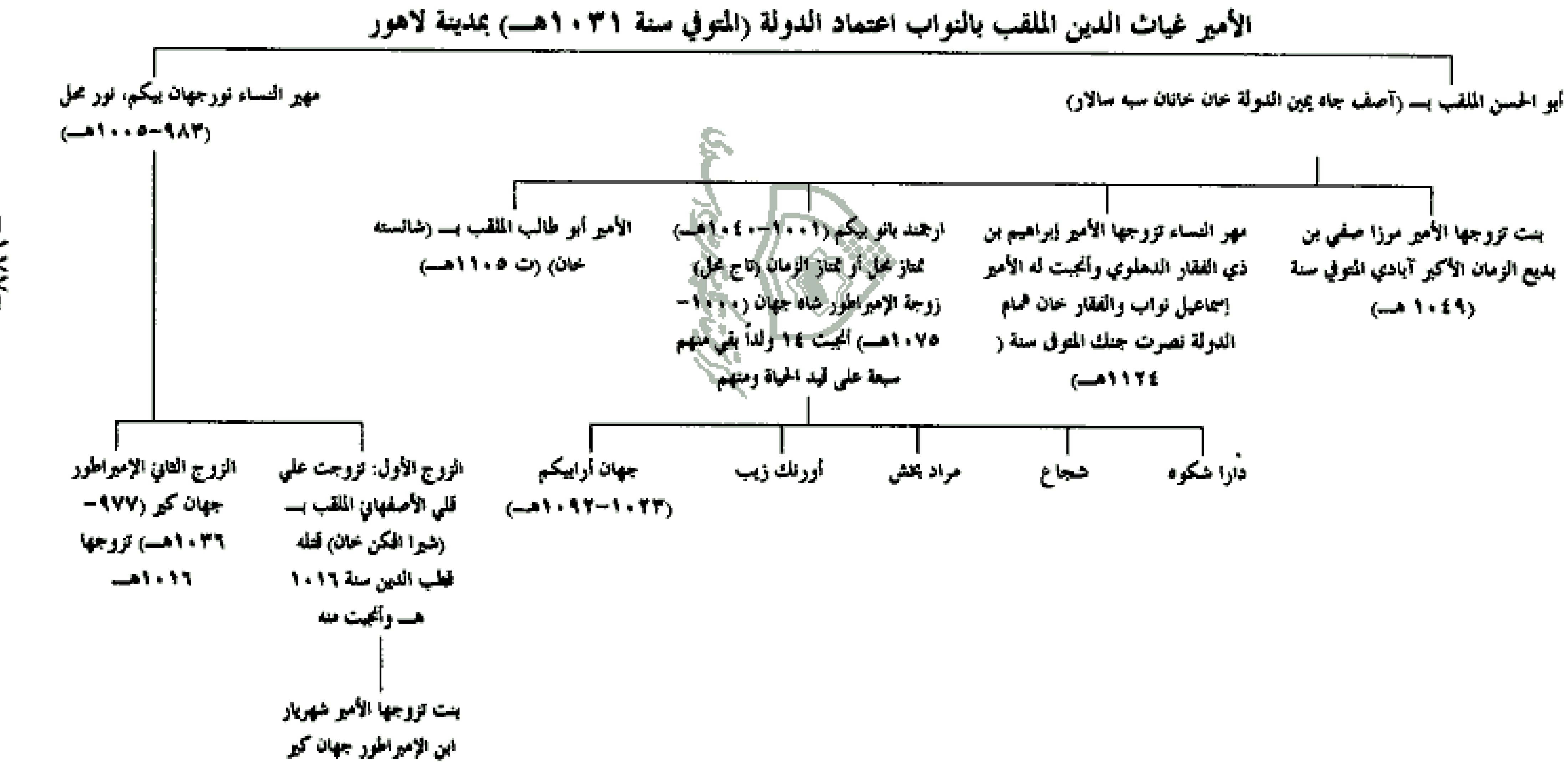
من أعلام عصر جهان كير

(١) آل الطهراني اصهار جهان كير شجرتهم واعلامهم:

علي بن أبي الحكيم الكيلاني	ت ١٠١٨هـ
نور الدين الشوشتري	(٩٥٦ ــ ١٠١٩هـ)
محمد حسين النظيري النيسابوري	ت ١٠٢١هـ
محمد تقي الأوحدي	ت ١٠٣١هـ
محمد شريف النجفي	ت بعد ١٠٣٨هـ
طالب الآملي	ت ١٠٣٥ أو ١٠٣٦هـ
صالح الاصفهاني	ت ١٠٤٣هـ
محمد شريف الايراني معتمد خان	ت ١٠٤٩هـ
شكر الله الشيرازي	ت ١٠٤٨هـ
عبد السلام الحسيني المشهدي	ت ١٠٥٧هـ
محمد اشرف بن عبد السلام الحسيني المشهدي	ت ١٠٩٧هـ
أحسن الله ظفر خان التربتي	ت ١٠٧٣هـ
مرشد الشيرازي	القرن ١١هـ

(آل الطهراني) أصهار جهان كير ومن بعده

الأمير محمد شريف الطهراني (ت ٩٨٤هـ) (كان من حاشية الإمبراطور الأكبر)



غياث الدين الطهراني

(ت ١٠٣١هـ/١٦٢١م)

الأمير الكبير غياث الدين بن محمد شريف، الشيعي الطهراني، نواب اعتماد الدولة، كان من الرجال المشهورين، ولد ونشأ بايران، وقدم الهند بعد ما توفي والده سنة أربع وثمانين وتسعمائة في أيام اكبر شاه، فتقرب اليه وولي ديوان الخراج بكابل، وتدرج إلى الإمارة حتى نال الفاً من المنصب في آخر عهده، وولي ديوان البيوتات، ثم لما قام بالملك جهانكير بن أكبر شاه وتزوج بابنته «مهر النساء» التي صارت بعد ذلك «نور جهان بيكم» لقبه اعتماد الدولة وجعله وكيلا مطلقا عنه في مهمات الأمور.

وكان فاضلاً حليماً متواضعاً بارعاً في الإنشاء والخط والحساب مليح الكلام حسن المحاضرة سليم الذهن.

توفي سنة إحدى وثلاثين وألف بمدينة لاهور، كما في نزهه ٥/ ٣١١ ــ ٣١٢ رقم ٤٩٤.

اعتماد الدولة

أبو الحسن آصف جاه الدهلوي

(ت ١٠٥١هـ / ١٦٤١م)

الأمير الكبير أبو الحسن بن الوزير اعتماد الدولة غياث الدين بن محمد شريف، الطهراني يمين الدولة آصف جاه خانخانان سبه سالار الوكيل المطلق، ولد ونشأ في ايران، وانتقل الى الهند مع والده بعد ما توفي جده محمد شريف المذكور سنة أربع وثمانين وتسعمائة في أيام السلطان اكبر، واشتغل بالعلم مدة من الزمان، ولما توفي السلطان

المذكور وقام بالملك ولده جهانكير وتزوج بأخته نور جهان بيكم لقبه اعتماد خان وولّاه على جونبور، وتزوج بنته أرجمند بانو شاهجهان ابن جهانكير سنة عشرين وألف، ولقبه جهانكير آصف خان سنة أثنتين وعشرين، وأضاف إلى منصبه غير مرة صار مع الأصل والاضافة سبعة آلاف له وسبعة آلاف للخيل، ولما توفي جهانكير دبر آصف خان حيلة لختنه شاهجهان فأعلن بولاية داور بخش بن خسرو بن جهانكير[1] وجمع الجنود تحت لوائه، ودبرت أخته نور جهان بيكم حيلة لختنه شهريار ابن جهانكير، فوقع الحرب بينهما وظهرت الغلبة لآصف خان، فقبض على أخته وجعل شهريار مكحولا محبوسا، ثم قبض على داوربخش وأخيه كرشاسب وطهمورث وهو شنك ابني دانيال بن أكبر بن همايون، وأقعد أخته نور جهان بيكم بمدينة لا هور، فوظفها شاهجهان، ولقب صهره بيمين الدولة آصف جاه، وكان يخاطبه في المحاورة والمراسلة بالعم، وفوض إليه خاتمه (مهر اوزك) وجعله وكيلا مطلقا له، وأضاف في منصبه غير مرة، فصار تسعة آلاف له وتسعة آلاف للخيل، واقطعه أقطاعا كبيرة تحصل له منها كل سنة خمسون لكًّا (خمسة ملايين)، ثم لقبه خانخانان سبه سالار.

وكان عالما بارعا في المنطق والحكمة والتاريخ والإنشاء والشعر، قرأ العلم على الشيخ محمد بن يوسف التتوي السندى، وله ميل عظيم إلى أهل العلم ومحبته زائدة لهم، يقربهم إلى نفسه ويبذل عليهم العطايا الجزيلة، وكان العلامة محمود بن محمد الجونبوري صاحب الشمس البازغة ممن يتردد إليه ويستفيد منه، وله من كمال الرئاسة وحسن مسلك السياسة والفطنة بدقائق الأمور ما لايمكن وصفه، مع الحلم والتواضع والنقاوة التامة والشهامة الكاملة وعلو الهمة ومحبة أهل الفضائل وكراهة أرباب الرذائل ما لايساويه في ذلك أحد.

وكانت وفاته بالاستسقاء سنة إحدى وخمسين وألف بمدينة لاهور فدفن بها، وأرخ له بعض اصحابه من قوله: «زهى افسوس آصف خان»، ولا يزال ضريحه قائماً في شاهدره القريبة من لاهور.

ــ نزهة ٥ /١٥ ــ ١٦ رقم ٢٨، دائرة المعارف الاسلامية ٢ /٢٥٧

---

(١) كــان ذلك سياسة من آصف خان، لأن لا يخلو العرش فيطمع فيه الطامعون، ولما حضر شاهجهان إلى دار الملك تربع على سرير الملك، وتسلم زمام الحكم.

أبو طالب بن أبي الحسن الدهلوى

(ت ١١٠٥هـ/١٦٩٣م)

الأمير الكبير أبو طالب بن أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني ثم الهندي الدهلوى نواب شائسته خان أمير الأمراء ابن آصف جاه ابن اعتماد الدولة، ولد ونشأ بأرض الهند وقرأ العلم وتمهر بالفنون الحربية ونال المنصب في صباه خمسمائة لنفسه في اول وهلة خلافا للقانون، ولقبه جهانكير بن اكبر شاه سلطان الهند بشائسته خان، ولما تولى المملكة شاهجهان بن جهانكير اضاف في منصبه غير مرة حتى صار ستة آلاف لنفسه وستة آلاف للخيل ذوات الأفراس، ولما تولى المملكة عالم كير بن شاهجهان جعل منصبه سبعة آلاف لنفسه وسبعة آلاف للخيل ذوات الأفراس ولقبه بأمير الأمراء، وأعطاه أقطاعا تحصل له منها كل سنة عشرون مليونا من دام (٢٠٠٠,٠٠٠,٠٠) وخصَّه بضرب النوبة في الحضرة، وولاه على إيالات واسعة فسيحة كأرض الدكن وإقليم بنكَاله، فعاش في غاية العظمة والأبهة، ولم يكن له نظير في زمانه في الحلم والتواضع وحسن المعاشرة وإيصال النفع إلى الناس والإحسان إلى العجزة والأرامل والأيتام وغيرها من الأخلاق الرضية والشمائل المرضية، كما في مآثر الأمراء، وكان قرأ بعض الكتب على العلامة محمود بن الجونبورى وشاركه في الأخذ والقراءة عليه نور الدين جعفر بن عزيزي الله المدارى، كما في «كنج أرشدى» وله آثار حسنة من جسور ورباطات ومساجد في كل ناحية من نواحي الهند.

مات سنة خمس ومائة وألف، كما في «مآثر الأمراء».

صفي بن بديع الزمان الأكبر آبادي

(ت ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م)

الأمير الفاضل ميرزا صفي ميرزا بن بديع الزمان، القزويني ثم الأكبر آبادي، المشهور

بسيف خان، ختن آصف جاه أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني، كان متوليا بديوان الخراج في أرض كجرات، ثم ولي عليها في ايام جهانكير، وولاه شاهجهان على اقطاع بهار، ثم ولاه على إله آباد، ثم نقله إلى كجرات، ثم استقدمه إلى أكبر آباد وجعله حارسا لمستقر الخلافة، ولما ولي محمد شجاع ابن الملك على بنكاله وكان بمدينة كابل أمر سيف خان أن يذهب إلى بنكاله.

وكان رجلاً فاضلاً محباً لأهل العلم محسناً إليهم، بنى مدرسة عظيمة بأحمد آباد تجاه القلعة، وكذلك بنى مارستانا كبيرا في تلك البلدة سنة اثنتين وثلاثين وألف، مات في محرم سنة تسع وأربعين وألف بأرض بنكاله، كما في «مآثر الأمراء».

ـــ نزهه ٥/ ١٨٤ ـــ ١٨٥ رقم ٢٩١.

علي بن أبي الحكيم الكيلاني

(ت ١٠١٨هـ/ ١٦١٠م)

الفاضل العلامة الكبير الحكيم علي بن أبي الحكيم الكيلاني، أحد الاساتذة المشهورين في الهند، أخذ عن خاله حكيم الملك شمس الدين الكيلاني وعن العلامة فتح الله الشيرازي، وأخذ العلوم الشرعية عن الشيخ عبد النبي ابن أحمد الكنكوهي، وكان ذكياً فطناً حادّ الذهن سريع الملاحظة، يكاد يكشف حجب الضمائر ويهتك أسرار السرائر، دقيق النظر في المسائل الحكمية.

قال البدايونى في تاريخه: إنه عالم كبير بارع في المنطق والحكمة ماهر بالشرع والنقل، قرأ كتب أهل السنة على الشيخ عبد النبي ونظر في مذهبهم ولكنه زيدى غال في التشيع معجب بفضله، يخطئ أحيانا لعجبه وقلة تجاربه، حتى أنه أطعم الهريسة أستاذه فتح الله في الحمى المحرقة فمات ـــ انتهى.

قال شاهنواز خان في مآثر الأمراء: إنه اخترع حوضا عجيبا ملآنا بالماء، فيه طريق إلى بيت تحته، إذا غاص الرجل في الماء وجد فيه بابا فيدخل من ذلك الباب الى البيت ولا

يدخل الماء فيه، وكان في البيت قدر كاف من الهواء الطيبة والضياء المشعشع ومكان واسع نظيف يسع لأثنيّ عشر رجلاً، وفيه ذخيرة من الفرش والأقمشة والكتب والأطعمة مما يشتهيه الرجل ـــ انتهى.

توفي يوم الجمعة لخمس خلون من محرم سنة ثمان عشرة وألف في أيام جهانكير.

ـــ نزهه / ٢٩٤ رقم ٤٧٢.

نور الدين الشوشتري

(٩٥٦ - ١٠١٩هـ/ ١٥٤٩ - ١٦١٠ م)

القاضي نور الله ضياء الدين بن السيد شريف بن نور الله بن محمد شاه بن مبارز الدين مندة بن الحسين بن نجم الدين محمود بن احمد بن الحسين بن محمد بن ابي المفاخر بن علي بن أحمد بن أبي طالب بن ابراهيم بن يحيى بن الحسين بن محمد بن ابي علي بن حمزة بن علي بن حمزة بن علي المرعش بن عبد الله بن محمد الملقب بالسيلق بن الحسن بن الحسين الأصغر بن الأمام علي زين العابدين بن الأمام الحسين بن أمير المؤمنين علي عليهم السلام التستري المرعشي صاحب كتاب احقاق الحق ومجالس المؤمنين وغيرهما ولد سنة ٩٥٦ واستشهد سنة ١٠١٩ وتاريخ شهادته بالفارسية (سيد نور الله شهيد شد) كان من أكابر علماء العهد الصفوي معاصراً للشيخ البهائي قرأ في «تستر» على المولى عبد الوحيد التستري ولم نحظ خبراً بتفصيل من أخذ عنه العلم غيره غير مادلّنا على غزارة علمه وعبقريته ومشاركته في العلوم ونبوغه فيها من كتبه الثمينة واثارة القيمة وسيأتي ذكر عناوينها.

وقد هاجر من وطنه (تستر) الى المشهد الرضوي لتحصيل العلوم ولما بلغ ما أراد رحل الى الهند وتقرب الى ابي الفتح بن عبد الرزاق الكيلاني فشفع له عند السلطان اكبر شاه فقابله فأعجبه فضله وألمعيته فجعله قاضي القضاة وقبله السيد وشرط ان يحكم فيه بمؤدى اجتهاده غير انه لا يخرج فيه عن المذاهب الأربعة فقبل منه ذلك فكان يقضي ويفتي مطبقا له في كل قضية باحد المذاهب الأربعة غير أنه كان مؤدى اجتهاده لأنه لم يك ممن يرى

انسداد باب الاجتهاد وكان هو من أعاظم المجتهدين ممن مُنحوا النظر وملكة الاستنباط وانما كان يتحرى تطبيق حكمه بأحد المذاهب حذرا من شق العصا في ظروفه الحاضرة فاستقر له الأمر وطفق يقضي ويحكم وينقض ويبرم حتى قضى السلطان نحبه وقام مقامه ابنه جهانكير شاه فسعى الوشاة اليه في أمر المترجم وعدم التزامه باحد المذاهب فردهم بانه شرط ذلك علينا يوم تقلد القضاء ولا يثبت بهذا تشيّعه فالتمسوا الحيلة في اثبات تشيعه واخذ حكم قتله من السلطان ورغبّوا واحداً في أن يتلمذ عنده ويظهر امره الخفي فالتزمه مدة حتى وقف على كتابه (مجالس المؤمنين) وأخذه بالالحاح واستنسخه وعرضه على اصحابه ووشوا به على السلطان فلم يزل القتاتون ينحتون له كل يوم ما يشين سمعته عند السلطان حتى أحموا غضبه واثبتوا عنده استحقاقه الحدّ كذباً وزوراً وانه يجب ان ضرب بالسياط كمية معينة ففوض ذلك اليهم فبادر علماء السوء الى ذلك حتى قضى المترجم تحت السياط شهيداً على التشيّع في (اكبر آباد) (وقيل) ان زبانية الحقد قتلوه في الطريق اذ جردوه عن ثيابه وجلدوه بالدرة ذات الاشواك فقضى نحبه من ساعته وتناثرت به اشلاء النبوة واريقت دمائها فلقي جده النبي الأمين صلى الله عليه وآله مخضّباً بدمه وكان له سبعون وقبره باكبر آباد يزار ويتبرك به وفي العصور الأخيرة اعيدت الى عمارة بقعته جدته ويعرف السيد الشوشتري لدى شيعة الهند خاصة بالشهيد الثالث، ولهم موسم خاص من السنة يحتفلون بذكراه في شهر نوفمبر احتفالاً كبيراً جداً حتى ايامنا هذه.

ذكره في امل الامل وقال: فاضل عالم محقق علامة محدث. وفي التعليقة على امل الآمل: علامة محدث شاعر منش بالفارسية والعربية، له قصائد بل ديوان في مدح النبي والأئمة عليهم السلام.

وفي الرياض: ((السيد الجليل الاواه.. الشهير بالأمير، الساكن بالبلاد الهندية صاحب كتاب مجالس المؤمنين وغيره من التصانيف الكثيرة الجيدة والتواليف الغزيرة الحسنة المفيدة، وهو قدس سره عالم ديّن صالح علامة فقيه وكان من عظماء علماء دولة السلاطين الصفوية.. وله ميل الى التصوف والاعتناء بشأن أهله، وهو أول من أظهر التشيع في بلاد الهند من العلماء علانية، وقد كان ابوه ايضاً من أكابر العلماء **(وليس من المستبعد أن يكون احمد بن عبد الاحد السر هندي وأمثاله من شيوخ التعصب وراء قتله فقد حاول هذا**

الشيخ التزلّف للامبراطور، جهان كير لأجل وقف المدّ الشيعي المتنامي حتى زعم احباء السرهندي بأن الامبراطور (المؤمن) قد بايع السر هندي ودخل في حلقة مريديه وطالبيه! (كتاب للندوي: السرهندي ١٤٢، ١٥٠)).

واعلم ان من اسباط هذا السيد الفاضل علي بن السيد علاء الدولة بن السيد ضياء الدين نور الله الحسيني الشوشتري المرعشي، وكان يسكن بالهند، ولعله موجود الى الآن أيضاً..

وقال ماسنيون: «سيد نور الله بن شريف المرعشي: كاتب أصيل من كتاب الشيعة، دافع عن الإمامية مناهضاً أصحاب الجدل من أهل السنة، كما دافع عن الصوفية أمام منكريها وهم غالبية فقهاء الإمامية. وكان الشوشتري قاضي لاهور، وقد حكم عليه بالزندقة بأمر من جهانكير وضرب بالسياط حتى مات..»

أولاده:

السيد شريف، المتوفى سنة ١٠٢٠هـ، السيد علاء الملك مؤلف كتاب محفل فردوس في أحوال والده، السيد محمد يوسف.

شعره:

السيد مير ابو المعالي المتوفى ١٠٤٦هـ، السيد مير علاء الدولة.

مرّ اشادة المترجمين له باجادته للشعر وروي انه كان يتخلص بلقب (نوري) كعادة شعراء الفرس والهند في ذلك ومن شعره ما قاله في الرد على قصيدة السيد حسن الغزنوي (بالفارسية):

شكر خدا كه آلهي است رهبرم	وزنار شوق اوست فروز نده
اندر حسب خلاصه معنى وصورتم	واندر نسب سلالةُ زهرا وحيدرم
دار أي دهر سبط رسولم بدر بود	بانوي شر دختر كسرى است
هان اى فلك جواين بدر انم بكي	ياسر به بندكي نه واز آذري برم
شكر خداكه جون حسن غزنوي	يعنى نه عاقد والد ونه ننك ما درم
بادم زبان بريده جو آن ناخلف اكر	مدح مخالفان علي برزيان برم

داند جهان كه اوبدر وغش كواه | در آنكه كفت قره عين بيمبرم
شايسته نيست آنم ارآن خلف كه | شايسته ميوه دل زهرا وحيدرم
فرزندرا كه طبع بدر در نماد نيست | باكي ذيل مادر او نيست باورم

ومن شعره:

عشق توفما ليست كه خاري ثمرا | من خاري ازا آن باديه ام كاين
برمانده عشق اكروزه كشاني «كذا» | هشدار كه صد كونه بلا ماحضر
وه كاين شب هجران توبر ماجه در ازا | كوئي كه مكر صبح قيامت سحر
فرهاد صفت اينهمه جان كندن نوری | در كوه ملامت بهوای كمر اوست

وله:

أي در ســـر زلـــف تـــو | صـــدفتنه بخـــواب انـــدر
در عـــشق تـــو خـــواب مـــن | نقـــشی اســـت بـــآب انـــدر
در شرع محبت زان فضل است تيمم را | كـــزدا من با كان هست كردی بتراب

كتبـه:

١- احقاق الحق: كتاب كبير: وهو الذي اتخذ ذريعة لقتله نقد فيه القاضي الفضل بن روزبهان في ردّه على العلامة الحلي في كتاب (نهج الحق وكشف الصدق)، وقد جاء في خاتمته ما يلي:

هذا آخر ما قصدته من إيضاح مقاصد الكتاب المستطاب، وإنجاح مسؤل الأحبة والأصحاب، من الرد على رؤساء ذوى الأذناب، خصوصا الناصي الشقى المرتاب، الزائغ عن طريق الصواب، وذلك من جلائل نعم الله الوهاب، على عبده الأواب، الراجي للشهود العيني، المجاهد أعداءه بالسيف القيني، والرمح الرديني، نور الله ابن شريف المرعشي الحسيني، كان الله له، وأجرى على نهج الحق عمله، والمسؤل من فضله العظيم وكرمه العميم، أن يجعل مقاساتي في نصرة هذا المعشر، ذريعة مخلفة لزاد المحشر، ووسيلة مزلفة إلى سيد البشر، وآله الأئمة الاثني عشر، وأن يرزقني طلب ثأرهم، مع الإمام المهدي

يدعو إلى اقتفاء آثارهم، وأن يحشرني في زمرة أحبائهم وأنصارهم، ويبوئني في دار القرار في جوارهم، والمأمول من أفاضل المؤمنين الذين هم في حب الدين، أن يدعوا لي بدعاء الانتظام في زمرة الآمنين، إذ وقفوا على ما قاسيته في نظم هذا العقد الثمين، من عرق الجبين، وكد اليمين، فانه سبحان «لا يضيع اجر المحسنين». وأن يصلحوا ما فيه من الفتور والتقصير، ومظان المؤاخذة والتعبير، فان قلة بضاعتي لائحة، وإضاعة وقتي في الشواغل الدنيوية واضحة، مع ما أنا ما فيه من غربة الوطن وغيبة الكتب وضيق البال، بمفارقة الأهل والآل، إذ بعد ما ركبت غارب، الاغتراب في مبادئ الشباب، لتحصيل الحكم، وتكميل الفيوض والنعم، من وطني تستر المحروسة، إلى المشاهد المقدسة الرضوية والمأنوسة، رماني زماني إلى الهند المنحوسة، قامت تلك الشوهاء المأيوسة على ازدياد غمي، واهمت في عداوتي وإعداد همي، حتى ظننت انها هند اللائكة لكبد عمي، لكن الله سبحانه ببركات محبة أهل البيت، عليهم السلام أحيا قلبي الميت، وأجرى بناني على منوال «وما رميت اذ رميت» فانتصرنا للمصنف العلامة حاشرين، ووسمنا على جاعرة الأشاعرة القاصرين، والناصبة الفاجرة الخاسرين، «وانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين»، والله الناصر والمعين، وقد اتفق نظم هذه اللآلي، وشحت بها عوالى المعالي، في سبعة أشهر من غير الليالي، لما شرحت من كثرة ملالى، وضعف القوى وتحول البدن كالشن البالي، وكان آخرها آخر ربيع الأول المنتظم في سلك شهور سنة ألف وأربع عشرة ١٠١٤ في بلدة آكره، أكره بلاد اتخذها الكفر وكره، واستعمل فيها الشيطان مكره، صان الله المؤمنين عن مكره وجهله، وأخرجهم عن سواد الهند حزنه وسهله، بحق الحق وأهله ـــ انتهى.

والكتاب مطبوع متداول.

٢ – كتاب مجالس المؤمنين بالفارسية مطبوع، قال في الرياض: مجموعة سير مدعومة بالوثائق عن سير أكابر شهداء الامامية والصوفية في الاسلام، وهو كتاب كبير معروف في ذكر طائفة من علماء الشيعة ورواتهم وزمرة من مشاهير الامامية من السلاطين والامراء والصوفية والشعراء في الازمنة السالفة الى زمانه، فرغ من تأليفه سنة تسعين وتسعمائة، وقد أفرط في ذلك وفرط، وهو من جملة البواعث لنا في انشاء هذا الكتاب المسمى برياض

العلماء، وانما ألف «ره» كتابه المذكور حيث رأى أن المخالفين علينا قد طعنوا بان مذهب الشيعة قد حدث في مبدأ ظهور دولة الصفوية وخروج السطان شاه اسماعيل الصفوي ونحو ذلك من أقاويلهم المخيلة الفاسدة، وكان فراغه من مجالس المؤمنين يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة لسنة عشرة وألف، وكان افتتاحه في مفتتح شهر رجب المرجب المنتظم في سلك شهور سنة ثمان وتسعين وتسعمائة في بلدة لاهور صينت عن آفات الدهور، هكذا وجدت صورة خطه على آخر كتاب المجالس المذكور.

(٣) معائب النواصب في رد نواقض الروافض ألفه باسم الشاه عباس الصفوي. (٤) الصوارم المهرقة في رد الصواعق المحرقة. (٥) حاشية على تفسير البيضاوي (٦)حاشيته على شرح الشمسية. (٧) حاشيته على تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي (٨) حاشيته على شرح الهداية (٩) حاشية على شرح الجامي (١٠) حاشية على الحاشيةالقديمة للدواني على شرح التجريد (١١) حاشية اخرى على تفسير البيضاوي (١٢) حاشية على تهذيب الأصول للعلامة (١٣) حاشية على حاشية شرح التجريد (١٤) حاشية على قواعد العلامة (١٥) حاشية على الإلهيات شرح التجريد (١٦) حاشية على شرح الجغميني (١٧) حشاية المختلف للعلامة (١٨) شرح الرسالة القديمة في اثبات الواجب (١٩) حاشية رسالة إثبات الواجب الثانية وهما للدواني (٢٠) حاشية في تزييف حاشية الجلبي على شرح التجريد (٢١) حشاية علي مبحث عذاب القبر من شرح عقائد النسفي (٢٢) شرح بديع الميزان (٢٣) شرح حاشية التشكيك من الحواشي القديمة للدواني (٢٤) نور العين (٢٥) كشف الأسرار (٢٦) واقعة النفاق (٢٧) نهاية الاقدام (٢٨) نهاية رسالة انس الوحيد (٢٩) رسالة رفع القدر (٣٠) حل العقال (٣١) رسالة بحر الغدير (٣٢) اللمعة في صلاة الجمعة (٣٣) رسالة ذكر العنقاء (٣٤) رسالة عدة الأبرار (٣٥) تحفة العقول (٣٦) موائد الانعام (٣٧) الحواشي على الأجوبة الفاخرة (٣٨) رسالة العشرة الكاملة في عشرة أبواب من المسائل المشكلة أولها تفسير آية الخيط الأبيض والخيط الأسود (الثاني) حديث ستفترق امتي (الثالث)في ان الكلم بكسر اللام جنس لا جمع (الرابع) في أن اللام في الحمد للجنس لا للاستغراق (الخامس) في معنى اصول الفقة مضافاً وعلماً (السادس) في حكم صلاة الجمعة في عصر الغيبة (السابع) في المنطق (الثامن) في الإلهي (التاسع) في

الطبيعي (العاشر) في الرياضي على عبارة التحرير (٣٩) حاشية على حاشية الدواني على تهذيب المنطق (٤٠) رسالة السبعة السيارة (٤١) تفسير إنما المشركون نجس (٤٢) رسالة مبحث التحذير وفي نسخة اخرى « التجديد» (٤٣) رسالة الادعية (٤٤) الرسالة الجلالية (٤٥) رسالة لطيفة (٤٦) رسالة في بيان العرض وأنواع الكم (٤٧) رسالة في حقيقة العصمة (٤٨) رسالة في ان الوجود لامثل له (٤٩) كتاب أجوبة مسائل السيد حسن (أو حسين) (٥٠) رسالة إثبات تشيع سيد محمد نور بخش (٥١) ديوان قصائده (٥٢) رسالة في رد شبهات الشيطان (٥٣) حاشية على تحرير اقليدس (٥٤) حاشية على خلاصة الأقوال في علم الرجال (٥٥) رسالة الانموذج (٥٦) رسالة في رد مقدمات الصواعق المحرقة لابن حجر (٥٧) رسالة السحاب المطير (٥٨) شرح خطبة حاشية العضدي القزويني (٥٩) حاشية على مبحث الأعراض من شرح التجريد (٦٠) حاشية على المطول (٦١) شرح حدوث العالم على انموذج الدواني (٦٢) حاشية على شرح المختصر للعضدي (٦٣) حاشية على حاشية الخطائي (٦٤) رسالة النظر السليم (٦٥) رسالة تفسير الرؤيا (٦٦) رسالة كوهر شاه وار بالفارسية (٦٧) رسالة الخيرات الحسان (٦٨) رسالة في نجاسة الخمر (٦٩) رسالة في مسألة الكفارة (٧٠) رسالة في غسل الجمعة (٧١) رسالة في رد تصحيح ايمان فرعون (٧٢) رسالة في رد رسالة الكاشي (٧٣) رسالة في ركنية السجدتين (٧٤) رسالة في تعريف الماضي (٧٥) حاشية على رسالة تحقيق كلام البدخشي (٧٦) حاشية على شرح خطبة المواقف للسيد الشريف (٧٧) رسالة الورد والسنبلة بالفارسية «كل وسنبل» (٧٨) رسالة في حكم لبس الحرير (٧٩) شرح رباعي الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير (٨٠) كتاب منشآته (٨١) حاشية على مبحث الجواهر من شرح التجريد (٨٢) رسالة في رد شبهة في تحقيق العلم الالهي (٨٣) رسالة في رد ما كتب بعضهم في نفي عصمة الأنبياء (٨٤) شرح مبحث الجواهر من الحاشية القديمة للداوني (٨٥) رسالة في رد ما ألفه تلميذ ابن همام (٨٦) منتخب كتاب المحلى لأبن حزم الأندلسي (٨٧) التعليقات على شرح قاضي يحيى الشافعي (٨٨) أجوبة سؤالات مير يوسف علي الحسيني الاخباري في مسألة اطلاع النبي على ضمائر جميع الناس في جميع الأحوال والأزمان (٨٩) حاشية على شرح الهداية للميبدي (٩٠) ديوان شعره (٩١)

رسالة متعلقة بقول العلامة الحلي في آخر كتب الشهادات من القواعد (٩٢) ترجمة مقدمات الصواعق (٩٣) مجموعة كالكشكول (٩٤) تفسير آية من يرد الله أن يهديه الخ (٩٥) النور الأنور الأزهر في تنوير خفايا رسالة القضاء والقدر رداً على رسالة الفها بعض العامة في رد رسالة استقصاء النظر في مسألة القضاء والقدر للعلامة الحلّي (٩٦) شرح دعاء للأمام علي (ع) وهو دعاء الصباح (بالفارسية) (٩٧) الرسالة المسيحية في مسألة المسح أو الغسل في الوضوء (٩٨) رسالة في وضاعي الحديث.

ـ [رياض العلماء ٥/ ٢٦٥-٢٧٥، أمل الآمل ٢/ ٣٣٦، التعليقة على أمل الآمل / ٣٢٨-٣٢٩ شهداء الفضيلة / ١٧١ —١٨٤، نزهه ٥/٤٣٨ —٤٤٠ رقم ٧٣٠، أعيان ١٠/ ٢٢٨ —٢٣٠، الاعلام ٨/ ٥٢، روضات الجنان ط٢: ٧٣٠، نزهه ٥، دائرة المعارف الاسلامية ١٣/، مطلع انوار / ٦٩٠ — ٨٩٨ مقدمة كتاب احقاق الحق بقلم السيد المرعشي النجفي (طهران ١٣٧٦)، الشهيد آكره (بقلم السيد سبط الحسن) العدد اكتوبر ١٩٥٧. تذكرة علماء أهل بيت وجماعت لاقبال احمد فاروقي (لاهور ١٩٧٥) ص ١٠١، تذكرة بجيد تأليف. سبط الحسن (لكهنو ١٩٧٨). نيرين لحافظ علي صابر (لكهنو ١٩٦٢) مكاتيب يوسف علي اخباري وشهيد ثالث تاليف عبد الرحيم بغدادي (مخطوط في المكتبة الاصفية برقم ١١٨٤ (فن الكلام) و S.٢.Brock: ٦٠٧، Rieu، فهرس المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطاني، لندن ١٨٧٩، ج١، ص٣٧٠ Goldzihe: Beitrage Zur Literatureschichte der Shi'a and der Polemik surritischen فينا ١٨٧٤.

محمد حسين النظيري النيسابوري

(ت ١٠٢١هـ/١٦١٢م)

الشيخ الفاضل محمد حسين النظيرى النيشابوري الشاعر البليغ الوحيد في مقاصده، البعيد الغاية في ميدانه، ولد ونشا بمدينة نيشابور، وقدم الهند لعله سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة فدخل آكره، وتقرب إلى مرزا عبد الرحيم خان ونال الصلات منه، ثم سار معه إلى أحمد آباد ولازمه زمانا، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين سنة اثنتين بعد الألف فحج وزار ورجع الى الهند، وتحسس في نفسه شيئا فقرأ النحو والعربية على محمد بن الحسن المندوي، وأخذ الحديث والتفسير عن الشيخ حسين الكجراتي، وسكن بمدينة احمد آباد

واعتزل عن الناس ورفض الدنيا وأسبابها.

له ديوان شعر يحتوى على المعاني الرقيقة والمباني الرشيقة، لم يبلغ مداها أحد من الشعراء المفلقين من أهل إيران، وهو مقبول متداول في أيدي الناس.

يقول مير تقي الدين الكاشاني ان اصله من جوين، وسواء صح ذلك أم لم يصح فإنه نيسابوري كان تاجراً وفي الوقت نفسه تعاطى العلم والأدب والشعر، سافر في تجارته الى العراق وآذربيجان، ولجمعه بين التجارة والشعر والأدب كانت له منزلة خاصة عند العراقيين والأذربيجانيين، كما يقول مير تقي الدين وقد اتصل بالشعراء والأدباء في كلا البلدين، مواصلاً ثمرته في الشعر عندهم، وكان يقرأ غزلياته في المحافل الأدبية ومن هناك سافر الى هند، وفي اكره اتصل بميرزا عبد الرحيم خان خانان ومدحه بأول قصيدة، ثم لازمه، ويظهر من بعض القرائن ان سفره كان سنة ٩٩٢ أو في ابتداء الذي كان يحب الأدب والشعر، وكان الشاعر يمدحه بشعره. ولما نوى السفر الى الحج أمن له خان خانان الزاد والراحلة، ولكن سرق بعض اموالَه في الطريق، فلجأ الى الأخ الرضاعي للملك جلال الدين اكبر، (الخان الأعظم ميرزا) الذي كان هو الآخر مسافراً للحج ومدحه بقصيدة، فكان ما حصل عليه من الخان سادا لحاجته في السفر.

وورد في بعض الكتب انه بعد رجوعه من الحج ذهب الى أحمد آباد في كجرات، وتاجر هناك وأثرى من تجارته، وكان بيته ملتقى الشعراء القادمين في كل مكان، وكان يودّهم ويعطيهم ويمدحهم بأشعاره، كما كان يمدح الامير مراد بان الملك الذي كان والياً على كجرات من قبل ابيه، وفي الوقت نفسه لم يكن ينس خان خانان في قصائده.

وفي سنة ١٠١٤ تولى نور الدين جهانكير الملك بعد أبيه فطلبه الى قصره ومدحه الشاعر بقصيدة أشار اليها جهانكير في مذكراته، قائلاً: «انه نظم قصيدته المشهورة بالفارسية، واعطيته الف روبية وجواداً» اهـ.

وفي سنة ١٠١٩ وهو لا يزال عند جهانكير مدحه بقصيدة اخرى وحصل منه على ثلاثة آلاف بيكه، من الأراضي.

وهكذا عاش في كجرات تاجراً وشاعراً حتى وفاته. ــ وكما مرّ فانه ــ كان قد

تعلم اللغة العربية والعلوم الدينية، واللغة الهندية عند الشيخ غوثي المندوي مؤلف كتاب (كلزار البار). وقد ذكره الشيخ المندوي في كتابه. كما أخذ الحديث والتفسير عن مولانا حسين جومري. وفي سنة ١٠٢٠ رجع الى احمد آباد كجرات وبقي فيها حتى توفي سنة ١٠٢١ ودفن في محلة تاج بوره بأحمد آباد، وقبره فيها معروف حتى اليوم تعلوه قبة.

وقد ذكر بعضهم ان وفاته كانت سنة ١٠٢٢ أو ١٠٢٣ والصحيح في وفاته هو ما ذكرناه.

يعده عبد الباقي النهاوندي من الأمراء وذلك: أولاً للحياة التي كان يحياها، ولعقاراته وثروته التي حازها من أرباح تجارته ومما كان يصل اليه من جوائز على قصائده. ثانيا لاتصاله الدائم بالملك جلال الدين وخان خانان وميرزا اعظم.

وقد كان صلباً في تدينه، وفي احدى قصائده التي مدح بها الأمير مراد واثنى عليه لايمانه، هاجم بشدة الملحدين والذين لا يعتنون بالدين. وهو في قصائده الاعتقادية يبدأ بحمد الله ثم يمدح النبي (ص) والأئمة (ع)، ثم يأخذ في هجو الملحدين.

كان كريم النفس وصاحب عطايا. بنى قصراً ملوكياً في احمد آباد كجرات جعله دار ضيافة للشعراء والعلماء والأدباء والفضلاء. وكان يعيش عيشة الملوك وكبار الناس. وكان ينفق ما جنيه من التجارة والهدايا على الأحباب والفقراء، وانهم كانوا ينتفعون به اعظم النفع.

وفي أواخر حياته آثر العزلة والانزواء عن الناس.

طبع في الهند وايران ديوانه الذي قدمه الى خان خانان، وهو يحوي الغزل ومدائح النبي والأئمة ووحي المناسبات ووصف الشعراء والأحباب والملوك. وقد قال أحد مؤرخي الأدب الفارسي عن شاعريته: انه شاعر رقيق البيان، دقيق الوصف ن جميل الغزل، لطيف الكلام، مع فكر فلسفي عرفاني. كان من أكابر شعراء زمانه انه ليس كسعدي وحافظ. ولكن بعض غزلياته العرفانية الصوفية لا تقل لطفاً وجمالاً وابداعاً عن أشعارهما.

ومن الطرائف في حياة المترجم ان شاعراً معاصراً له يلقب بنظيري أي بنفس اللقب الذي يلقب به هو، وكان يقال احياناً: نظيري مشهدي، وسافر المشهدي سنة ١٠٠٣ من مشهد الى مكة ومنها الى الهند ووصل الى مدينة بيجابور واتصل بعادل شاه ابراهيم الثاني (٩٨٧-١٠٣٥) من سلالة العادل شاهية في الدكن، وأصبح من جملة كتابه، وكان لا

يعرف إلا بنظيري، فطلب اليه المترجم ان يغير لقبه، فوافق على ذلك وحذف الباء من لقبه فصار لقبه (نظير) فدفع له المترجم لقاء ذلك عشرة آلاف روبيه، ويبدو ان الحرف (ي) يعادل في حساب الجمل رقم (١٠) ولذلك جعل المبلغ عشرة آلاف.

وصاحبنا نظيري المشهدي (نظير) وهو شاعر الغزل. على ان هناك من توهم بان (نظير) هذا هو نظيري الذي عاش في القرن التاسع، ولم ينتبه الى الفارق الزمني بين الشاعرين.

ومن بدائعه قوله:

تو بخويشتن جه كردي كه بما كنى نظيري ... بخدا كه واجب آمد ز توا احتراز

وقوله:

رسوا منم وكرنه تو صد بار در دلم ... رفتي وآمدي وكي را خبر

وقوله:

بر صوفي بي وجد وبال است عبادت ... بر شيشه كه خالى است زمي

وقوله:

كمر در خدمتت عمر يست مي بندم جه شد ... برهمن ميشدم كر اين قدر زنار

وقوله:

مرا بساده دليهاى من توان بخشند ... خطا نموده ام وجشم آفرين دارم

ــ نزهه ٥/٣٧٦ -٣٧٧ رقم ٦٠٩

وفيه (توفي سنة ثلاث وعشرين وألف بمدينة أحمد آباد ودفن في فناء المسجد الذي بناه عند بيته) مستدركات ٣/ ٢١٢.

محمد تقي الأوحدي

(ت ١٠٣١هـ/١٦٣١م)

الشيخ الفاضل مرزا محمد تقي بن معين الدين محمد الحسيني الدقاقي البلياني من نسل

الشيخ أبي على الدقاق، كان من العلماء المبرزين في العلوم الأدبية، ولد ونشأ بأصفهان، وسافر الى «كاشان» فسكن بها مدة من الدهر من ثم قدم الهند وسكن بمدينة آكره في أيام جهانكير بن أكبر شاه سلطان الهند، له «سرمة سليماني» كتاب في اللغة الفارسية، وله «غرفات العارفين وعرصات العاشقين» كتاب في تذكرة الشعراء لم يؤلف مثله قبله ولا بعده، صنفه بآكره في سنتين وفرغ من تصنيفه في سنة أربع وعشرين وألف، وكان يتلقب في الشعر بالأوحد، ومن شعره قوله:

بسنكاى فروختم خود را   جكنم بيشتر نمى ارزم

مات في سنة احدى وثلاثين وألف، كما في «مرآة جهان نما».

ـ نزهه ٥/ ٣٧٣ رقم ٦٠٢.

محمد شريف النجفي

(ت بعد ١٠٣٨هـ.١٦٢٨ م)

الشيخ العلامه المؤرخ محمد شريف النجفي ن أصله من النجف الأشرف ولد في حيدر آباد ودرس العلوم الشائعة في عصره واختص بالفقة والأصول والتاريخ، ودخل معترك السياسة وتقرب الى الامراطور جهان كير فعينه في أحد المناصب الجليلة في عدة أقاليم متباعدة داخل الهند مثل كجرات ومالوه واجمير ودهلي وآكره والبنجاب والسند وكشمير، له كتاب بعنوان (مجالس السلاطين) اتم تاليفه سنة ١٠٣٨هـ.

ـ «مطلع انوار ٥٥١، تاريخ ادبيات مسلمانان باكستان وهند ٤/ ٥٠٣».

طالب الآملي

(ت ١٠٣٥ أو ١٠٣٦هـ/١٦٢٥-١٦٣٦م)

أحد كبار الشعراء باللغة الفارسية، اشتهر في ايران والهند في القرن الحادي عشر الهجري، ولد في آمل وبهادرس واشتهر كشاعر منذ صباه، وفي سنة ١٠١٠ انتقل الى

اصفهان ثم كاشان وبقي فيها حدود خمس سنوات وفيها تزوج وكان له فيها أقارب من جهة والدته، كالحكيم نظام الدين علي الكاشاني طبيب ديوان كل من الشاه طهاسب وخدا بنده كان زوج خالته، والحكيم ركناي مسيح الشاعر المشهور كان ابن خالته.

ومن كاشان عاد إلى آمل ثم انتقل إلى خراسان، وفي مرو الشاه جهان لازم كنش خان استاجلو حاكم المنطقة، ونظم المثنوي (خسرو شيرين) باسمه. ثم استأذن الحاكم في العود إلى موطنه لزيارة أهله وأقربائه، ولكنه بدلاً من السفر إلى آمل أخذ طريق الهند (سنة ١٠١٧) وبعد فترة من الضياع في الهند استقر في قندهار ولازم فيها غازي خان ترخان سنة ١٠٢١ وعاش فيها ينظم الشعر في مدحه مشيراً الى ضياعه في الهند بين آكره ولاهور ومولتان ودهلي إلى أن حمله الحظ الحسن إلى قندهار.

وبعد وفاة ميرزا غازي عاود المترجم السفر الى الهند، وكان ذلك في عهد جهانكير (١٠١٤ ــ ١٠٣٧)، فمن قندهار مضى الى اكره. وفيها زار فخر الزمان مؤلف (ميخانه) الذي أعجب به، ومن آكره مضى الى سورات قاصداً الملك جين قليج خان فمدحه بشعره، وبقي فترة عاد بعدها إلى آكره وفيها اتصل بمحمد حسين ديانت خان دشت بياضي وأخذ منه رسالة توصية لحاكم كجرات عبد الله خان فيروز جنك (١٠٥٤)، فاستقبله الحاكم بحرارة وعطف عليه، ولكن الشاعر لم يطل المكث عند القائد السفاك، بل عاد الى آكره ومنها إلى لاهور، وفيها التقى الشاعر آقا شابور الطهراني ابن عم اعتماد الدولة غياث الدين محمد الطهراني، فعرّفه هذا بابن عمه اعتماد الدولة الوزير الأديب الذي أوصله الى قصر جهانكير ومن ذلك الحين أخذ نجمه يسطع، وفي سنة ١٠٢٨ أصبح بمنزلة أمير الشعراء بالغاً كمال العزة، وظل كذلك سبع سنوات أوثمانية، ثم تعب وتملكه النسيان حتى وفاته.

وقد ترك بنتين يبدو أن امهما كانت قد ماتت قبله لذا تكفلهما ابن خاله الحكيم ركناي مسيح ونقلهما إلى بيته معتنياً بتربيتهما وتنشئتهما، كما أنه رثاه بقصيدة من الشعر.

يتضمن ديوان طالب ما بين تسعة آلاف إلى خمسة عشر ألف بيت من الشعر على ما قاله كتّاب السير، وهناك نسخة من الديوان مطبوعة في طهران سنة ١٣٤٦ تشتمل على

٢٢٩٦٨ بيت شعر، ما بين القصيدة والتركيبة والترجيعات والمثنوي والغزل والرباعيات والمفردات ومعظمها في مدح الحكام المازندرانيين، وميرزا غازي خان ترخان، وديانت خان، وعبد الله خان، فيزوزجنك، واعتماد الدولة، وجهانكير، وقسم منها في مدح الأئمة عليهم السلام، وقسم في مختلف المناسبات. ومن مثنوياته: القضاء والقدر وله الحرف والأنين، ومثنوي باسم جهانكير.

ـ (مستدركات ٤/ ٨).

صالح الأصفهاني

(ت ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م)

الشيخ الفاضل الكبير مرزا صالح الأصفهاني، أحد العلماء المبرزين في الشعر، يصل نسبه بثلاث وسائط إلى صدر الدين الطبيب الأصفهاني، قدم الهند وتقرب الى جهانكير ابن اكبر شاه ثم إلى ولده شاهجهان فولي على بعض المتصرفيات، وكان شاعراً بارعا في العلوم، توفي سنة ثلاث واربعين وألف، كما في «يد بيضاء». نزهة ٥/ ١٧٦ ـ ١٧٧ رقم ٢٧٨.

محمد شريف الايراني معتمد خان

(ت ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م)

الأمير الفاضل ميرزا محمد شريف بن دوست محمد الإيراني المشهور بمعتمد خان، كان من الرجال المعروفين بالتاريخ والسير والأنساب، قدم الهند وتقرب الى جهانكير بن أكبر شاه وصار من ندمائه حتى أنه كان يدخله في المنزل معه، له «اقبال نامه جهانكيري» كتاب في أيام جهانكير صنفه في ثمان كراريس بالفارسي، وكان منصبه في آخر أيامه أربعة آلاف له وألفين للخيل، مات في سنة تسع وأربعين وألف، كما في «مآثر الأمراء».

ـ نزهه ٥/ رقم ٦٢٢

شكر الله الشيرازي (افضل خان)

(ت ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م)

مولانا الشيخ العلامة شكر الله الشيرازي، أحد فحول العلماء، لم يكن له نظير في عصره في الحساب والهيئة والهندسة وسائر الفنون الرياضية، ولد ونشأ بشيراز، وتلقى الخط والحساب عن أبيه، وولي مكانه بخدمة في ديوان الخراج، ولما بلغ الرشد ترك الخدمة وصحب علامة العلماء تقي الدين محمد الشيرازي، وقرأ عليه المنطق والحكمة وغيرها من العلوم، ثم ذهب الى قزوين واستظل بعضد الدولة فرهاد خان وصاحبه مدة، ولما قتل عضد الدولة ذهب إلى همدان وصحب إبراهيم حسن الهمداني الفاضل واستفاد منه فوائد كثيرة، ثم سافر الى العراق فزار المشاهد ودخل الهند من بند كنباية، وأدرك عبد الرحيم بن بيرم خان بمدينة برهانبور فجعله من ندمائه، وشفع له إلى جهانكير بن أكبر سلطان الهند وولاه خدمة في برهانبور، فاستقام عليها ثلاث سنوات، ثم شفع له فولى الكتابة بديوان الخراج ولقب بأفضل خان، كما في «مآثر رحيمي».

وقال عبد الحميد اللاهوري في «بادشاه نامه»: إن عبد الرحيم ابن بيرم خان قربه الى شاهجهان حين قدومه إلى بلاد الدكن، فشفع له شاهجهان إلى أبيه جهانكير واستخدمه، ثم لما سار شاهجهان بعساكره إلى أوديبور بأمر والده لتأديب رانا أمر سنكه ذهب شكر الله في موكبه، ولما رجع شاهجهان إلى الحضرة شفع له، فلقبه جهانكير أفضل خان وأعطاه المنصب، ثم لما قام شاهجهان بالملك بعد أبيه أضاف في منصبه ورقاه من الإمارة إلى الوزارة، وكان ذلك في السنة الثامنة الجلوسية، وأضاف في منصبه غير مرة حتى صار مع الأصل والإضافة سبعة آلاف له وأربعة آلاف للخيل، فاستقل بالوزارة إلى وفاته.

وكان رجلاً فاضلاً وقوراً حازماً شجاعاً مقداماً عاقلاً حسن الأخلاق كثيرا لفوائد جيد المشاركة في العلوم، له يد بيضاء في الحساب والهندسة والهيئة وسائر الفنون الرياضية والحكمة.

وقال محمد صالح في «عمل صالح» ما يؤيد كلام عبد الحميد غير أنه خالفه في المنصب فقال: إنه نال سبعة آلاف له وخمسة آلاف للخيل في آخر أيامه ــ ثم أثنى على

براعته في العلوم الحكمية ثناء جميلا.

وكذلك شاهنواز خان في «مآثر الأمراء» أثنى عليه وقال: إنه كان مشكور السيرة مهذب الأخلاق نادرة من نوادر الدهر في العلوم الرياضية.

توفي في الثاني عشر من رمضان سنة ثمان وأربعين وألف بلاهور فأرخ الناس لوفاته، بعضهم من قوله «علامی از دهر رفت».

ـــ نزهه ٥/ ١٧٠- ١٧١ رقم ٢٦٩.

محمد أشرف المشهدى

(ت ١٠٩٧هـ/١٦٨٥م)

الشيخ الفاضل محمد أشرف بن عبد السلام الحسيني المشهدى، أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال، كان حارسا لمدينة برهانبور حين كان والده واليا على أقطاع الدكن، ولما توفي أبوه تقرب إلى شاهجهان بن جهانكير سلطان الهند ،تدرج الى الإمارة حتى صار مير بخشياً في عهد عالمكير، وكان رجلا فاضلا حليما كريما متورعا سليم الذهن حسن الأخلاف متين الديانة، له يد بيضاء في النسخ والتعليق والرقاع وأكثر الخطوط وله منتخبات المثنوى المعنوى، مات في تاسع ذى القعدة سنة سبع وتسعين وألف في عهد عالمكير، كما في «مآثر الأمراء».

ـــ نزهه ج رقم ٥٩٢.

عبد السلام المشهدى

(ت ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م)

الأمير الكبير مير عبد السلام الحسينى المشهدى، أحد الرجال المعروفين بالسياسة والتدبير، قدم الهند وتقرب إلى شاهجهان بن جهانكير التيمورى فولاه على ديوان الإنشاء وجعله وكيلا له في حضرة والده جهانكير سنة ثلاثين وألف، ولما قام بالملك أضاف في منصبه وجعله أربعة آلاف له وألفين للخيل ولقبه «إسلام خان» وولاه على بخشيكرى

فاستقل به أربعة أعوام، ثم أضاف في منصبه وولاه على كجرات فاستقل بها سنتين ثم جعله «مير بخشي» فأرخ له بعضهم من قوله «بخشي ممالك» فاستقل به سنتين، ثم ولي على أرض بنكاله فاستقل بها أربع سنين، ثم ولي الوزارة الجليلة فاستقل بها خمس سنوات، ثم ولي على إقليم الدكن، وأضيف في منصبه غير مرة حتى صار مع الأصل والإضافة سبعة آلاف له وسبعة آلاف للخيل.

وكان عالماً كبيرا بارعا في العقول والمنقول والإنشاء والخط، حريصا على الخدمة السلطانية، صاحب دهاء وتدبير وسياسة.

توفي في رابع عشر من شوال سنة سبع وخمسين وألف بمدينة أورنك آباد فدفن بها، كما في «مآثر الأمراء».

ـــ نزهه، ٢٣٠ رقم ٣٥٢.

أحسن الله ظفر خان التربتي
(ت ١٠٧٣هـ/١٦٦٢م)

الأمير الفاضل الباذل نواب أحسن الله بن أبي الحسن التربتي نواب ظفر خان، أحد الأمراء المشهورين في ارض الهند، ناب الحكم عن والده بكابل مدة من الزمان وبكشمير برهة من الدهر في أيام جهانكير وولده شاهجهان على بلاد السند، وأضاف في منصبه، وصار مع الأصل والإضافة ثلاثة آلاف له وثلاثة آلاف للخيل، ولما قام بالملك عالم كير بن شاهجهان عزله عن الولاية والمنصب، ووظفه بثلاثين ألفا تحصل له كل سنة من الجراية الشاهانية.

وكان والده من أهل السنة والجماعة، فخالفه في المذهب وصار شيعيا متصلبا في المذهب.

وكان باذلا كريما يرسل الصلات والجوائز للناس إلى بلاد الفرس، وقد مدحه الشعراء بأبيات رائقة رقيقة، منهم مرزا محمد علي الصائب التبريزي قال فيه:

كلاه كوشه نجو رشيد وماء مي

باين غرور كه مدحت كو ظفر خانم

وقال فيه:

حقوق تربيت را كه در ترقي باد

زبان كجا است كه از حضر تت سخن

توباى تخت سخن را بدست م دادى

توتاج مدح نمادى بفرق ديوانم

زروى كرم توجوشيد خون معنى من

كشيد جذب تواين لعل از رك جانم

تو جان زدخل بجا مصرعي مرا دادى

تو در فصاحت دادى خطاب سحبانم

ولأحسن الله خان أبيات رائقة بالفارسية قوله:

بـــه تـــيغ بي نـــيازى تـــا تـــواني قطـــع هـــستى كـــن

فلـــك تـــا افكـــند از بـــا تـــرا خـــود بيـــشدستى كـــن

في عام ١٠٤١هـ عين شاه جهان (١٠٣٧–١٠٦٩) حاكماً على كشمير بدلاً من اعتقاد خان. وأوكل إليه منصب (السهزاري). وحين توجه ظفر خان إلى كشمير، ترك (صائب) الشاعر المذكور بلاط شاه جهان ورافق ظفر خان في رحلته إلى تلك الولاية. وكان لإقامة ظفر خان في كشمير الأثر البالغ في ازدهار الشعر والأدب لأن أغلب شعراء ذلك العصر تجمعوا حوله، وطفقوا ينشدون الشعر في حضرته ويتبارون في ذلك، وكان من عادته أن يقترح موضوعاً للغزل، يأخذ الشعراء في مجاراته، وقد أسهمت هذه العادة في إضفاء رونق خاص على الشعر والشعراء.

عزل ظفر خان عن ولاية كشمير عام ١٠٤٨، ولما غادر كشمير تقوض مجلس الشعر والأدب فيها. من هنا عُدَّ ظفر خان من الأشخاص الذين أسهموا في تنمية الشعر والأدب الفارسي. وسبب إقبال شعراء إيران عليه وخصوصاً الشاعر صائب هو اهتمامه الكبير في هذا المجال. ومن أشهر الشعراء الذين لازموا مجلسه وارتبطوا معه بعلاقة خاصة. صايب وكليم والقدسي والغني ودانش والمير صيدي.

كان ظفر خان يطرح قرطاساً يكتب عليه الشعراء شعرهم، وتُرسم صورة كل شاعر خلف شعره. ويذكر خوشبو صاحب كتاب «السفينة» أنه رأى هذا القرطاس. ويتحدث صاحب «شمع انجمن» ومؤلف «مآثر الأمراء» عن ظفر خان بقولهما: يكفي ظفر خان فخر وشرفاً إن الميرزا صائب امتدحه في شعره.

ينقل عن ظفر خان في أيام شبابه أنه لم يكن يتورع عن محرم ولا ينتهي عن منكر حتى كانت ليلة الاثنين الثاني والعشرين من جمادى الأولى عام ١٠٦٣هـ حيث رأى الرسول (ص) في الرؤيا فتاب على يده. وأخذ بعد ذلك يؤدي واجباته الدينية ويقرأ الأدعية، فوضع له العلماء كتاباً في الأدعية والأذكار المنقولة عن الأئمة (ع) وسموه «أحسن الدعوات» وأضافوا إليه شروحاً باللغة الفارسية ومنه نسخة خطية في مكتبة مجلس الشورى / طهران برقم ٨٢٤.

توفي ظفر خان عام ١٠٧٣ في لاهور، ودفن في مقبرة أبيه ويمكن القول إن أبرز الأمراء الهنود في زمن شاه جهان ممن ناصروا الشعر والشعراء ودعموهم بتأييدهم هو ظفر خان الذي كان يُنشد الشعر بنفسه، ويستفيد في ذلك من صايب. وقد ذكر ذلك في شعره، وهو موجود في نسخة خطية تحت عنوان «كليات احسن» في مكتبة بانكي بور في الهند تحت رقم ٣٢٩.

محمد طاهر عنايت خان

(ت ١٠٨١هـ/١٦٧٠م)

الميرزا محمد طاهر المعروف بعنايت خان، هو ابن ظفر خان (المتقدم ذكره) من القادة الأدباء الشيعة، كان يعتني بالشعراء والأدباء ويجالسهم وله ديوان شعر وثلاثة في المثنوي. وله في النثر تلخيص للملا عبد الحميد اللاهوري المتوفى ١٠٦٥هـ. «بادشاه نامه» وهي تفصيل لثلاثين سنة من سلطنة شاه جهان وسماه التلخيص المذكور باسم «الملخص». ويذكر صاحب كلمات الشعراء أنه أفصح من الملا حميد.

عين عنايت خان في عهد شاه جهان في منصب الـ «هـ زار وبانصدي»

«والبنجهزاري والسه هزاري والهزار وبانصدي اصلاحات مشتقة من الأرقام الفارسية تعني خمسة آلاف والثاني ثلاثة آلاف والثالث الالف والرابع الخمسمائة، وهكذا». ولكنه عزل في عهد ابنه عالم كير (١٠٦٩ ــ ١١١٩) فقضى حياته في كشمير معتزلاً حتى وافته المنية عام ١٠٨١.

ــ نزهه ٥ / ٣٧ — ٣٨ رقم ٦٢، مآثر الامراء

ــ مستدركات ٥/ ٦٨ وكرر ترجمته.

مرشد الشيرازي

(ت القرن ١١هـ)

ملا مرشد الشيرازي، كان من الأمراء، قدم الهند، وتقرّب الى مهابت خان «زمانه بيك بن غيور بيك الكابلي المتوفى ١٠٤٤هـ»، ولبث عنده زماناً، ثم تقرب إلى جهان كير ثم إلى ولده شاه جهان، فلقبه الأخير (مكرمت خان) وتنقل في الوظائف حتى وُلي على أيالة دهلي واضاف في منصبه غير مرة حتى صار أربعة آلاف له وأربعة آلاف للخيل، وكان فاضلاً كريماً بارعاً في الهيئة والهندسة والحساب، يرجع إليه فضل كبير في تأسيس شاهجهان آباد وقلعتها.

ــ (نزهه ج، رقم ٦٨٨)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خرّم شاه جهان

(١٠٠٠ ـ ١٠٧٥هـ / ١٥٩٢ ـ ١٦٦٦م)

الأمبراطور خُرَّم شاه، الأبن الثالث للامبراطور جهان كير، سماه جده بـ (خرم) أي (مسرور)، ولقبه والده: (شاه جهان) ولما اعتلى العرش في آكره في ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٨م.

تلقب بـ (شهاب الدين محمد صاحب القران الثاني) وكان من أعاظم ملوك الأسرة المغولية وقد امتد صيته الى العالم أجمع، وبدأ عهده بالتخلص من أخيه الوحيد الباقي على قيد الحياة وهو شهريار اذ مات خسرو في سجنه ومات برويز قبل والده بسنة، وقد ادعى شهريار الملك فتصدى له آصف خان ودفعه عنه وأعلن ملكية داور بخش بن خسرو، بيد أنه لم يكن يرمي من وراء ذلك إلا أن يتخذ هذا الأمير المغمور درعاً للقضاء على شهريار وليخدع به الناس ويلهيهم حتى يحقق هدفه. وبعد هذه المناورة كان لا بد من أن تلعب السيوف بين مدعيي السلطنة، ولما كان شهريار في لاهور فقد سار إليه آصف خان، ونشبت بينهما معركة انتصر فيها آصف خان، فقبض على شهريار وعلى ولدى دانيال بن أكبر اللذين كان يخشى عصيانهما فأمره خرم، الذي كان على اتفاق معه لتدبير هذه الخطة، بقتلهم فقتلوا جميعاً، ثم أمر خرم قبل أن يدخل آكره بقتل داور بخش فأخذه آصف خان وقتله وماكاد الوضع يستتب حتى نشبت ثورة جهجار سنكه أمير بندهيل كُهنْدْ، وكان والد هذا الأمير مقرباً إلى الامبراطور أكبر، فكان يستغل عطف الامبراطور عليه وحسن ظنه به، فيظلم رعاياه ويعتدي على جيرانه ويسلب أبناء السبيل الذين يعبرون بلاده، وكان شاه جهان يرى هذا، وهو أمير، ويزعجه وينوى تأديبه متى آلت إليه أمور الملك، ولكن الرجل مات قبل أن يصل شاه جهان إلى الملك، وكان ابنه جهجار سنكه هذا رهينة في آكره لضمان إخلاصه للملك، كما كانت العادة آنذاك. فلما تولى شاه جهان العرش غادر جهجار سنه آكره، وعاد إلى بلده من غير ان يستأذن الامبراطور،

مدعياً أنه خاف بأن يؤخذ بذنوب أبيه.

وكان شاه جهان يتغاضى عن هذه البادرة لو أثبت إخلاصه، ولكن الأمر كان على الضد من ذلك، إذ أنه لم يمض عليه غير قليل حتى ثار في وجه السلطان، سنة ١٦٢٩، فقمع شاه جهان ثورته وعفا عنه واكتفى منه بالخراج والطاعة. ولكن جهجار سنه ثار بعد سنوات مرة ثانية وصار يقطع الطريق بين دكن وبين آكره فجهز الامبراطور شاه جهان جيشاً بقيادة ابنه أورنك زيب وأرسله لقمع هذه الثورة، فقمعها واستولى على القلاع الثلاث التي كانت في يده، ففرَّ جهجار فطاردته الجنود حتى مقاطعة «كونْدْوانه»، وكان أهلها أعداء له فأخذوه وقتلوه هو وأصحابه وأعطيت إمارته إلى ديوى سنكَه، وهو من أمراء الأسرة التي كانت تملك هذه الإمارة قبل اسرة جهجار سنكه.

وفي الوقت الذي كان أورنك زيب يعمل على إخماد هذه الثورة كانت ثورة أخرى تشتعل في دكن أثارها خان جهان لودهي، وكان أيضاً من أولياء الأسرة المغولية وتولى في عهد جهانكير ولايتي خانديس ودكن، فلما سمع بوفاة السلطان وولاية داور بخش العرش أعتبره الوريث الشرعي للعرش وأعلن ولاءه له، فلما قتل داور بخش وتولى شاه جهان العرش تردد خان جهان بالاعتراف به ثم إنه طلب العفو ودخل في الطاعة ظاهراً ولكنه كان يضمر السوء، ولم يمض عليه غير قليل حتى جهز جيشاً وسار يريد آكره من غير أن يستأذن السلطان، فذهبت جيوش السلطان تعترض طريقه، والتقى الجمعان بالقرب من مدينة دُهَوْلْبُور فانهزم وفرَّ ملتجئاً إلى دولت آباد فاستقبله أميرها بالترحاب والإكرام وأقطعه مقاطعة تقوم بنفقاته ريثما يجمع رجاله ويحكم أمره. ولما سمع الأفغانيون بعصيان خان جهان، وهو أفغاني، أخذوا يتقاطرون عليه من كل حدب وصوب ظناً منهم بأنه سيعيد إليهم أيام شير شاه، فسار إليه شاه جهان بنفسه وطارده وأشتبك معه في عدد من المعارك كانت أخراها معركة نشبت سنة ١٦٣١، قتل فيها خان جهان وتشتت جمعه وقضى على ثورته، وحيث أن أمير دولت آباد قد عطف على هذه الثورة، فقد أخذه السلطان وقتله، وظل السلطان حتى سنة ١٦٣٢، يجول خلال دكن حتى بلغ حدود كل من إمارتي بيجابور وكولكنده، ولم تكن الجيوش المغولية وصلت من قبل إلى هذا الحد قط، وكان وجود الجيوش المغولية على حدود هاتين الإمارتين مدعاة للتحرش بهما

والقضاء عليهما بعد ذلك. فقد بدا المغول يستولون على القلاع الحصينة من غير ان يعلنوا حرباً، وأزاء هذه الخطة انقسم أهل البلاد إلى فريقين، فريق لم يرَ فائدة من القتال فمال إلى المغول، وفريق لم ير بداً من القتال. وقد أرادت بيجابور أن تساعد المغول للقضاء على الإمارة النظامية واقتسامها بينهما، ولكن القدر شاء غير ذلك، إذ حدث أن قتل وزير الإمارة النظامية، فتح الله خان، أمير البلاد ونصب مكانه فتى يافعاً اسمه علي حسين، وأدخل الإمارة في طاعة شاه جهان فأفسد على إمارة بيجابور خطتها، وأنقذ إمارته من أعداء كانوا يريدون الفتك بها، وكان أشد هؤلاء الأعداء خطراً زعيم هندوكي اسمه ساهوجي الذي نُصّب بالاتفاق مع إمارة بيجابور، أميراً على إمارة دولت آباد، وسار باسم هذا الأمير الفتى، لقتال فتح خان، فاستنجد فتح خان بالمغول فأنجدوه ولكنه انقلب عليهم أثناء القتال وانضم إلى بيجابور، فلم تنفعه حيلته، ولا ضمنت له سلامته، بل الهزم هو وإمارة بيجابور أمام المغول، فدخلوا العاصمة وأخذوا الأمير الشاب علي حسين نظام شاه، وهو آخر أمراء هذه الأسرة، وسجنوه في قلعة كواليار.

ولكن هذه الهزيمة لم تقض على الإمارة بل عصت قلعة بريننده، وفرّ ساهوجي بالأمير الذي نصبّه واتخذه وسيلة لغايته وجعل يشن حروب عصابات في وجه المغول، فأرسل شاه جهان ابنه الأصغر شجاع الدين والياً على الدكن، وأمره بمطاردة العصاة والقضاء عليهم، ولكنه ظل يجالدهم سنة كاملة دون جدوى، فلما رآى شاه جهان ذلك أمر ابنه بالرجوع إلى آكره وسار هو بنفسه، سنة ١٦٣٥، على رأس جيش إلى الدكرن وأرسل إلى كل من أمير بيجابور وأمير كولكنده يدعوهما إلى الطاعة وأداء الخراج، فأجاب أمير كولكنده بالطاعة، وتلكأ أمير بيجابور، فدخلت الجيوش المغولية بلاده ودمرتها، وتراجعت جيوش الإمارة إلى العاصمة لتنظيم دفاعها، فحصرها شاه جهان فيها وانصرف إلى تدمير المناطق الكائنة في السهول، وبينما كان منصرفاً إلى ذلك كان أهل العاصمة يضجون ويطلبون الأمان ويعرضون الصلح، فصالحهم على شروط شريفة وطلب منهم الإخلاص في الصداقة وعدم مساعدة أحد على السلطنة وعلى أداء الخراج وضرب النقد وقراءة الخطبة باسم السلطان شاه جهان أمبراطور الهند.

ولم يكن السلطان مخلصاً في نيته، بل كان يود أن يقيم في هذه الإمارة حارساً أميناً

لأمبراطوريته في الدكن إلى أن يحين الوقت للإستيلاء عليها.

وبعد أن أطمأن السلطان إلى نتائج أعماله قسم الدكن إلى أربع ولايات وعهد بإدارتها إلى أبنه ارونك زيب وأوصاه بالقضاء على الثائرين ورجع سنة ١٦٣٦ إلى آكره. فعمل هذا الأمير بوصية أبيه واستكمل فتح الإمارة الذي نصبه درعاً له، فعفا عنهما، وعهد إلى ساهوجي بعمل في إمارة بيجابور.

ولم تمض سنتان على وجود أورنك زيب في الدكن حتى استولى على منطقة بكلانه، وهي منطقة جبلية تقع ما بين خانديس وسورت، ومشهورة بوعورة مسالكها ومنعة قلاعها الحجرية التي لم يستطع «أكبر»، من قبل، الاستيلاء عليها.

بقي أورنك زيب حتى سنة ١٦٤٢ والياً على الدكن، نشر فيها الأمن والرفاهية، ثم إنه استقال وأراد اعتزال الأعمال العامة لينصرف إلى نفسه، من الناحية الدينية، ولكن أباه أصر عليه بقبول ولاية كجرات فقبلها.

وفي البنغال استغل البرتغاليون فرصة تسامح ملوك المغول معهم ومع غيرهم من الانجليز والهولنديين فأخذوا يحصنون مركزهم في هوكلي ويتدخلون في شؤون الولاية هناك ولم يتمكن والي النبغال أن يردعهم فاستنجد بالحكومة المركزية فبعث اليه الامبراطور من يؤدبهم، واشتبك معهم في احدى المعارك الفاصلة، واسر اربعمائة من رجالهم وكان ذلك سنة ١٦٣٢ م.

وفي سنة ١٦٤٦ نشبت حروب أهلية في بخارى اضطرت أميرها إلى الاستنجاد بشاه جهان، مقراً بسيادته على بلاده، فرأى شاه جهان الفرصة سانحة ليحقق حلماً قديماً ما زال يرافق أطماع أسرته منذ عهد بابر، الذي كان يعتبر بلاد بخارى ملكاً موروثاً اغتصبه منه أولاد عمه الأزابكة، فأنجد أمير بخارى بجيش قوامه خمسون ألف مقاتل سيَّره بقيادة ابنه الأمير مراد بخش، فلما دخلت الجنود الهندية مدينة بلخ أسقط في يدي أميرها وندم على ما فعل وأدرك الخطيئة التي ارتكبها وأيقن بان شاه جهان لن يترك له هذه البلاد بعد ذلك أبداً، ففرَّ من بلخ وأخذ يؤلب الناس حتى اجتمع لديه خلق كثير، وجاء فصل الشتاء فغادر مراد بخش بخارى عائداً إلى آكره، ورجع أمير بخارى الى عاصمته، ولكن شاه جهان

لم يرض عما فعل ابنه، الذي أفسد عليه خطته، فجهز جيشاً ثانياً وأرسله سنة ١٦٤٧، بقيادة ابنه اورنك زيب فقاتل الأزابكة، ولكنه عجز عن أن يفرض عليهم السيطرة الهندية، فعقد معهم صلحاً لستر فشله، وعاد إلى الهند بأمر والده الذي أدرك خطأ تفكيره، لا سيما ،ان ما استرقته هذه الحرب من نفقات كادت توقع الإمبراطورية في عجز مالي.

فلما عاد أورنك زيب من بخارى عينه أبوه والياً على ملتان فاخضع بعض مناطق في السند، لم تكن خاضعة بعد للسلطنة، واستولى على المنطقة الساحلية من بلوجستان ومكران، وقرئت الخطبة في المساجد وضرب النقد في هذه البلاد النائية باسم السلاطين المغولية لأول مرة في التاريخ.

وفي سنة ١٦٤٩ عهد السلطان إلى أور نك زيب بقيادة حملة للاستيلاء على قندهار، التي كانت موضع نزاع مستمر بين الإيرانيين وبين الهنود، وكان قد أن قام العاهل الإيراني وضمها إلى الهند، سنة ١٦٣٦، فحصنها الهنود وأنفقوا عليها أموالاً طائلة، فجاء الإيرانيون واستولوا عليها، سنة ١٦٣٨، مرة ثانية، فكانوا بذلك معتدين، وقد أراد شاه جهان إرجاعها إلى الحظيرة الهندية، ولكن مهمة أورنك زيب أخفقت، إذ انه خاض مع الإيرانيين معركتين في سنتي ١٦٤٩ و ١٦٥١ فانهزم أمامهم وعاد إلى بلاده. وفي سنة ١٦٥٣ أرسل السلطان أبنه «دارا» لقتال الإيرانين والاستيلاء على قندهار، ولكن حظه لم يكن بأحسن من حظ أخيه، فانهزم وعاد إلى بلاده، وبقيت قندهار بيد الإيرانيين.

كان (شاه جهان) قد خصص نصف دخله لترقية العمارة وغيرها من الفنون، وقد تجلى ذوقه وعظمته في تجديد وزخرفة آكره، وفي تشييد مدينة دهلي الجديدة أو كما سماها (شاه جهان آباد) حيث قضى الجانب الأكبر من شيخوخته التي اتسمت بالبذخ والترف، معتلياً عرش الطاووس المشهور الذي استغرق صنعه سبع سنوات، وقد تضمن هذا العرش الرائع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من نفائس الجواهر والأحجار النادرة العجيبة الكريمة، ولا شئ غير هذه، فقوائمه الأربع من ذهب، ويحمل سقفه المطلى بالميناء اثنا عشر عموداً من الزمرد، وعلى كل عمود طاووسان مغطيان بالجواهر، وبين كل طاووسين شجرة يغطيها الماس والزمرد والياقوت واللآلئ، وبلغ مجموع تلك النفائس ١٢٠٠ كيلو غرام من الذهب والجواهر بقيمة ٢٩ مليون روبية ولقد استولى «نادر شاه»

على هذا العرش ونقله إلى فارس وهناك أخذت أجزاؤه تنتزع شيئاً فشيئاً لتسد نفقات الأسرة المالكة في فارس.

إلا أن أهم اعماله العمرانية على الاطلاق هو اعجوبة العمائر الاسلامية بل اعجوبة الصروح الاثرية في العالم هو البناء الذي يطلق عليه اليوم اسم (تاج محل) فالروعة والجمال اللذان يمثلان في هذه الذروة الشامخة التي بلغتها الفنون الاسلامية ما يصح أن يكون عنواناً لأزهى مراحل العصر الاسلامي المغولي في شبه القارة الهندية.

فالفن المعماري الذي يتمثل فيه فن اسلامي خالص لا أثر للفنون الهندية وغير الهندية فيه. والطراز الهمايوني الذي يتجسد فيه قد بلغ قمة في تاج محل لا نكاد نذكر انه بلغها في غيره.

وقد زاره الكاتب الامريكي بايارد تيلور سنة ١٨٥٣ فقال فيه: «ان مبنى بهذا الجمال والكمال، في كافة تفاصيله ودقائقه، لا يلبث ان يسحرك فتحسبه من صنع الجن لا الأنس.. الجان الذين لا يعرفون شيئاً من الضعف أو القصور التي يعاني منه الأنسان».

أو كما قال البحتري في وصف ايوان كسرى:

لـيس يـدري اصـنع انس لجنٍ ... أبدَعُـوهُ أم صـنع جـنّ لأنس ؟

كل ذلك مصدره حب شاه جهان ووفاته لزوجته (ارجمند بانو) فما هي تفاصيل هذا الحب والزواج والبناء التذكاري العظيم تاج محل ؟

الملكة ممتاز محل صاحبة التاج[1]

تبدأ قصة تاج ملح الحقيقية عام ١٦٠٧ في بلاط جهان كير بمدينة آكرا حيث كان يحتفل السلطان في إحدى المناسبات في (مينا بازار) سوق مينا الملكي وكانت أبواب السوق متصلة بحريم الملك، وفي تلك المناسبة لمح الأمير خرم والذي كان يبلغ السادسة

(١) الاسـم الحقيقي للبناء التاريخي (تاج محل) هو ممتاز محل وقد حرّف الهنود اسم ممتاز الى تاج لصعوبة نطق الأول في ألـسنتهم وسـرى الخطأ الشائع حتى يومنا هذا وقد يسميه الهنود ايضاً بروضة (تاج كنج) أي قصر التاج مع أن المقصود الاصلي هو ممتاز كنج أي قصر ممتاز.

عشر من عمره، محبوبته الأميرة الشيعية ارجمند بانو [ارجمند بالفارسية معناه كفء لائق جدير، وبانو لقب تكريمي يضاف للنساء مثل بيكم أو خاتون] بنت آصف جاه ابي الحسن بن غياث الدين ابن محمد الطهراني وعمتها نور جهان زوجة الامبراطور جهان كير، وقد ولدت ونشأت في الهند، وكانت وحيدة عصرها في الحسن والجمال، ففاتح والده بالزواج منها فأذن له على أن يكون ذلك بعد خمس سنين، وقد تم ذلك في ٢٧ آذار عام ١٦١٢، وقد حازت العروسة على رضا السلطان فأطلق عليها اسم «ممتاز محل» وتعني زينة القصر، وكانت امرأة مثقفة ثقافة قرآنية جيدة، وسعت آفاق تفكيرها وفتحت مداركها كما امتازت بالعقل الراجح والرأي الرزين وسرعان ما أصبحت المستشارة السياسية الأولى لزوجها التي تبوأ الملك بعد ذلك وعرفت برعايتها للفقراء والأرامل واليتامى وقد اكسبها ذلك شعبية كبيرة في المملكة وكان زوجها الامبراطور يعهد اليها بحفظ الختم الملكي كما كانت ترافقه الى ساحات الحروب كما كانت ترافقه في غزواته وحملاته العسكرية وفي رحلات الصيد والنزهة والإستطلاع عبر الغابات والقفار فطوفت معه في كثير من انحاء الهند الشاسعة، وكانت مغرمة شأنها شأن زوجها بالعمارة والبناء فعمل الملك ـــ ولمشورتها أثر من ذلك ـــ على إعادة بناء القصور في قلعة آكرا وتزيينها بالموصلين والرخام المحفور المزدان بالجاديت واللازورد والعقيق الأحمر والأحجار الكريمة. وبعد ذلك أوعز السلطان ببناء الصرح العظيم عرش الطاووس (المار ذكره) والذي أضحى رمز الثروة الخيالية والقوة والتفاخر المغولي.

عاشت الملكة تاج مع زوجها شاه جهان على مدى تسع عشرة سنة عيشة ملؤها المحبة والوفاء والإخلاص، وكانت الملكة (ممتاز محل) بالإضافة إلى جمالها وصفاتها الإنسانية المثلى أمّا رائعة فقد أنجبت لحبيبها ومليكها شاه جهان أربع عشر ابنا وبنتا بقي منهم سبعة على قيد الحياة وقد انجبت معظم أولادها في الخيام المنصوبة بالقرب من ساحات الوغى أثناء مرافقتها لزوجها، وفي عام ١٦٢٩ م وهو العام الثالث من حكم زوجها حملت ممتاز محل للمرة الأخيرة وكعادتها أصرت على مصاحبة زوجها في حملة حربية كان يعد لها م قبل، وعلى قرب من مواقع الأعداء ودمدمات الحرب أنجبت له بنتا في المضارب التي أقيمت بالقرب من مدينة (برهان بور) وكانت الولادة عسيرة أثرت على صحتها جدا وعلى أثر

ذلك استدعى السلطان للجلوس إلى جانبها يخفف عنها العناء ويسامرها ثم ازدادت حالتها سوء ولم تنفع جهود الأطباء، وحين أحست بدنو أجلها همست في أذن زوجها الملك ووصته أن يحقق لها أمنيتها ألا وهي بناء أعظم صرح تعرفه البشرية على مر العصور ليكون شاهدا شاخصا على حبهما الكبير، وبعد هنيئة فارقت ممتاز محل الحياة في ديسمبر سنة ١٦٢٩ م وهي في السابعة والثلاثين من عمرها وكان ذلك اثناء المخاض في الطفل الرابع عشر، وكان المولود ابنة سمّيت جوهر آرا ودفنت في قبر مؤقت في حديقة زين آباد في مدينة برهان بور حيث كان يعسكر السلطان يومذاك، ثم نقلت الرفاة الى مدينة آكرا ودفنت بحديقة راج أمان سنغ التي اختيرت لتكون المقر الأبدي للملكة الراحلة وعوّض عنها صاحبها بضيعة من ضياع شاه جهان وبقي تابوت ممتاز محل في تلك الحديقة المشرفة على الشاطئ الأيمن لنهر جمنه مدة طويلة حتى اتم السلطان خططه العمرانية للبدء بتشييد صرح تاج محل العظيم.

بنـــاء تـاج محــل:

بالرغم من عودة السلطان من حملته الحربية سنة ١٦٣١م منتصرا إلا أن الحزن الشديد قد خيّم على نفسه وكل مظاهر الحياة التي كان يحياها ويتمتع بها في القصر أو خارجه فقد كاد يجن ألما وحرقة لفراق حبيبته في ذلك الحدث المأساوي المفجع حتى قيل يومها أن السلطان فكر في اعتزال الحكم وتقسيم المملكة بين أولاده ويوما بعد يوم كان صدى الوصية في فكره ينمو ويتسع فاعتزم على بناء أعظم وأفخم قبر انشى ء لملك أو عظيم من عظماء الدنيا وهكذا دعا السلطان أقطاب صناعة البناء والهندسة في الهند وخارجها وشاورهم في تنفيذ فكرته السلطان ولكنهم عجزوا عن أن يأتوا بالأعجوبة التي يريدها ثم جاءه مهندس عربي قائلاً له:

أني قادر على أن أصنع ما تريد ولكني أطلب من جلالتك أن تملأ لي قاربا من الذهب لنذهب فيه بنزهة في نهر جمنا، فأجابه السلطان إلى ما طلب، ولما كانا في منتصف النهر صار المهندس يأخذ الذهب براحته ويقذف به في النهر وقال للسلطان: ان كنت تنثر الذهب هكذا من غير حساب كما أفعل أنا الآن فإني أستطيع أن أصنع لك أعجوبة،

فوعده الملك بما طلب وكانت هذه القطعة الفنية الرائعة. ومهما كان مبلغ هذه القصة من الصحة فإنها ترمز إلى حقيقة يعجز عالم اليوم عن الإتيان بمثلها.

وهكذا بدأ العمل لعمارة هذا التاج، واستمر العمل في بنائه اثنتين وعشرين عاما، وتم بناؤه بين سنتي (١٦٣٢ ـــ ١٦٥٤) ويقال أنه كان يشتغل في بنائه كل يوم، طوال هذه المدة، عشرون ألف عريف وبنّاء وعامل، انشئت لأقامتهم مدينة في بقعة قريبة خاصة سميت باسم الملكة الراحلة ـــ ممتاز آباد ـــ وبنفقة بلغت ثروات هائلة قيل أنها بلغت ما يوازي ٤٠ مليون روبيه وبتلك الجهود الحثيثة انشئ هذا الصرح الخالد الذي لا يضارعه صرح آخر في الفخامة والبهاء، ولا عجب فهذا المرمر الظاهر الكريم الذي يلف تاج ملح يبهرك وانت تنظر إليه.. ان له من البهاء والصفاء ما يجعله يبدو لك كالكوكب الدري..

لقد جمعوه من محاجر مختلفة، وبخاصة محجر مركانا الشهير في الهند. وراحوا يفحصون كتل الرخام ويدققون النظر في جودتها فلا يختارون إلا الأمثل الأمثل منها.. ولعل ما أهملوه من تلك الكتل، لأقل طعن في عراقتها، اكثر بكثير من الذي اختاروه.

وحرص المهندسون المعماريون الذين أشرفوا على اعمال البناء والتصميم ـــ وكانوا كثرة فيهم الفارسي والتركي والايطالي ـــ حرصوا على أن يبرزوا بهاء ذلك المرمر وروعته، فعمدوا الى اسلوب المفارقة، واستعملوا حجارة سكرى الحمراء في تشييد المبنيين الصغيرين القائمين على جانبي تاج محل.. واحدهما المسجد.. والآخر المعد للاستراحة ويسمونه «جواب».

انه أثر فريد لا يسع أي سائح أن يأتي إلى الهند أن يتخلف عن زيارته ومن عظيم صنع هذا الأثر إلا أنه على الرغم من مضي أكثر من ثلاثة قرون ونصف على بنائه. فإنه ما زال إلى يومنا هذا وكأن يد الصانع لم تبارحه إلا بالأمس، حتى قال أحد السواح بدافع الدهشة والإعجاب من الظلم أن يترك هذا البناء هكذا معرضا لعوامل الجو والطقس المتغير، بل يجب ان يصنع له بيت من الزجاج يحيط به، حتى يراه الناس ولا يمسوه.

وقد أراد شاه جهان أن يبني أمام تاج محل الأبيض بناء مثله على الضفة الأخرى من نهر جمنا على أن يكون من الرخام الأسود وقد بدأ بالأسس ولكن البناء لم يتم، ولم يشأ

انه وخليفته من بعده اورنك زيب أن يتمه فاندثر وحق للهند أن تفاخر بهذا الأثر وأن تعتبره إحدى عجائب الدنيا السبع.

وصف تاج محل:

ضريح تاج محل يتألف من بناء مرمري أبيض يقوم على شرفة عالية، وتعلوه قبة ضخمة في وسطه، تحيط بها أربع قباب أصغر حجما، وترتفع عند زوايا الشرفة أربع منارات دقيقة، وتبلغ مساحة الضريح ١٨٦ قدما مربعا، وقطر القبة الداخلي ٢٨ قدما، ويخترق ضوء النهار ستارا مزدوجا من الرخام المشغول فتسقط أشعته على قبرين تحت القبة تماما للملك وزوجته، أما الزخارف الداخلية المطعمة بأحجار شبه نفيسة فتمتاز بألوانها الزاهية ورسومها الأخاذة.

وقد زخر البناء بكافة عناصره المعمارية من أرض ومآذن وقباب وجدران وسقوف ونقوش وزينة وزخارف، كله رخام في رخام أبيض ناصع ونقشت جدران البناء بصور حيوانات رصعت في الأصل الرخامي الأبيض رخاماً موّلهُ بألوان مختلفة من ألوان الحيوانات الحية ذاتها من طيور وسباع ودواب حتى لتكاد لدقة صنعها وأحكام تنسيقها وانسجامها يحسبها الرائي لوحات دهان زيتي صنعت بيد رسام ماهر، هذا بالإضافة إلى ما في هذا البناء من حيث مظهره الخارجي من تناسق وانسجام وذوق قلما يجد المرء له مثيلا وليس في هذا لبناء كله حديد ولا خشب بل كله رخام في رخام وقد وُفق شاه جهان فعلاً في أن يبهر العالم حتى يوم الناس هذا بعمله المعماري العظيم الذي خلّد فيه قصة وفائه لزوجته وكان بعد اتمامه يجلس في غرفة من قصره في آكرا تشرف على الوادي الذي يقع به تاج محل، وقد طعمت أفاريز بابها، ونوافذها بقطع صغيرة من البلور، اذا نظر فيها الفتى امامه صورة (تاج محل) معكوسة فيها وهكذا كان كلما ضاق صدره يرمي بطرفه الى زوايا البلور المتلألئة فيرى صورة ضريح زوجته الحبيبة.

هذه صورة اولية لهذا الأثر الخالد، أما الدخول في تفاصيلها فيستدعينا وصف ما يراه الزائر أولاً حينما يباشر بوضع أولى خطواته على مداخل الحديقة الغناء التي تحيط له، والمجاز الى تلك الحديقة الفسيحة الأرجاء، العابقة بزهورها واشجارها الجميلة عبارة عن

مدخل هائل ذي ثلاثة عقود تقوم فوق قاعدة مربعة ضخمة من الحجر الأحمر، وتبلغ هذه العقود في الطول نحو خمسين مترا وفي العرض نحو خمسة وثلاثين وفي الارتفاع نحو ثلاثين. وقد زينت البوابة الوسطى من الأمام والخلف بافاريز من الرخام، نقشت فيها بعض آيات قرآنية بخط ثلث جميل.

ومن هذا المدخل الضخم، نهبط الى الحديقة الشاسعة التي يقع في نهايتها الضريح قبالة المدخل، وهي حديقة منسقة ساحرة، تقوم بها أشجار الزينة في أوضاع متماثلة، وتتخللها الحظائر والممرات الرخامية، والنوافير الجميلة. ومن المسلم به انها تقوم فوق موقع الحديقة القديمة، التي كانت قائمة منذ انشاء الضريح.

وقد بقيت بها منذ عصرها القديم شجرة ضخمة (شجرة المال) في الحظيرة الشرقية الشمالية، يبلغ عمرها نحو اربعة قرون ونصف، ومعنى ذلك أنها اقدم من الضريح ذاته بنحو قرن ونصف.

وفي نهاية الحديقة تقع القاعدة الكبرى التي يقوم عليها الضريح، وهي عبارة عن مستطيل ضخم تبلغ واجهته نحو ثلاثمائة متر، وعرضه مائة وعشرون. يقع في طرفها الأيمن مسجد صغير. وفي طرفها الأيسر بناء آخر كان يستعمل بهوا للاجتماع حين قيام الامبراطور بزيارة الضريح.

أما الضريح نفسه فانه يقع في وسط هذه القاعدة العظيمة فوق مصطبة شاسعة مربعة من الرخام الأبيض يبلغ ضلعها نحو مائة متر، وترتفع فوق القاعدة بنحو ستة أمتار، وتقوم في اركانها الأربعة اربع منائر من الرخام الأبيض متناهية في الدقة والرشاقة. وقبالة كل منها من الزوايا الاربع قبة صغيرة. وقد بني الضريح كذلك كله من الرخام الأبيض، وهو عبارة عن مربع يبلغ ضلعه ستين مترا، وقداستقطعت من كل زاوية نحو سبعة أمتار، وهو ما يجعله مثمن الشكل. ويدخل اليه من باب ركب في عقد كبير، قسمت واجهته الى مربعات نحاسية، واحيط من الجانبين ومن أعلى بأفاريز نقشت فيها الآيات القرآنية، برخام من نفس اللون وهي مكتوبة كذلك بالخط الثلث الجميل.

وتقوم القبة العظمى فوق القبرين. قبر ممتاز محل، وقبر زوجها الامبراطور، الذي دفن

الى جانبها بعد وفاته في سنة ١٦٦٦م. وهي كباقي الصرح مشيدة من الرخام الأبيض المجلوب من جدها بور، ويبلغ قطرها ستة عشر مترا، وارتفاعها الكلي مع حربتها النحاسية، التي كانت من قبل مغطاة بالذهب ثلاثة وستون مترا.

أما الضريح ذاته، فهو عبارة عن حظيرة أو قاعة يحيط بها حاجز مثمن من الرخام، وقد وضع في وسطها تابوت ممتاز محل، والى يساره تابوت شاه جهان، وكلاهما مدرج رائع الزخرف. وقد نقشت على تابوت ممتاز محل عبارات بالفارسية، واسماء الله الحسنى، حول جوانبه الاربع، منتهية بتاريخ وفاتها بالهجرية وهو سنة ١٠٤٠هـ (١٦٢٩م)، وجاء في تلك الكتابة ما يلي: قل يا عبادي الذي اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله. الآية وقوله تعالى «كل نفس ذائقة الموت» كما كُتبت اسماء الله الحسنى وعلى الواجهة جاء: «مرقد منوّر ارجمند بانوبيكم مخاطب بممتاز محل توفيت سنة ١٠٤٠هـ». ونقشت على تابوت الامبراطور نفس النقوش، وذيلت بتاريخ وفاته في سنة ١٠٧٦هـ (١٦٦٦م). ومما جاء فيها مرقد مطهر أعلى حضرت فردوس آشياني صاحب قرآن ثاني شاهجهان باد شاه طاب ثراه توفي سنة ١٠٧٦هـ.

على أن هذين التابوتين الفخمين ليسا الا رمزين. أما المقبرة الحقيقية فتقع أسفل الصخرة تحت نفس الموقع، في قبو يفتح للزائرين بصفة خاصة، وقد وضع فيه التابوتان اللذان يضمان رفات الامبراطور والامبراطورة. وموضعهما على مستوى وجه الأرض والزخارف فيها أقل منها في الضريحين. ويحيط بهذين الضريحين حاجز منحوت في المرمر الأبيض على شكل مربعات، وتعد صناعته من أدق تحف الفن الهندي وأجملها. كما يحيط بالمداخل الأربعة إطارات من الزخارف الجميلة بالحروف العربية يزيد في حسنها وجمالها زخارف أخرى تالية لها في الحجر الصلب. ومآخذ العقود والزوايا والنقوش التفصيلية المهمة مرصعة كلها بالأحجار الكريمة كحجر العقيق وحجر اليشب وحجر الدم وحجر العقيق السليماني وغيرها مما تضافر الذوق السليم والحذاقة البالغة على تنسيقه في شكل عقود من الأغصان ملتوية تارة وفي الوضع المسمى بشوك اليهود تارة أخرى. وفي كل ذلك تنسجم الرسوم مع الألوان خير انسجام. وينفذ الضوء من خلال حواجز زوجية منحوتة في المرمر الناصع البياض على شكل مربعات يزيدها حسن النسق وجمال الترتيب

رونقا ووراء، إذ يواجه أحد الحاجزين الجانب الخارجي من الجدران بينا يواجه الآخر جانبها الداخلي. وفيما يلي بناية الضريح ومصطبته جناحان أحدهما مسجد لطيف الشكل متقن البناء، ومن مجموعة هذه المباني يتألف أحد أضلاع صحن فسيح نسقت فيه خمائل الزهر، ومسطح هذا الصحن ٨٨٠ قدما وفيما يليه صحن آخر خارجي يماثله في العرض ولكنه لا يزيد على نصفه طولا.

من هو مهندس تاج محل ؟

اكسب مهندس تاج محل الملك شاه جهان شهرة طائلة بفضل روعة بنائه ودقة فنه ولكن المهندس نفسه لم يحصل على شئ من الشهرة وقد اختلف كثيرا في اسمه ورسمه حتى أخذ المتطرفون من الهندوس يزعمون بأن باني هذا التاج هندوسي، ومن قبل ادعى الحاكم البريطاني لمنطقة أود سنة ١٨٥٣م المسمى سليمان بأن التصميم الحقيقى لتاج محل هو للمهندس الفرنسي استين د. بورروكس وأيده رجل آخر اسمه بلفور ولكنه لم يدعم زعمه بدليل ثم أدعى أيضاً بأن اسم المهندس عيسى، والحقيقة أن أسم هذا المهندس ورد ضمن السجلات الهندية منسوبا إلى بلاد فارس.

وزعم فنسنت سميث في كتابه (تاريخ الفن الجميل) بأن مهندس تاج محل رجل اسمه جرونيمو فيرو نيو Geromino Veroneo وهي الرواية المشكوك فيها المنسوبة الى الأب منريك Manrique من آباء الطائفة الأغسطينية الدينية، لكنه يعترف بأن المرحلة النهائية من البناء انجزت على يد المهندس عيسى. وقيل أن ضمن منشآت تاج محل زخرفة من طراز بيترا دوارا وأنها تدل على التأثير الغربي، ويدعى برسي براون أن ذلك الطراز صممه رجال الفن الهندوسي من «قنوج» مثل جريجي لال وجهوتي لال ومنولال ومنوهر سنك.

وقيل أن النموذج الأصلي للتاج يوجد في معبد جاندي سيوا الذي تم بناؤه طبقا للتقاليد الهندية في برامبا نام في جاوا سنة ١٠٩٨ م.

ويذكر بورجيس أن نبيلاً فارسيا أسمه علي مردان خان الشيعي الذي كان والياً لقندهار بعد والده من قبل الصفويين سنة ١٠٣٤هـ وبعد وفاة شاه عباس انضم الى شاه جهان فاكرمه وولاه كشمير، ومن ثم وضع لـه تصميم تاج محل، وكان هذا قد توفي

سنة ١٠٦٧هـ ـــ ١٥٦٤م.

وقال المستر جغتاي في مقال نشره في مجلة ماه نور الصادرة في كراتشي عدد اكتوبر ١٩٥٣ أن المصمم هو الأستاذ أحمد لاهوري الذي منحه شاهجهان أعلى وسام في الدولة. ومصدر هذه المعلومة كتاب مخطوط بعنوان (ديوان مهندس) لحافظ لطف الله مهندس.

وفي كتاب (الدراسات في الهند المغولية) للسير ج. ن. سركار يورد معلومات عن كتاب منتخب اللباب للسيد خافي خان بأنّ مكرمت خان، ومير عبد الكريم واسماعيل الرومي بنوا التاج على فكرة قبة الصخرة في القدس الشريف وبالعودة إلى كتاب سركار المذكور سابقا هناك أسماء بعض الفنيين الذين ساهموا في البناء وهم أمانت خان شيرازي كاتب الكلمات من قندهار والمعلم عيسى معماري من أهل اكره والمعلم بيرا لجار من دهلي، بنوهو، جهات مل، زور اور كلهم صانعوا تماثيل من دلهي، واسماعيل خان الرومي صانع القبب، ورام لال بستاني من أهل كشمير.

وقال T. W. Haig: «ولقد جهد بعض الماجنين الأدعياء في مسائل الفن أنفسهم في الجهر بآرائهم عن تاج محل وحكمهم الفني عليه بمقتضى أصول الهندسة اليونانية والقوطية فذكروا في مقارناتهم ما يتنافى مع سلامة الذوق ويتعارض مع استقامة المنطق. ولقد أصاب فروجوسن Fergusson حيث قال في هذا الصدد:

«إن التوفيق بين تلك المحاسن الباهرة ـــ أي محاسن تاج محل ـــ وحسن التأتي في أحكام الترابط بين أجزائها لمن الأعمال التي تعدل دنيا برمتها».

وحسب تاج محل بعد كل ما قيل أو يقال حول عمارته أن ينظر الرائي لمشهده العظيم بنظر الإنصاف وعند كل ذلك سيقرر بنفسه أن هذا الصرح صرح اسلامي المنشأ بكل تفاصيله المعمارية والفنية والزخرفية شيد في ظل مملكة اسلامية وسلطان مسلم كان هو نفسه فنانا بارعاً متحليا بقسط وافر من العلوم والفنون وتشهد على ذلك بقية الأعمال المعمارية التي أنشئت برعايته مثل القلعة الحمراء التي أشرنا إليها سابقا ومسجد اللؤلؤة القريب من تاج محل والمسجد الجامع الماثل في دلهي القديمة وغيرها من الآثار.

كان شاه جهان اوفر المغول العظام ثروة وقد وُجد في خزائنه بعد الاستيلاء على قصره ٢٤ كرور روبية أي بحدود ٢٤٠ مليون روبية، وكان الذهب والفضة والمجوهرات التي تركها تساوي ١٥ كرور أي ١٥٠ مليون روبية، وذلك يدل على أنه ما كان محتاجاً الى زيادة الضرائب على شعبه ليحابه النفقات الكثيرة التي كان ينفقها.

وكانت الزراعة والصناعة مزدهرتين في عصره حتى كانت منسوجات الهند تصدر الى اوربة.

وفي النـــزهة : «وكان أشهر ملوك الهند وأبذلهم، أفتتح أمره بالعدل والسخاء، ورفع سجدة التحية التي اخترعها جده أكبر شاه، وأزال المظالم من البلاد وعمرها، وأخمد الفتنة والبدعة، وأسس المساجد والمشاهد، وكان كثير الإحسان الى السادة والعلماء، قصدته الناس من جميع البلدان فغمرهم باحسانه، وكان عصره أحسن الأعصار وزمانه أنضر الأزمنة».

وكان محباً للعلم مشجعاً على التأليف ويذكر المؤرخون ان العلامة عبد الحكيم السيالكوتي (راجع هذه المادة) ألّف بأمره كتباً كثيرة وكان يعطيه في العام مائة الف روبية، وقد اتخذ اللغة الاوردية اللغة الرسمية في عهده وشجعها وفرض التخاطب بها وقال ولْ ديورانت: «لقد كانت أعوامه الثلاثون التي قضاها في الحكم بمثابة الأوج في ازدهار الهند وعلو مكانها، لقد كان هذا الملك الشامخ بأنفه حاكماً قديراً، ولئن أهلك أنفساً كثيرة في حروبه الخارجية، فقد هيأ لبلاده جيلا كاملا من السلام، كتب حاكم بريطاني عظيم لبمباي، هو «مونتستيوارت إلفنستُون» يقول: «إن من ينظر إلى الهند في حالتها الراهنة قد يميل الى الظن بأن الكتّاب الوطنيين إنما يسرفون في وصف ثراء البلاد قديماً، ولكن المدن المهجورة والقصور الخاوية والقنوات المسدودة التي لا تزال نراها، بما هناك من خزانات كبرى وجسور في وسط الغابات، والطرق المتهدمة والآبار ومحطات القوافل التي كانت على امتداد الطرق الملكية، كل ذلك يؤيد شهادة الرحالة المعاصرين بحيث يميل بنا إلى العقيدة بأن هؤلاء المؤرخين كانوا يقيمون أقوالهم على سند صحيح»

وفي نظر T.W.Haig فان شاه جهان كان على حظ قليل من المقدرة العسكرية، قاسياً

غداراً ليس له وازع من ضمير، وقد اتصف بخلّة تعوض هذه السيئات هي حبه الجم لزوجته ممتاز محل، الذي عد قبرها البديع تذكاراً باقياً على الزمان، أذ ألها توفيت في اوائل عهده، فأطلق لشهواته العنان. بعد وفاتها ،كان في حكمه مستبداً ظالماً، وهو لايستحق الثناء الذي اسبغه عليه بعض المؤرخين المحدثين.

شاه جهان والنهاية المؤلمة:

في سنة ١٦٥٧ م ـــ ١٠٦٨هـــ مرض شاه جهان مرضا شديدا وكان له أربعة أولاد أورنك زيب ودارا شكوه ومراد وشجاع وكان لكل منهم ولاية يحكمها فلما مرض استلم دارا زمام الأمور بيديه وكان هذا الإبن مقرباً من والده فأثار ذلك حسد إخوته وبعد حروب عديدة ومنازعات انتصر ولده أورنك زيب على بقية إخوته وجاء إلى العاصمة بعسكره فاستقبل استقبالا كبيرا من كافة القواد ورجال الحاشية والأمراء، واسقط في يد والده الملك المريض حتى أنه هو الآخر هنأ ولده بالنصر!! ومنحه لقب ودعاه إليه، وبينما كان أورنك زيب يهم بالذهاب إلى أبيه جيء إليه برجل يحمل كتاباً من شاه جهان إلى دارا (ابن السلطان الذي يؤثره على بقية اخوته) وفيه يدعوه إلى الثبات والمقاومة فأوغرت الرسالة تلك صدر أورنك زيب حقدا وغضباً وغيرة وسار إلى قصر والده الملك في آكره وقبض على والده وسجنه وكان ذلك سنة ١٦٥٨م وأعلن (أورنك زيب) نفسه ملكا جديدا في ذي القعدة سنة ١٠٦٧هـــ ـــ ١٦٥٧م وبلغ من عقوقه ان استمرَّ والده الملك شاه جهان في حبسه نحو ثماني سنين حتى توفي سنة (١٠٧٦هـــ ـــ ١٦٦٦) وله من العمر ٧٤ سنة. وهكذا حكم القدر الذي لامرد له أن تجرع هذا السلطان غصصاً بعد غصص، من فقدان الحبيبة إلى حبسه علي يد أقرب الناس إليه وذلك حال الدنيا ولسان حالها:

هـــي الدنـــيا تقـــول بمـــلء فيها　　　　حـــذار حذار من غدري وفتكي!!

وقد صنف في اخباره مجموعة من المؤرخين منهم محمد صالح في كتابه «عمل صالح» أرخ فيه لشاه جهان من الولادة إلى الوفاة، وأمين بن الحسن القزويني وكتابه «بادشاه نامه» من بدء جلوسه إلى عشر سنين، وصنف عبد الحميد اللاهوري كتابه «بادشاه نامه»

في أخبار عشرين سنة من مدته، وكمّله محمد وارث من عشرين إلى ثلاثين، وصنف محمد طاهر بن أحسن الله الكشميري كتابه «شاهجهان نامه» في أخباره، لخص فيه الأخبار من «باد شاه نامه» لعبد الحميد المذكور ثم أضاف عليها ما وقع بمسمعه ومشهده إلى آخر أيام الملك.

من أعلام عصر شاه جهان:

• الأمير دارا شكوه	١٠٢٤ ــ ١٠٧٠هـ
• الأميرة جهان آرا بيكم	١٠٢٣ ــ ١٠٩٢
• عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي	ت ١٠٦٧
• محمد جلال الدين الحسيني الكجراتي	٩٨٩ ــ ١٠٤٥
• الأمير علي مردان خان	ت ١٠٦٧
• ستى خانم الآملي	ت ١٠٦٦
• محمد سعيد مير جملة	ت ١٠٧٣
• محمد شفيع اليزدي	ت ١٠٨١
• محمد طاهر آشنا التربتي	القرن ١١
• علي بن محمد جواهر رقم الخطاط	
• محمود الكيلاني البهشتي	
• صادق بن صالح الاصفهاني	ولد ١٠١٨
• محمد جان القدسي المشهدي	ت ١٠٥٦
• داود بن عناية الله الاكبر آبادي	١٠٧٣
• شيدا ملا	ت حدود ١٠٥٢
• محمد معصوم التستري	بعد ١٠٥٠
• محمد معصوم الهندي	كان حياً ١٠٥٣
• محمد هاشم الكيلاني	ت ١٠٦١
• حسن بن أبي الحسن المشهدي	ت بعد ١٠٧٥
• فتح الله الشيرازي	بعد ١٠٥٠

• علاء الدين الشوشتري	حدود ١٠٠٠-١٠٥٠
• يحى الكاشاني الحسيني	ت ١٠٦٤
• علي رضا الشيرازي تجلى	١٠٨٨
• ابو المعالي الشوشتري	١٠٠٤- ١٠٤٦
• شريف الدين شوشتري	ت ١٠٢٠
• اسماعيل البلكرامي	حدود ١٠٨٨
• دانشمند خان	١٠٨١هـ
• محمد سعيد الكر مرودي	١٠٤٥
• الملا محمد كاشف قبل	١٠٥٩

دارا شكوه

(١٠٢٤ - ١٠٧٠هـ / ١٦١٥ - ١٦٥٩ م)

دارا شكوه: أكبر أبناء شاه جهان، وأمه أرجمند بانو ممتاز محل. وقد ولد في أجمير في التاسع من صفر ٩ صفر ١٠٢٤هـ والعشرين من مارس عام ١٦١٥. وفي عام ١٦٣٣ تزوج من ابنة عمه نادرة بيكم ابنة الأمير برويز وحفيدة جهانكير.

فولدت له ابنة واحدة اسمها جاني بيكم أو جهان زيب بانو. وولدين ذكرين هما سليمان شكوه وسبهر شكوه قرأ العلم على ميرزا شيخ بن فصيح الدين الهروي وعلى غيره، وتعلم الفنون الحربية، وبايع في أول وقته الشيخ شاه محمد البدخشي واجتمع بشيخ شيخه محمد مير بن سائنده السيوستاني بلاهور غير مرّة وكان أكبر أولاد أبيه، عهد له والده بولاية الملك بعده، وألقى بيده زمام الأمور في حياته لمرضه، ولقبه شاه بلند إقبال، فسخط عليه إخوته، وقد تفرق الناس فيه إلى فرقتين: إحداهما تقول: إنه كان صوفيا صالح العقيدة ويستشهدون بمصنفاته المشهورة، وأخرى تقول: إنه كان فاسد العقيدة، ويستشهدون بأفعاله وبمصنفاته الأخرى كترجمة اوبانيشاد، قال بعض انه ظفر بنسخة من ذلك الكتاب فاذا هو قد نقش في عنوان ذلك الكتاب تصاوير عظماء الهنود مكان «بسم

الله الرحمن الرحيم» وقال في خطبة الكتاب إنه لب القرآن وإنه سر مكنون لا يمسه إلا المطهرون!! إلى غير ذلك، قالوا: إنه استقدم أحبار الهنود من مدينة بنارس فترجموه بأمره، ويقول إلفُنستون Elphinstone إن دارا كان أميراً صريحاً، أبياً، كريم السجايا، بذولا، حر الرأي صريحاً في عداوته، ولكنه كان متهوراً لا يصبر على المعارضة، يرى ان مقتضيات الحرص المألوفة من أمارات الضعف والتحايل وقد جعلته معظم هذه السجايا على النقيض من أخيه الأصغر أور نكزيب، ومن ثم كان يلقبه بـ «النمازى» (أي المتظاهر بالتدين) وكان طلعة كجده العظيم أكبر، وكان كثير الاحتفال بالتصوف وغيره من مسائل الدين وكانت تعوزه براعة جده الحربية وإقدامه.

دارا شكوه في معترك الأحداث حروبه ونهايته:

لم يوفق دارا شكوه في حروبه مع اخوته للسيطرة على العرش ففي عام ١٦٥٣ قام بسعي طويل لفتح مدينة قندهار دون أي نتيجة تحسم المعركة لصالحه وبالرغم من وقوف والده معه وحكمه للدولة فعلاً بعد أن اعلن الوالد عن مرضه لكن اخوته لم يحتملوه فهزمه اورنكزيب مرتين، الاولى قرب آكره في يونيه ١٦٥٨ والثانية عند أجمير في مارس ١٦٥٩ ثم خانه ملك جون الأفغاني امير داور وقبض عليه ونقله الى دهلي فقتل فيها بأمر من اورنكزيب يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ١٠٧٠هـ الموافق لنهاية اغسطس ١٦٥٩ م ودفن بمقبرة جده همايون، وفيما يلي تفاصيل أوسع لتلك الحملات الحربية.

فمن المعلوم أن شاه جهان أصيب بمرض أقعده عن مباشرة أمور الحكم ١٠٦٨هـ ــ ١٦٥٧ م، وكان له أربعة أولاد: أورنكزيب، ودارا شكوه، ومراد، وشجاع، وكان لكل منهم ولاية يحكمها. فلما مرض استدعى ابنه دارا شكوه بجانبه ليباشر شؤون الحكم، وكان أكبر إخوته، فأخفى نبأ المرض عنهم، وأخذ يصرف أمور الدولة. فظن شجاع ومراد أن أباهما توفي، واتهما «دارا شكوه» بقتله، وأراد شجاع أن يذهب إلى آكرا بجيشه لينتقم لأبيه، ولكن أورنكزيب نصحه بالتريث، وأكد له أن أباه حي، وأتفق الإخوة الثلاثة على إبعاد دارا شكوه، والحيلولة بينه وبين الملك بحجة أن ذلك يقوض عرش المغول. ولما أفاق شاهجهان من مرضه، ووقف على ثورة أبنائه على «دارا شكوه» غضب

عليهم، وارسل ينصحهم بالهدوء والخضوع.

لكن دارا شكوه لم يكتف بهذا، بل جرد حملة بقيادة ابنه سلمان لتأديب أخيه شجاع، وكذلك أرسل الجيوش بتأديب بقية أخوته.

أما شجاع فقد التقى بجيش سلمان عند بنارس، فانهزم وفرَّ إلى البنغال، وفي ذلك الوقت كان «ارنكزيب» قد تحرك بجيشه من «برهان بور» في الدكن متجهاً الى «اكرا»، وانضم إليه أخوه «مراد بخش» في «مالوا»، وفي الطريق أرسل «أورنكزيب إلى جسونت سنك» القائد الراجبوتي الذي أرسله «دارا» لتأديب أخويه، وقال له: إنني أريد زيارة أبي لا الحرب، فإما أن تصاحبني، وإما أن تتنحى عن طريقي بدلاً من سفك الدماء، ولكن القائد الراجبوتي لم يستجب له، فوقعت الحرب بينهما في رجب سنة ١٠٦٧هـ ــ ١٦٥٧م، وانتهت بهزيمة «جسونت» وفراره بعد القضاء على كثير من رجاله الراجبوت.

وتابع «اورنكزيب» سيره نحو العاصمة «أكرا»، في الوقت الذي بدأ الرعب والإضطراب يَدبُّ فيها بعد أن وصلتهم أنباء انتصاره، ومتابعة زحفه نحو العاصمة، حتى أراد شاهجهان أن يفر الى دلهي، ولكنه آثر البقاء لعله يستطيع الصلح بين أبنائه وإنهاء الحرب بينهم، ولكن «دارا» كان مغتراً بقوته، وبالإمكانات التي تحت يده، معتقداً أنه سيقبض على إخوته بكل سهولة، ولذلك كان يثور على فكرة المصالحة، ويصر على الحرب والإنتقام.

وحقاً كانت القوتان غير متعادلتين، فقد كان جيش «دارا شكوه» الذي يزيد عن المائة ألف ينتظر جيش أورنكزيب ومراد البالغ ٤٥ ألفاً فقط، والذي قطع مئات الأميال وأنهكه التعب.

وتلاقت القوتان في رمضان جنوب شرق «أكرا» على بعد ٣٠ ميلاً، وبدأت المدافع عملها، ثم هجمت قوات «دارا شكوه» على جنود الدكن، فوقع الخلل في صفوف الدكنيين ولكن «أورنكزيب ومراد» صمدا للمعركة صموداً عجيباً، فقد كانا يعرفان مصيرهما لو لحقت بهما الهزيمة، وتدخلت الأقدار في المعركة لتصل بها الى نهايتها المقدرة، فلقي «رام سنك» قائد الراجبوتيين في صف دارا حتفه، حين هجم على «مراد» يريد

القضاء عليه، فتفرق جنوده الراجبوت، ووقع الخلل في صفوفهم، وفي ذلك الوقت وقعت الكرة الملتهبة التي كانوا يستعملونها في الحرب على رأس الفيل الذي يركبه «دارا» وانفجرت، فتركه وركب فرساً، ورأى جنوده هذا فظنوا أنه يتأهب للفرار سريعاً من المعركة، فخارت قواهم المعنوية، وأخذوا يفرّون من المعركة، ولحقهم «دارا» يسابقهم في الفرار حتى وصل إلى آكرا ولكنه لم يذهب الى أبيه خجلاً مما أصابه، بل أخذ بعض المال والجواهر وزوجته وأولاده، وتابع فراره الى دهلي.

وفي ثلاثة أيام كانت الجنود الظافرة أمام العاصمة معسكرة. واستقبل اورنكزيب في طريقه وفي معسكره كبار رجال الحاشية والقواد والأمراء. مهنئين مقدمين خضوعهم له، ولم يفت شاهجهان أن يشترك كذلك في تكريم ابنه المنتصر، فأسل إليه سيفاً مرصعاً بالجواهر، وقد نقش عليه اللقب الذي منحه إياه، وهو لقب «عالكمير» أي آخذ العالم وسيده، ولكنه لم يثق بوالده ولم يترك الأمر في يد أبيه المريض، لئلا يستعيد دارا شكوه ويمكن له في الملك، ولذلك دخل العاصمة وقبض على أبيه واعتقله في القلعة، وقد قضى شاهجهان في هذا الاعتقال نحو ثماني سنوات مرّة حتى توفي سنة ١٠٧٦هـ ـ ١٦٦٦ م.

فرّ «دارا» إلى دهلي منهزماً، فكان على أورنكزيب ومراد أن يتعقباه بعد أن خلا لهما الجو في «أكرا» حتى يقضيا عليه نهائياً ولكن خلو المجال لهما جعل كلا منهما يطمع في الملك، وبدأت حاشية كل واحد تزين له أنه الأجدر والأحق، وتعمل لذلك ما استطاعت، وأحس أورنكزيب بهذا الذي يدبره أخوه وحاشيته، وفي ليلة كان مراد مخموراً فأركبه على فيل، وساقه، إلى قلعة سليم في دلهي، ثم نقله إلى سجن قلعة «كواليار» المعروفة بسجن الأمراء، وبذلك انتهى أمر مراد.

وفي ذي القعدة سنة ١٠٦٧هـ ـ ١٦٥٧ م أعلن أنه صار ملكاً على الهند خلفاً لأبيه، لكنه أجل الاحتفال بذلك حتى يفرغ من مشاكله مع دارا الذي فرَّ إلى لاهور، ومع شجاع الذي عاد من بنكال إلى بنارس، وبدأ يعد العدة هو الآخر للإستيلاء على العرش.

تعقب دارا شكوه في لاهور، ثم في ملتان حتى فرَّ الى السند، فارسل بعض قواته لمطاردته والقبض عليه، ورجع هو إلى دهلي ليحل مشكلته مع شجاع الذي أعد عدته للهجوم على أخيه.

وكان السادات حكام إله أباد وبنارس يعاونونه، وأمدوه بفيلة مدربة على القتال بسلاسل زنة الواحدة ٢٤٠ رطلاً، تحركها في الهواء وتضرب بها ذات اليمين وذات الشمال فلا يبقى أمامها جندي واحد، وحين تلاقى الجيشان وهجمت هذه الأفيال وهي مخمورة حدثت الفوضى في صفوف أورنكزيب، حتى اضطر هو للنزول الى قلب المعركة، وقيَّد فيله حتى لا يفر، وأمر بضرب النار على ركاب الفيلة، فسقطوا وفرت فيلهم، وأخذت الدائرة تدور على شجاع وجنوده فلاذ بالفرار، وتعقبه بعض القواد حتى بنكال فآسام، وهناك أختفت آثاره. واستراح اورنكزيب منه.

ولكن ما زال أمر «دارا» معلقاً لما ينته بعد، وقد عاد من السند الى أجمير وأخذ يعد عدته للهجوم، فخرج إليه ارونكزيب وهزمه ففر، وخلا الجو أوكاد من المنافسين له، ولذا بدأ يعد العدة للإحتفال بجلوسه على العرش، وكان ذلك في رمضان سنة ١٠٦٩هـ ــ ١٦٥٩م وفي تلك الأيام وصلته الأنباء بالقبض على دارا شكوه في السند وإرساله إليه، وانتهى الأمر بقتله بعد أن اعتمد الملك على فتوى من العلماء المارقين بدعوى (خروجه على الدين، ومحاربته الحاكم الشرعي) مع أن دارا هو الوريث الشرعي بحكم سنه وتأييد والده له ودفن في مقبرة همايون، وبذلك صفا الجو لأورنكزيب.

آثــاره:

وهو مصنف عدة كتب ذكرها ريو في فهرس المخطوطات العربي بالمتحف البريطاني، وأشهرها «سفينهء أوليا» وهو سلسلة من السير المختصرة لأولياء المسلمين، وقد طبع طبعة حجرية في لكهنو. ونجد بياناً كاملاً لمحتوياته في فهرس إتيه Ethe للمخطوطات الفارسية في مكتبة وزارة الهند، رقم ٦٤٧، ص ٢٧٤ و ٣١٦. وقد ذكر برنيه Bernier ومنوتشي Manuteci الكثير عن دارا شكوه، وقد اتصل به كل منهما [بفردج H. Beveridge] دائرة المعارف الاسلامية ٩ / ٧٥-٧٦ نزهه ٥/ ١٤٥ —١٤٦ رقم ٢٢١، مجلة لغة العرب ج٦

السنة ٥ ص ٣٧٨ —٣٧٩. ومن كتبه الأخرى : كتاب في التطبيق فيما بين مذهب الهنادك وأهل الاسلام وكتاب سكينة الأولياء، والبر الأكبر، والأعظم ورسالة في المعارف، ومجمع البحرين وبنكهت مُندك، وحق نما والرسائل الثلاث الأخيرة نشرها سيد محمد رضا جلالي نائيني في ايران ١٣٣٥.

ونشر المستشرقان كليمان هوار ولويس ماسينون، كتاب محاورات لاهور بين دارا شكوه والزاهد الهندوكي بابل لعل داس وطبع في باريس. المطبعة الأهلية ١٩٢٦ في ٥٠ ص. باللغتين الفارسية والفرنسية ومن الكتب التي صنفت له الطب الدار شكوهي صنفه الحكيم نور الدين الشيرازي.

جهان آرا بيكم ابنة الامبراطور شاه جهان

(١٠٢٣ ـ ١٠٩٢هـ / ١٦١٤ ـ ١٦٨١ م)

«جهان آرا بيكم» واشتهرت بـــ «بيكم صاحب» وتعرف أحيانا بـــ «بادشاه بيكم» هي أكبر من بقي من ذرية شاه جهان على قيد الحياة، ولدت في ٢١ صفر ١٠٢٣ هـــ، مارس عام ١٦١٤ ولعل ذلك كان في أجمير، وأمها أرجمند بانو أو ممتاز محل أو ممتاز الزماني ابنة آصف خان وابنة عم نورجهان، وهي التي شيد من أجلها تاج مل وأخذت القراءة والتجويد عن ستي خانم أخت الفقيه الآملي، وتعلمت الخط واللغة الفارسية عنها وتأدبت عليها، وبرعت في الإنشاء والشعر وتدبير المترل وفنون أخرى، ونالت من والدها مترلة جسيمة حتى صارت محسودة عند إخوتما وكانت اقطاعها تغل ستين مائة ألف (ستة ملايين)، مائة ألف في كل سنة، وكانت تبذل كلها في الخيرات والمبرات، ولها مصنفات منها (مؤنس الأرواح كتاب في أخبار المشايخ الجشتية).

لم تتزوج جهان آرا قط، وقد أمتازت بحسنها وثقافتها ومحبتها لأبيها وأخيها ولشيخها دارا شكوه التي أخذت عليه الطريقة. وجمع كل من برنييه Bernier ومنوجي Manucci أقاويل كثيرة في حقها. وقد برأها منوجي من إحدى الشنع التي رميت بما إلا أنه أساء اليها وظلم برنييه بقوله إن برنييه اقمها بدس السم لوليها. وقد تكون لجهان آرا زلاتها، فمع، عنوستها التي لا بد لها فيها لم

تكن خليقة أن تؤدي بها إلى الطريق القويم، ومع ذلك فقد كانت كريمة محسنة وابنة بارة بأبيها عندما تقدمت به السن وألقي به في غياهب السجن، ومن هنا كان كين Keene محقا في تسميتها بالراهبة المغلية. وكانت جهان آرا شديدة التمسك باهداب الدين، وقد كتبت سيرة لمعين الدين جشتي الأجميرى أحد الأولياء المحببين إليها (انظر Mss.,Catalogue of B. M. Persian جـ١، ص ٣٥٧) ونجت بصعوبة من الحريق في مارس عام ١٦٤٤، فقد كانوا يحتلفون في آكره بعيد ميلادها وفقاً للتقويم الشمسي لا القمري، وفي عودها إلى غرفتها بعد أن ألقت تحية المساء على أبيها أمسكت نار سراج بقميصها المصنوع من حرير الذكن الرقيق وأصابتها حروق بالغة في صدرها وذراعيها، واحترقت أيضا وصيفاته الأربع اللائي حاولن انقاذها. والظاهر أن اثنتين منهن أو أكثر توفين متأثرات بالحروق التي أصابتهن. وقد شيدت جهان آرا المسجد الجامع في آكره خارج القلعة أو أقل إنه شيد إكراما لها، عام ١٦٤٤ ــ ١٦٤٨ م وربما كان تذكارا لنجاتها، وقد انفقت عليه نصف مليون من النقود كما في باد شاهنامه. وابتنت أيضا مقبرة لها خارج دهلي بالقرب من قبر نظام الدين أوليا أحد مشاهير الأولياء عند طائفة الجشتية. ونقش على قبرها كلمات مؤثره من تأليفها. وذكر النص الأصلي لهذه الكلمات سيد أحمد في كتاب آثار الصناديد (ص ٣٩ من طبعة لكهنو عام ١٨٩٥) وقام كل من ايستويك Eastwick وكين Keene بترجمة هذا النص (انظر Keene :Handbook of Delhi كلكته عام ١٨٧٢، ص ٣٧). وتوفيت جهان آرا في دهلي في ٣ رمضان سنة ١٠٩٣هـ الموافق السادس من سبتمبر عام ١٦٨١ في ايام صنوها عالمكير، فدفنت بدهلي في حظيرة الشيخ الإمام نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني، وقبرها محاط بالتفاريج من بيض الحجارة المنحوتة غير مسقف تعلو عليه الخضرة، وقد كتبوا على الرخام هذا البيت من إنشائها ونصبوه عند رأسها:

بغير سبزه نبوشد كسى مزار مرا　　　　كه قبر بوش غريبان همين كياه بس

وهناك أخبار مفصلة عنها في طبعة Keene لقاموس Beale :Oriental Biographical Dictionary كما توجد إشارات عنها في كل من «باد شاهنامه» و «خافي خان».

[بيفردج H. Beveridge] دائرة المعارف الاسلامية ج ٧، نزهه ٥/ ١٢٥ رقم ١٧٨.

قندهاري بيكم

(القرن ١١هـ)

هي الأميرة الفاضلة قندهاري بيكم بنت مظفر حسين بن حسين بن بهرام بن الشاه اسماعيل الأول (الامبراطور الصفوي الايراني) تزوجها الامبراطور شاه جهان بعد الاميرة ارجمند بانو، ولم يعرف إذا كان قد انجبت له اولاد أم لا.

عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي

(ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)

الشيخ عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي الهندي، قال عبد الله افندي:

كان من أكابر العلماء ومن مشاهير الفضلاء في البلاد الهندية، وقد كان معظماً في تلك البلاد وفي الغاية لدى السلطان. وبالجملة كان (قدس سره) علامة عصره وفهامة دهره جامع لسائر العلوم حافل، وقد توفي بها في عصرنا، وله حواشي ومؤلفات جيدة حسنة مشهورة متداولة بها.

واعلم أنه قد اشتهر هذا الفاضل بين أهلها بكونه من علماء أهل السنة، ولكن سماعي من بعض الثقات من أهل يزد ممن سافر الى تلك البلاد حكاية وصية منه لولده المولى ابو لهادي دالة على تشيعه وحسن عقيدته وأنه كان يعمل في مدة عمره في تلك البلاد بالتقية، وأنه قد كانت عنده كتب الشيعة موجودة محفوظة في صندوق مقفل مفتاحه محفوظ عند نفسه من الكتب الأربعة في الحديث للامامية ومن سائر كتب الاحاديث للشهيد من المشهورا وغيرها، وقد كانت في ذلك الصندوق تحت الكتب المذكورة رسالة بجزأة غير مجلدة حسنة جداً من مؤلفات نفسه في الامامة تقرب من ثلاثة آلاف بيت محتوية على اثبات أدلة الشيعة وعلى ابطال حجج أهل السنة في مسألة الامامة، وقد وصاه بالعمل بها. وحكى لي ذلك الثقة أنه رأى تلك الرسالة، وكان قد استنسخ منها الفاضل الجليل الاميرزا معز الدين محمد بن الاميرزا فخر الدين محمد المشهدي أيضاً في بلدة اكبر آباد من بلاد الهند.

ثم من مؤلفاته أيضاً حاشية طويلة الذيل على تفسير البيضاوي في غاية الجودة، وقد رأيت ببلدة هرات منها مجلداً من أولها، وهي ما كتبه على الجزء الأول من القرآن، وقد ألفها للسلطان شاه جهان محمد ملك الهند، ولعله لم يخرج من تلك الحاشية الا ذلك المقدار.

قال الميراز غلام علي آزاد البلكرامي الهندي المتوفي سنة ١٢٠٠ في كتابة سبحة المرجان الذي ألفه سنة ١١٧٧هـ:

[هو عمدة العلماء الفناجبة والبدر التم في الشهب الثاقبة، (الفناجبه جمع الفنجابي، نسبة إلى الفنجاب معرب بنجاب بالباء الفارسية وهو ملك وسيع في الجانب الغربي من دهلي وعبارة عن صوبتين لاهور وملتان. مولد الملا ومنشأه وسيالكوت بكسر السين المهملة وبالتحتانية ،الألف وسكون اللام وضم الكاف وسكون الواو آخرها فوقانية، بلدة من توابع لاهور). شمر ذيله في عنفوان سن التمييز على طلب العلم وتلمذ على الملا كمال الدين الكشميري نزيل سيالكوت الذي كان أستاذاً للمجد السهرندي، وفي مدة قليلة أبدرهلاله وبلغ النصاب ماله وكان في عهد السلطان جهانكير مشتغلاً بإفادة العلوم في مصره معتنياً بإدارة الجمهور من عصره ولما جلس السلطان شاه جهان بن جهانكير على السرير وتصدّى لترويج العلم والعلماء النحارير جاء الملا مراراً إلى سدة السلطنة العليا وخصّه السلطان بالإكرامات والإنعامات الجلي ووزنه مرتين في الميزان (بالفضة، وكانت هذه عادة الملوك القدماء لاظهار احترامهم العلماء) وسلّم له ما جاء في الوزان وهو في كل مرة ستة الألف من الربابي وأيضاً أنعم عليه بقرى متعددة بما كان يعيش في النعم الوافية ويصرف الأوقات في التدريس والتصانيف العالية حتى توفى من ١٨ من شهر ربيع الأول سنة ١٠٦٧هـ ودفن بسيالكوت وله تصانيف غراء دائرة في الأمم رائحة في ديار العرب والعجم ...)].

ثم ذكر مؤلفاته وتصانيفه ونقل عن سبحة المرجان نص العبارات القنوجي المتوفى سنة ١٣٠٧ في كتابه أبجد العلوم وذكره المحبّي في خلاصة الأثر وقال: (... علامة الهند وإمام العلوم وترجمان المظنون فيها والمعلوم كان من كبار العلماء وخيارهم مستقيم العقيدة صحيح الطريقة صادعاً بالحق مجاهراً به الأمراء الأعيان وكان رئيس العلماء عند سلطان

الهند خرم شاه جهان لا يصدر إلا عن رأيه ولم يبلغ أحد من علماء الهند في وقته ما بلغ من الشأن والرفعة ولا انتهى واحد منهم إلى ما انتهى إليه جمع الفضائل عن يد وحاز العلوم وانفرد وافنى كهولته وشيخوخته في الانهماك على العلوم وحل دقائقها ومضى من جليها وغامضها على حقائقها وألف مؤلفات عديدة..).

ترك المترجم له مؤلفات بين مخطوط ومطبوع منها:

١- حاشية على تفسير أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي ألفها للسلطان شاه جهان محمد طبع بهامش تفسير البيضاوي المذكور في الآستانة مسة ١٢٧٠هـ. ٢- كتاب التوحيد طبع في الآستانة ١٣٠٦ تحت عنوان عقائد عبد الحكيم السالكوتي. ٣- حاشية على المطول للسعد على متن التلخيص في علم البلاغة طبع في الآستانة سنة ١٢٩٠. ٤ - كتاب زبدة الأفكار في التوحيد طبع عدة مرات في الهند ومصر الآستانة. ٥- حاشية على شرح الجرجاني لقسمي التصورات والتصديقات في المنطق طبع في الآستانة سنة ١٢٦٩. ٦ - حاشية على القطب على الشمسية في المنطق طبع سنة ١٣٢٠. ٧- حاشية على تحرير القواعد المنطقية للرازي. ٨- حاشية على التلويح لسعد الدين التفتازاني في علم الأصول. ٩ - حاشية على حاشية عبد الغفور اللاري على الفوائد الضيائية في النحو طبع في بولاق سنة ١٣٥٦. ثم الآستانة سنة ١٢٧٧. ١٠ - كتاب إثبات الإمامة وإبطال حجج المخالفين في قرب ثلاثة آلاف بيت (مخطوط).

— [خزينة الاصفياء ٢/ ٣٥١، تذكرة علماء لمحمد حسين آزاد / ٣٦، مآثر الكرام ٢٠٤، بروكلمان ٢/ ٤١٧، طبقات اعلام الشيعة ٦/ ٣١٤ ــ ٣١٥، رياض العلماء ٣/ ٧٧- ٧٨، تذكرة رحمان علي / ١١٠، سبحة المرجان / ٦٦ (طبع الحجر)، خلاصة الأثر ٢/ ٣١٨-٣١٩، ابجد العلوم ٣/ ٢٣٣، معجم المؤلفين ٥/ ٩٥، هدية العارفين ١/ ٥٠٤، مستدركات ٨/ ١٢١ -١٢٢ سبحة المرجان ١/ ١٧٠-١٧٢ ــ طبعة ١٩٧٦)، الأدب العرب في الهند ٣١].

محمد بن جلال الدين الحسيني الكجراتي

(٩٨٩ ـ ١٠٤٥هـ/١٥٨١-١٦٣٥م)

هو السيد الصالح محمد بن جلال بن الحسن بن عبد الغفور الحسيني البخاري

الكجراتي، كان من نسل محمد بن عبد الله الحسيني البخاري، يرجع إليه نسبه بخمس وسائط، ولد في رابع عشر من رجب سنة تسع وثمانين وتسع بأرض كجرات، ومن الاتفاقات العجيبة أنه عمل تاريخا لولادته بعد بلوغه سن الرشد من قول سعدي الشيرازي:

من ودست ودامان آل رسول

قرأ العلم على أساتذة عصره، ثم لازم أباه وأخذ عنه الطريقة، وقرأ عليه بعض كتب الحقائق والمعارف، ولما مات والده سنة ١٠٠٣ تولى الشياخة مكانه.

قال الخوافي في «مآثر الأمراء» إنه كان شيعياً، وفي « عمل صالح » إنه كان صوفيا ماهرا في التصوف، ذا سخاء وإيثار، كان يبذل على الفقراء والمساكين كل ما تحصل له من النذور والفتوحات، وكان يصرف في عُرس جده محمد بن عبد الله المذكور مائة ألف من النقود، لقيه شاهجهان ابن جهانكير الدهلوى مرتين، مرة في ولاية عهده ومرة في عهد السلطنة، ومن مصنفاته الجمعات الشاهية في الأذكار والأشغال.

توفي في ثاني عشر من رجب سنة خمس وأربعين وألف، وقبره في حظيرة جده، كما في «مرآة أحمدي».

ــ نزهه ٥/ رقم ٥٦١، مآثر الأمراء.

علي بن علي مردان خان

(ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)

الأمير الكبير علي بن علي الشيعي القندهاري أمير الأمراء نواب علي مردان خان، أحد الرجال المشهورين بالعقل والدهاء والسياسة، كان والياً بقندهار من قبل الدولة الصفوية، ولي عليها بعد وفاة والده سنة أربع وثلاثين وألف في أيام عباس شاه، فاستقل بها نحو اثنتي عشرة سنة، ولما توفي عباس شاه المذكور قام بالملك

حفيده صفي شاه وافتتح أمـــره بالتعدى على الناس كافة وترك قندهار لصاحب الهند سنة سبع واربعين وألف ودخل الهند، فتقرب إلى شاهجهان بن جهانكير التيموري سلطان الهند، فولاه على كشمير ثم على بنجاب ثم على كابل ثم على كشمير مرة ثانية فمات بها.

وكان رجلا فاضلا كريما بشوشا، طيب النفس، حسن المحاضرة، مليح القول جميل الفعال، صاحب عقل وسكون وجرأة ونجدة، له آثار صالحة في الهند من حدائق وأبنية وأنهار وغيرها.

توفي سنة سبع وستين وألف بماجهيواره فنقلوا جسده إلى لاهور ودفنوه عند والدته، كما في «مآثر الأمراء»، ومن احفاده العالم والشاعر الأمير نواب علي صدر الدين محمد خان بن نواب زبردست خان بن ابراهيم خان بن المترجم له صاحب كتاب ارشاد الوزراء، وله ديوان شعر مطبوع بدهلي سنة ١٩٤٦.

ـــ نزهه ـــ/ ٢٩٢ رقم ٤٦٧ ـــ مآثر الأمراء، مطلع انوار ٢٨١ ـــ ٢٨٢.

ستي خانم
(ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م)

أخت طالب الآملي وزوجة الحكيم نصير الدين الكاشي، كانت فصيحة بليغة بارعة في القراءة والتجويد وصناعة الطب وتدبير المترل، استخدمتها أرجمند بانو زوجة شاهجهان فتقربت إليها بحسن تدبيرها فجعلتها معلمة لجهان آرا بيكم، ولما توفيت أرجمند بانو ولاها السلطان الصدارة في حريمه فاستقلت بها إلى مدة مديدة، توفيت سنة عشرين جلوسية فتأسف السلطان بموتها تأسفا شديدا، وأعطى عشرة آلاف من النقود الفضية للتجهيز والتكفين، ودفنها بأكبر آباد وبنى على قبرها عمارة رفيعة وبذل عليها ثلاثين ألفا، ثم وقف قرية تحصل منها ثلاثون ألفا في كل سنة لمصارف تلك المقبرة، كما في «مآثر الأمراء».

محمد سعيد الاردستاني مير جمله

(ت ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م)

الأمير الكبير محمد سعيد الحسيني الاردستاني مير جمله، معظم خان خانخانان، سبه سالارا، كان من الرجال المعروفين بالحزم والسياسة، قدم الهند ودخل حيدر آباد في ايام عبد الله قطب شاه وترقى درجة بعد درجة حتى نال الوزارة الجليلة بها، وفتح القلاع والبلاد بأرض «كرناتك»، وملأ الخزائن بالذهب والفضة والجواهر الثمينة، فلما قربت شوكته توهم منه عبد الله قطب شاه فخرج من حيدر آباد وسار إلى عالمكير ثم إلى والده شاهجهان سلطان الهند، فأعطاه السلطان ستة آلآف له وستة آلاف للخيل منصبا رفيعا ولقبه «معظم خان» وولاه الوزراة الجليلة، وعرض مير جمله على السلطان ألماسا كان وزنه ستة عشرة ومائتي حبة وهي التي يسمونها «كوه نور» وهواليوم في التاج الانكليزي، وولاه عالمكير على «بنكاله» ولقبه بخانخانان، سبه سالار، فضبط البلاد وفتح الفتوحات العظيمة بآسام ومات بها.

وكان رجلاً فاضلاً شجاعاً مقداما حازما ماهرا بالفنون الحربية عارفا بالحيل والتدبير، توفي في ثاني رمضان سنة ثلاث وسبعين وألف بخضربور من أعمال بنكاله.

نزهه ٥ / رقم ٦٢٠، مآثر الأمراء.

محمد شفيع اليزدي

(ت ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)

الأمير الكبير محمد شفيع اليزدي نواب دانشمند خان، كان من الأفاضل المشهورين في إقليم الهند، قدمها من طريق البحر ودخل سورت سنة ستين وألف في أيام شاهجهان بن جهانكير الدهلوي سلطان الهند، فأمر السلطان له بخمسة آلاف ربية للزاد والراحلة واستقدمه إلى حضرته، فلما وصل إليه أمر أن يجزل عليه نذور يوم الأحد إلى سنة كاملة، كما في «منتخب اللباب».

وقال محمد صالح في كتابه «عمل صالح» إن اليزدي قرأ العلم في بلاده ثم ورد الهند للتجارة مضاربة، فربح في تجارته ،اراد أن يعود إلى بلاده، فلما وصل إلى سورت استعاده شاهجهان وأعطاه المنصب ألفا لذاته ومائة للخيل، و لم يزل في ازدياد من الترقي حتى صار

منصبه خمسة آلاف لذاته ــ انتهى.

وفي «مرآة جهان نما» أن شاهجهان ولاه على «بخشيكري» وأضاف إلى منصبه حيناً بعد حين حتى صار ثلاثة آلاف له، واعتزل في بيته في آخر أيامه بدهلي، فلما تولى المملكة عالمكير أضاف في منصبه وولاه على «مير بخشيكر» حتى صار منصبه في آخر أيامه خمسة آلاف، وكان عالمكير قرأ عليه «أحياء العلوم» من أوله إلى آخره وبعض الكتب الأخر.

وفي «مآثر الأمراء» وكان عالماً كبيراً غواصاً في بحار التحقيق، جمع أهل العلم من الهنود والإفرنج فكان يأخذ عنهم ويذاكرهم في العلوم والفنون حتى أصبح منزله حلقه علم يؤمها سراة البلاد ووجهاؤها يتسابقون إلى حديثه، وكان واسع الاطلاع في العلوم لا سيما الفلسفة والتاريخ والتمدن، وكان يعرف اللغات المتنوعة، وكان كثير المطالعة لم يفته كتاب إلا طالعه ــ انتهى.

وفي «مآثر عالمكيري» أنه قلد بمير بخشيكرى سنة ثمان وسبعين وألف فاستقل بها مدة حياته ــ انتهى. وكان من ندمائه الدكتور برني الرحالة الفرنسوي، ذكره في كتابه وأثنى عليه.

مات في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وألف في أيام عالمكير.

ــ نزهه ٥/ ٣٨٦ ــ٣٨٧ رقم ٦٢٦، مآثر الأمراء، مرآة جهان نما، مآثر عالم كيري.

محمد طاهر ظفر خان أشنا التربتي

(القرن ١١هـ)

من رجالات كشمير البارزين وأهل الفضل ومن أرباب الأدب وأقطاب شعراء الشيعة في الهند ولد في كشمير وأخذ العلم والأدب على اعلام الشيعة هناك وتخرج في الشعر وفنون الأدب على أبيه المولى ظفر خان أحسن التربتي الذي كان من رجال البلاط المغولي في الهند ومن أساتذة الأدب الفارسي في كشمير وله دور هام في نشر الأدب والشعر الفارسي في تلك النواحي وكما أن جده الخواجة أبو الحسن التربتي المتوفى سنة ١٠٤٢ كان من الأدباء وناشري الأدب الفارسي في كشمير والوزير الأعلى في بلاط السلطان جهانكير. والمترجم

له كان من رجالات بلاط السلطان جهان وفي أواخر أيام حكومته فوض اليه رئاسة مكتبة البلاط الملكي حتى أوائل حكومة السلطان اورنك زيب (١٠٦٨ ــ ١١١٨) في كشمير ثم ترك جميع مناصبه ومارس حياته الأدبية ولقبه السلطان بعناية خان، وقال معاصره الميرزا محمد طاهر النصر آبادي في كتابه (تذكرة نصر آبادي) (... لقبه السلطان شاه جهان. بلقب عناية خان وكان حاد الذكاء.. وأرسل الينا ديوانه مع ديوانه الثاني الحاوي على غزليات خسرو وكتاباً آخر وكان اسلوبه في النظم متيناً رائعاً جداً ويتخلص في شعره بآشنا..) أشار الى ديوانه الشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة الى تصانيف الشيعة الجزء التاسع من القسم الأول ص ٧ كما ذكره صاحب مآثر الأمراء في ج١ ص ٧٣٧ وج٢ ص ٧٥٨ و ٧٦٢ وغيرهم ويحتوي ديوانه على الغزليات والرباعيات والقصائد في اكثر من ألف بيت، وكانت اشعاره في اسلوب رائع، لطيف، سلس متين، كما انه مع ابيه وجده من الناشرين للتشيع في تلك النواحي في الهند وكانت دارهم مأوى وملجأ ومسكناً للعلماء والشعراء والأدباء الشيعة المهاجرين من جبل عامل والعراق وايران الى الهند.

علي بن محمد جواهر رقم الخطاط

(القرن ١١هـ)

السيد الفاضل علي بن محمد المقيم الخطاط المشهور بجواهر رقم، أخذ الخط عن والده عن السيد عماد، وقدم الهند في أيام شاهجهان فجعله معلماً لولده عالمكير ولقبه جواهر رقم، ولما قام بالملك عالمكير جعله ناظرا على كتبخانه، وكان شاعراً مجيد الشعر، خطاطا بارعا، يكتب النستعليق في غاية الجودة، كما في «مرآة العالم».

ومن شعره:

نفسم سوخته فرياد خموشي دارم ... تاكه در كرد (؟) سرمه فروشي

ـــ نزهه / ٢٩٣ رقم ٤٦٩.

محمود الكيلاني (البهشتي)

(القرن ١١هـ)

الشيخ محمود الكيلاني الشاعر الملقب في الشعر ببهشتي، كان من ندماء الشاه عباس شاه الصفوي ثم غضب عليه الملك فحبسه في أحد القلاع، ثم أطلق سراحه فالتحق هذا بسلطان الهند شاه جهان فاتخذه هذا الأخير معلماً لولده مراد بخش.

مات بمدينة اكبر آباد كما في رياض الشعراء للداغستاني.

صادق بن صالح الأصفهاني

(ولد ١٠١٨هـ/١٦٠٩م. ت ...)

الشيخ الفاضل ميرزا صادق بن صالح الأصفهاني، أحد العلماء المبرزين في الإنشاء والشعر، ولد في ثالث شعبان سنة ثمان عشرة وألف بمدينة سورت، وقرأ العلم على مولانا شاه محمد الجونبوري، ومولانا عبد الشكور البهاري والشيخ محمد حسين الكشميري والشيخ محمد اليزدي وعلى غيرهم من أساتذة الهند، ثم تقرب إلى شاهجهان.

وله مصنفات عديدة، منها الشاهد الصادق في المحاضرات، ومنها الصبح الصادق ــ مؤلف ضخم في أربع مجلدات في اخبار الأنبياء والأولياء والملوك والوزراء والحكماء والعلماء والشعراء، صنفه لشجاع بن شاهجهان وكان شاعرا مجيد الشعر بارعا في كثير من العلوم والفنون.

ومن أبياته قوله:

سوى ميخانه بتائيد جنون خواهم

باز از عالم اسباب برون خواهم

حد اين باديه جز اشك نديد است

آه خواهم شد ار اشك فزون

لعله مات في ايام الحروب المتواصلة بين شجاع وعالم أكبر ابني شاهجهان بأرض بنكاله.

ــ نزهه ٥/ ١٧٦ــ ١٧٧ رقم ٢٧٨

محمد جان القدسي

(ت ١٠٥٦هـ/١٦٤٦م)

الشيخ الحاج محمد جان المشهدي الشاعر المشهور المتلقب في الشعر بالقدسي، قدم الهند سنة اثنتين وأربعين وألف، وتقرب إلى شاهجهان ونال الصلات الجزيلة منه، له «بادشاه نامه» منظومة في اخبار السلطان المذكور، وله ديوان الشعر بالفارسي، ومن شعره قوله:

اينجا غم محبت آنجا جزاى عصيان

آسايش دوكيتي بر ما حرام كردند

توفي سنة ست وخمسين وألف بمدينة لاهور، كما في «سرو آزاد».

ـــ نزهه ٥/ ٣٧٤ ـــ ٣٧٥ رقم ٦٠٤. سرو آزاد (مخطوط).

داود بن عناية الله الأكبر آبادي

(ت ١٠٧٣هـ/١٦٦٢م)

الشيخ الفاضل الحكيم داود بن عناية الله الأكبر آبادي، أحد العلماء المبرزين في الفنون الحكمية، أخذ عن أبيه وكان والده من أصحاب الحكيم فخر الدين محمد الشيرازي فتخرج عليه وقام مقامه بعده، وصار يرجع الناس إليه في العلوم وفي معالجاتهم، فجعله عباس شاه الصفوي ملك الفرس نديماً له، ولم يزل يعتمد عليه في الأمور حتى توفى إلى الله سبحانه وتعالى، فاعتزل داود في بيته برهة من الزمان ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار، وذهب إلى بغداد والبصرة، ثم دخل الهند ووصل إلى أكبر آباد في السابع عشر من صفر سنة ثلاث وخمسين وألف، فتقرب إلى شاهجهان عظيم الهند، وتدرج في المناصب العالية حتى بلغ منصبه إلى ثلاثة آلاف له وثلاثمائة للخيل، ونال الصلات الجزيلة والخلع الفاخرة منه غير مرة، كما في «باد شاهنامه».

وفي العمل الصالح: أن منصبه بلغ في آخر ايام السلطان المذكور الى خمسة آلاف، ولقبه السلطان تقرب خان، وكان رجلاً حاذقاً في المعالجات، قد أبدع فيها غير مرة ـــ انتهى.

توفى سنة ثلاث وسبعين وألف في أيام عالمكير، كما في «مآثر الأمراء».

ـــ نزهه ٥ / ١٤٧ ـــ ١٤٨ رقم ٢٢٤، عمل صالح (مخطوط).

شَـيْدا مـلا

(ت حدود ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢ م)

«شيدا ملا» شاعر وهجاء فارسي ولد ونشأ في فتحبور سكرى (قرب آكره) وصحب فترة من الزمن خان خانان ميرزا عبد الرحيم ثم التحق من بعد بخدمة الأمير شهريار بن جهانكير، ثم خدم شاهجهان ودخل في زمرة الأحديين، وتقاعد في شيخوخته بكشمير ينفق من معاش اجراه عليه شاهجهان، وتوفي فيما يرجح سنة ١٠٥٢هـــ، ١٦٤٢م.

ويقول عبد الحميد اللاهوري إن شيدا كان قليل العلم ولكن غيره من الكتاب خالفوه في رأيه تمام المخالفة فقد كان شيدا مستطيعاً أن يقرض الشعر الجيد بسرعة، ويقال إن مجموع ما نظمه من أبيات الشعر يبلغ مائة ألف بيت وقصيدته التي فصَّل فيها الكلام عن عيوب ونقائض كل بيت من أبيات القصيدة التي نظمها معاصره قدسي ومثنويه «دولت بيدار» فمعروفان حق المعرفة، كما أنه هجا طالبا «الآملي» ومير إلهي وغيرهما من الشعراء الآخرون، ومن ثم كانت المناظرة المشهورة التي قامت بين شيدا والشيخ فيروز في أجمير سنة ١٠٢٤هـــ/ ١٦٠٥ م.

(١) عبد الحميد اللاهوري: بادشاه نامه، جـــ ١، كلكته ١٨٦٧، ص ٣٥٨ ـــ ٣٥٩. (٢) جلال الدين محمد طباطبائي: بياض، المتحف البريطاني، القسم الشرقي، الورقة ٢٧١ (١) (Rieu، ج٣، ص ٩٣٣)، (٣) شيرخان ابن محمد أمجد خان لودي: تذكرة مرآة الخيال، كلكتة ١٨٣١، ص ١٤٧ ـــ ١٥١ (٤) غلام علي آزاد (البلكرامي): مآثر الكرام، ج٢ (= سرو آزاد)، حيدر آباد، ١٩١٣ ن ص ٨٢ –٨٤ وكذلك ص ٦٢–٦٣ و ٢٢٨ (٥) على أحمد خان هاشمي (السنديلاوي): تذكرة مخزن الغرائب (مخطوط مكتبة بودليانا، و «دار المصنفين»، أعظم كره، الهند)، (٦) شبلي نعماني: شعر العجم، ج٤ (الطبعة الثالثة أعظمكره ١٩٢٣) ص ١٧٣ و ٢٠٦ و ٢٠٩: ج٥ (الطبعة الأولى)، ص ١٨٧ (٧) عبد الغني خان: تذكرة الشعراء، عليكره ١٩٠٦، ص ٨٧ (اقرأ ١٠٥٢ بدلا ص ١٠٤٢)، [صديقي A.Siddiqi]، _ دائرة المعارف الاسلامية ١٤ / ٢٠.

محمد معصوم التستري

(ت بعد ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)

الحكيم الشيخ محمد معصوم بن كريم الدين الحكيم التستري، أحد العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، نشأ بشيراز وقرأ العلم على أساتذها، ثم قدم الهند في أيام شاهجهان، له «القرابادين المعصومي» صنفه سنة خمسين وألف، كما في «محبوب الألباب».

ـ نزهه / ٤٠١ رقم ٦٥٩.

محمد معصوم الهندي

(كان حياً سنة ١٠٥٣هـ/١٦٤٣م)

من العلماء الاثني عشرية في لاهور / ادركه مؤلف كتاب دبستان المذاهب سنة ١٠٥٣هـــ ويحتمل ان يكون متحداً مع محمد معصوم التستري (المذكور).

ـــ طبقات أعلام الشيعة ٦/ ٥٧٦ القرن ١١.

محمد هاشم الكيلاني

(ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م)

الشيخ الفاضل العلامة مير محمد هاشم بن محمد قاسم الحسيني الكيلاني، أحد كبار العلماء، أخذ العلوم الحكمية عن مرزا إبراهيم الهمداني ونصير الدين حسين الشيرازي، وأخذ الفقه والحديث والعربية عن الشيخ محمد العربي المحدث والشيخ عبد الرحيم الحسائي والشيخ علي حفيد العلامة عصام الدين الإسفرايني، وأقام بالحرمين الشريفين اثنتي عشرة سنة، ثم قدم الهند وأخذ الفنون الرياضية والصناعة الطبية عن الشيخ علي الكيلاني وتطبب عليه، ثم سكن بأحمد آباد في أيام شاهجهان زماناً، ثم جعله شاهجهان معلماً لولده أورنك زيب.

وله تعليقات على تفسير البيضاوي وحاشية على تحرير الأقليدس الى المقالة التاسعة وله غير ذلك من المصنفات، مات بآورنك آباد سنة إحدى وستين وألف وله ثمانون سنة، كما في «مرآة العالم».

ـ نزهه ٥/ ٤٠٦ رقم ٦٦٦.

حسن بن ابي الحسن القزويني المشهدي

(ت بعد ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م)

الشيخ الفاضل ميرزا حسن بن أبي الحسن القزويني ثم المشهدي الشاعر المشهور، كان يتلقب في الشعر بالرفيع، قرأ العلم على أساتذة المشهد، وسافر إلى بلخ فتقرب إلى نذر محمد خان أمير تلك الناحية، وولي الإنشاء فلبث بها زمانا، ثم قدم الهند سنة أربع وخمسين وألف وتقرب إلى شاهجهان، فنال الصلات الجزيلة منه، وولاه عالمكير بن شاهجهان على ديوان الخراج بكشمير، فلما كبر سنه اعتزل عنه ووظف له، مات بدهلي، ومن أبياته قوله:

خار را آتش توان زد تانگيرد دامنى   من نميد انم علاج خاك دامنكير

ـ نزهه ١٣٢/٥ رقم ١٩٠.

فتح الله الشيرازي

(ت بعد ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م)

الشيخ الفاضل الكبير الحكيم فتح الله بن ابي القاسم بن فتح الله، الشيرازي الحكيم، كان من العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، ولد ونشأ بشيراز، وقرأ العلم على أساتذها وتقرب إلى إمام قلى بن الله وردى خان أمير تلك الناحية، ولما توفى الأمير المذكور فارق بلاده ودخل الهند في أيام شاهجهان، فنال منه الصلات الجزيلة غير مرة، ودخل في زمرة أطبائه وكان حاذقا في علاج الأمراض الصعبة ومتفردا بين الأطباء في تشخيص الأمراض، كما في «عمل صالح».

وجده فتح الله غير فتح الله الشيرازي الأستاذ المشهور. وهو أيضا قدم الهند في عهد أكبر شاه ونال الصلات الجزيلة منه، وأقام بالهند مدة طويلة، ثم رجع إلى بلاده ومات بشيراز، كما في «بادشاهنامه».

ـ نزهه ٥/ ٣١٢ رقم ٤٩٦.

علاء الدين الشوشتري المرعشي

(حدود ١٠٠٠-١٠٥٠هـ/ ١٥٩١ - ١٦٤٠ م)

الشيخ الفاضل علاء الملك بن العلامة نور الله الحسيني المرعشي خامس أنجال الشهيد السيد نور الله الشوشتري، وقد اشتهر بلقبه ولم يعرف اسمه وكان أحد كبار العلماء، أخذ عن والده، صحبه مدة من الدهر ثم سار الى شيراز وتخرج على جماعة من العلماء، ثم قدم الهند واشتغل بالتدريس، فجعله شاهجهان معلما لولده محمد شجاع، فسار معه إلى بنكاله.

وله مصنفات جليلة، منها المهذب في المنطق، وأنوار الهدى في الإلهيات، والصراط الوسيط في إثبات الواجب تعالى وتقدس ــ ذكره مرزا محمد صادق الأصفهاني في «صبح صادق».

ــ نزهه.. /٤٥٥، تذكرة بجيد ــ سبط الحسن هنسوي، مطلع انوار / ٣٧١ -٣٧٤.

يحيى الحسيني الكاشي

(ت ١٠٦٤هـ/١٦٥٣م)

هو المير يحي الحسيني الكاشي، أحد الشعراء المفلقين، قدم الهند ونال الصلات الجزيلة من شاه جهان، ومن شعره:

دولب دو ناخن مرداست تابهم　　　كره ز خاطر خود وأزغيوان كردن

توفي بدهلي في ١١ محرم سنة اربع وستين والف.

ــ نزهه / ٤٥١ رقم ٧٥٢، سرو آزاد.

علي رضا الشيرازي تجلّي

(١٠٨٨هـ - ١٦٧٧م)

الملا علي رضا الشيرازي المتلقب بـــ (تجلّي) في شعره هو من كبار علماء الهند في عصره أخذ مكانه سلفه الشهيد السيد نور الدين الشوشتري، وذلك في أيام الامبراطور

شاه جهان وكان على صلة حسنة بالعلماء في ايران والعراق، طاف في اكثر البلاد المعروفة في الهند مثل: آكره، دهلي، لاهور، سوهدره، كشمير، وكان بالاضافة الى انشغاله في القضاء، يعقد مجالس الدرس ومن اشهر تلامذته في الهند العلامة السيد حسين الخوانساري المتوفي ١٠٩٩.

انتقل في أواخر حياته الى شيراز وتوفي بها على اختلاف الرواة في السنة التي توفي فيها وهي بين سنة ١٠٨٠ و ١٠٨٨هـ.

من كتبه:

- تفسير القرآن المجيد، بالفارسية، وجاء في مخزن الغرائب عن هذا الكتاب: انه تفسير للقرآن بعبارة واضحة وهو متداول بين العلماء والفضلاء.
- ديوان شعر
- رسالة في المنع من صلاة الجمعة حال الغيبة.
- رسالة سفينة النجاة في الامامة.
- رسالة في رد محمد باقر.

مطلع / ٣٥٩ -٣٦٠، روضات الجنات ٢/ ٢١٩، مخزن الغرائب ١/ ٤٢٠ هميشه بهار، صبح كلشن، كلمات الشعراء، مآثر الكرام.

ابو المعالي الشوشتري

(١٠٠٤ - ١٠٤٦هـ/ ١٥٩٥ - ١٦٣٦م)

ابو المعالي بن السيد نور الدين الشوشتري المرعشي، ولد في في ٣ ذي القعدة ١٠٠٤ في البنغال ثم اصبح من علماء الهند واشتهر في كثير من العلوم الشائعة في عصره، ومن كتبه، احوال شهادت قاضي نور الله، وكتاب: تفسير سورة اخلاص، وكتاب شرح الفيه (فقه) ورساله نفي رؤيت، وديوان باللغة الفارسية.

ـ مطلع انوار / ٦٧، نجوم السماء / ٩٢، تذكرة مجيد، امل الأمل.

شريف الدين الشوشتري

(٩٩٠ – ١٠٢٠هـ / ١٥٨٢-١٦١١م)

هو ابن الشهيد نور الدين الشوشتري، ولد في ١٩ ربيع الأول سنة ٩٩٠ على قول السيد شهاب الدين المرعشي، وكان قد درس دراسة ممتازة في الحوزات العلمية في ايران، ثم اصبح من العلماء والمدرسين.

وكان من اساتذته في شيراز: محمد تقي الشيرازي وابراهيم الهمداني، من مؤلفاته:

حاشية على تفسير البيضاوي، حاشية مبحث جواهر، حاشية قديم، حاشية شرح مختصر عضدي، حاشية على مطلع الانوار، رسالة في عويصات العلوم وغيرها.

انتقل الى رحمته تعالى في ٥ ربيع الثاني سنة ١٠٢٠هـ.

ـ مطلع انوار / ٢٧٩، مقدمة احقاق الحق.

اسماعيل البلكرامي

(حدود ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧ م)

هو السيد اسماعيل بن السيد قطب عالم البلكَرامي، كان من العلماء المتميزين على عهد شاه جهان، من تلامذته: السيد عنايت الله، حافظ القرآن، والسيد محمد فيض وكان من الاطباء.

اولاده: نور محمد، حسن عسكري، والسيد حسين.

ومن تصانيفه: حاشية كبير على كتاب تهذيب المنطق، وحاشية أخرى على حاشية ملا جلال.

ـ مآثر الكرام ٢٣٣، بي بها / ٥، تذكرة علماء هند / ٢١، مطلع / ٩٩.

دانشمند خان

(١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)

من علماء عصر اكبر وجهان كير وشاه جهان، وكان من طبقة ملا محمد يزدي، وملا محمد قدسي مشهدي، وملا علاء الملك التوني المعروف بفاضل خان، ومظفر خان مير عبد الرزاق النجفي، والملا نور الله الشوشتري، والملا أحمد تهتوي، وملا امانت خان، ومير محمد زمان موسوي خان ميرزا وأقا حسين خوا نساري، وملا ملك القمي، وملا فتح الله شيرازي وغيرهم.

ـ مطلع انوار / ٢١٧ –٢١٨، عمل صالح، مآثر الأمراء، فرح الناظرين.

محمد سعيد الكَرمرودي

(١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥ م)

كان من العلماء على عهد شاه جهان، قابل هذا الامبراطور ولقي عنده الاحترام، وعينه في منصب مرموق على ما جاء في كتاب باد شاه نامه.

ـ مطلع / ٦١٦.

الملا محمد الكاشف

(قبل ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩ م)

الملا محمد الكاشف بن الملا صادق، أحد العلماء في عصر شاه جهان وكان من المدرسين، والمصنفين، له عدة كتب منها كتاب تحت عنوان: «حاشية ميرزا كاشف على بحث التميز».

ـ مطلع / ٥٩١-٥٩٢.

اورنك زيب عالمكير

(١٠٢٨ ـ ١١١٨هـ / ١٦١٩ ـ ١٧٠٧ م)

الامبراطور محمد اورنك زيب عالم كَير الأبن الثالث للامبراطور شاه جهان ولد (ليلة الأحد ١٥ ذي القعدة سنة ١٠٢٨هـ، ٣ نوفمبر ١٦١٩، في قرية (دهوض) التي صُحف اسمها الى (دوحد) باقليم كجرات وامه السيدة ارجمند بانو الطهرانية (ممتاز محل).

مال الى دراسة الشريعة منذ صغره وكان من اساتذته: عبد اللطيف السلطان بوري ومحمد هاشم الكيلاني ومحي الدين بن عبد البهاري.

ودرس الخط لدى علي بن محمد مقيم حتى اصبح خطاطاً ماهراً لا سيما في خط النسخ والنستعليق والشكسته وكتب المصحف الشريف بخطه وانفق على التذهيب والتجليد سبعة آلاف روبية ثم بعث النسخة الى المدينة المنورة. وكان حافظاً للقرآن الكريم مطلعاً على السنة الشريفة ملازماً لكتب الفقه ملماً بمقدماته، ماهراً بالموسيقى، والرمي والطعن والفروسية والصيد، مترسلاً في الإنشاء والشعر، موصوفاً بالجرأة والشجاعة وقسوة القلب وعدم الرحمة على خصومه، وكان موصوفاً بالتدين وأداء شعائر الدين باخلاص كبير ومواظبة تامة مع زهد وتقشف نسب فيهما الى الشح حتى انه وزهد في آواخر عمره على ان لا ينفق على نفسه إلاّ ماكسبت يداه بالعمل حتى انه اوصى بأن يدفن في أقرب مقابر للمسلمين وألا يعدو ثمن كفنه خمس روبيات كان قد كسبها من نسخه للقرآن الكريم وصنعه للطواقي ضمن ثلاثمائة روبية أمر رجاله ان يتصدقوا بها على الفقراء كذلك.

وبالرغم من انه اغتصب العرش من اخيه دارا شكوه ولي العهد الشرعي، وبالرغم من قتله لأخوته واذلاله وسجنه لوالده المريض فقد كان عهده عهد ازدهار ورفاهية ورخاء، وأمن الناس فيه على أرواحهم وأموالهم واعراضهم، وازدادت من جراء ذلك مساحات الارض المزروعة وكثرت غلالها فزادت واردات الدولة ونعم الناس بالخيرات، وكان ذلك نتيجة لاصلاحاته الادارية وسياسته الاخلاقية.

جلوسه على العرش:

مرّ علينا نبأ مرض والده الامبراطور شاه جهان (قيل ان مرضه بالفالج، وقيل أبتلي باحتباس البول) فعهد بولاية العهد الى ولده الاكبر والارشد دارا شكوه ومكنه أن يقيم عنده وينفذ الامور فاشتعلت الغيرة لدى اخوته فنهض (شجاع) من البنغال و (مراد بخش) من كجرات و (اورنك زيب) من الدكن وكلهم يريد ان يستولي على العرش، لكن الغلبة في كل ذلك في صميم مؤهلات (اورنك زيب) فاستطاع اولاً من اقناع مراد بخش بالاتفاق معه ولما تمت لهما السيطرة على دارا السلطنة، احتال (اورنك زيب) على أخيه مراد بخش، وخان جميع المواثيق التي ابرمها معه واعتقل اخويه ثم قتلهما شرّ قتلة، ولكن يحلو لجمهرة المزمرين في جوقة السلطان ان يسمون تلك الخيانة تمرداً على السلطة الشرعية وخروجاً على الدين.

(في النزهه ٦/ ١٢٥: واعتقل اخويه (أي اورنك زيب) ثم قتلهما لأمور صدرت منهماوافتى العلماء [الابرار] انهما استوجبا القتل).

[وقال منعم النمر في تاريخ الاسلام في الهند / ٣٤١ في قتل دارا شكوه: انتهى الأمر بقتله بعد أن اعتمد الملك على فتوى من العلماء بخروجه عن الدين، ومحاربته الحاكم الشرعي (!!)] وهل كان الحاكم الشرعي الاّ داراشكوه نفسه فهو أكبر اخوته وأعلمهم، ثم ان والده كان حياً يرزق وقد خصه بولاية العهد فقام بأمور السلطنة تحت نظره ورعايته، ونحن لا نريد محاكمة اورنك زيب بقدر ما نريد التنبيه على اغاليط المشايخ الذين يهرفون بما لا يعرفون سعياً وراء تقديس هذا الحاكم أو ذاك وكل ما كان قد اعجبهم في الامبراطور اورنك زيب لما قيل عنه انه (كان متصلباً في المذهب، يتدين بالمذهب الحنفي لا يتجاوز عنه في قول ولا فعل ـــ نزهه ١٢٦/٦)، وهكذا كان التعصب في المذهب صكّ براءة لأفاعيل هذا السلطان أو ذاك طالما انه يتناغم في هواه المذهبي معهم، والواقع اننا لابد من ان نقيم هذا الرجل في ميزان اعماله السيئة أوالقبيحة، دون تأثر برأي أوعصبية لمذهب بعينه، وارى ان هؤلاء المشايخ ظلموا (اورنك زيب) جداً لأنهم اعتبروه بأماديحهم تلك وبتلقيبهم اياه بمحي السنة الغازي المؤيد.. القائم بنصرة الدين... الخ من الالقاب المفخمة، اعتبروه وكأنه معصوم من الخطأ مع أنه اغتصب

العرش الشرعي وكان ظالماً لأهله وقاتلاً بل وخائناً لأخوته واعجب من كل ذلك انه مع قسوته على أبيه واضطهاده له وعقوقه اياه (وعقوق الأباء ظلم عظيم لا يغتفر) سجن والده المريض في قلعة اكبر آباد لمدة ثماني سنين حتى وفاته في السجن ولم يحاول ان يزوره طيلة هذه المدة حتى ولا مرة واحدة وهذا دليل بسخطه عليه وغضبه منه، ومع كل ذلك فلا يحلو لهؤلاء المشايخ الا ان ينسبوا ذلك الى العفو عند المقدرة لدى هذا الأبن العاق واكثر من ذلك يقول في النزهه ٦/١٢٥ — ١٢٦ في موضوع سجن والده شاه جهان «وهيأ له ما يشتهيه من الملبوس والمأكول وأهل الخدمة والجواري والغلمان..» وكأن الأكل واللبس هو كل ما يبتغيه والده وأن ذلك يلغي عقوقه لوالده، ثم يردف قوله عن اورنك زيب بما يلي «وافتتح امره بالعدل والاحسان ورفع المظالم ص ١٢٦» وكم في هذا المديح من التجني والكذب، فالثابت تأريخياً ان اورنك زيب (المؤمن، المتصلب في المذهب) افتتح أمره بقتل اخوته وسبي أهله وسجن والده المريض حتى توفي في سجنه، فأين هو العدل والاحسان من كل ذلك ؟.

كيف كان يقضي وقته:

كان الامبراطور اورنك زيب على ما دونه السيد عبد الحي في النُزهه ٦/رقم ٢٤٤ موزعا لأوقاته فوقت للعبادة ووقت للمذاكرة ووقت لمصالح العساكر ووقت للشكاة ووقت لقراءة الكتب والأخبار الواردة عليه كل يوم وليلة من مملكته لا يخلط شيئاً بشيء فانه كان ينهض في الليل قبيل الصبح الصادق فيتوضأ ويذهب إلى المسجد ويصلي الفجر بجماعة ثم يشتغل بتلاوة القرآن والأوراد الموظفة ثم يجلس بدولت خانه ويتمثل بين يديه الأمراء المقربون ويحضر لديه ناظر العدلية (داروغة عدالت) بجماعة من المتظلمين سواء كانوا من أهل دهلي أو من خارجها فيقضي فيهم بما يبدو له من الشرع أو العرف ثم كان يذهب الى البرج المشرف على نهر «جمن» ويسمونه «جهروكة درشن» على سُنّة أسلافه وبعد مدة من الزمان ترك ذلك فكان يدخل المنـــزل ويمكث به نحو ساعتين أو ثلاث ساعات ثم يظهر في الديوان العام ويجلس للناس فيحضر لديه أبناء الملوك وكبار الأمراء وعظماء الهند والسفراء وكلهم يقفون بين يديه ومن ورائهم تقف عامة الأمراء ويتلوهم الناس من كل صنف ودرجة أعلاهم وأدناهم، ثم يتمثل بين يديه الأمراء الوافدون من

بلاده ويستأذنه الأمراء المأمورون إلى جهات فيخلع عليهم ويأذن لهم بالخروج ويعرض عليه عرائض الأمراء والولاة ونذورهم ويعرض عليه «المير بخش» مطالب أهل المناصب و «الميرآتش» أغراض «البرقندازية» وغيرهم وصدر الصدور يعرض عليه حوائج السادة والعلماء والمشايخ وغيرهم وصدر الصدور وغيرهم من أهل الاستحقاق وناظر العرض المكرر الأحكام السلطانية من المناصب والأقطاع والنقود وغيرها، ثم يعرض عليه ناظر الإصطبلات الأفراس الخاصة وشحنة الفيلة الأفيال الشاهانية على الرسم المعتاد وناظر الداغ والتصحيحة فرسان الأمراء مع أفراسهم التي امتازت بالداغ والتصحيحة حالا وكان يجلس بالديوان العام نحو خمس ساعات، ثم يذهب إلى «دولت خانه» فيحضر لديه الوزير والديوان والبخشي وصدر الصدور وغيرهم من كبار الأمراء فيكلمه الوزير في مهمات الدولة والديوان في الأموال الخالصة الشريفة والمير بخشي في العسكرية وصدر الصدور في أهل الحوائج والسلطان يحاورهم بما يبدو له من المعروف ويكتب بيده بعض التوقيعات ويأمر في بعضها أن يكتبه الوزير ثم يعرض عليه المناشير التي انشأها الوزير فيقرأها ويصلحها إن رأى فيها خللا ويجلس بها نحو خمس ساعات، ثم يدخل المنزل ويتغدى ويقيل نحو ساعة ثم يتوضأ ويمشي إلى المسجد ويصلي الظهر بجماعة، ثم يذهب إلى «خلوت خانه» ويشتغل بتلاوة القرآن وكتابة المصحف ومطالعة الكتب وتحقيق المسائل، وربما يدعو بها بعض الأمراء ويباشر المهمات من أمور الدولة وربما يدعو أهل المظالم والشكاوى فيقضي بيهم بالمعروف وربما يدعو المخدرات فيعرض عليه حوائج النساء فيبذل عليهم العطايا الجزيلة، ثم يذهب الى المسجد ويصلى العصر بجماعة ثم يجلس بدولت خانه مرة ثانية فيتمثل بين يديه الأمراء ويكلمونه في المهمات كأول النهار كما تقدم ثم يخرج الى المسجد ويصلى المغرب بجماعة ويشتغل نحو ساعتين بالأذكار والأشغال ثم يذهب إلى «دولت خانه» ويشتغل بالمهمات إلى وقت العشاء ثم يذهب الى المسجد ويصلى العشاء ثم يدخل المنزل.

وأما يوم الأربعاء فكان لا يجلس بالديوان العام والخاص ويجلس بدار العدل على سُنّة أسلافه فيحضر لديه المفتون والقضاة ويعرض عيله ناظر العدلية المتظلمين واحدا بعد واحد فيستنطقه السلطان بنفسه ويسأله بكل هوادة ورفق ويقضى بينهم بالمعروف.

وأما يوم الخميس فانه كان يكتفي بالجلوس بالديوان العام والخاص على أول النهار ويترك الجلوس بعد العصر فكان يشتغل سائر أوقاته بالعبادة.

وكان يجلس للمذاكرة في الكتب الدينية كالإحياء والكيمياء و «الفتاوى الهندية» وغيرها في كل أسبوع ثلاثة أيام على السيد محمد الحسيني القنوجي والعلامة محمد شفيع اليزدي ونظام الدين البرهانبوري وغيرهم من العلماء.

حروب اورنك زيب:

خاض اورنك زيب عدة حروب في عهد والده شاه جهان، ومنها الحرب التي قام بها ضد اخوته وقتلهم وما كاد ان يستتب له الملك حتى تجددت الانتفاضات ضده في عدة اطراف من الامبراطورية ومن بين الوقائع الحربية التي شهدها عصره:

الثورة الافغانية

وهي ليست بثورة جديدة بل أن القبائل الافغانية كانت في ثورة دائمة على المغول، وكانت صعوبة أرضهم وشدة بأسهم تجعل اباطرة المغول يرضون منهم بالطاعة الظاهرة ما داموا لم يمسوا مصالح الأمبراطورية. فلما كانت سنة ١٦٧٢ حدثتهم أنفسهم بالثورة فثاروا، فذهب السلطان بنفسه وأدّبهم وأقام حولهم مخافر لمراقبة أحوالهم وأعمالهم، ثم تركهم مدة من الزمن وأعاد عليه الكره بحملة قادها قائده المشهور «آغر خان» فاستأصل جذور رجالهم واجتز زهرات نفوسهم وأهلك حرثهم ونسلهم وضرعهم وزرعهم فكانت ضربة قاصمة حاسمة، وظلت النساء بعد ذلك زمناً طويلاً يفزعن أولادهن بأسم هذا القائد، وقد كتب بعض المؤلفين كتاباً عن حروب هذا القائد وسماه «آغرنامه».

الثورة الراجبوتانية

وقد نشأت عن موت الأمير جسونت سنكه، سنة ١٦٧٨، من غير أن يعقب وقد طمع بعرش إمارته ماروار، التي تسمى اليوم جوذهبور، كثير من الأمراء ولكن أورنكزيب ولّى عليها «إندر سنكه» ابن اخت الأمير الفقيد فأغضب هذا الانتخاب أسرة الميت وبعض قواده فتركوا البلاد مغاضبين وسارو يقصدون كابل، ولما بلغوا لاهور وضعت زوجة الفقيد غلامين توأمين فاخذوهما وجاؤوا إلى أورنك زيب وطلبوا منه أن يعهد

بالإمارة لأحدهما، فقال لهم أورنكزيب: بل يربى هذا الطفلان تحت الرعاية السلطانية ثم متى بلغا سن الرشد توليا ماكان لوالدهما. فأحبط بذلك مؤامرة المؤتمرين وعلى رأسهم «درجا داس»، فقرروا الفرار من دهلي والعودة إلى جودهبور والقيام بثورة باسم ولي العهد. وقيل أن أحد الطفلين مات وهم في دهلي، ورأى الرجال بأن وجود الأميرات معهم قد يعيق فرارهم وثورتهم فقتلوهن وفروا. وتقول بعض التواريخ أنهم قتلوهن مع الطفلين وفروا، فلما بلغوا جودهبور أخذوا طفلاً مجهولاً وادعوا أنه ابن جسونت، وتولى درجا داس قيادة ثورة أثارها على الأمبراطورية، واشتبك مع جيوشها بمعارك عديدة كان لا يغلب في واحدة منها إلا ليعود فيجمع جموعه لمعركة ثانية، ولما رأى أمير إمارة أوديبور ثبات درجا داس في مقاومة السلطان ظن عجز السلطان عن إطفاء نيران هذه الفتنة، فرفض دفع الجزية وانضم إلى درجا داس وعمل معه على إغراء والي «مار وار» الأمير «أكبر» الأبن الثالث للسلطان اورنك زيب، ودعاه الى العصيان على أبيه على أن يساعده هو ودرجا داس لتولي السلطنة، فاغتر «أكبر» بهذه المواعيد وأعلن عصيانه على أبيه سنة ١٦٦٠، وحيث ان اورنك زيب كان آنذاك في أجمير، فقد ذهب ابنه لقتاله، ولكن أورنك زيب انتصر على «أكبر» ففرَّ هذا ملتجئاً إلى راجبوتامه ثم الدكن، ثم لما ضاقت عليه الأرض بما رحبت غادر الهند سنة ١٦٨٢ إلى إيران وفيها مات. وبعد أن قضى أورنك زيب على ثورة ابنه انصرف بكليته إلى راجبوتانه فقضى على ثورتها، ولما رأى أمير أوديبور فشل هذه الحركة سارع بالاعتذار إلى السلطان وقدم إليه بدل الجزية المتخلفة في ذمته مقاطعتين من بلاده.

وبعد هذه الضربة أخلص الراجبوتانيون للسلطنة إخلاصاً تاماً ولم تبدر منهم، بعد ذلك، بادرة توحي بغير الطاعة والإخلاص.

ثورات الدكن

كانت الأمارات الشيعية في الدكن (العادل شاهية وعاصمتها بيجابور) (والقطب شاهية وعاصمتها كولكنده قرب حيدر آباد) مستقلتان عن هيمنة السلطنة المركزية للمغول، وكان المغول كلما سنحت لهم الفرصة يوجهوا جيوشهم لاحتلال الدكن،

الهضبة الكبرى في جنوب الهند، وكانت الحروب المتتالية مع جيوش الامارتين مدعاة لانزعاج المغول طيلة أيام حكم تلك الامارات وكانت هجمات المغول على الدكن تنتهي أما بالفشل أو بعقد المعاهدات دون أي حسم عسكري، وعلى عهد اورنكزيب استولى الضعف على هاتين الامارتين، وبدأ الضعف بيناً يوم تولى حكام ضعفاء الحكم هناك ولما كان اورنكزيب في انحاء الدكمن متوجهاً للاشراف العسكري على حملات التأديب لامارة المراته الهندوسية التي تشارك بيجابور وكولكنده الخوف من التوسع المغولي فانتهز اورنك زيب الفرصة للقضاء على امارتي العادل شاهية والقطب شاهية أولاً فساق السلطان جيشاً بقيادة ابنه الأمير «أعظم» إلى بيجابور وجيشاً آخر بقيادة ابنه الأمير «معظم» إلى كولكنده، فلما رأى سنبهاجي زعيم امارة المراته وجماعته ذلك انضموا إلى جهود كثيرة وخسارات كبيرة بالعتاد والأرواح، أن يستولي سنة ١٦٨٦ على بيجابور ثم بعدها سنة ١٦٨٧ على كو لكنده وألحقتا إلحاقاً تاماً بآكره، وأصبح علي عادل شاه أمير بيجابور من أمراء البلاط السلطاني وسيق أبو الحسن تانا شاه أمير كولكنده إلى قلعة دولة آباد، وسجن فيها حتى مات.

ثورة المراته

بالرجوع الى تاريخ المراته القريب، نجدهم من الأقوام الهندية التي سكنت الهند منذ القديم، ويسكن جلّهم شمال بومباي وجنوبها، ولهم لغتهم الخاصة (المراتية) وهي اللغة الوطنية لسكان بومباي وكثير من مقاطعة مها راشترا حتى الوقت الحاضر، وبالطبع فهم يتكلمونها اليوم مع عدة لغات اخرى وفي مقدمتها السنسكريتية والانجليزية مثل سائر اقاليم الهند المختلفة التي تتكلم لغاتها الوطنية بالاضافة الى اللغات المذكورة الاخرى.

وهذه القومية لم تنسجم مع الوجود المغولي وكانت في صراع دائم ونفور مستمر من تسلط المغول وكان يغذي عدائها الشعور القومي المتنامي بين افرادها وشدة عصبيتهم للهندوسية وطمعهم للاستقلال في حكم انفسهم ولقوة شكيمتهم فقد كانوا يبدأون بالاغارة على املاك المغول، وحين بزغ نجم زعيمهم (ساهوجي) التفوا حوله لكنه لم

يستطع ان يحقق ما يريد ان يصبو إليه قومه فقد آثر الاتفاق مع امراء بيجابور المجاورين للمراتيه واكتفى بتكريم الملك المسلم له وتقريبه طمعاً في نيل هدوء جماعته وقد افلح فعلاً في تلك الخطة فمال المراتيه الى الدعة والهدوء طيلة فترة زعامة (ساهوجي) المذكور، ولكن ما كاد ابنه الأصغر سيواجي يبلغ مبلغ الشباب حتى جمع حوله رجالاً وأخذ يُغير من أقطاع أبيه المنيع، على بيجابور، فينهب ويسلب ثم يعود إلى مقره، وقد أهملت الإمارة تأديبه حرمة لأبيه، فطمع وغرّته نفسه فاعتدى على الحدود المغولية، فأرسل أورنك زيب جماعة لتأديبه، فردته إلى الطاعة والخضوع، ثم لما عقد اورنك زيب، يوم كان والياً على الدكن، صلحاً مع إمارة بيجابور اشترط عليها مطاردته ومعاقبته أو إقطاعه منطقة بعيدة عن الحدود المغولية، ولكن بيجابور تهاونت بتنفيذ هذا الشرط لأنه لم يكن في صالحها، فلما أدبته القوات المغولية عاد واستطال على إمارة بيجابور، ووقعت بينه وبينها معركة قُتل فيها قائد بيجابور، فاضطر الأمير علي عادل شاه أن يسير سنة ١٦٦٠ بنفسه لـــتأديبه، ففرّ سيواجي وتدخل أبوه لدى الأمير فعفا عنه، فاتجه سيواجي من جديد نحو الأرض المغولية واستولى سنة ١٦٦٢ على مرفأ سورت وأعلن استقلاله فساقت آكره عليه حملة انتزعت منه أكثر المناطق والقلاع التي كان مستولياً عليها، فلما أدرك عجزه عن الاستمرار في المقاومة قدم خضوعه فعفا عنه راجه جي سنه قائد الحملة المغولية ومنحه نحو ثلث ما كان يسيطر عليه أقطاعاً يعيش منه وأنعمت الحكومة على ابنه سنْبهاجي، الذي كان شريك أبيه في عصيانه، برتبة رفيعة. وبعد بضع سنوات نقض سيواجي العهد وعاد إلى العصيان وظل يعتدي على البلاد المغولية حتى مات سنة ١٦٨٠، وخلفه ابنه سنبهاجي وسار على قدم أبيه في العصيان، لا بل أغرق في عصيانه وأوى إليه الأمير «أكبر» النجل الثالث للامبراطور اورنك زيب يوم فرّ من أبيه.

فانصرف أورنك زيب إلى سنبهاجي لتأديبه، وبعد معارك عديدة تغلب فيها عليه وقتله. ولكن قتل سنبهاجي لم يقض على الثورة بل قامت جماعته وانتخبت أخاه من الرضاع، راجه رام، أميراً واستمروا في قتال المغول حتى سنة ١٦٩٧، يوم استولى المغول على قلعة «جنجي» بعدأن حاصروها سنوات، وفرّ راجه رام وظل يضرب في صحارى برار ووهادها حتى مات، وأصبحت الهند كلها خاضعة للأمبراطورية المركزية.

من أعمال اورنكزيب:

عاشت الهند خلال عهد اونك زيب بطمأنينة تامة لا سيما بعد أن قضى على جميع تلك الانتفاضات ضد الحكم المغولي، وقضى الامبراطور خمسين سنة في الملك والبلاد هادئة، لكنه طبعها بطابعه الخاص واضفى على الحياة الاجتماعية والادارية والدينية لوناً جديداً عليها تميز بعدة خطوات هي من بنات افكاره، وهي بمجموعها فضائل تضاف الى مكنته الادارية وبراعته الحربية وسياسته القوية وكل هذه المؤهلات ابرزته شخصية فذة متسقة الجوانب، ولهذا أختلف في النظر الى هذه الخطوات بين مؤيد ومعارض، وفي هذا يتجلى سر عظمة هذا الرجل، وفي مايلي نظره سريعة على بعض أعماله:

- فقد الغى عادة السجود للامبراطور ومنع الانحناء للسلام وجعل السلام «السلام عليكم» فقط، ومع ذلك فانه عاقب أحد السقاة لمجرد أنه اقترب منه وحياه بتحية الاسلام (تبصرة الناظرين للسيد عبد الجليل البلكرامي ص ٥٩، مخطوط بمكتبة خدا بخش رقم ١٥٨) وجرت هذه الحادثة سنة ١٠٨٧هـ.
- طرد من القصر جميع الموسيقين والرسامين والشعراء ـ وكان قد سمح لهم في أوائل عهده.
- ابطل عادة تقديم الهدايا للامبراطور من قبل حاشيته وولاته الذين كانوا بدورهم يتلقون الهدايا من مرؤوسيهم فكانت أشبه برشوة رسمية اجبارية.
- أمر برفع المكوس والمظالم عن المسلمين ونصب الجزية على غير المسلمين وهو أول من فعل ذلك من حكام المغول ومقابل ذلك الغى الخدمة العسكرية عمن يدفع الجزية.
- ادخل الاصلاحات في النظام المالي للدولة فازدادت ثروات البلاد.
- الغى التقويم الشمسي.
- منع الاحتفال بعيد السنة الشمسية
- أصدر أمراً بأن لا ينسج شيء من الثياب الذهبية في دار الصناعة الملكية.
- أسس مصلحة للاحتساب الشرعي، وكان من أعمالها معاقبة من يبيع الخمر.

- منع المقامرة وأصدر أمراً للبغايا والراقصات ان يتبن ويتزوجن أو يخرجن من حدود المملكة.
- نهى المستوفين أن يطالبوا الابناء بغرامات الآباء ويصادروا أموالهم في القضاء وأمرهم ان يميزوا في ذلك فيما بين أهل المناصب وفق ضوابط معينة.
- اصلح الشوارع والطرق وحفر الآبار والعيون واسس الجسور والحمامات والمساجد والاصطبلات لأبناء البلاد.
- بذل المال لتعمير المساجد وتزويدها بالائمة والمؤذنين ولوازم الادامة والتأثيث.
- كان يتصدق بتسع واربعين ومائة ألف في السنة، غير ما يتصدق به في الأعياد والمواسم.
- أمر بتدوين (الفتاوى العالمكيريه) المعروفة اليوم بالفتاوى الهندية وهي مطبوعة ومتداولة في ست مجلدات كبار وتعتبر موسوعة فقهية في الفقه الحنفي.
- هو اول من وضع الوكالة الشرعية في دور القضاء فوّلى رجالاً من أهل الدين في دور القضاء بكل بلدة ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغاث عليه في الحقوق الشرعية والديون الواجبة عليه وأجاز للناس أن يستغيثوا عليه عند القاضي.
- أمر عماله في الاقاليم (على زعم ول ديوارنت) ان يقوضوا كل المعابد التي تتبع الهندوس أو المسيحيين وأن يحطموا الاصنام جميعاً، وان يغلقوا مدارس الهندوس بغير استثناء [وممن ايد ذلك المرادي في سلك الدرر مع أن الشرع لا يجيز تهديم معابد أهل الذمة ممن تؤخذ منهم الجزية]. فكان من جراء ذلك أنه في عام واحد (١٦٧٩ — ١٦٨٠) هدم ستة وستين معبداً في «عنبر» وحدها، وثلاثة وستين معبداً في «شيتور»، ومائة وثلاثة وعشرين معبداً في أودايبور وأقام مسجداً اسلامياً في مكان معبد كان قائماً في بنارس وكان موضع قدسية خاصة عند الهندوس، بغية الإساءة المتعمدة إليهم، وحرم إقامة الشعائر الهندوسية علناً، ومع هذا يعترف (ول ديورانت) بانه كان اقل المغول قسوة، والطفهم مزاجاً، وكاد يستغني عن اصطناع العقاب في محاكمة المجرمين.

- اسس (بلغو خانات) أي دور العجزة والمسنين في أكثر البلاد، وأصلح أعمال المستشفيات.

وأخيراً فقد توفي اورنك زيب وعمره تسعة وثمانون عاماً في الدكن في شهر ذي القعدة سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٧ م بعد أن أقام في الملك نصف قرن وخلّف غيابه فراغاً كبيراً حرّك العداوات القديمة وأثار الأطماع الجديدة ولم تمض بعد موته سنوات قليلة حتى تحطمت امبراطوريته بفعل دسائس الغربيين وبسبب منه شخصيا حين زاد امتيازات البريطانين ببلاده عندما عاونوه في حربه مع البرتغاليين والمراته ولم يكن يعلم انه بصنيعه هذا انما مهّد الطريق لقوة صغيرة بعثتهم جزيرة صغيرة نائية في الغرب استنكف والده (جهان كير) ان يرسل رسالة الى ملكها — في حينه لكن هذه القوة الصغيرة من الساسة والتجار دخلوا من خلال تلك الامتيازات الى الهند وبعثوا مدافعهم ليستولوا على هذه الامبراطورية الاسلامية العظمى وبهذا قاسى خلفاء اورنك زيب الامرين من هؤلاء القراصنة الذين لم يتورعوا عن سلوك احط السبل وادنئها للاستيلاء على هذه الاراضي الكبيرة الغنية.

زوجات الامبراطور اورنكَ زيب:

١- دلراس بانو بيكَم ابنة شاه نواز الصفوي، تزوج بها في ٨ مايو ١٦٣٧ وتوفيت في ٨ اكتوبر ١٦٥٧.

٢- نواب باي ابنة راجا رجويني Raja Rujwini (راجا كشمير).

٣- اديبوري بيكَم وهي ام الأمير كام بخش.

٤- اورنك آبادي محل توفيت في بيجابور في ١٦٨٨ م.

وفاتــه وعقبــه:

مرض أورنك زيب مرضاً شديداً في مايو ١٧٠٥ واحتجب عن الناس مدة اثني عشر يوما حتى حسب البعض انه مات. لكن أجله لم يكن قد انتهى بعد وواصل الزحف

فوصل إلى أحمد نكر في ينايرسنة ١٧٠٦ وتوفي بها في ٢٨ من ذي القعدة عام ١١١٨. (٣ مارس سنة ١٧٠٧) بعد أن حكم خمسين سنة قمرية وسبعة وعشرين يوماً. ودفن في خلد آباد أو الروضة على مسافة أربعة أميال غربي دولت آباد وغير بعيد من أورنك آباد.

وكانت ألقابه في حياته: (أبو المظفر، محمد محي الدين، أورنك زيب عالمكير باد شاه غازي) وبعد مماته سمي «خلد مكان»، وكان له أربع زوجات: رحمة النساء المعروفة بأسم نواب بائي ابنة راجا كشمير المسمى رجويني Raja rujwini، وهي أم محمد سلطان ومحمد معظم، وبدر النساء بيكم، ودلرس بانو بيكم الإيرانية ابنة شاه نواز الصفوي أم أعظم شاه وزينة النساء بيكم وأورنك آبادى محل أم مهر النساء المتوفاة في بيجايور سنة ١٦٨٨م، وبائى أديبورى أم كام بخش.

وكانت نقود أورنك زيب الذهبية منقوشا عليها شعر معناه:

صـــاحب الـــسكة في العـــالم القمر المنير الملك أورنك زيب قاهر

وعلى النقود الفضية كانت كلمة بدر تستعمل بدلا من كلمة مهر.

ومن مزايا اورنك زيب:

كان أورنك زيب محارباً شجاعاً وقائدا موهوبا، وكان يتمتع بمزيج من الشجاعة النادرة والبرود الذهني العجيب، فكثيرا ما كان يترك ساحة القتال ابان اشتداد الحرب ليركع أمام الله خاشعاً، ثم لا يلبث أن ينتهي من صلاته حتى يعود الى القتال بحماس أشد وهمة أعظم، وكان يكره أن يحدث مكروهاً الا إذا لم يجد مفرا من ذلك فقد كان يطرق جميع الوسائل السلمية قبل أن يلجأ الى الأعمال العدائية، فاذا ما وجد نفسه في وسط المعركة حاول أن يستغلها في وضع حد لأصل المشكلة ويقول سير «جادونات ساركار» ان برود اورانكزيب وشجاعته قد طبقت شهرتهما جميع أرجاء الهند، فلم يكن قلبه ليرتجف من أي خطر مهما ادلهم ومن أي طارئ مهما كان مفاجئا، كما ان أي أمر من هذه الأمور لم يكن ليشوب ذلك النور الهادئ الذي كان ينبعث من عقله بأية شائبة.

«لقد كان يرى في الأخطار ضرورة تقتضيها العظمة، ولم يكن ذلك الجسد النحيل ليستسلم للارهاق والاجهاد، او يخشى القيام بحملة أو غارة» وكان له في فن السياسة باع

طويل فلم تكن تقهره المناورات أو الأسرار.. لقد كان ربا للسيف وللقلم معا.

وقد لخص لنا الدكتور أسوارى براساد، في كتابه «موجز تاريخ الحكم الاسلامي في الهند»، شخصية اورانكزيب في الكلمات المغولية التالية: «يعتبر اورنكَزيب من أعظم حكام الاسرة، ولقد ظهرت دلائل عظمته منذ كان أميرا أيام حكم والده. وكان يتحلى بالشجاعة الفائقة التي ظهرت واضحة في الحملات التي اشترك فيها ولقد ذاعت شهرته كقائد عسكري في شبابه، فقد كان يبدو في أتون المعركة وهو أكثر ما يكون برودا وسيطرة على نفسه، على الرغم من احاطة الاعداء، من كل جانب ولا يضارعه في فن السياسة سوى القلة، ولذا فقد كان أشد الوزراء حنكة ومراسا يخشون قوة ارادته ويحترمون أحكامه».

يقول بختاور خان مؤلف كتاب «مرآة العالم»: «ولم تجر في بلاطه المقدس أبدا محادثات تعوزها اللياقة، كما حرم ذكر أية كلمة يشتم منها رائحة النميمة أو الكذب. وقد فهم رجال حاشيته أنهم اذا اضطروا الى مهاجمة شخص غائب فعليهم ان يعبروا عن رايهم في لغة مهذبة وبتفصيل تام.

وكان الامبراطور يظهر مرتين أوثلاث مرات يوميا في قاعة المستمعين، وهو في أشد حالات الغبطة والرضا وذلك لينظر بنفسه في شكاوى الناس الذين كانوا يهرعون إليه جماعات دون أن يجدوا ما يصدهم عنه، وكان يستمع اليه باهتمام بالغ وهم يعرضون شكاواهم دون خوف أو تردد، وكانوا دائما يجدون الانصاف على يديه».

وقد كان على عدو اورانكزيب الأكبر، سير جادونات ساركار، الذي لا يرى في آخر أباطرة المغول سوى متعصب ديني ضيق الأفق، لا يعرف السياسة أو الكرم، كان على هذا المتحامل أن يعترف بأن أورانكزيب كان نظيفا بسيطا متقشفا تقشف النساك، وأنه كان فوق هذاوذاك يكنُّ حبا للعمل ومقتاً للراحة والسرور.

أنه يعترف «بأن الرحالة الأوربيين كانوا يبدون أعجابهم بذلك الامبراطور ذي اللحية البيضاء الذي كان يجلس في بلاطه كل يوم يقرأ ملتمسات الناس ويصدر أوامره بيده»، كما أنه يعترف «بأنه كان حريصاً على التقيد بالنظم الرسمية وقواعد المجاملة».

علاقته بالطوائف غير الاسلامية:

يقول س. م. جعفر في كتابه «الامبراطورية المغولية من بابر الى اورنكزيب» ان اورانكزيب لم يتخل عن سياسة التسامح الديني التي ادخلها اباطرة المغول من قبله، ويؤكد هذه الحقيقة كذلك الكسندر هاملتون الذي زار الهند في أواخر حكم اورانكزيب، وقد تحدث هذا عن المجوس فقال انهم كانوا يتمتعون بحرية العبادة وحرية العقيدة، كما قال أن المسيحيين كانوا أحراراً في بناء الكنائس والتبشير بتعاليمهم الدينية.

ويقول سير توماس ارنولد: نجد من دراسة المجموعة المشوقة التي لدينا عن أوامر اورانكزيب وتعلمياته التي لم تنشر بعد ان هذا الامبراطور قد وضع ما يمكن أن يطلق عليه «اسمى قانون للتسامح يمكن لحاكم أن يتبعه مع رعاياه الذين ينتمون الى دين آخر»، ففي يوم من الأيام بذلت بعض المحاولات لحض الامبراطور على اقصاء اثنان من غير المسلمين عن منصبيهما بحجة انهما من المجوس الكفار وانه من الأنسب أن يشغل منصبيهما اثنان من المسلمين المجربين، خدام التاج، فكان رد الامبراطور على ذلك «لا مجال للتعصب في مثل هذه الأمور» ثم أشار بعد ذلك الى قول الله عز وجل «لكم دينكم ولي ديني» واضاف ان مناصب الحكومة يجب أن تشغل حسب القدرة والكفاءة لاحسب أي اعتبار آخر وفرضت الجزية على غير المسلمين من رعايا الامبراطور في العام الثاني عشر من حكم أورانكزيب، كما استوفيت الزكاة من المسلمين في نفس العام، أما الجزية فقد فرضت على تلك الطائفة من غير المسلمين التي كانت ترفض تقديم أية خدمة عسكرية للبلاد، كما انها قصرت على الذكور الأغنياء منهم، وقد روعى ان تقل هذه الجزية عن الزكاة التي كانت تستوفى من المسلمين. وكات تحصيل الجزية يتم بصورة انسانية رائعة فقد كانت تستوفى على أقساط يسيرة، وكثيرا ما كانت تلغى.

علم أورانكزيب في يوم من الأيام ان سكان حيدر آباد عاجزون عن دفع الجزية لفقرهم فاصدر أمرا باعفائهم من دفع جميع الضرائب، بما فيها الجزية، طوال هذا العام.

معاملة الهندوس:

وكان عدد كبير من كبار موظفي اورانكزيب من الهندوس، كما كان بعض هؤلاء

الموظفين من أقرب اقرباء عدو الدولة الاسلامية الاكبر، «سيفاجي»، وكان بين قواد الجيش المغولي هندوس أدوا خدمات جليلة لامبراطورية اورانكزيب.

وكانت أماكن العبادة الهندوسية في مأمن تام زمن يخضع خضوعا تاما للقواعد والعادات المرعية، وكان يقول دائماً: «اذا سمحت لقاعدة من القواعد بأن تخرق فان بقية القواعد ستقابل بالزراية».

وورد ان عدد الهندوس الذين تقلدوا مناصب رفيعة خلال حكم أورانكزيب الذي استغرق خمسين عاما قد بلغ ١٤٨ مقابل ١٤ هندوسيا تقلدوا مثل هذه المناصب في خلال حكم الامبراطور اكبر.

مرسوم اورانكزيب:

ويحسن بنا في هذا المقام أن نقتطف جزءا من المرسوم الذي اصدره اورانكزيب في الخامس عشر من جمادى الآخرة عام ١٠٦٩ الهجرى ووجهه الى حاكم بنارس:

«في هذه الأيام التي سادت فيها عدالتنا، وصلت الى بلاطنا الرفيع معلومات عن أشخاص دفعهم الحقد والضغينة الى مضايقة بعض الهندوس من مواطني بنارس وغيرها من الأماكن المجاورة وبعض البراهمة الذين يقومون بحراسة الهياكل القديمة، محاولين بذلك ابعاد هؤلاء البراهمة عن وظائفهم القديمة، وبما ان هذا العمل سيسبب الضيق لهذه الطائفة فقد أصدرنا اليكم امرا ملكيا بأن تعملوا حال وصول هذا اليكم على منع أي شخص في المستقبل من التدخل بأية صورة غير شرعية في شئون البراهمة وغيرهم من المواطنين الهندوسيين في هذه الأماكن ووقف أي انزعاج لهم حتى يظلوا في أماكنهم ووظائفهم السابقة بعيدن عن كل ما من شأنه أن يعكر عليهم صفو قيامهم بصلواتهم، وذلك حفظا لكيان أمبراطوريتنا التي منحها لنا الله القدير، تلك الامبراطورية التي كتب لها أن تدوم الى الأبد، وهذا الأمر يجب أن يدرس بغاية السرعة».

وفيما يلي مرسوم آخر أصدره اورانكزيب عام ١٠٨٩ هجرية:

بما ان هناك قطعتين من الأرض تبلغ مساحتهما ٢/ ٥٨٨١ ديرا وتقعان على ضفاف نهر الكنج في «بنى مهدوجات» في «بنارس» (احدى هاتين القطعتين تقع أمام بيت

جوسان رام حيوان على مقربة من المسجد الجامع والأخرى في مكان قريب) وهما خاليتان من أي بناء، وبما انهما ملك لبيت المال، لذا فقد قدمنا هاتين القطعتين «لجوسان رام حيوان» وأولاده منحة منا له حتى اذا ما بنى فوقها مساكن للبراهمة الورعين و «للفقراء» المقدسين داوم على عبادة الله وعلى الصلاة من أجل بقاء هذه الامبراطورية التي منحها لنا الله القدير والتي كتب لها أن تدوم الى الابد.

ولذا فان على أبنائنا الأفخمين ووزرائنا المبجلين وأمرائنا النبلاء وكبار موظفينا ورجال الأمن في الحاضر والمسقبل أن راعوا هذا المرسوم المبارك دائما ويسمحوا للمذكور اعلاه وذريته من بعده جيلا بعد جيل، ان يتصرف في هاتين القطعتين من الأرض كما يشاء، وأن يعتبروها معفاة من جميع الرسوم والضرائب والا يطالبوه بتقديم «الوثائق» عاما بعد عام .

اورنك زيب والشيعة

يبالغ المتعصبون المتزمتون، في الفساد العقيدي الذي يسود المجتمعات الاسلامية ويرمون طوائف الاسلام الاخرى بالمروق عن الدين والخروج عن الاسلام والكفر والزندقة.. الخ ويتجاوزا عن سوء توفيقهم انهم اوقفوا اقلامهم في معاداة مذهب اهل البيت ومحاربة اتباعه اينما وجدوا، ولما كان المذهب الامامي منتشراً في جميع انحاء الهند منذ القرون الهجرية الأولى حتى يوم الناس هذا فقد ازعجهم هذا التأييد المتزايد والنعم المتلاحقة التي اسبغها الله على اتباعه، وفي الهند عدد كبير ممن اغرتهم الحياة الدنيا من انصار النحلة الوهابية الذين جعلوا همهم الأول القضاء على النجاحات المستمرة للطائفة الاسلامية الشيعة في هذا البلد وبرغم المعاناة والاضطهادات التي يعانيها شيعة الهند اليوم من الوهابية المتعصبين فانه قلما يخلوا أحد الكتب التي يصدرها شيوخهم من الدسّ والتزوير على هذه الطائفة المضطهدة وتشويه تاريخها الناصع المضئ، وقد لعب المسلمون الشيعة دوراً مهماً في تاريخ الوجود الاسلامي في الهند ولا سيما على عهد الامبراطورية المغولية الاخيرة وكانوا مع قلتهم العددية وفي جميع العهود قادة الجيوش وعلماء البلاد وممن حازوا على الوزارات المهمة والمناصب الخطيرة وما ذلك الا بسبب كفاءاتهم وتعاونهم

وتآزرهم فيما بينهم وتأدبهم بآداب الاسلام التي تحث على الاستقامة والالتزام وتأدية الواجب كسباً لرضا الله سبحانه وتعالى، وما كان هذا الا مدعاة لمزيد من الاتهامات الجوفاء التي ينفثها اعداء الحق ودعاة التفرقة، ذلك الداء الوبيل الذي منيت به الامة الاسلامية في مختلف عصورها، لم يكن العصر المغولي استثناءاً لكننا وجدنا في اقلام اولئك الشرذمة حقداً متعمداً لتشويه دور الشيعة في التاريخ الاسلامي للهند وتشويهاً لرجالاتها وتزييفاً لكثير من الوقائع التاريخية، ومن بين أهم المراكز التي تناصب العداء للشيعة في الهند مؤسسة (ندوة العلماء) وصاحبها الندوي الذي ما وجد مناسبة يكتب فيها إلاّ وسخر قلمه للتشكيك والنيل من الشيعة ورموزها وأئمتها، فالشيعة واتباع أهل بيت النبي الاطهار هم عقدة العقد لدى المتعصب الندوي ومن سار على منواله من وعاظ السلاطين وفي الوقت الذي يغرق فيه الندوي اسواق الكتب بشتائمه للشيعة كان اتباعها يزيدون وواسهمها تربح في مرضاة الله وتنتشر افكارها النيرة ممثلة للاسلام الاصيل في الهند وخارجها وهذا ما كان يقلق الندوي، يقول:.. وكانت آثار هذه الفرقة ــ لاسباب علمية وسياسية مختلفة تنتشر بسرعة في الهند انتشاراً واسعاً، ويتأثر المجتمع المسلم الذي كانت اكثريته سنية المعتقد والمذهب بعقائدها وتصوراتها وافكارها وآرائها وتقاليدها وعاداتها تأثراً كبيراً (كتاب السرهندي ص١٧١).

ولا يتورع ان يضع الشيعة من المؤمنين الاخيار في صف الهنادك في موضع واحد، «فقد كانت البدع والمحدثات، وكثير من تقاليد الهنادك والشيعة وعاداتهم تسيطر على المجتمع المسلم وقد تسرّبت في حياة العامة من الناس وتغلغلت في احشائها مخالفة للاعلان القرآني الصريح ــ الا لله الدين الخالص ــ ص ٥٥.. من كتاب السرهندي».

ومع اعترافه بانتشار التشيع وسيطرته على المجتمع كما يتبين من النصوص المتقدمة، ولأنه مهووس بكره الشيعة يذكر أو كأنه يتمنى ويتربص بالشيعة سوءاً فيخالف ما قاله من قبل بعدم قبول هذا المذهب بين الجماهير:

«لم تكن امكانيات في الهند لقبول هذا المذهب ونجاحه على مستوى الجماهير ص ٤٢ السرهندي».

ويتمادى في تسفيه الفكر الشيعي الذي يحلو له ولعديد من المتسكعين على مائدة الفكر ان ينسبونه الى الفرس فيقول «لقد تعاون الذوق الايراني الذي تعود منذ قرون على صنع القبة من الحبة وتشقيق الشعرة مع هذه النزعة العقلية الفلسفية، وبث شبكة التقعير في الالفاظ وتوليد الطرائف والنكات وتعقيدات الدعاوى والمفروضات من الحدود الغربية لايران الى الحدود الشرقية للهند، التي لم يكن مثلها الا كما يقال تمخض الجبل فولد فأراً (ص ٣١ من كتابه عن الامام الدهلوي)» ونزيد على اقواله فانجب الندوي وامثاله لأن هذا المدعي. نسي ان امامه ابي حنيفة هو سيد من عمل بالذائقة الايرانية لأنه ايراني ابن ايراني وجده المسمى (زوطي) ايراني مجوسي لا يمكن لأحد ان ينكر ذلك، اما الشيعة الذين ينسبهم الى الذوق الايراني فهم اتباع جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله (ص) سيد العرب والعجم، فنحن لا نأخذ ديننا من اولاد المجوس ولا نجعلهم قدوة لنا بل نأخذه من المنبع الاصيل ومـــن بيت الوحي والتنـــزيل فانظر من يأخذ ثمة بالذوق الايراني اتباع الصادق الصدوق أم أتباع امامك ابي حنيفة بن زوطي.

وجاء في ص ١٤ من كتاب الدهلوي «منذ مقدم الأمير فتح الله الشيرازي والحكيم علي الكيلاني في عهد الملك اكبر أصحبت الهند كلياً عالة على ايران في مناهجها الدراسية وطرق التعليم وتحديد مقاييس الفضل والنبوغ، وفي مجال العلوم العقلية والحكمية تقلدها وتدين لها وتمشي في اثرها، وتمت بذلك السيطرة لايران على الهند في هذا الصدد».

ويسمى الندوى كتاب الدهلوي (السيئ الصيت) ضد أهل البيت واتباعهم يسمية المأثرة ثم يبث حقده كعادته حين يتذكر الشيعة وتهيج حينذاك سوداويته فيقول:

وأما فيما يتعلق بمأثرة الشيخ الدهلوي في مقاومة فتنة الرفض والتشيع وحماية أهل السنة وصيانتهم من تأثيره وعدواه، والتي بدأها الامام الدهلوي بكتابه المنقطع النظير (ازالة الخفاء) فقد اكملها ودعمها الشيخ الدهلوي بكتابه الرائع الجليل «تحفة اثنا عشرية» بالفارسية الذي يُعدّ من الكتب التي تصنع التاريخ وتحول تيار الأحداث «الدهلوي ٢٨٠.

أرأيت كيف ان شيخ الناصبة هذا يعتبر كتاب الدهلوي مأثرة (وأيّ مأثرة!)،

ويصفـــه بالرائع الجليل ـــ المنقطع النظير.. من الكتب التي تصنع التاريخ ويحول تيار الأحداث.. واعجبي.. وهل بعد القرآن من كتاب يصنع التاريخ ويحول تيار الأحداث. وفي ص ٢٢٦ يوحي بأن استشهاد الحسين عليه السلام كان انتحاراً!!

ومثل هذه الشواهد المدللة على ناصبية الندوي كثيرة جداً في كتاباته وخطاباته، وقد ثبت انه يحلل الاحداث التاريخية لتوافق هواه ورغباته الانتقائية في تفسير التأريخ الاسلامي ليتماشى وافكار الفرقة الوهابية التي جعلت همها محاربة الشيعة والتشيع اينما كانوا، وقد أشاع الوهابيون ان الامبراطور اورنك زيب كان عدواً للتشيع في الهند، ووفق تفسيرات الندوي الخيالية ان هذا الامبراطور«بعدما تولى زمام الأمور بيده وجه كل همه الى القضاء على آثار العهد الاكبري المخالفة للاسلام، والحدّ من تأثير التشيع الذي كان اكبر مراكزه في جنوب الهند، ولذلك صرف عالم كير (اورنك زيب) الجزء الأكبر من حياته وطاقاته للسيطرة عليه، واستئصال التأثيرات الحضارية لإيران المختلطة بالنزعات المجوسية..». [الامام الدهلوي ص ٣٨]

وكل ما جاء في هذا الكلام تلفيقات لا أساس لها من الصحة الهم فيها اورنك زيب بما هو برئ منه وسيأتي الدليل على ذلك ولكني اقول للندوي الذي يحلو له دائماً استعمال كلمة (الإستئصال) لمقاومة خصومه الشيعة ومن ذلك قوله (استئصال التأثيرات الحضارية لإيران المختلطة بالنـــزعات المجوسية) يقول هذا القول الخطير دون وازع من ضمير وهذا اذا كان له ضمير فعلاً ـــ يقول هذا وهو يعرف ان الشعب الإيراني قد دخل في الاسلام من اعماق القلوب والافئدة ومضى على اسلامه اربعةعشرة قرناً وقدم اكبر الخدمات للاسلام وبالمناسبة كانت خدماته طيلة الف سنة خاصة بالسنة لأن الايرانيين كانوا سنة طيلة الف عام قبل تشيّعهم في العهد الصفوي أي الهم في حوزة مذهب أهل البيت منذ اربعة قرون فقط وفي خلال هذه القرون ولد مئات الملايين من الايرانيين على الاسلام والفطرة ثم قضوا حياقم في ظل الاسلام حتى اسلموا انفسهم الى بارئهم وهم مسلمون، فكيف يجيز الندوي لنفسه ان يتهم كل هذه الملايين من المؤمنين بهذه التهمة الشنيعة وهي بالاساس تنقلب عليه وعلى قومه الذين نصّب نفسه مدافعا عنهم بالحق أو بالباطل. ثم كيف يستقيم قوله هذا مع ان لا سابقة للفرس في التشيع (سوى سلمان الفارسي (رض)

وان اكثر الذين أسلموا من الفرس ما اختاروا مذهب التشيّع من أول الأمر، بل نرى أن أكثر علماء المسلمين الايرانيين في التفسير والحديث والكلام والادب من السنة لا الشيعة، بل لقد كان بعضهم من المتعصبين ضد التشيع بشدة، وأن هذا الأمر أستمر بهم الى ما قبل (الصفوية) فان اكثر بلدان ايران الى عهدهم كانوا سنّة لا شيعة وكان الفرس ـــ كسائر المسلمين ـــ يسبّون أمير المؤمنين علياً عليه السلام على منابرهم ومنائرهم بتأثير من دعايات الأمويّين، حتى قيل ان بعض مدن ايران قاومت منع عمر بن عبد العزيز من ذلك فأصرّت على سبّه عليه السلام.

وان اكابر علماء السنة الى ما قبل عهد الصفوية كانوا من الفرس، من المفسرين والفقهاء والمحدثين والمتكلمين والادباء واللغويين والفلاسفة وغيرهم.

فان أبا حنيفة ـــ الامام الاعظم ـــ كان فارسيا ـــ كما تقدم قبل قليل ـــ والبخاري صاحب الصحيح أكبر محدثي السنة فارسي، وسيبويه امام النحويين فارسي، والجوهري صاحب كتاب الصحاح في اللغة فارسي، والإمام الغزالي فارسي والفيروز آبادى صاحب القاموس المحيط في اللغة فارسي، والزمخشري اكبر واقدم المفسرين فارسي، وابو عبيدة وواصل بن عطاء من المتكلمين فارسيان.. وهؤلاء كلهم من علماء السنة ... وهكذا كان اكثر علماء ايران واكثر الفرس سنة، وحسب نظرية الندوي الخيالية يكون مذهب السنة اكثر المذاهب الاسلامية تمسكاً [بالتأثيرات الحضارية لايران المختلطة بالنزعات المجوسية] ولا ندري من هو أحرى بـــ [الاستئصال] بعد تبيان هذه الحقائق.

وينضم الى جوقة الندوي شيخ آخر من رؤوس الناصبة فيتهم المؤرخين الشيعة بالتهجم على اورنك زيب لأنه ـــ بحسب زعمه ـــ قضى على ملك الشيعة في الجنوب فاصبح مذنباً في نظرهم ومتعصباً (كتاب منعم النمر ٣٥٧) وعلى خطى هؤلاء يقول الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة أن «اورنكزيب حَظَرَ قدوم الشيعة الى بلاده»!! [ص٩٢ من كتاب احمد السادابي: تاريخ الدول الاسلامية في آسيا القاهرة ١٩٧٩].

وما يدلل على جهل هذا الاستاذ بجامعة القاهرة قوله ص ٩٤ من كتابه المذكور ضمن كلامه عن اورنكزيب «انه على تمسكه الشديد بالسنة وتعاليمها كانت امه هندوكية

خالصة» وفي كل ما قالـــه افتـــراء على التاريخ الاسلامي ولو لم تكن ام الامبراطور اورنك زيب مشهورة كل الشهرة في العالم حتى هذا اليوم لعذرت الدكتور على جهله! لكن مَن هنالك في هذا العالم مَنْ يجهل اليوم (تاج محل) في الهند الذي شُيِّد على قبر ام اورنك زيب المسلمة الطاهرة ممتـــاز محـــل ارجمنـــد بانو زوجة الامبراطور شاه جهان ؟ وما دامت هذه المرأة المسلمة ايرانية الأصل شيعية المذهب فقد أصّم هذا الاستاذ بجامعة القاهرة اذنيه عن قول الحق ونسب تلك المؤمنة الشيعية الى دين الهنادك، لؤماً وتعصباً و تشفياً بالشيعة!! ومن هنا ابدأ كلامي عن الامبراطور اورنك زيب الذي اسماه المتعصبون (مُحيي السنة) واطلقوا عليه عشرات الالقاب الاعتبارية لمجرد انه ادعى المذهب الحنفي ومارس القسوة ضد المذاهب الاخرى، ومعيار الايمان عند هؤلاء العميان هو الفتك بالخصوم حتى اذا كان هذا مخالفاً للاسلام ومفرقاً لشمل المسلمين، ولم يكن اورنك زيب بدعاً في ملوك العالم الذين سفكوا الدماء البريئة حتى يستتب لهم الملك، ومن ثم اخطأ كثيراً في تطبيق الشرع الاسلامي والتوفيق بينه وبين ميوله الاستبدادية ونزعته الدكتاتورية ولست هنا لأقيّم اعماله بمجملها فالقارئ البصير تتبين له اعماله التي اخطأ فيها أو أصاب وما أريد تأكيده هنا أن علاقته بالشيعة في الامبراطورية التي حكمها نصف قرن، كانت علاقة طبيعية وقد تخللتها مواقف عدوانية في بعض الاحيان ولم تكن تلك الدوافع لإسباب مذهبية كما يزعم النواصب ولكن الملك اورنكَزيب الذي وُلد من امّ شيعية ايرانية كما أن وأمرأته اميرة ايرانية صفوية شيعية هي دلرس بانو بنت شاهوار خان الصفوي، وقد تزوج بها زواجاً شرعياً إسلامياً في ٨ مايو ١٦٣٧م (وتوفيت في ٨ أكتوبر ١٦٥٧م) وولده الامبراطور شاه عالم الذي كان شيعياً مجاهراً بالتشيع وابنته الاميرة زينت النساء وعاش وسط بلاط واساتذة من الشيعة وحاشية وقادة ووزراء كثير منهم من الشيعة حتى من بين اساتذته الذين تربى على ايديهم، لكننا علينا ان نقرّ بحقيقة ان جلّ همّ هذا الملك ان يحافظ على عرشه باية وسيلة ينتهجها ولاعلاقة بعد ذلك للنهج الديني الذي يسير عليه، انه دكتاتور من نوع خاص، والتزامه للسنية مذهباً تظاهر به طيـــلة حياته كان يدخل في صلب اهتمامه وسهره الدائم للحفاظ على العرش فالدكتاتور لا هم لـــه الا الحفـــاظ على مصالحه والتلبس لكل حالة بلبوسها

وقد نجح فعلاً في تسيس الدين لركابه حتى اعتبره البعض قديساً أو كما عبر عنه الدكتور اقبال في بيت من شعره:

«كان فراشة لشمعة التوحيــد، وكان في بيت الاصنام والاوثان كابراهيم عليه السلام» وفي استعراضنا لتراجم عدد من اعــلام الشيعــة في عهــده يتبــين لك ما عرضنــاه من رأي، وهذه لقطــات تدلل على ما ذهبنا اليه، وهي مستقــاة من تفــاصيل التراجم التي اوردناها، فمن أهم الدلائل على حسن معاملته للشيعة واحترامه لهم ما كان يعامل به العلامــة السيــد سعــد الله السلــوني الموسوي المتوفى ١١٣٨هــ فقد اعطاه قريتين، وكان الامبراطور يكرمه ويجله ويتلقــى اشارتــه بالقبــول ويكتب هو للامبراطور بالشفاعات فيتقبلها ويعمل بها، وبالرغم من سطوة الامبراطور وهيبته، كان العلامة السلوني يحثه على قبول مذهب أهل البيت (ع) لكن الامبراطور يتحاشى ذلك ويتلطف عليه في ردّ هــادئ محســوب بدقــة متناهيــة، يقول خافي خان في منتخب اللباب [.. ولم يزل ــ السلوني ــ يكتب ــ اليه ويحثه على محبة الائمــة الاثني من أهل البيت، فلما كرر الكتابة اليه في ذلك التفت السلطان الى من حضر عنده من العلماء، وقال:

ان ما يوصيني الشيخ بحب أهل البيت صحيح لا غبار عليه ولكن الائمة لا تنحصر عند أهل السنة والجماعة في الائمة الاثني عشر] انتهى، فالامبراطور لم يضيق ذرعاً بالحاح الشيخ السلوني الذي كان في غاية الجرأة والوضوح، كما يدل على مجاملة الامبراطور للشيعة وتقريبه لشيوخهم، وما يدريك انه كان يختلي ايضاً بهم ويسمعهم ما يرضيهم فالمدارة تقتضيه مثل هذه السياسة.

ومن العلماء الذين قصدوه فرعاهم حق الرعاية والتكريم الشيخ عزيز الله المجلسي (ت ١٠٧٤هــ) وهو شقيق محمد باقر المجلسي صاحب الموسوعة المشهورة (بحار الانوار) وقد قصده المجلسي في ايام جلوسه على العرش واستخرج تاريخ جلوسه في القرآن الكريم وهو قوله تعالى «ان الملك يُوتيه من يشاء».

وممن وَفَدَ عليه الشيخ هداية الله التستري (ت بعد ١٠٧٨هــ) والشيخ محمد علي

الاكبر آبادي وهو الشاعر المتلقب بـ (ماهر) (ت ١٠٨٩) الذي اهدى اليه ديوان شعر باسمه (كَلُ اورنك) ومنهم السيد قوام الدين المرعشي الخليفة سلطاني (ت ١٠٩٠) وكان فقيهاً امامياً معروفاً وقد احتل منزلة كبيره لدى اورنك زيب فولاه علي كشمير ثم على البنجاب. والسيد شمس الدين بن صدر الدين الحسيني المرعشي (ت ١١١٢) وقدتولى عدة مناصب رفيعة في البلاط، وكان طبيبه الخاص شيعياً وهو محمد مهدي الاردستاني ت بعد ١١٠٥ والامبراطور نفسه اطلق عليه اسم (حكيم الممالك)، أما عبد اللطيف خان الاصفهاني المتلقب بـ (تنها) فقدعينه رئيساً للبلاط الملكي، ثم اصبح والياً للبنجاب، واختار الامبراطور العلامة محمد سعيد المازندراني (ت بعد ١١١٦) معلماً ومربياً لأبنته زيب النساء بيكَم.

ومحمد بن فتح الله مقرب خان الشيرازي ت ١١٢١ كان من امناء الخزانة الملكية ومحمد مؤمن الجزائري (ت بعد ١١١٩) هو واحد من العلماء الشعراء الذين اتصلوا به فكرمهم ولقبه بلقب (فاضل خان).

ومن النجف الاشرف وفـد عليه العلامـة ناصـر بـن حسن النجفي ت ١١١٨ هـ وألّف باسم الامبراطور كتاب الجداول النورانية وهو أشبه بالمعجم المفهرس للقرآن الكريم.

ولثقته المتزايدة بعدد من اعلامهم فقد عين بعضهم على الخراج كالشيخ حسين بن باقر الاصفهاني ـ ١١٢٢هـ، ومحمد بن رفيع المشهدي ت ١١٢٣هـ والمشهدي هذا صاحب الملحمة شعرية المسماة (حملة حيدري) في غزاوت الامام علي (ع). أما ابراهيم علي خان ت ١١٢١ فقد كان وزيراً اثيراً لدى الامبراطور وقائداً لأحد ألوية الجيش عنده.

هذه إلمامة سريعة بدور الشيعة في عهد اورنك زيب، والتفاصيل ضمن الفصل القادم.

من اعلام عصر الامبراطور اورنك زيب عالم كير

- زينت النساء بنت اورنك زيب (١٠٤٨ ـــ ١١١٣هـ)
- الملا طغرائي المشهدي
- عزيز الله المجلسي ت ١٠٧٤هـ
- هداية الله التستري ت بعد ١٠٧٨
- شمس الدين الاصفهاني ت ١١١٢هـ
- محمد علي الاكبر آبادي ت ١٠٨٩هـ
- ناصر بن حسن النحفي ت ١١١٨هـ
- قوام الدين المرعشي ت بعد ١٠٩٠
- عبد اللطيف الاصفهاني البنجابي ت ١١١٦
- محمد مهدي الاردستاني ت بعد ١١٠٥
- محمد سعيد المازندراني ١٠٥٠ ـــ ١١١٦
- محمد مومن الجزائري ١٠٧٤ ـــ بعد ١١١٩
- محمد بن فتح الله مقرب خان الشيرازي ت ١١٢١
- ابراهيم علي خان ت ١١٢١
- حسين بن باقر الاصفهاني ت ١١٢٢
- محمد رفيع باذل المشهدي ت ١١٢٣
- القادر المشهدي ت ١١٣٥
- سعد الله السلوني ت ١١٣٨
- حسين الشيرازي ت ١١٤٩
- محمد رضا قز لباش خان الهمداني ت ١١٥٩

- حسن علي خان ت ١١٣٥هـ
- حسين علي خان ت ١١٣٢هـ
- محمد باقر البيجابوري ت ١١٢٨هـ

زينت النساء بنت الامبراطور اورنك زيب

(١٠٤٨ ـ ١١١٣هـ/١٦٣٨-١٧٠١م)

الاميرة العالمة السيدة زينت النساء بنت اورنك زيب، وأمها الاميرة الشيعية دلرس بانو بنت شاهوار خان الصفوي ونشأت في نعمة أبيها وحفظت القرآن على مريم أم عناية الله الكشميري فأعطاها عالمكير ثلاثين ألفاً من النقود الذهبية، ثم تعلمت الكتابة من نسخ وتعليق وشكسته وغيرها، وقرات الكتب الدرسيةعلى الشيخ أحمد بن ابي سعيد الحنفي الأميتهوي وعلى غيره من العلماء، وأخذت الشعر والإنشاء وغيرها عن الشيخ محمد سعيد المازندراني، وأحرزت الكتب النفيسة في خزانتها واجتمع عندها من العلماء والشعراء ما لم يجتمع عند أحد، وكانت شاعرة ساحرة تسحر الألباب وتفلق القلوب لا تضاهيها امرأة في الهند في جودة القريحة وسلامة الفكرة ولطافة الطبع، لم تتزوج قط لغيرتها بأن تكون ضجيعة لأحد من الرجال، وأما مصنفاتها فهي لا تكاد توجد في الدنيا غير «زيب المنشأت» وهو مجموع لرسائلها، وأما ديوان الشعر المنسوب إليها فهو لواحد من شعراء الفرس، وديوانها قد ضاع في حياتها، وأما زيب التفاسير فهو ترجمة «التفسير الكبير» للرازي بالفارسي نقله من العربية إلى الفارسية الشيخ صفي الدين الأردبيلي ثم الكشميري بامرها ولذلك سماه باسمها، ومن أبياتها قولها:

بشكند دستي كه خم در كردنِ ياري نشد

كور به جشمي كه لذت كير ديداري نشد

صد بهار آخر شد وهر كل به فرقي جا

غنجهء باغ دل ما زيب دستاري نشد

توفيت سنة ثلاث عشرة ومائة وألف في حياة أبيها فدفنت بحديقة بناها في «لاهور».

ـــ نزهه ٦/ ٩٤ – ٩٥ رقم ١٨٤.

الملا طغرائي المشهدي

(ت حدود ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩ م)

شاعر من سكنة الهند، له ديوان بعنوان (خمسة ناقصة) وهو تشهير بخمسة أشخاص في بلاط كولكنده وقد توفي في بداية عهد اورنكزيب حوالي سنة ١٠٦٩هـــ / ١٦٥٩ م.

عزيز الله المجلسي

(ت ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣ م)

الشيخ الفاضل الكبير عزيز الله بن محمد تقي المجلسي الشيعي الاصفهاني، المجلسي شقيق العلامة محمد باقر المجلسي، أحد الأفاضل المشهورين بايران، كان اكبر أبناء أبيه، نشأ في نعمته وقرأ عليه وعلى غيره من العلماء، له حاشية على المدارك للسيد محمد بن علي الحسيني العاملي، وحاشية على «من لا يحضره الفقيه» وله كتاب في أخبار الروم في الإنشاء، وهو الذي أرخ لجلوس عالمكير بن شاهجهان من قوله تعالى «ان الملك لله يؤتيه من يشاء»، توفي سنة أربع وسبعين وألف، كما في «نجوم السماء».

ـــ نزهه ٥/ ٢٨٢ ـــ ٢٨٣ رقم ٤٥١، نجوم السماء / ١٢٩، مطلع انوار / ٣٢٢.

هداية الله بن نعمة الله التستري

(ت بعد ١٠٧٨هـ/١٦٦٩م)

هداية الله التستري: ابن الخواجة نعمة الله من الفضلاء الأدباء الشعراء، ذهب في أول أمره الى الهند واتصل بأورنك زيب ولما رجع ذهب بصره فما تمكّن من العَوْد الى الهند فكان يرسل إليه الهدايا وكان في عصر واخشنوخان الحاكم بتستر (ت ١٠٧٨) كذا

ذكره عبد الله الجزائري في تذكرته، وقال إن أكثر أشعاره رباعيات.

ـــ طبقات أعلام الشيعة / القرن ١١هـــ/ ص ٦٣٣.

شمس الدين بن صدر الدين الاصفهاني

(ت ١١١٢هـ/ ١٧١٠م)

الامير شمس الدين بن صدر الدين بن قوام الدين الحسيني المرعشي نواب مخلص خان بن صف شكَن خان العالم كَيري، أحد الرجال المشهورين بالهند، ولي على العرض المكرر في ايام عالم كَير ثم جعل «قروبيكي» ثم ولي على «بخشيكرى» وصار منصبه مع الأصل والإضافة ثلاثة آلاف، وكان فاضلا كبيرا بارعا حليما متواضعا كثير الإحسان حسن المعاشرة شاعرا مجيد الشعر، من شعره قوله:

خمار ما ودر توبه ودل ساقي بيك تبسم مينا شكست وبست

توفي لأربع خلون من شعبان سنة اثنتي عشرة ومائة وألف، كما في «مآثر الأمراء».

ـــ نزهه ٦ / رقم ٢١٧.

محمد علي الأكبر آبادي (ماهر)

(ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

محمد علي الأكبر آبادي الهندي: الشاعر المتخلّص «ماهر» الأديب الفاضل الكامل المتوفى ١٠٨٩ له كتاب في الأدب الفارسي سماه «كل اورنك» باسم السلطان اورنك زيب عالم كير بادشاه. كان من المناذكة واعتنق الاسلام بسعى الميرزا جعفر المعمائي الايراني وبعد وفاته اتصل بملا شفيع الملّقب بـــ «دانشمند خان».

ـــ طبقات اعلام الشيعة، ٦/ ٣٧٦ القرن ١١هـــ

ـــ الذريعة ٩/ ٩٥٣

ناصر بن حسن النجفي

(ت ١١١٨هـ/١٧٠٦م)

من علماء عصر عالم كَير، مؤلف كتاب «الجداول النورانية في استخراج الآيات القرآنية» ألفه باسم الامبراطور اورنك زيب عالم كَير وهو موجود ضمن مخطوطات جامعة البنجاب كما ورد في مذكراتي.

قوام الدين المرعشي الخليفة سلطاني بن رفيع الدين

(ت بعد ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)

الأمير الفاضل السيد قوام بن السيد رفيع الدين محمد الصدر ابن السيد شجاع الدين محمود الحسيني المرعشي الخليفة سلطاني.

قال الأمين في ترجمة والده رفيع الدين: هو والد سلطان العلماء صاحب الحواشي على الروضة والمعالم صهر الشاه عباس وكان عالم عصره في المعقول والمنقول نال الصداره من الشاه طهماسب ومن الشاه عباس أيضاً ذكره جماعة من المؤرخين كصاحب عالم آرا ونجوم السماء والرياض في خلال ترجمة ابنه السلطان في باب الحاء وتكملة الأمل وآثار الشيعة. وكان مع السيد الداماد والشيخ البهائي شريك البحث والدرس وجرت بينه وبين السيد الداماد رسائل ومكاتبات في المسائل العلمية ومن آثار المترجم كتاب في الرد على شرعية التسمية أي تسمية القائم وكتاب في التجويد يشتمل على القراءات العشر والمرضية منها عند أهل البيت وفي ترجمته في شجرته انه هوالذي بنيت مدرسة مريم بيكم باصبهان لتدريسه وله اوقاف وآثار خيرية وكان من مشاهير المدرسين في ذلك العصر وخلف السيد حسين علاء الدين سلطان العلماء الحسيني المرعشي والميرزا قوام خان الدين نزيل الهندوالمقرب عند ملكها وقيل انه خلف السيد محمد وانتقل الى بلاد الهند وبها اسس البيت وقال في ترجمة قوام الدين «هو اخو سلطان العلماء المشهور، كان عالماً فاضلاً بارعاً شاعراً لبيباً تقلد الصدارة العظمى من قبل الشاه عباس الأول بعدوفاة والده الميرزا رفيع

الدين محمد الصدر وبقي صدراً الى سنة ١٠٧٥ فسعى به رجل من رجال الدولة من المتوقعين منه العطاء عند السلطان فعزله، فخرج من اصبهان الى بلاد الهند وبلغ عند سلطانها مرتبة عظيمة وبقي بها الى توفي وخلف الرئيس الشريف الأمير صف شكر خان. اوردهما اعتماد السلطنة..».

وفي النـــزهه انه ورد الى الهند أيام عالم كَير فولاّه على كشمير سنة ست وثمانين وألف، فاستقل بها ثلاث سنين، ثم ولاه على بنجاب، وكان الفقيه على أكبر الحسيني الإله آبادي قاضيا بلاهور وكان ممن لا يهاب احدا من الولاة في إجراء الحدود والتعزيزات ولا يطاطئ رأسه لأحد، فكبر ذلك على قوام الدين، فأشار إلى الشحنة أن يقبضوا على القاضي فسار إليه الشحنة برجاله ليقبض عليه، فاستنكف منه القاضي وقتل في المعركة وقتل معه ابن اخته محمد فاضل سنة تسعين وألف، فلما سمع عالمكَير عزل الوالي والشحنة وأمر القاضي شيخ الإسلام الفتى أن يفتش عن القضية ويقضى على وفق الشريعة، عفا عنه ورثة المقتول ومات قوام اليدن في ذاك الزمان، كما في «مآثر الأمراء».

[أعيان ٨/ ٤٥١ ـــ ٤٥٢، ١٠/ ٥٥ وفي هذا الموضع في ترجمة والد صاحب الترجمة توفي سنة ١٣٠٤ وهو خطأ مطبعي وحمل نعشه الى كربلاء ودفن بها، نزهه ٥/ ٣٢٣ رقم ٥٢٤.]

عبد اللطيف خان الاصفهاني البنجابي

(ت ١١١٦هـ/ ١٧٠٠م)

الشيخ عبد اللطيف خان الاصفهاني البنجابي المتخلص بتنها والمعروف بتنهاي اصفهاني ويقال تنهاى بنجابي

من كبار زعماء الشيعة في الهند ومشاهير شعراء عصره. ولد في شهرستان من توابع اصفهان ونشأ وترعرع في اصفهان. أخذ المقدمات وفنون الأدب عن أفاضل علمائها وتخرج على خاله ميرزا جلال اسير الاصفهاني الشهرستاني المتوفى سنة ١٠٤٩ ثم أولع بالشعر. هاجر الى الهند، واتصل بأمرائها وملوكها ثم التحق ببلاط عالمكَير شاه (١٠٦٩ ـــ ١١١٨) واستقبله الشاه المذكور استقبالاً حافلاً وعينه رئيساً الديون الملكي حتى

انتهت اليه حكومة (صوبه بنجاب) وكان على جانب كبير من الورع والتقوى والزهد مع السخاء والكرم حيث كان ملجأ العلماء و الشعراء والفضلاء في الهند. ذكره في كثير من أكثر كتب السير ومعاجم الرجال وعبر عنه بعض المتأخرين في الهند بلقب البنجابي بدلاً عن الاصفهاني ومنهم صاحب كتاب تذكرة شعراي بنجاب في ص ١٠٢ وغيره وفصّل عنه الميرزا أصلح في كتابه (تذكرة شعراي كشمير) وذكر احدى قصائده في ٧٦ بيتاً ووصفه قائلاً ما هو تعريبه: «عبد اللطيف خان.. وهو ابن أخت الميرزا جلال اسير الأصفهاني الشهرستاني وتلميذه هاجر من إيران الى الهند في عصر محمد اورنك زيب عالم كير شاه وكان عابداً زاهداً صالحاً متورعاً متفرداً قليل الكلام..» كما ذكره آغابزرك في الذريعة عن كتاب شمع انجمى ص ٩٨ وقال: كانت بيده حكومة (صوبه بنجاب) وقد ترك آثاراً ومآثر في الهند وله ديوان شعر لا يزال مخطوطاً منه نسخة خطية في مكتبة مجلس الشورى في طهران كما جاء في فهرستها المجلد الثالث ص٦٦٧ قال: وعندنا نسخة من عصر المؤلف مجدولة من موقوفات مكتبة الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري في كربلاء. توفي المترجم له في كشمير.

محمد مهدي الاردستاني
(ت بعد ١١٠٥هـ/١٦٩٣م)

الحكيم الشيخ محمد مهدى الأردستاني حكيم الملك كان من العلماء المبرزين في الصناعة، ولد ونشأ بأرض الفرس وقرأ العلم بها ثم قدم الهند وتقرب إلى عالمكير فجعل منصبه ألفا لنفسه ثم لقبه بحكيم الملك سنة ثلاث وسبعين وألف، وصار منصبه في آخر عمره اربعة آلاف، كما في «مآثر الأمراء» وفي «مآثر عالمكَيري»: أن محمد أعظم بن عالمكير لما ابتلى بامراض صعبة سنة أربع ومائة وألف عالجه حكيم الملك فبرئ محمد أعظم من تلك الأمراض فأعطاه عالمكير اربعة آلاف منصبا رفيعا سنة خمس ومائة وألف ــ انتهى.

ــ نزهه ٦/ رقم ٦٧٠، مآثر الأمراء، مآثر عالمكَيري

محمد سعيد المازندراني

(حدود ١٠٥٠ ـ ١١١٦هـ/ ١٦٤٠ ـ ١٧٠٤ م)

الملا الشيخ محمد سعيد بن محمد صالح الشيعي المازندراني كان ابن بنت العلامة محمد تقي المجلسي المتلقب بـــ (اشرف) تتلمذ على والده الملا محمد صالح المازندراني ت١٠٨١هـــ والأقا حسين الخوانساري وفي الشعر على صائب وفي الخط على عبد الرشيد الديلمي وكان المترجم له بالاضافة الى علمه الجم ماهراً بالخط والتصوير، قدم الهند في عهد عالمكَير فجعله معلما لبنته زيب النساء بيكم فاستقام على تلك الخدمة زمانا طويلا، ثم اشتاق الى بلاده فأنشأ قصيدة في مدح زيب النساء المذكورة وقال في تلك القصيدة:

يكبار از وطن نتوان بر كَرفت دل

در غربتم اكرچه فزون است اعتبار

بيش تو قرب وبعد تفاوت نمى كند

كو خدمت حضور نباشد مرا شعار

نسبت جو باطن است جه دهلي اصفهان

دل بيش تست تن جه بكابل جه قندهار

فذهب الى أصفهان سنة ثلاث وثمانين وألف وأقام بها زمانا، ثم عاد إلى الهند ودخل «عظيم آباد» فتقرب إلى عظيم الشأن بن شاه عالم وكان أميرا على تلك الناحية وخصه الأمير بالقعود في مجلسه لكبر سنه فاحتفظ بعنايته مدة، ثم عزم على سفر الحج ولما وصل الى «مونكير» مات بها، وخلف العلامة محمد أمين صاحب مباحث الامامة والعلامة والشاعر محمد الذي كان مقيماً في مرشد آباد ومن شعره قوله:

در ايران نيست جزهند آرزو بسى

تمام روز باشد حسرت شب روزه داران را

توفي سنة ست عشرة ومائة وألف، كما في «سرو آزاد».

له ديوان مخطوط بمكتبة مشهد الامام الرضا (ع) في خراسان.

ــ [نزهه ٦/ ٣١٢ رقم ٥٨٧، سرو آزاد ١١٧، مجلة آستان قدس العدد ١٩، تذكره بي بها ١٦٨، بزم تيموريه / ٢٦٩ كلمات الشعراء / ٧، مطلع أنوار ٥٤٤ ــ ٥٤٥، شمع انجمن ٣٢، سفينة خوش كَو / ١٧.]

محمد مؤمن الجزائري

(١٠٧٤ ـ ت بعد ١١١٩هـ/ ١٦٦٣ ـ ت بعد ١٧٠٧ م)

محمد مؤمن الشيرازي الجزائري: ابن محمد قاسم بن ناصر ابن محمد الجزائري الشيرازي المولد والمنشأ، سيّاح عقلاني مؤوِّل مكثر، خرج الى السند في ع ١- ١١٠٢ وعمره حدود ٢٧ سنة فساح البلاد سبع سنين الى ١١٠٩ حيث كان في بلدة «بكر» بالسند وعمره ــ ٣٥ سنة وكان يعرف هناك بمؤمن عليخان. وفي الهند التقى الامبراطور عالم كَير ولقبه بــ (فاضل خان): الّف في تلك المدّة سبع مجلّدات سماه «مجالس الأخبار» (الذريعة ١٩ رقم ١٥٩٦) ثم شرع هناك سنة ١١١٠ في تأليف «تعبير طيف الخيال» وأتمّه سنة ١١١٩ بالهند وله ٤٥ سنة من العمر وسمى المجلد الثاني منه «سفينة العلم» (الذريعة ٤ رقم ١٠٤٣، الذريعة ١٢: ١٩٧) ثم في سنة ١١٣٠ ألّف كتاب «خزانة الخيال» (الذريعة ٧رقم ٨٤٦) يقول فيه انه ولد بشيراز الضحى العالي من يوم السبت ١٧ رجب ١٠٤٧. وما جاء في «نجوم السماء — ص ١٨٢» من أنّه ترجم في «الأمل» فهواشتباه بالسبزواري (القرن ١١ ص ٥٩٣). وقد نقل تاريخ الولادة هذا عن خط السيد هاشم ابن عبد الرؤف الأحسائي في المجلّد الأول من «تعبير طيف الخيال» المذكور. هذا وقد ذكر في «طيف الخيال» (الذريعة ١٥ رقم ١٣١١) مشايخه وكذا في «زهرة الحياة الدنيا» فذكرانه تلمّذ على السيد محمد قاسم ابن خير الله الحسيني في النحو والصرف والبيان والبديع والتفسير والعروض وتلمذ الفقه والاصول على صالح الكرزكاني (القرن ١١ ص ٢٨٦) ابن عبد الكريم البحريني وعلى المير زين العابدين الانصارى الحائري وعلى على بن محمد التمامي ثم علي مسيح الأنام ابن محمد اسماعيل الفسوى في الحكمة والكلام وعلى شاه محمد بن محمد عارف الاصطهباناتي الشيرازي (الذريعة ٩: ٦٦٥) في الحديث وعلى الحكيم محمدهادى في الطب وعلى المولى لطفا في الرياضيات وعلى شرف الدين

على دست غيب ونصير الدين محمد البيضاوي الشيرازي ومحمد صالح الخفري ومحمد حسين المازندراني اكثر فنّي الحكمة واصول الفقه. له «مجالس الاخبار» (الذريعة ١٩ رقم ١٥٩٦) في سبع مجلدات ألّفها بالهند وسمى كل منها باسم خاص، فالأول في تواريخ الانبياء سماه «معارج القدس» (الذريعة ٢١ رقم ٤٥١٨) أورد فيها الاساطير اليهودية التي تقبلها المسلمون وفسّرها بصورة يقبلها العقل الشيعي، المجلد الثاني: تواريخ الائمة المعصومين ومناقبهم، سماه «تحفة الابرار» (الذريعة ٣ رقم ١٤٥٩)، المجلد الثالث: تواريخ الملوك سماه «بحر المعارف» (الذريعة٣ رقم ١١٢)، المجلد الرابع: تواريخ العلماء والشعراء سماه «ربيع الابرار» ذكر في ذيل المجالس وقد يسمى «رجال ملا مؤمن» (الذريعة ١٠: ١٥١) المجلد الخامس: سوانح عمر المؤلف نفسه (اتوبيوكرافي) سماه زهرة الحياة الدنيا (الذريعة ١٢ رقم ٥٠٨) وهو مرتّب على جنّات. المجلد السادس: شرح ثلاثمائة حديث سماه «روح الجنان» (الذريعة١١ رقم ١٦١١). المجلد سابع: المتفرقات من العلوم المختلفة، سماه «لطائف الظرائف» (الذريعة ١٨: ٣١٦ رقم ٢٧٥) فرغ منه ٦ رجب ١١٠٩ في (بكر) من بلاد (تتر) من (السند) وفصل منها خالية عن الحروف المعجمة سماه «درر الحكم» (الذريعة ٨ رقم ٤٥٧) وفصل آخر منه يحتوى على منتخبات من «نسيم الصبا» المندرج في «الفصول الانيقة» لصاحب المعالم (الذريعة ١٦: ٢٣٧ رقم ٩٤١). عرض المجموعة على بعض امراء الهند الفضلاء إسمه النواب مخلص خان فامره في سنة ١١٠٥ بالانتخاب منه، فسمي المنتخب «مشرق السعدين» وصحّحه سنة ١١١١ (الذريعة ٢١ رقم ٣٩٠٧) أو «مطلع السعدين» (الذريعة ٢١ رقم ٤٣٨٦) وذكرنا له «اربعون حديثا» (الذريعة١: ٤٣٠) واسمه «ثمرة الحياة» (الذريعة ٥ رقم ٥٦)، «وبحر المعارف» (الذريعة٣ رقم ١١٢) وهو ثالث المجلدات السبع من «مجالس الاخبار» (الذريعة ١٩ رقم ١٥٩٦)، «بيان الآداب» (الذريعة٣ رقم ٦٢٧) في شرح آداب «تحفة الاخوان في تحقيق الاديان» (الذريعة ٣ رقم ١٤٣٥)، «تحفة الغريب» في «شرح قانونچه في الطب» (الذريعة٣ رقم ١٦٧٧)، «تميمة الفؤاد من ألم البعاد» (الذريعة ٤ رقم ١٩٣٠)، «ثمرة الفؤاد وسمر البعاد» (الذريعة ٥ رقم ٤٠) وهو «ديوان مؤمن» (الذريعة ٩: ١١٢٥)، «جامع المسائل النحوية» في شرح الصمدية البهائية (الذريعة ٥ رقم ٢٧٧)، «جنات

عدن» في الفنون الثمانية «جنّات الفردوس» في التعريف ببعض مصطلحات العلوم (الذريعة ٥ رقم ٦٤٩)، وابتدأ قبل بلوغه بتعليق «الحواشي على الكتب الدرسية» (الذريعة ٧ رقم ٢٧٠)، «مصباح المبتدئين» (الذريعة٢١ رقم ٤٢٠٦) «الدر المنثور» حواشي على الصمدية (الذريعة ٨ رمق ٢٧٠)، «زينة الحياة» (الذريعة ١٢ رقم ٦٠٣) في شبهات الشيطان بركلس السبعة، و «زينة المجالس» في المداعبات (الذريعة ١٢ رقم ٦٢٠) «طرب المجالس» ايضاً في المداعبات (الذريعة ١٥ رقم ١٠٤٤)، «قرة العين وسبيكة اللجين» (ألّفه سنة ١١٠١ (الذريعة ١٧: ٧٤ رقم ٣٨٥)، «لمع البرق» في الفرق بين الالفاظ المتقاربة (الذريعة ١٨: ٣٤٨ رمق ٤٢٧)، «ماء الحياة» في تأويل بعض الاحاديث المشكلة (الذريعة ١٩ رمق ٨٧) ومثله «مجمع البحرين» في التأويل (الذريعة ٢٠ رقم ١٧٦٩)، «مدينةالعلم» (الذريعة ٢٠ رقم ٢٨٣١) «مشكاة العقول» (الذريعة ٢١ رقم ٣٩٤٥) في شرح «لغز الزبدة» للبهائي (الذريعة١٨: / ٣٣٤ رقم ٣٥٥) «منية اللبيب في مفاخرة المنجم والطبيب» طبع ضمن «نفحة اليمن» للشيرواني مكررا (الذريعة ٢١ رقم ٥٢٣١، ٢٣، ٢٠٨ والفهرس العربي لمشار ـــ ص ٩٦٢)، «منية الفؤاد» تفسير لبعض الآيات المتشابهة (الذريعة ٢٣ رقم ٤٦٥١) و «وسيلة الغريب» (الذريعة ٢٥: ٨٠ رقم ٤٣٤) في تفسير الآيات المتشابهة مثل «قرة العين» وكذلك سائر مؤلفاته التأويلية.

الحكيم محمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري الشيرازي:

أديب ماهر سيف ذهنه باتر حكيم حاذق ثاقب فهمه كاشف عن دقائق الحكمة والحقائق حاز حظا وافرا من الكمالات وحير الافكار بما أبدع في صناعة السرقات مجاميعه كنوز الفوائد ومضامين رسائله فرائد فمن جيد شعره قوله مادحا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه:

دع الاوطـــان يـــندبها الغـــريب … وخــلّ الدمــع يــسكبه الكئيب

ولا تحـــزن لاطـــلال ورســـم … يهـــب بهـــا شمـــال أو جـــنوب

ولا تطـــرب اذا ناحـــت حمـــائم … ولاحـــت ظبـــية وبـــدا كثـــيب

ولا تـــصبو بـــرنات المـــثاني … وألحـــان فقـــد حـــان المـــشيب

ولا تعشق عذارى غانيات ... يزين بنانها كف خضيب

ولا تلهو بحب صبيح وجه ... شبيه قوامه غصن رطيب

ولا تشرب من الصهباء كأسا ... يكون مديرها ساق أديب

ولا تصحب حميما أو قريبا ... فكل أخ يعادى أو يعيب

ولا تأنس بخل أو صديق ... وذرهم الهم ضبع وذيب

ولا تفرح ولا تحزن بشئ ... فلا فرح يدوم ولا خطوب

ولا تجزع اذا ما ناب هم ... فكم يتلو الاسى فرج قريب

وسكن لوعة القلب المعنى ... وأنشده اذا غلب الوجيب

عسى الهم الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

ولا تيأس فان الليل حبلى ... فعل ليومها شأن عجيب

وحسبك في النوائب والبلايا ... مغيث مفزع مولى وهوب

جواد قبل ان يرجى يواسى ... غياث قبل أن يدعى يجيب

تكلمت الظبا معه وشمس ... وثعبان وحيتان وذيب

وردت بعدما غربت وغابت ... له شمس السماء ولا عجيب

كريم يستحي من مؤمن قد ... رجاه أن يماطل أو يخيب

أمير المؤمنين أبو تراب ... عليّ المرتضى البر الحسيب

عليه تحيق ماجنّ ليلٌ ... وحنّ من النوى دنف غريب

وله في رثاء الحسين سلام الله عليه قصيدة مخمسة وهي من غرر قصائده ومنها:

جاء شهر البكاء فلتبك عيني ... بحنين على مصاب الحسين

وامام الانام من غير مين ... وابن بنت الرسول قرّة عيني

آه واحسرتا لرزء الحسين

آه فلنبك من دم قد أراقوا ... وبدور قد اعتراهم محاق

وسقوا طعم علقم لا يذاق ... خير رهط على البرية فاقوا

آه واحسرتا لرزء الحسين

خطفتهم بسروق بيض المنايا ... وأصابتهم سهام البلايا

عن قسي القضا فدعنى الايا ... لاتمسي في البكا لعظم الرزايا

آه واحسرتا لرزء الحسين

هم بدور وغربهم كربلاء ... هالهم كرب أرضها والبلاء

خسفوا اذلهم سنا واعتلاء ... ما لهذي البدور منها انجلاء

آه واحسرتا لرزه الحسين

كم بها صادت البغاث نسورا ... كم بها صارت السروج قبورا

كم بها استوسد الكرام صخورا ... كم بها رضت الخيول صدورا

آه واحسرتا لرزء الحسين

وردته الخطوط منهم وقالوا ... مل الينا بسرعة ثم مالوا

عنه اذ حلّ في فناهم فحالوا ... بينه والفرات ثم استطالوا

آه واحسرتا لرزء الحسين

وعدوا النصر ثم خانوا عهودا ... اوثقوا عقدها وصادوا أسودا

بذلوا دونه النفوس سعودا ... حيثما شاهدو الجنان شهودا

آه واحسرتا لرزء الحسين

غاب فتيان أهله والكهول ... فغدا السبط يشتكي ويقول

وله مدمع عليهم همول ... هل بقي من يعين يا قوم قولوا

آه واحسرتا لرزه الحسين

لست أنسى الحسين فردا وحيدا ... ورضيعا له سعيدا مجيدا

قصدوا بالنصال منه وريدا ... وسقوه الردى فأضحى شهيدا

آه واحسرتا لرزء الحسين

(وما ألطف قوله):

معاشـــر اخـــواني ســـلام علـــيكم لقـــد دمعـــت عيناي شوقا اليكم

ولا غـــروان جـــسمي ثوى أرض غربة فروحـــي وقلـــبي ثاويـــان لديكم

ـ [الكواكب المنتشرة ٧٤٩ وما بعدها، الذريعة الى تصانيف الشيعة وكل حرف ذ ورد خلال الترجمة المستقاة من آغا بزرك فهواشارة مختصرة الى كتاب الذريعة فمن اراد التوسع في التعرف على كتب المترجم له مراجعة الكتاب المذكور، نزهه ج٦ ص ٣٥٦ ــ ٣٥٧ رقم ٦٦٩، معجم المؤلفين ١٢ / ٦٩، أعيان الشيعة ٤٦ / ٢١٢ ــ ٢١٤. البغدادي: هدية العارفين ٢/ ٣١٠، القمي: فوائد الرضوية ٥٩٩، ٦٠٠. البغدادي: ايضاح المكنون ١ / ٣٢٢، ٣٤٧، ٤٢٨، ٢ / ٤٢٩، ٥٣٦، بروكلمان ٥٧٠: ١١ و ٥ ابن البيطار الدمشقي.

ـ مطلع انوار ٦١٤ ــ ٦١٥ وفيه وفاته ١١١٨هـ كما انه أحال فيه على سبحة المرجان و لم أجد للمترجم له ترجمة فيه. نجوم السماء ١٨٢.]

محمد بن فتح الله بن نعمة خان عالي

(ت ١١٢١هـ ـ ١٧٠٩ م)

الأمير ميرزا محمد بن فتح الدين الحكيم الشيرازي نواب نعمة خان العالي كان من الأمراء المشهورين في قرض الشعر. ولد ونشأ بأرض الهند وسافر مع والده إلى «شيراز» وقرا العلم على من بها من العلماء ثم رجع إلى الهند وأخذ عن العلامة محمد شفيع اليزدي ثم تقرب الى عالمكير وولى على «نعمة خانه» ولذلك لقبه عالمكير بنعمة خان سنة أربع ومائة وألف، ثم ولاه على «جواهر خانه» (خزينة الجواهر) ولقبه بمقر خان، ولما قام بالملك شاه عالم بن عالمكير لقبه دانشمند خان، وكان رجلا هجاء متصلبا في التشيع ذا مهارة تامة في الإنشاء وقرض الشعر والجمل والهيئة والهندسة وغيرها، ومن شعره قوله:

كاهلي در كار خود مجنون جرا كرد

مردن عاشق بآهي يا نكاهي بيش

توفي سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، كما في «سرو آزادا»

ـ نزهه ج٦ / رقم ٤٩٣، وله ترجمه مفصلة في مطلع / ٦٨٢ ــ ٦٨٧ وهو مذكور ضمن علماء القطب شاهية.

ابراهيم علي خان

(ت ١١٢١هـ/ ١٧٠٩ م)

ابراهيم علي خان امير الأمراء ابن علي مردان خان

ولد في ابراهيم آباد وتقلب في مناصب الحكومة فيها حتى اصبح احد قادة ألوية الجيش الامبراطوري أيام اورنكزيب وفي سنة ١٠٧٢ اصبح حاكماً لكشمير، وعرف بعلمه الجم واصلاحاته الادارية والعمرانية كان هذا الوزير قد جمع العلماء الكبار سنة ١١١٦ وجمع لهم ثلاثين ألف كتاب وأمرهم أن يدونوا كتاباً كبيراً في فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم من كتب أهل السنة وصحاحهم وشرعوا فيه حتى خرج منه سبعة مجلدات مهذبات وسموه (البياض الابراهيمي) الأول والثاني والثالث منه في الخلافة الراشدة والرابع في عهد امير المؤمنين والخامس في عهد معاوية والسادس في امامة الحسن والحسين وبقية الأئمة (ع) والسابع في فروع الدين والفقه. وجاء في كتاب لعله منتخب من كتاب البياض وصف المترجم بالأمير الوزير الجامع بين المعقول والمنقول كهف السادات الخان ابن الخان ابن الخان ابراهيم خان وعن كتاب كشف الحجب أنه رأى من مجلداته سبعة وقدرأى بعضهم المجلد السابع منه واوله حديث امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل ذي الثدية.

للمترجم له اولاد هم: زبردست خان ويعقوب خان.

(مستدركات ٩/ ٩، مطلع انوار / ٤١ -٤٢، فهرست كتب آصفية، مآثر الأمراء ١ / ٢٨٨).

حسين بن باقر الاصفهاني امتياز خان

(ت ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م)

الأمير الفاضل حسين بن باقر بن بو علي المشهدي الأصفهاني نواب امتياز خان، قدم إلى الهند في أيام عالمكير فولاه على ديوان الخراج بايالة «بتنه» ولقبه «امتياز خان» فاستقل بها زمانا ثم ولى على «كجرات» وسافر إلى بلاده في أيام شاه عالم، وكان معه مال خطير فطمع فيه خدايار خان أحد مرازبة السند وبعث إليه رجالا قتلوه غيلة.

وكان شاعرا يجيد الشعر فطنا ذكيا دينا، سافر الى الحجاز فحج وزار، وله ديوان شعر فارسي وابياته في غاية الرقة والمتانة منها تضمين للمصراع المشهور:

«اين همه از بي آنست كه زر ميخواهد»

السلطان:

شه كه اين كوكبه واين كرو فر

تاج وتيغ وعلم وزين وكمر ميخواهد

لشكر وكشور واقبال وظفر ميخواهد

اين همه از بي آنست كه زر ميخواهد

الوزير:

آن وزير يكه بسى عاقل ودانا باشد

كار او با همه كس رفق ومدارا باشد

مخلص شاه وهوا خواه رعايا باشد

اين همه از بي آنست كه زر ميخواهد

الرجل العاقل:

مرد عاقل كه سوى معركه جون تير

كاه مردى وشجاعت زبي تير رود

بي محابا همه تن بر دم شمشير رود

اين همه از بي آنست كه زر ميخواهد

الصوفي:

صوفى صاف كه در صومعه مسكن

در بغسل مصحف وزنار بكردن دارد

صلح كل باهمه از شيخ وبرهمن

اين همه از بي آنست كه زر ميخواهد

التاجر:

تاجری کو بفشارد بجگر دندان را

از خسیسی ببرد سیسنه بمالد نان را

وقت سودا بفروشد کهر ایمان را

این همه ازپي آنست که زر میخواهد

الفاضل:

فاضلی کوهمه در فکر فروع است واصول

گاه اندیشه معقول کند که منقول

مردمان راه همه خواند بخدا وبرسول

این همه ازپي بی آنست که زر میخواهد

الکیمیاوی :

کیمیا کر که همین رنج برد در عالم سازد از سیسة دل در نفسي کوزه دم

ویشتن را بکذارد ز تف آتش غم این همه از بی آنست که زر میخواهد

الطبیب:

طبیبی که تراکیب ومعاجین سازد بعبارات حکیمانه سخن بردازد

هر دم صبح بقاروره نظر اندازد این همه ازبی آنست که زرمیخواهد

الخطاط:

خو شنو یسی که شب وروز کند مشق

کردنش دال وسرش واو وتنش کردد نون

دیده اش صاد ولبش با ودنش باشد خون

این همه از پی آنست که زر میخواهد

العشيقة:

نازنيني كه بود نادره‌ء حسن وجمال

که کند ناز وتغافل ز ره غنج ودلال

که کند خون دل عشاق باميد وصال

اين همه از پی آنست که زر ميخواهد

الشاعر:

شاعری کو همه دم مدح وثنا ميکويد | روز وشب نيك وبد شاه وكدا ميكويد

کاه اکر مدح کند کاه هجا ميکويد | اينهمه از پی آنست که زر ميخواهد

خالص:

وهواسم السيد حسين بن باقر الاصفهاني في الشعر:

خالص اين خفّت خواری وغم ودرد

در غريبي كشد وياد نيارد ز وطن

هر زمان تازه كند طرح دکر کونه

اين همه ازپی آنست که زر ميخواهد

قتل ببلاد السند سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، كما «مهرجها نتاب».

ــ [نزهه ٦/ ٧١ رقم ١٣٩، مطلع انوار / ١٩٠ وفيه تسميته: حسين خالص اصفهاني، ولعل (خالص) هو لقبه الشعري.]

محمد رفيع المشهدي (باذل)

(ت ١١٢٣هـ - ١٧١١ م)

الشيخ الفاضل محمد رفيع بن ميرزا بن محمود الشيعي المشهدي ولد في دهلي وكان عمه الميرزا محمد طاهر وزير خان من الامراء على عهد عالم كَير تنقل في عدة مناصب في برهان بور، واكبر آباد ومالوه وتوفي آخر سنة ١٠٨٣هـــ، وعمه الآخر ميرزا جعفر كان اميراً على مشهد خراسان. وولى على ديوان الخراج ايام عالم كَير في أقطاع معز الدين

محمد معظم بن عالمكير فاستقل بها مدة من الزمان ثم ولى على قلعة «كواليار» وأقام بحراساتها مدة من الدهر، ولما مات عالمكير عزل عنها واعتزل بدهلي، وكان شاعرا مجيد الشعر بالفارسية يتلقب بالباذل، له «حمله حيدري» كتاب في غزوات سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام، وله الغاز ديوان شعر في حدود ثمانية آلاف بيت، مخطوط في مشهد، وله منظومة تحت اسم «معارج النبوة في مدارج الفتوة».

ومن شعره قوله:

تو جنان رميدى از من كه بخواب هم نه

بكسدام اميدوارى بروم بخواب بسى

توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف بدهلي فدفن بها وقيل في كواليار.

ـــ [نزهه / رقم ٥٧٧، مطلع انوار ٥٤١، فهرست كتب خطّي كتبا خانه آستان قدس ٧/ ٣١٢، سرو آزاد ١٤١، ترجمة مآثر الأمراء ٣/ ٧٦٧، بي ها ٢٢٠، بزم تيموريه ٢٧١]

القادر المشهدي وزير خان

(ت ١١٣٥هـ/١٧٢٢م)

من ذرية الامراء الجنكيزخانية، وكان من شعراء عالم كير وبهادر شاه وفرّخ سير.

توفي في اكبر آباد. ويعد في شعراء الفارسية

ـــ اعيان ٨/ ٤٣٤.

سعد الله السلوني

(ت ١١٣٨هـ/ ١٧٢٦ م)

الشيخ العالم الكبير العلامة سعد الله بن عبد الشكور الحسيني السلوني البريلوي أصله من اسرة علوية يتصل نسبها بالامام موسى الكاظم عليه السلام، أحد فحول العلماء، ولد ونشأ بسلون (بفتح السين المهملة) بلدة على عشرة أميال من «بريلي» في نعمة جده لأمه

الشيخ بير محمد السلوني واخذ الطريقة عن والده عبد الشكور عن الشيخ مسعود الاسفرايني عن الشيخ علي عن الشيخ جعفر عن الشيخ إبراهيم عن الشيخ عبد الله عن الشيخ عبد الرزاق عن والده الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وأقام بها اثني عشرة سنة وأخذ الحديث ودرس العلوم مدة، أخذ عنه الشيخ عبد الله بن سالم البصرى والشيخ أحمد النخلي وغيرهما من الائمة ثم رجع إلى الهند وسكن ببندر «سورت»، أعطاه الامبراطور عالمكير قريتين تحصل له منهما ثمانية آلاف ربية كل سنة وكان السلطان يكرمه ويجله ويتلقى إشارته بالقبول، والشيخ سعد الله يكتب الى السلطان في الشفاعات فيقبلها السلطان ويكتب الأجوبة بيده الكريمة حتى أن الشيخ بعث إليه يشفع لواحد من العمال فأمر السلطان أن يكتب إليه أنك رجل عالم لا ينبغي لك أن تخاطبني في الذين ظلموا، ثم ترك السلطان الكتابة إليه بيده والشيخ لم يزل يكتب إليه ويحثه على محبة الائمة الإثني عشر من أهل البيت، فلما كرر الكتابة إليه في ذلك الأمر التفت السلطان إلى من حضر عنده من العلماء وقال: إن ما يوصيني الشيخ بحب أهل البيت صحيح لا غبار عليه ولكن الإمامة لا تنحصر عند أهل السنة والجماعة في الائمة الإثني عشر ـــ انتهى ما ذكره خافي خان في «منتخب اللباب».

وفي «الحديقة الأحمدية»: أن السلطان عالمكير كان يخاطبه في المراسلات بسيدى وسندى، وله مصنفات كثيرة منها تعليقاته على الحاشية «القديمة والجديدة» و «آداب البحث» رسالة له في المنطق وحاشية على «يمين الوصول» في الفقه ورسالة له في اثبات مذهب الشيعة ورسالة له في شرح أربعين بيتا من «المثنوي المعنوي» وحاشية له على «هداية الحكمة» و«كشف الحق» و«تحفة الرسول» وغيرها من الرسائل، توفى لأربع ليال بقين من جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف بمدينة «سورت» فدفن بها وخلف من الأولاد: سيد عبد العلي المتخلص بـــ (عزلت) كان فقيها مجتهداً امامياً وشاعراً، والسيد عبد الله والسيد عبد الولي والد السيد ميرزا باقر المتوفى سنة ١٢١٧هـــ.

وقيل في تاريخ وفاته:

جناب قطب اقطاب زمان رفت ازين دار فناء سرى جنان رفت

مشائخ راتفاوت در مكين شد جو سعد الله سيد از ميان رفت

زمكر وغدر كذّاب فسون كَر	بحق بيوستُ در دارِ أمان رفت
نمانده صبر وطاقت زين مصيبت	قرار وصبر طير وانس وجان رفت
صدائي مكربه دفه ياد ونوحه	زبالائي زين تا آسمان رفت
بكثرت خلق كَرويده كرفتار	ازان روزى كه آن وحدت شان رفت
زمان غم جو عاشوره قيامت	رسيد وكرو قائم بوش ازاى رفت
مردان سربه سنه جون نه باشند	كه از فرق سر يشان سائبان رفت
برائي فاتحه، بركس برآمد	زجشم خويشتن كومير فشان رفت
زهر سال تاريخ وصالش	به هاتف التماس اين وان رفت
زواريلا كشيد وآه كَفته	ز عالم نائب صاحب زمان رفت

ـ [نزهه ٦/ ٩٨ –٩٩ رقم ١٨٨، مطلع انوار ٢٦٥ –٢٦٧، بزم تيموريه / ٢٥٢، كتاب حقيقة السوره (اسم تاريخي كَلد سته صلحائي سورت ١٣١٥هـ، تأليف الشيخ بهادر عرف شيخو ميان، مطبعة الشهابي، بومباي، ص ٣٣ –٣٤ وفيه نسب المترجم الى موسى الكاظم (ع).]

حسين الشيرازي (حكيم الممالك)

(ت ١١٤٩هـ/١٧٢٦م)

الفاضل الكبير حسين الحكيم الشيرازي نواب حكيم الممالك كان من العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، أصله من أرض العرب، نشأ في بلاد الفرس وقرأ العلم بها على الأساتذة المشهورين وسهر في الصناعة الطبية ثم قدم الهند وتقرب إلى محمد أعظم بن عالمكير فجعله طبيبا خاصا له، ولما قتل محمد أعظم تقرب الى محمد معظم وحصلت له الوجاهة العظيمة عندالملوك والامراء عهداً بعد عند لقبه فرخ سير بحكيم الممالك، وسافر إلى الحرمين الشريفين في أيام محمد شاه فحج وزار ورجع الى الهند، ونال المنصب أربعة آلاف لذاته، وله أبيات رائقة بالفارسية منها قوله:

نه من شهرت تمنا دارم ونى نام ميخواهم	فلك كر وا كذارد يكنفس آرام

مات سنة تسع وأربعين ومائة وألف بمدينة «دهلي» فأرخ لوفاته غلام علي بن نوح

البلكرامي من قوله: «شهرت مرد» وكان اسمه في الشعر «شهرت»، كما في «شمع أنجمن».

ـ نزهه ٦/ ٧٠-٧١ رقم ١٣٨.

محمد رضا قزلباش خان الهمداني

(ت ١١٥٩هـ/١٧٤٦م)

ميرزا محمد رضا الهمذاني الملقب بقزلباش خان والمشتهر في أشعاره بـــ (امير).

من شعراء القرن الثاني عشر، ولد في مدينة همذان بإيران، وفي مطالع حياته سافر إلى أصفهان وحضر مجلس الميرزا طاهر الوحيد، ودرس الأدب على مير نجاة. وفي نهاية عهد أورنك زيب سافر إلى الهند فعهد إليه ببعض المناصب وفي عهد قطب الدين بهادر شاه (١١١٩ ــ ١١٢٤) لقب بـــ (قزلباش خان)، وفي عهد محمد معز الدين جهان دار تدخل في مشاحنات امراء الدولة بشأن الدكن ثم أصبح ملازماً لمبارز خان، نظام حيدر آباد الدكن. وفي حرب بين ميارز خان ونظام الملك آصف جاه أسر المترجم، ولكن آصف جـــاه عفـــا عنه وصـــار ملازمـــاً له. وفي سنة ١١٥٠ في عهد ناصر الدين محمد شاه (١١٣١-١١٦١) وافق آصف جاه إلى لقاء شاه جهان آباد. ومن ثم عاش في دهلي وتوفي فيها سنة ١١٥٩.

وكان إلى شاعريته من كبار الموسيقين في عصره. ومع ما حازه من مناصب في الحكم كان شديد الحنين إلى مسقط رأسه يود الرجوع اليه.

ديوانه المعروف باسم (أميد) يحتوي على قصائد في مدح النبي (ص) والإمام علي (ع)، وناصر الدين محمد شاه وذو الفقار خان بن أسد خان من وزراء عهده. وفيه كذلك الغزل والخماسيات والرباعيات. وهو محفوظ في المكتبة البريطانية، ومنه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس، ولا يتجاوز ما فيه الـــ ٤٧٠٠ بيت، كما ان له منظومة باسم كارستان محفوظه في المكتبة الوطنية في باريس.

ـ مستدركات ٦/ ٢٧١ ــ ٢٧٢.

حسن علي خان

(ت ١١٣٥هـ/١٧٢٢م)

الأمير الكبير حسن علي بن عبد الله الحسيني الواسطي البارهوى نواب عبد الله خان قطب الملك أحد الوزراء المتغلبين على الدولة التيمورية، ولد ونشأ بأرض الهند وتقرب إلى عالمكير وخدمه مدة من الزمان، ولما توفي عالمكَير لحق بولده شاه عالم وقاتل اخاه محمد أعظم وجرح في المعركة فولاه شاه عالم على «أجمير» وأعطاه أربعة آلاف منصبا رفيعا ثم ولاه على «إله آباد»، ولما توفي شاه عالم وولي مكانه ولده معز الدين عزله عن الولاية ونصب مكانه واحدا من أصحابه فقاتله حسن على خان وهزمه ثم لحق بفرخ سير ابن عظيم الشأن بن شاه عالم وسار معه إلى «دهلى» فقاتل معز الدين وهزمه، فلما تولى المملكة فرخ سير جعله وزيرا وأعطاه سبعة آلاف لذاته وسبعة آلاف للخيل منصبا رفيعا ولقبه «يار وفادار قطب الملك عبد الله خان بهادر ظفر جنك» وجعل صنوه حسين علي خان أمير الأمراء.

وهما اللذان نصبا (فرخ سير) ثم اختلفا معه فنصبا (رفيع الدرجات) ثم (رفيع الدولة) ثم (محمد شاه) وقام بعض رجال الأخير بقتل حسين علي خان غيلة، فثار المترجم له لأجل ذلك واشتبك مع رجال محمد شاه لكنه وقع في قبضتهم (وسيأتي تفصيل دوره في ترجمة السلطان فرخ سير ومن بعده) وكان شجاعاً مقداماً باسلاً صاحب جرأة ونجدة، لم يكن في زمانه مثله في الشجاعة.

مات في آخر ذي الحجة سنة ١١٣٥هـ بمدينة دهلي.

ــ [مآثر الأمراء، نزهه ٦/٦٧ ــ ٦٨ رقم ١٣٥.]

بختاور خان

(ت ١٠٩٦هـ / ١٦٨٥ م)

«بختاور خان» خصي كان مقربا من الإمبراطور أورنك زيب الذي أمره على ثلاثة

آلاف فارس وجعله كبير حجابه (مير سامان). وينسب إلى بختاور خان عادة كتاب «مرآت العالم» وهو تاريخ للعالم كتب باللغة الفارسية بيد أنه لا شك في أن مؤلفه هو صديقه محمد بقا الذي حبب إليه بختاور خان الانضمام الى بلاط أورنك زيب وكان سببا في توليته منصبا من المناصب الهامة.

وتوفي بختاور خان عام ١٠٩٦هـ / ١٦٨٥ م.

حسين علي خان

(ت ١١٣٢هـ/١٧١٩م)

أمير الأمراء حسين علي بن عبد الله الحسيني الواسطي الباهوري عمدة الملك بخشي الممالك نواب حسين علي خان أحد الأمراء المتغلبين على الدولة التيمورية، ناب الحكم في «عظيم آباد، بتنه» في عهد شاه عالم ولما توفي شاه عالم وقتل ولده عظيم الشأن لحق بفرخ سير بن عظيم الشأن وسار معه إلى «دهلي» وحرض أخاه حسن علي الذي كان والياً بآله آباد أن يلحق بفرخ سير، فلماجلس فرخ سير على سرير الملك جعله أمير الأمراء وجعل صنوه الكبير حسن علي وزيرا فأخذا الحل والعقد بيدهما.

كان رجلاً شهماً باسلاً شجاعاً مقداماً صاحب جرأة ونجدة وسخاء وكرم وغيرها من الخصال الحميدة والفعال المحمودة.. وكان محباً لأهل العلم محسناً اليهم يجالسهم ويذاكرهم في العلوم كما صنف له محمد بن رستم بن قباد الحارثي البدخشي كتابه «نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل بيت الأطهار» سنة ١١٢٦هـ وأثنى عليه في مفتتح كتابه، ويقول فيه السيد عبد الجليل الحسيني الواسطي البلكرامي يهنئه بعيد النحر:

تهـن بعيـد النحـر يـا مـن عطـاؤه ... أفـاض علـى مـن حج جودا عوائدا

تنسكت هـدى الجـود في كل موقف ... وألبسـت نحـر المعـتفين قلائـدا

وقال مضمنا مصراع كعب بن زهير يصف الشموع التي أذكاها أمير الأمراء في سير مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أضاء ركن الأعالي سيد الأمراء شهر الرسول شموعا في غياهبه

أمسى الشموع على الحضار منشدة (أن الرسول لنور يستضاء به)

وقال بالفارسية يمدحه:

آن أمير جماعة امراء جون حسين على هزبر شيم

قرة العين حيدر كرار نخبة نسخهء بنى آدم

جود أو شهرهء ديار عرب تيغ أو ضابط بلاد عجم

نازد أز نسبتش سمو نسب بالد از همتش علو همم

غوطه در جود أو خورد دريا لطمه از دست أو خورد ضيغم

إلى غير ذلك من الأبيات الرائقة، ولما قتل حسين على خان قال يرثيه بالفارسي:

آثار كربلا است عيان از جبين هند

زد جوش خون آل نبي از زمين هند

شد ماتم حسين على تاره در جهان

سادات كشته آند مصيبت نشين هند

نيلى است زين معامله بيراهن عرب

وزخون كريه سرخ شد است آستين

كبق جرا سياه نكردد ز دود غم

خاموش شد جراغ نشاط آفرين هند

هند اين جنين مصيبت عظمي نديده است

ديدم داستان شهور وسنين هند

توفي يوم الأربعاء ٦ ذي الحجة سنة ١١٣٢هـ على مسيرة خمس وثلاثين ميلاً من اكبر آباد.

ــ نزهه ٦/ ٦٨ ــ ٧٠ رقم ١٣٦.

محمد باقر البيجابوري

(حدود ١٠٥٠ - ١١٢٨هـ / ١٦٤٠ - ١٧١٦م)

الشيخ الفاضل محمد باقر بن محمد علي بن محمد أويس الأويسى الشيعي البيجابوري أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال يرجع نسبه الى أويس القرني انتقل جده محمد اويس من المدينة المنورة إلى «بيجابور» وسكن بها وتزوج ولده محمد على بابنة الشيخ أحمد النائطى البيجابورى فولدت له محمد حيدر و محمد باقر، ونشأ محمد باقر بمدينة بيجابور وقرأ العلم ثم تقرب الى عالمكير بن شاهجهان سلطان الهند فحظى بمنصب رفيع وخدمة جليلة فخدمه مدة من الزمان ثم ترك الخدمة واعتزل بأورنك آباد. ومن مصنفاته «تليخص المرام في علم الكلام» في مجلد ضخم ذكر فيه الأصول الخمسة، سماه العلامة محمدفصيح التبريزي بروضة الأنوار وزبدة الأفكار واستحسنه جدا، توفى سنة ثمان وعشرين ومائة وألف بمدينة «أورنك آباد» فدفن بها، كما في «خورشيد جاهي».

[نزهه ٦/ ٢٦٠ رقم ٥٤٦، مطلع أنوار / ٤٨٨ -٤٨٩ وفيه: خلف ولداً اسمه الشيخ محمد تقي جاكَيرا ن داران، حصه أول، ص ٥ طبع حيدر آباد.]

حسين بن نور الدين الجزائري

الحسين الجزائري

(ت ١١٥٨هـ/١٧٤٥م)

ابن نور الدين ابن المحدّث الجزائري وصفه في «تحفة العالم ـــ ص ١١٧» بـــ [السيد الأول الأجل الفاضل الأديب الأكمل] وقال إنه سافر في بداية الأمر الى شاه جهان آباد من دهلي وأقام بها برهةً بتكليف سلطانها محمد شاه المنسوب إليه الزيج الجديد الهندى فنافره طباع أهلها فعاد الى بنكَاله ومنها الى النجف وجاورها مشغولاً بتحصيل المطالب العلميّة وتكميل المراتب العمليّة الى أن توفّى بها. وله تعليقات على أكثر الكتب العلميّة وخلف ولده محمد علي. أقول: توفّى المترجم له ١١٥٨ ورأيت له مجموعة ذات

فوائد كثيرة فيها عدّة رسائل علميّة كتبها أو أن اشتغاله باصفهان من ١١٤١ الى ١١٤٣ منها «شجرة الطور» لأستاده الحزين و «معرفة التقويم لاستاذه الآخر أحمد بن محمد مهدى الشريف (ذ ٢١: ٢٥٠ رقم ٤٨٧٩ وبعده) وعلى المجموعة تملّك ولده محمد على بخطّه في مكتبة (صالح الجزائرى في النجف) وكتب المترجم له على نسخة» شرح الغرر والدرر تأليف الآقا جمال الدين الخوانساري الموجودة في مكتبة (سبهسالار) بعض ما يتعلّق بتشخيص مؤلّف الكتاب، كتبه في أوان إقامته بلكنهو في سنة ١١٤٨ كما في فهرس سبهسالار ٢: ٣٦ و ٥: ٢١٣.

ـ [الكواكب المنتثرة / ١٩٣ -١٩٤، مطلع انوار / ٢٠٥ وفيه وفاته سنة ١١٧٣ مستدركات ٥/ ١٤٠، نجوم السماء ج٢، وللمترجم له ولد اسمه: السيد محمد علي.]

شاه عالم بهادر شاه[1]

(١٠٥٣ ـ ١١٢٤هـ/ ١٦٤٣ ـ ١٧١٢ م)

الامبراطور محمد معظم الملقب بـ شاه عالم بهادر شاه ابن الامبراطور اورنك زيب من بطن رحمت النساء نواب بائي ابنة راجا راجو صاحب Raja Rujwini في كشمير

---

[1] بهادر: كلمة تركية مغلية الأصل مأخوذة من بخاتر ويقابلها باتور في اللغة الجغتائية. والمعنى الأصلي لبهادر هو الشجاع أ، المقدام، ثم أصبحت لقباً يطلق للتشريف في بلاط المغل العظام. وهو لقب تركستاني، في مؤلف سليمان أفندي المعروف بـ " لغات جغتائي " ص ٦٦). وإنا لنجد هذه الكلمة مستعملة منذ عام ٩٢٧ م في اسم الزعيم البلغاري آليختور، ويقال في تفسيره إنه " ألب بختور " أي البطل الشجاع (Osteur U. Ostasiat.: J. Marquart «Strifzuge»ص ١٥٦).

وقد كان في منتصف القرن التاسع عشر فرقة بفارس جنودها من النصارى تعرف باسم " بهادران " أي الشجعان. وكانت هذه الكتيبة هي التي نيط بها إعدام علي محمد الباب. وأطلق اسم هذه الفرقة التي لم تعد تتألف من الجنود النصارى على الفرقة الأولى من الكتيبة الأولى للمشاة عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤ م. وهناك فرق أخرى سميت بهذا الاسم في خوى وفارهان ونهاوند وقلعة زنجوي وفي غيرها من الأماكن. ببلاد فارس دائرة المعارف الاسلامية ٤ / ٢٤٢ عن مطلع الشمس لمحمد حسن خان ٢/ ٢٥.

وهواكبر اولاد ابيه بعد سلطان محمد المتوفى في حياة أبيه، ولد في برهان بور في الثلاثين من رجب سنة ١٠٣٥هـ الموافق ١٤ اكتوبر ١٦٤٣ م ونشأ في ظل جده وابيه، وحفظ القرآن الكريم وقرأ العلوم الدينية وتمهر في الفنون الحربية، وبعد وفاة والده ١١١٨هـ دبت الخلافات بينه وبين اخوته فقضى عليهم وتولى العرش في سلسلة حروب ستتعرض اليها.

وصفه السيد عبد الحي بما يلي «كان عادلا رحيما كريماً، سيء التدبير والسياسة، شيعياً في المذاهب، بارعاً في العلوم، لم يزل مشتغلاً بمطالعة الكتب والمذاكرة غلب في عهده عظيم المراته فاستولى على أكثر بلاد المسلمين، وسلم له بهادر شاه ربع الخراج في الدكن، وهو أول وهن ظهر منه، فأدّى الى زوال شوكته، ثم انقراض ملكه من اولاده.

وأضاف: الملك الفاضل الحليم.. (وكان) في كل حين يزداد كمالاً مع اخلاق شريفة وخصال محمودة..

وكان شيعيا أمر أن يدخل في خطب الجمع والأعياد لفظ الوصى عند ذكر سيدنا على المرتضى كرم الله وجهه فارتفع الصخب وكثر الضوضاء بمدينة «لاهور» فأمر باحضار العلماء بين يديه وباحثهم في ذلك وقرأ بعض ما روى في اثبات الوصاية لسيدنا على رضى الله عنه وبعض أقوال الفقهاء والمجتهدين في ذلك حتى كثر اللغط ورغب الناس كافة إلى العلماء سرا حتى أن ولده عظيم الشأن أيضا مال إليهم، فلما علم السلطان رغبة الناس امر أن يرجع الأمر إلى الأول حسبما كانت جارية في عهد عالمكَير.

قال وليام ازمين William Irvine:

«ادى ذلك الى قيام ثورتين خطيرتين في لاهور وأحمد آباد تزعمها العلماء المتعصبون في المدينتين».

ولما ذهب ابوه إلى الدكن عام ١٦٥٧ م لمنازعة دارا شكوه على العرش خلف ولده محمدمعظم علي أورنك آباد، واستعمل محمد مرتين على الدكن في عامى ١٦٦٣ و ١٦٦٧م، وأرسل إليها مرة ثالثة عام ١٦٧٨م. ودُعى الى الاشتراك في حرب راجبوت وساعد في إخماد الثورة التي قام بها أخوه أكبر في إجمير، وفي عامي ١٦٨٣ ـــ ١٦٨٤م

أمر على حيش كان يحارب مرهته شمباجي في كُنكن. وبعيد عودته إلى معسكر الإمبراطور أنفذ في غارة على مملكة كُلكَنده عام ١٦٨٥م، واشترك كذلك في قتال بيجابور عام ١٦٨٦ م وفي حرب كلكنده للمرة الثانية عام ١٦٨٧م. واقهم آخر الأمر بالخيانة فألقي في السجن في شهر مارس من عام ١٦٨٧ م، ولم يفرج عنه إلا في إبريل عام ٦٩٤ م حينما ولى على كابُل ثم أضيف إليه اقليم لاهور.

وقد أراد اورنك زيب أن يتحاشى العواقب الوخيمة المؤلمة التي كان يتوقعها بعد وفاته وأن يقسم البلاد بين اولاده الثلاثة حتى إذا ما قضى نحبه استقل كل واحد في ناحيته وعمل على إنماضها والمحافظة عليها، فأعطى في حياته، ابنه الأكبر محمد معظم كابل وشمال الهند، وأعطى ابنه الثاني محمد أعظم وسط الهند وكجرات، وأعطى ابنه الثالث كام بخش الجنوب. وظن أنه قد أحسن فيما صنـــع وأرضى أولاده وأزال أطماعهـــم. ولكن ما صنعه كان هباء، إذ ما كاد يغمض جفنيه ويلفظ أنفاسه الأخيرة حتى نشب الصراع بين الأخوة.

وما ان سمع شاه عالم بوفاة والده أورنك زيب في الثامن عشر من ذى الحجة عام ١١١٨هـــ الموافق ٢٢ مارس من عام ١٧٠٧ م وكان في جمرود إلى الغرب من بشاور، حتى سار توا إلى هندستان وتسابق هو وأخوه أعظم شاه الذي كان قد خرج من أحمد نكر في أيهما يحتل دهلي وآكره قبل أخيه، وحاول شاه عالم ان يثني شقيقه عن قتاله فارسل له رسالة تذكره بوصية أبيهم اورنك زيب ولما وصلت الرساله الى أخيه المتمرد تمثل بقول سعدي الشيرازي: «ان غطاءاً واحداً يتسع لعشرة من الفقراء ولكن ملكاً واسعاً لا يكفي ملكين» واصر على القتال فاقتلا في ١٨ ربيع الأول ١١١٩ هـــ الموافق يونيه ١٧٠٧م، واحتفل شاه عالم باعتلائه العرش وهو لايزال في البنجاب، ولقب نفسه ببهادر شاه في الرابع والعشرين من المحرم عام ١١١٩هـــ الموفق ٢٦ ابريل عام ١٧٠٧م، ولكنه اعتبر حكمه يبدأ من الثامن عشر من ذى الحجة عام ١١١٨هـــ الموافق ٢٢ مارس عام ١٧٠٧ م، أي بمناسبة ذكرى عيد الغدير الذي يحتفل به الشيعة في كافة أنحاء العالم، واحتسبت الأعوام التالية كما هي العادة اعتبارا من أول هذا الشهر.

كان الراجبوت قد اضطروا للسكون والخضوع أمام قوة عالمكير، فلما توفي وقامت الحرب بين الأخوين انتهزوا هذه الفرصة، وتجمع راجا جوديبور مع راجا «أوديبور» وأعلنا العصيان على سلطة الملك. فذهب الملك لأجمير، وأرسل ابنه عظيم الشأن مع القائد الشيعي منعم خان على رأس جيش لإخضاعهم، وتم لهم ذلك، ولكن شفع لهم منعم خان فعفا عنهم، ثم أرسل إليهم قاضي القضاة لتعيين الخراج وتحصيله، ولكنهم عادوا بعد ذلك للثورة، حينما كان الملك في الجنوب، وقتلوا قائد قلعة أجمير، فسارع الملك إليهم، ولكنهم أسرعوا فطلبوا العفو، فعفا عنهم أيضاً.

ثم سارع للجنوب وقضى على محاولة اخيه كام بخش الاستقلال بالسلطان فجرح كام بخش مع ابنه وجيء بهما الى شاه عالم فاخذته الشفقة عليهما وحاول علاجهما حتى ماتا متأثرين بجراحهما وكان ذلك خارج حيدر آباد في الثالث من ذي القعدة ١١٢٠هـ الموافق ١٣ يناير عام ١٧٠٩ م، وكان المراتيه قد انضموا الى شاه عالم ضد اخيه كام بخش، ، فلما تم النصر لشاه عالم اقطع الأمير ساهوجي الثاني مقاطعة (بونا) لتكون امارة له تابعة للسلطنة وتؤدي اليه الخراج وقد اخلص كلاهما للآخر ولكن بعد وفاته تمردت هذه الامارة تمرداً خطيراً استمر الى ايام الاحتلال الانجليزي.

أما السيك الذين بدأت غاراتهم تقلق المسلمين في الشمال فقد هيئ لهم جيشاً كبيراً تحت قيادة ابنه عظيم الشأن فهاجم حصن (لُهكره) الذي احتمى فيه بنده زعيم السيخ، واستولى عليه في التاسع عشر من شوال سنة ١١٢٢ الموافق ١٠ ديسمبر ١٧١٠م لكن (بنده) فرّ خارج الحصن، واستقرت حاشية بهادر شاه خارج لاهور وفيها توفي هذا الامبراطور عن عمر يناهز السبعين بعد ست سنوات من الحكم في ١٩ شوال ١١٢٢، الموافق ١٠ ديسمبر ١٧١٠، وبعد وفاته أخذت أعراض التفكك، والانحلال تبدو على البلاد، ولم يقم من بعده من الأسرة المغولية من يقدر على الاحتفاظ بهذا الملك العظيم، ولعله لو تسنى لشاه عالم أن يعيش في الملك ما عاش أبوه فيه لكان استطاع ان يدعم أركانه ويصون كرامته.

من علماء عهد شاه عالم:

منعم خان خانان

(ت ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م)

الأمير الكبير منعم بن سلطان برلاس الأكبر آبادي نواب منعم خان خانخـــان كان من وزراء الدولة المغولية وأمرائها المشهورين بالمعارف والبيان، نشأ في مهـــد أبيـــه وكان والده شحنة «أكبر آباد» وقد كان سافر إلى «كشمير» في مهمة سلطانية، فلما توفي والده سافر الى بلاد الدكن وتقرب إلى روح الله خان المير بخشي فمنحه لـــلمنصب ثم تقرب إلى عالمكَير ابن شاهجهان سلطان الهند فعلا منصبه وتدرج إلى الإمارة حتى ولّي ديوان الخراج بكابل ثم ناب الحكم ببلاد «بنجاب» مع حكومة «جمون» وكان شاه عالم بن عالمكَير في «كابل» فتقرب إليه ولما قاتله صنوه محمد أعظم لحق به وبذل جهده في المعركة فصارت مساعيه مشكورة في ذلك وولاه شاه عالم المذكور الوزارة الجليلة وأعطاه مائة مائة ألف من النقود وأثاثا يساوى مائة مائة ألف ولقبه «خانخانان» وأضاف في منصبه فصار مع الأصل والإضافة سبعة آلاف له وسبعة آلاف للأفراس.

كان شديد التواضع كثير المراعـــاة للناس مشكور السيرة في الوزارة لا يألوا جهدا في انجاح الحوائج وكان كل يوم في ديوانه يعين الرجال ليتحسسوا العرائض لأهل الحاجة لئلا تبقى بغير ثبته ويتأخـــر على اليـــوم الآخـــر وكان أسقط مصارف العلوف من أهل المناصب، وله مآثر جميلة تذكر وتشهر، وكان عالما متقنا في العلوم له رغبة إلى التصوف، لبس الخرقة من الشيخ كليـــم الله الجهـــان آبـــادي، وله «الإلهامات المنعمية» رسالة في الحقائق، واعترض الناس عليه ويتهمونه أنه ادعى المعراج له، توفي سنة أثنتين وعشرين ومائة وألف أو مما يقرب ذلك في أيام شاه عالم، كما في «مآثر الأمراء».

ــ نزهه ٦/ ٣٧٥ – ٣٧٦ رقم ٧٠٩.

اسماعيل بن إبراهيم الدهلوي

(ت ١١٢٤هـ/١٧١٢م)

الأمير الكبير إسماعيل بن إبراهيم بن ذى الفقار الدهلوي نواب ذو الفقار خان صمصام الدولة نصرت جنك كان من الأمراء المشهورين في الهند، ولد سنة سبع وستين وألف من بطن مهر النساء بنت آصف جاه أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني، ونشأ بأرض الهند وتدرب على الفنون الحربية وتأدب بآداب السلطة فقربه عالمكَير بن شاهجهان سلطان الهند إليه ورقاه درجة بعد درجة حتى ولاه على مير بخشيكرى ولقبه «نصرت جنك» ولما تولى المملكة شاه عالم بن عالمكَير لقبه «صمصام الدولة، أمير الأمراء» وأضاف في منصبه حتى صار سبعة آلاف له وسبعة آلاف للخيل وولاه على بلاد الدكن، ولما توفى شاه عالم المذكور لحق بولده معز الدين وقاتل إخوته عظيم الشأن ورفيع الشأن وجهان شاه فقتلهم في المعركة، وكان فرخ سير بن عظيم الشأن في «بهار» فلما سمع ذلك سار إليه وكان معه حسن على خان وحسين على خان فقاتلوه فانهزم ذو الفقار خان وأراد أن يستعد للحرب مرة ثانية فنهاه والده إبراهيم عن ذلك واشار إليه أن يحضر لدى فرخ سير وكان يعتقد إبراهيم أنه يعفو ويسامحه، فلما حضر ذو الفقار خان بين يديه أمر بقتله، فقتل في السابع عشر من محرم سنة أربع وعشرين ومائة وألف، فعمل والده إبراهيم لوفاته تاريخاً عجيباً:

هاتف شام غريبان بادو جشم خون نشان　　　كفت «ابراهيم اسمعيل را قربان نمود»

وكان ذو الفقار خان شجاعا مقداما باسلا غضوبا قوى البطش شديد الانتقام كبير المنزلة، وفيه يقول ناصر على السرهندي:

أي شان حيدرى زجبين تو آشكار　　　نام تودر نبرد كند كار ذو الفقار

ـــ نزهه ٦/ ٣٤ رقم ٦٢.

ذو فقار الدولة نجف علي

(القرن ١٢هـ)

وبعد زوال الضغط نشط الشيعة أيام عالم شاه بالكتابة والتأليف رادين على من هاجمهم وطعن في عقائدهم.

وكانت الدولة في دهلي قد أصبحت في نهاية عهودها وبدأت الانتفاضات عليها والاستقلال عنها في المناطق والأطراف، كما قامت المشاحنات المذهبية، وبدأت الانقلابات في العاصمة نفسها، ففي كل يوم أمير جديد يتولى الحكم ثم ينتزع منه.

ومن بين هذه الزعازع نهض ذو فقار الدولة نجف علي، وكان بطلاً صنديداً ذا شخصية قوية فقضى على الفتن وأصلح الفساد وأعاد النظام ووحد البلاد ورد بعض الشيعة المشردين. وعاد إلى الشيعة اطمئنانهم لأن، وعاد التأليف والكتابة في الشيعة وإقامة الشعائر الحسينية، وبقي من أثر ذلك العصر كتاب (كربل كتا) أي قصة كربلاء وهو الكتاب الذي يمكن القول أنه أثر ابعد الأثر في تركيز اللغة الاردوية وأرساء قواعد آدابها وايجاد نثرها الفني.

ــ مستدركات ١/ ٤٢ ــ ٤٣.

محمد هاشم الشيرازي

(١٠٨٠ ـ ١١٦١هـ/١٦٦٩-١٧٤٨م)

الفاضل العلامة محمد هاشم بن محمد هادي بن مظفر الدين العلوي الشيرازي معتمد الملوك نواب علوي خان كان نادرة من نوادر الزمان وبديعة من بدائعه الحسان، ولد بشيراز في شهر رمضان سنة ثمانين وألف وقرأ العلم بها وتطبب على والده وقدم الهند سنة إحدى عشرة ومائة وألف فتقرب إلى عالمگير بن شاهجهان سلطان الهند فأعطاه الخلعة وقربه إلى ولده محمدأعظم فصاحبه زمانا، ولما قتل محمد أعظم تقرب إلى شاه عالم بن عالمگير فلقبه بعلوى خان وجعله من ندمائه، فلم يزل يترقى درجة بعد درجة حتى قربه

إليه محمد شاه الدهلوى ولقبه بمعتمد الملوك ووزنه بالفضة وأضاف في منصبه فصار ستة آلاف له منصبا رفيعا ورتبّ له ثلاثة آلاف شهرية، ثم لما جاء نادر شاه الإيراني استصحبه معه إلى إيران ووعده أن يرخصه للحج والزيارة، فلما وصل إلى ايران أنجز وعده فسافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار ورجع إلى الهند سنة ست وخمسين ومائة وألف.

ومن مصنفاته حاشية على «شرح هداية الحكمة» للميبذي وحاشية على «شرح الأسباب والعلامات» وشرح على «تحرير الأقليدس» وشرح على «المجسطي» وشرح على «موجز القانون» وله كتاب في أحوال أعضاء النفس ورسالة في الموسيقى وله «التحفة العلوية والإيضاح العلية» وله «جامع الجوامع» في الطب، قيل إنه كتاب لم ينسج على منواله قط، وله «آثار باقية» في الطب من تركيب الأدوية وهي دلائل الاعجاز لذلك الفاضل الجدير بالإعزاز.

توفي بدهلي في الاستسقاء لخمس بقين من رجب سنة ستين ومائة وألف، كما في «بيان الواقع» أو اثنتين وستين ومائة ألف ويدل عليه شطر من البيت على طريق الجمل: بر فلك رفت مسيحاي جديد وقبره في مقبرة الشيخ نظام الدين البدايوني بدهلي حسب وصيته كما في مهرجا نتاب.

ـ [نزهه ٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ رقم ٦٨٥.]

من اعلام عصر محمد شاه :

نعمة الله بن نور الدين الحائري

(ت ١١٥١هـ/ ١٧٣٨ م)

السيد نعمة الله بن نور الدين بن نعمة الله الحسيني الجزائري المهندس الكبير، ذكره عبد اللطيف بن طالب بن التستري في «تحفة العالم» قال: إنه ولد ونشأ بتستر وساح في «العراق» و «خراسان» وقرأ العلم على أساتذة عصره ثم سار إلى الهند في أيام محمد شاه الدهلوي، وكان عالما كبيرا بارعا في الفنون الرياضية والشعر، ولوه على المرصد بدهلي ففاق أقرانه في ذلك الأمر وله ديوان الشعر الفارسي يشتمل على ثلاثة آلاف أو أربعة،

مات بمدينة «بيشاور» سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، كما في «نجوم السماء».

ــ [نزهه ٦/ ٣٨٨ رقم ٧٣١، مطلع انوار / ٦٨٢ وفيه (نعمت الله آغائي)، نجوم السماء / ٢٥٩، بي بها ٤١٩ ، بي بها ٤١٩، اعيان، تحفة العالم.]

محمد بن اسحاق التستري

(ت ١١٦٣هـ/١٧٤٩م)

الأمير الفاضل ميرزا محمد بن اسحاق بن علي الشيعي التستري نواب نجم الدولة ابن مؤتمن الدولة الدهلوي كان من الرجال المعروفين بالعقل والدهاء، ولد ونشأ بأرض الهند وتقرب إلى محمد شاه فولاه على «بخشيكرى» مكانه والده وجعله من خاصته وندمائه، قتل سنة ثلاث وستين ومائة وألف، كما في «مآثر الأمراء».

ــ نزهه ج / رقم ٤٧٨

محمد باقر المشهدي

(ولد حدود ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م / ت حدود ١١٥١هـ/ ١٧٣٨هـ)

مولانا الأمير الفاضل محمد باقر المشهدي نواب معز الدولة كان من الرجال المعروفين بالفضل والكمال، ولد بمشهد وقرأ العلم على من بها من العلماء ثم قدم الهند وتقرب إلى فرخ سير بن عظيم الشأن الدهلوي سلطان الهند فلقبه بدانشمند خان ولما قام بالملك محمدشاه الدهلوي تقرب إليه ثم لماجاء نادر شاه وقاتله محمدشاه الدهلوى صار واسطة بينه وبين نادر شاه لأن أخاه على أكبر ملا باشي كان معه فلقبه محمدشاه بمعز الدولة وجعله قهرمانه وكان فاضلا بارعا في كثير من العلوم والفنون، وله أبيات رائقة رقيقة بالفارسية، مات في زمان قريب من مراجعة نادر شاه إلى أيران، كما في «رياض الشعراء» لعله مات سنة إحدى وخمسين ومائة وألف أو مما تقرب ذلك.

ــ (نزهه ٦/ ٢٩١ رقم ٥٤٧، مطلع انوار / ٤٨٩) والقهرمان أي الوكيل بالفارسية والظاهر انه مركب من العربي قهر ومن الفارسي مان أي صاحب (الألفاظ الفارسية المعربة ص١٣٠).

معز الدين جهان دار شاه

(١٠٧٢-١١٢٥هـ/١٦٦١-١٧١٣م)

ولد في مايو عام ١٦٦١ وتوفي خنقاً في ١٢ فبراير ١٧١٣ بأمر فرخ سير وكان خلفه على العرش بقصة اختصارها انه حين مات شاه عالم اختلف ابنائه من بعده فيمن يتولى السلطنة، وكانت الانظار تتجه نحو عظيم الشان ابن شاه عالم لكنه قضى في الحرب الدائرة مع اخوته، واستطاع جهان دار شاه وكان يومها اميراً على ملتان بمساعدة (ذي الفقار خان) اكبر القواد ان يقضي على منافسة اخوته ويتسلم العرش وتلقب بـــ (معز الدين)، لكنه اخطأ حين أبعد شخصين هما الأبعد اثراً في المجتمع آنذاك وهما الاخوان السيدان حسن علي وحسين علي الحسينيّان البارهيان، وهما من ابناء الشريف عبد الله الحسيني الواسطي الباهوري واصلهم من الأسر العلوية الشيعية التي نزحت من مدينة واسط في العراق في عصور الاضطهاد التي قلما كان يخلو منها العراق في العهود الأموية والعباسية وما تلاهما.

وكان لهما سمعة ووجاهة، اولهم كان والياً على (إله آباد) والثاني على (بتنه) فعزلهما جهان دار شاه، فانضّما الى أخيه فرّخ سير الذي كان مقيماً قرب بتنه، فأخذ السادات (وهو اللقب الذي عرف به الاخوان المذكوران) يهيّجان الرأي العام ضد جهان دار شاه واعدوا جيشاً جراراً سرعان ما تقدم نحو العاصمة واشتبك مع جيش جهان دار شاه وابنه اعز الدين، وهزماه وبذلك استطاع الشريف حسن أن يصل الى الخيمة الملكية فهرب جهان دار شاه ومع معه امامهما وحقق السادات هذا النصر بجهودهما واجلسا فروخ سير على العرش سنة (١١٢٤هـــ ـــ ١٧١٢ م)، وكانت مدة مُلك جهان دار شاه أقل من سنة واحدة وفي سير المتأخرين: انه كان شريراً ضعيفاً جبانا جلب العار على جميع طبقات رعيته بفسقه المفضوح الذي لا تورّع فيه وباستسلامه لحظيته لال كنور وهي راقصة هندوسية.

فرخ سير بن عظيم الشان

(ت ١١٣١هـ/١٧١٨م)

تولى المُلك بعد فرار جهان دار شاه، وحكم بين (١١٢٥هـ ـــ ١١٣١هـ) بحدود ست سنين واربعة أشهر. ومعنى كلمة فرخ سير هو (محمود السيرة) وصف بأنه كان طيب الأخلاق، ورحب الصدر، يقدّر الناس، وكان يحاول خدمة كل أحد، واهتمامه به أن يوليه منصبا لائقا وخدمات جيدة، ويبرزه في الأقران، ولكنه لم يكن يملك من السلطة شيئا، ولم يكن محنكا، فقد نشأ وتربى في ولاية البنغال بعيدا عن آبائه وأجداده وفي غفلة عن أمور المملكة وشئون الدولة، وكان يفقد الثبات والاستقامة والرأي السديد، ويقتدى بآراء غيره، قد أتاه الجَد والحظ بالعرش والتاج، وقد كانت الأسرة التيمورية المغولية تمتاز بالبطولة والشجاعة، أما هو فكان خلوا من ذلك جبانا ضعيفا، ولم يكن يسبر غور الكلام، ولا يتوصل الى فهم غرض المغرض، فأصبح بنفسه من بداية حكمه معول هدم لدولته.

وأخذ فرخ سير في بداية عهده تطهير الحاشية والانتقام من اعوان الملك السابق وقرب محمد مراد الكشميرى ولقبه (اعتقاد خان) وانعم عليه بلقب ركن الدولة ثم أصبح وزيراً له وحدثت ثورة في دهلي فارسل لقمعها السادات وواقع الحال كان هذا الشريفان هما الحاكمين الحقيقيين، فقد كان فرخ سير مديناً لهما بنصره وكانا قويين فلم يستطع ان يقف أمام أية رغبة عن رغباتهما، فاما الشريف حسن علي خان فقد جعله وزيراً واعطاه سبعة آلاف لذاته وسبعة آلاف للخيل منصباً رفيعاً ولقبه «يار وفا دار قطب الملك عبد الله خان بهادر ظفر جنك».

واما صنوه الاصغر الشريف حسين علي خان فقد جعله امير الامراء وكان لقبه (عمدة الملك بخشي الممالك) وهكذا أصبح الحل والعقد بيديهما، ولما ثار الراجبوت سار

اليهم الشريف حسين على رأس جيش وتمكن من هزيمتهم وفرّ راجا الراجبوت الى الجبال ثم طلب الصفح والعفو عنه وفي هذا الوقت وصل إلى الشريف حسين حكم الدكن، فقبل الملك هذه الشروط ولم يكن بد من قبولها، وفي الوقت نفسه ارسل سراً الى داود خان حاكم كجرات أن يتربص في طريق الشريف حسين الى الدكن ويقضي عليه، ولكن كتب على هذه المؤامرة الفشل، وقتل داود خان، وأصبح الشريف حسين سيد الدكن، وأخذ في تقريب السادات وتوليتهم المناصب.

وفي هذا الوقت قام السيك في الشمال بثورة جامحة، وأخذوا كعادتهم في الإعتداء على المساجد والمقابر، وقتل آلاف من المسلمين والهندوس دون تفرقة بين الصغير والكبير، حتى كانوا يبقرون بطون الحوامل، كما أخذوا في تدمير البيوت وإحراقها، ونهب كل ما تصل إليه ايديهم.

وكان على رأس هذه الثورة «بنده» الذي ادعى من قبل أنه «كوبند سنك» وثار على المسلمين واستطاع الفرار من الحصار في عهد بهادور شاه، فوجه إليهم الملك جيشاً بقيادة عبد الصمد خان فتعقبهم حتى حاصرهم في قلعتهم، وأخيراً اضطروا للتسليم سنة ١١٢٦هـ ــ ١٧١٤ م فقتل منهم نحو ثلاثة آلاف، وقبض على ثمانمائة من كبارهم، وعلى رأسهم قائدهم (بنده) وساقهم الى العاصمة وسار بهم في الشوارع تشهيرا بهم ثم قتلهم وخلال هذه الاحداث كانت الخلافات بين الملك والسادات تزداد حدة، وأخيراً اتفق السادات على خلعه، فجاء الشريف حسين من الدكن بجيش كبير فلم يحرك الملك ساكناً واستسلم لمصيره المحتوم فحبس أولاً ثم قُتل. وجاءوا بحفيد شاه عالم بهادور شاه المسمى رفيع الدرجات واجلسوه على العرش.

رفيع الدرجات

(ت ١١٣١هـ/١٧١٩م)

هو رفيع الدرجات بن رفيع القدر بن بهادور شاه عالم، كان في السجن حين واتته الفرصة ليكون ملكاً بدءاً من اليوم التاسع من ربيع الأول سنة ١١٣١هـ (١٧١٩ م)،

لكنه لم يهنأ في هذا المنصب الذي ساقه اليه السادات، اذ عاجله مرض السل فقضى عليه بعد اربعة أشهر من توليته.

رفيع الدولة

(ت ١١٣١هـ/١٧١٩م)

ولما مات، أجلسا مكانه أخاه الأكبر المسمى رفيع الدولة، وخلال فترة جلوسه القصيرة شهدت العاصمة تمرداً قاده راجا جي سنك لتولية الامير نيكوسير حفيد شاه عالم مكان رفيع الدولة وسرعان ماقضى السادات على ذلك التمرد، ولم تمضي ثلاثة شهور حتى مات رفيع الدولة بمرض الاسهال.

محمد شاه

(ت ١١٦١هـ/١٧٤٨م)

هو روشن اختر بن جهان شاه بن شاه عالم ويعود فضل اجلاسه على العرش للسادات الذين نادوا به ملكاً للبلاد في فتح بور سكري في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١١٣١هـ ــ ١٧١٩ م، تحت اسم «أبي المظفر ناصر الدين محمد شاه».

ولكن الاخوين حسن علي وحسين علي كانا المسيطرين على جميع شؤون الدولة، وكان من الطبيعي ان يكثر حسادهما واعدائهما، وكان من اولئك أحد القادة المعروفين وهو قليج خان قمر الدين السمر قندي المشتهر باسم (نواب نظام الملك آصف خان) (١٠٨٤ ــ ١١٦١هـ) وهو مؤسس السلالة الملكية التي حكمت حيدر آباد حتى عام ١٩٤٧، وكان هذا القائد محصوراً في (مالوه) بين نفوذ السادات في الشمال والجنوب حيث كان في الدكن حاكماً من قبل الاشراف، فرأى أن يتوجه بضربته أولاً للجنوب، وسار بجيشه سريعاً الى هناك، واستطاع ان يهزم قوات السادات، ويصبح سيد الدكن بغير منازع، وكان ذلك سنة ١١٣٣هـ ــ ١٧٢٠ م، وبلغت هذه الأخبار «أكرا» فطار صواب السادات، وقرروا أن يقوموا بعمل سريع لإنقاذ الدكن.

وسار الشريف حسين مع الملك الشاب على رأس جيش عظيم نحو الجنوب، وفي الطريق دبر الملك مؤامرة، وقضى على خصمه الشريف حسين حيث قتله غيلة في اثناء السفر وعلى كثير من السادات، وارتد بالجيش نحو الشمال ليقضي على الشريف عبد الله الذي أظهر الجلد والشجاعة تجاه هذه الأنباء المفجعة، وأخذ واحداً من أبناء الأسرة المالكة ونادى به ملكاً بدلاً من «ناصر الدين محمد شاه» الملك الثائر عليهم. وتلاقى الجيشان بين دلهي واكرا وانتهت بالقبض على الشريف حسن علي وذلك في صفر سنة (١١٣٣هـ ــ ١٧٢٠م). وارتفعت بعد ذلك أسهم نواب نظام الملك فاستوزره الملك سنة (١١٣٥ هـ ــ ١٧٢٢م) وقداشتبك هذا مع المراته في حروب عنيفة، وعلى ايامه هجم مبارز خان على اورنك آباد فاستطاع النظام من ردّه والسيطرة على الوضع لكنه لا هو ولا الملك محمد شاه ولاغيره من القوى الاخرى في الهند استطاعت ان تقف امام الغزو الهمجي لنادر شاه سنة ١١٥١هـ الذي عبر عنه أحسن تعبير الملك محمد شاه بقوله في بيت من الشعر يقول فيه ما تعريبه:

«ان شئوم أعمالنا ظهر في صورة نادر».

غزو نادر شاه

ينتمي نادر شاه واسمه الحقيقي (ندر قلي) الى (القرخلو) وهي أحدى الفروع الصغيرة من قبيلة أفشار التركمانية وكانت قد سكنت في ابيورد بخراسان، ونشأ (ندر قلي) يتيماً في حياة بائسة وحين بلغ الثامنة عشرة صار من رجال رئيس قبيلته الاشداء وازدادت صلته به فتزوج ابنته ثم ترقت اموره بعد ان كلفه محمود السيستاني صاحب خراسان بصد غارات الاوزبك فردهم ثم حلّ محلهم في السلب والنهب بخراسان واتصل نبأ شقاوته بملك ايران طهماسب الثاني فاستخدمه لضرب محمود السيستاني فنفذ امر الشاه وانتصر عليه وسرعان ما كسب نادر عطف الشاه فلقبه الاخير بــ (طهماسب قلي) أي تابع طهماسب وكانت علاقته بالشاه متقلبة ودخل في حروب كثيرة حالفه التوفيق في اكثرها

ومنها انتصاره على الافغان ودفعه للروس والعثمانيين وحاصر بغداد وهاجم القفقاز وداغستان وانتهى صعوده السريع بعزل الشاه عباس الثالث واعلان نفسه ملكاً لايران في ٢٤ شوال ١١٤٨هـ، وقد سعى منذ اليوم الأول لحكمه ان يجعل سلطنة ايران وراثية في اسرته ويقضي على المذهب الشيعي فقد كان على عداوة للصفويين لأن السلطنة ارثهم الشرعي، ويدين رواج المذهب الشيعي لهم بالفضل الا ان الايرانيين لم يكونوا راضين بهذا الأمر باطناً ولهذا كانوا يخفون عداوتهم لنادر لاسيما وقد اتصف بالقسوة والفظاظة التي فاقت حدّ التصور ومن ذلك عادة الاعماء (سمل اعين خصومه) التي اشتهر فيها، فكان اذا غضب على أحد سمل عيونه مثلما فعل بأحد رجاله رضا قلي ميرزا حين أمر بأخراج عينيه من حدقيتهما بالخنجر واعجب من ذلك انه شعر بالندم بعد ذلك فقتل خمسين من امرائه بحجة انهم لم يشفعوا له يوم الحادثة!

ومن جرائمه اقامته منارات من الجماجم في فارس وكرمان وغيرها وبعد غزوه لدهلي صار اكثر شراهة للؤم الطبع وحب المال والحرص.. بهذه العقلية الاجرامية فكر نادر شاه في غـزو الهـند واستباحتها، ومن اسباب تفكيره بالهند ان بعض الناقمين على ملك الهند محمد شاه كاتبوا نادر شاه يطلبون منه اصلاح الامور في بلاط الهند [باعتبار ان نادر شاه كـان مؤمـناً مصلي..!] او هكذا كان يظنه احد علماء الهند الذين كاتبوه وطلبوا منه التحـرك لنجدتهم وهو الشيخ ولي الله الدهلوي (الذي بلغ من تقديس الشيخ أبو الحسن الـندوي له ان جعل منزلته اكبر من منزلة الانبياء والصالحين)، ولم يكن محمد شاه بالنزيه ايضاً فقد افتتح امره ببذل الاموال على الناس، واشتغل باللهو واللعب، ولكن هذا لا يبرر الاسـتعانة بسلطة اجنبية من طراز نادر شاه السفاك الأشر وعلى كل حال فقد جعل هذا ديدنـه الوصول الى الهند فارسل السفراء الى دهلي يطلب من محمد شاه تجديد العلاقات مرة، ومنع دخول الافغان الخلجيين مرة اخرى، وكان محمد شاه يتغافل في الرد عليه وقيل ان احد سفراء نادر مكث في دهلي سنة لينتظر ردّ محمد شاه على رسالة نادر!.

وفي أوائل عام (١١٥١هـ) أرسل نادر أمرا مؤكدا الى دهلي يطلب عودة السفير بعجلة الى ايران فقد كان غاضبا لعدم ارسال سفيره، وتحرك لفتح غزنة وكابل وابنه نصر الله ميرزا للاستيلاء على شمال افغانستان. وبعد سيطرة نادر على هذه البلاد واقامة سبعة

شهور في كابل لما رأى عدم مبالاة محمد شاه في جوابه على رسائله تحرك الى جلال آباد، وتمكن من الاستيلاء على معابر الهند الشمالية الغربية ثم دخل في رمضان سهول البنجاب، وكان أن بلغه في بيشاور خبر مقتل أخيه ابراهيم خان ظهير الدولة بيد لزكي داغستان، فسير نادر اصلان خان قر خلو مكانه وصفي خان البغايرى لقيادة داغستان وتقدم هو الى دهلي.

معركة كرنال:

بعد عبور السند وفتح لاهور راسل نادر محمد شاه وذكره بالاصل المشترك لأسرة أفشار واسرة بابر ولامه على تعطيل سفرائه وقال (ان سفره للهند من أجل تأديب الأشرار الذين دفعوا بالشاه الى هذا التصرف).

وفي (سرهند) سمع نادر أن محمدشاه تحرك بثلاثمائة ألف مقاتل وألفى عربة مدفع من دهلي وأتى (كرنال) الواقعة على ساحل نهر جمنا وعلى بعد عشرين فرسخا شمال دهلي وكان ذلك في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١١٥١هـ.

وكان تصريف امور محمد شاه في هذه الأيام بيد ثلاثة أولهم نواب نظام الملك بهادر حاكم الدكن الذي لم يرسل جنوده بسبب نزاع نشب بينه وبين الشاه وكان حليفا لنادر في الخفاء بعقيدة البعض، وثانيهم خان دوران صمصام الدولة أمير الأمراء والقائد العام لجيش محمد شاه والثالث قمر الدين خان اعتماد الدولة صدر المملكة الأعظم ولم يكن احد هؤلاء الثلاثة على صفاء بالآخر ويسعى كل منهم لتحطيم الآخر في السر. واستطاع نادر بسهولة في منتصف ذي القعدة أن يوقع بجنود محمدشاه الذين لا حصر لهم في سهول كرنال مستعينا بقوة حاملي البنادق الماهرين في جيشه، وقتل خان دوران وأخوه، وذكر ان عدد قتلى الهند بلغ عشرين ألفا بينما بلغ عدد قتلى نادر اثنين وأربعين وجرحاه مائتين وكان أغلب أسباب هذا الأمر أن الهنود كانوا يحاربون بالأقواس والسهام بينما كان الايرانيون يقاتلون بالبنادق.

بعد هذا الفتح الكبير قدم نظام الملك الى معسكر نادر معتذراً وقرر أن لا يتعرض نادر الى روح محمدشاه وأمواله وحريمه ويُسرّح محمد شاه جيشه وأن يأتي الى مقر نادر بألف

من أتباعه، وبعد ثلاثة أيام يدخل نادر دهلي ويمكث أربعين يوما ضيفا على محمد، وبعد هذه الفترة يدع سلطنة الهند الى محمد شاه ويعود الى ايران.

وفي دخول محمد شاه خيمة نادر أرسل نصر الله ميرزا لاستقباله وأتى هو أيضا ليلاقيه وأجلسه على مسنده وأدى شروط الاحترام والاستقبال بما يليق!.

وتحرك نادر شاه برفقة محمد شاه من كرنال الى دهلي فدخلها في التاسع من ذي الحجة (١١٥١هـ) واستقبله محمد شاه بعد أن سبقه الى دهلي لاستقباله باجلال عظيم. وترك نادر في مجلس ضيافته كما وعد سلطنة الهند الى محمد شاه، ونثر محمد شاه جميع نفائس أجداده وخزائنهم احتفاء مقدم ملك ايران.

ولم يصدر عن أي هندي حركة عداء لمدة ثلاثة ايام من دخول جنود نادر دهلي بسبب الأحكام القاسية التي أصدرها الا أنه في الحادي عشر من ذى الحجة وقع النزاع بين عدد من أهالي المدينة وبضعة جنود من جيش نادر، وسرت في الأهالي شائعة أن محمد شاه دس السم لنادر في طعامه، فدفع انتشار هذا الخبر أهالي دهلي الى الثورة وقتل فيها جمع من جنود نادر.

وفي صباح اليوم التالي لما فهم نادر أن نحو سبعمائة من أتباعه قد لقوا حتفهم ولم يقدم واحد من أمراء الهند على اخماد الثورة أصدر أمر بقتل عامة أهل دهلي فشغل جنوده أنفسهم من قبل أن ينقضى هذا اليوم بثلاث ساعات حتى الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي بتنفيذ هذا الأمر القبيح فاحترق القسم الأهم من المدينة وقتل نحو عشرين ألفا وذكر بعض المورخين أن القتلى من الهنديين بلغ مائة ألف ونيفاً.. وفي النهاية أمر نادر بوقف المذبحة بشفاعة محمدشاه ونظام الملك وقمر الدين خان وعفا عن بقية الشعب.

وبعد بضعة أيام من هذه الواقعة زوج نادر أحدى حفيدات اورنكزيب بنصر الله ميرزا وامر محمدشاه بأن يخطب لنادر في جميع بلاده وتسكُّ باسمه العملة وأن يقدم الأمراء والأعيان هدية تليق بنادر اليه من الجواهر والنقد فأطاعوا طوعا أو كرها فنال نادرا من هذا ما يزيد عن سبعة ملايين ونصف مليون. وقُدِّرت قيمة النفائس التي غنمها نادر من الهند من ثلاثين مليون ليرة انجليزية الى سبعة وثمانين مليونا ونصف مليون وكان من

ضمنها (تخت الطاووس) والألماسة المعروفة (كوه نور) وأنعم نادر على كافة قواد جيشه وأمراء الهند بهدايا لائقة وتجاوز عن ضرائب ايران لثلاث سنوات (وان كان استعاد هذه الضرائب بالقوة من الايرانيين بعد ذلك) ووضع بيده تاج السلطنة على رأس محمدشاه، وأخلى محمد شاه البلاد في غرب السند وهي غزنه وكابل وقسم من البنجاب لنادر، وتحرك ملك ايران في السابع من صفر (١١٥٢هـ) من دهلي الى السند وقدمكث بها سبعة وخمسين يوما. كانت من اشأم الايام على الهند. اذ نـزلت هذه الفاجعة بأهل الهند نزول الصاعقة فأذهلت النفوس ويصور تلك الفاجعة مؤلف كتاب تاريخ هندوستان ٩/ ٢٧٢ بقوله:

لقد كانت المدينة (دهلي) بعد رجوع نادر شاه مليئة بالجثث والأشلاء فارغة من الأحياء، وكانت البيوت خرابا مهدمة يخيم عليها السكوت المهيب، وكانت الأحياء والحارات بأسرها محرقة تحولت إلى رماد، وكانت العفونة الصاعدة من الجثث والرياح الكريهة المنتنة تكاد تشق الدماغ وتفطره، ولم يكن هناك من يكفن أحدا، أو يدفن في القبر أحدا، وقد اختلطت جثث المسلمين والهندوس، واحترقت في ركام الى رماد، هذا حال المدينة، أما حال البلاد، فكان يغط في النوم أياماً فلما هبَّ من نومه، كانت القذارة تغطي عينيه حتى يتقزز من النظر اليه، ولم يكن في الخزانة فلس واحد، ولا يعرف أين الخراج والمحاصيل، وكان الجيش محطما منهوكا هالكا، وعلاوة على كل ذلك كان الخوف من المرهتة لا يزال مسيطرا، وقد خربت تلك الولايات التي كانوا استولوا عليها، ورغم كل هذه المصائب والمحن كان النـزاع قائماً بين أهل البلاط والحاشية، فكان فريق من الأمراء التورانيين الذين كان على رأسهم آصف جاه وقمر الدين خان الوزير، وفريق آخر للأمراء الآخرين الذين كانوا يحاولون عزلهم وإبعادهم عن البلاط، وكان الملك أيضا يعد منهم، ولو لم تقع قضية المرهتة ولم تواجههم مشكلتهم لكان هؤلاء الأمراء قد توزعوا المملكة فيما بينهم من زمان، وتركوا الأسرة التيمورية اسماً بلا رسم.

ولما رجع نادر شاه من الهند كان من أولى نتائج رجوعه أن انفصلت ثلاث ولايات مخصبة، بنغاله، بهار، واريسه، من حكومة دلهي، وقامت فيها حكومة مستقلة لعلي وردى خان وفي (روهيل كند) بالقرب من دهلي قام الافغانيون بمأساة فضيعة حين اعلنوا

عصيانهم وأخذوا يعتدون على القرى والضياع فينهبون ويسلبون، ثم أنهم أثاروا الفلاحين ثورة دموية عرفت باسم ثورة (الجات) أي الفلاحين وشهد عهد محمد شاه بعد غزو نادر شاه تمرد افغاني اكثر خطورة من اقربائهم في (روهيل كند) فقد قام احمد الابدالي زعيم القبيلة السدوزية، وهي أقوى القبائل الأبدالية، واستولى، سنة ١٧٤٧، على قندهار وما يليها من البلاد الايرانية وأعلن إمارته عليها وتلقب بـــ «أحمد شاه» ثم إنه اهتبل غفلة جارتيه، إيران والهند، فاستولى على لاهور. هنالك استيقظ محمد شاه من غفلته وعزم على السير لقتاله، ولكنه، بسبب مرضه، لم يستطع تولي قيادة الجيش بنفسه، فعهد بالقيادة الى ابنه الأمير أحمدوالى القائد فخر الدين خان، والتقى الفريقان في سرهند، فدارت الدائرة على أحمد شاه أبدالي وحزبه، وارغم على طلب الصلح، فأجيب الى طلبه شريطة أن يأتي بنفسه الى الأمير أحمد يقدم خضوعه. وبدهي ألا يقبل أحمد شاه مثل هذا الشرط، فاستؤنفت الحرب وكتب النصر للجيش الهندي، وفرَّ الأفغانيون من الميدان، وقد اراد الأمير احمد مطاردتهم ولكن صفدر جنك الذي تولى القيادة بعد قمر الدين، الذي قتل في المعركة، لم يسمح للأمير بالتقدم إلى ما وراء حدود البنجاب فتوقف. ثم إن السلطان محمد شاه أمر ابنه بالعودة إلى دهلي وعين «معين الملك» والياً على البنجاب وأمره بمطاردة الأفغانيين، ولم تمض أيام على رجوع الأمير الى العاصمة حتى توفي السلطان في ٢٦ ربيع الآخر ١١٦١هـــ / الموافق لا بريل عام ١٧٤٨ م وكانت مدة حكمه تسعاً وعشرين سنة وستة أشهر، فخلفه هو وتلقب بـــ «مجاهد الدين»، وقد جاء الملك في وقت لا يصلح أمثاله لمثله لأنه كان سفيهاً خليعاً لا يخرج من جناح الحرم إلا مرة في الأسبوع، وكانت أمور الدولة بين يدي أمه وخصي اسمه «جاويد».

أحمد شاه مجاهد الدين

(١١٣٨-١١٦٧هـ/ ١٧٢٥ -١٧٥٤ م)

أحمد شاه بهادر مجاهد الدين أبو نصر ابن محمد شاه حكم بعد أبيه ست سنين وبضعة اشهر، وكان ضعيفاً خليعاً كما تقدم فلم يكن له من السلطة الا اسمها والعمل للمحيطين به من الوزراء والحاشية، ولم تكن البلاد كما كانت بعد ان جاس نادر شاه خراباً بها وسلب خزائنها وكان من آثار ذلك الغزو ان انكمشت سلطنة دهلي على عهد مجاهد الدين الى امارة صغيرة ضعيفة مما زاد من اطماع المراتيه والسيك حتى سيطروا على الدكن والبنجاب ودخلوا العاصمة، واثار هذا شهية احمد شاه الابدالي الذي كان مسيطراً على لاهور فاعدّ العدة لاجتياح الهند، وفي هذا الوقت ازدادت حدة الخلاف بين اكبر رجال الدولة وهم صفدر جنك الحاكم الفعلي والذي طرد المراتيه من دهلي واراد السيطرة على العرش فتحداه عماد الملك غازي الدين حفيد نظام الملك آصف خان واجبره على الرجوع الى اوده التي كانت شبه مستقلة وكان هو واليها وفيها مات بعد قليل، وخلفه ابنه شجاع الدولة.

ثم نشأ خلاف بين عماد الملك بين السلطان نفسه انتهى بقبض عماد الملك على السلطان وابنه وفقأ عينيهما سنة ١١٦٧، واجلس مكانه على العرش عالم كير الثاني سنة ١١٦٧هـ ـــ ١٧٥٤ م.

توفي احمدشاه مجاهد الدين عام ١١٨٩هـ ـــ (١٧٧٥).

عالم كَير الثاني عزيز الدين
(١٠٩٩ ـ ١١٧٢هـ/.... ـ ١٧٥٩م)

هو عزيز الدين بن معز الدين جهان دار شاه تولى الملك وله سبع وستون سنة ولقبوه بعالم كَير الثاني وصار الحل والعقد بيد عماد الملك وكان عماد الملك صاحب همة ولكنه كان قليل التجارب لأنه كان شاباً، ولذا فإن أعماله لم تكن قائمة على خبرة وواقعية بل على طموح وحماس، والملك لا يساس بالعواطف وحدها بل لا بد له من التجارب والحكمة والسداد، ولعل عماد الملك أراد أن يدعم مركزه بحرب خاطفة ثم يعود إلى الاصلاح الداخلي، ولذا فإنه عزم على استرجاع بلاد البنجاب من يدي أحمدشاه أبدالي، الذي كان يسيطر عليها، لضعف وعجز واليها.

ولكنه لم ينشأ عداوة سافرة بينه وبين أحمد شاه، بل لجأ الى الحيلة وذلك أن بنت معين الملك كانت مخطوبة إليه من قبل، فذهب إلى لاهور سنة ١٧٥٧ فجأة، وبعد أن ضم إليه زوجته نصب أحد رجال حاشيته «آدينة بك» واليا على البنجاب، متجاهلاً بذلك وجود الوالي الذي نصبه أحمد شاه، فلما سمع أحمد شاه بهذا التحدي غضب وزحف إلى لاهور، فخاف عماد الملك العواقب وطلب العفو والصلح من أحمد شاه، ولكن هذا لم يشأ أن تفوته هذه الفرصة فاستمر في سيره حتى دخل دهلي سنة ١٧٥٨ واستباحها وارتكب فيها أفظع الآثام والجرائم حتى جعل كثيراً من أصحاب المروء والشرف ينتحرون إذا ما عجزوا عن الفرار بكرامتهم من وجهه. بيد أن عماد الملك لم يبال بما حدث بل استطاع أن يستثمر هذه الفاجعة، التي نزلت ببلاده، لصالحه الشخصي، إذ أنه أقنع أحمدشاه بلزوم مقاتلة أمير أوده، شجاع الدولة، فرضي أحمدشاه بذلك ووضع تحت أمرة عماد الملك جيشاً أفغانياً لهذه الغاية، ولم تكن لأحمدشاه أية مصلحة في هذا العمل بل كانت مصلحته تقضي ببقاء شجاع الدولة قوياً ليظل منافساً لدهلي، ولكن

عماد الملك خدعه فانخدع وأدرك خطأه بعد فوات الوقت.

أما عماد الملك فقد ذهب الى أوده وأرغم خصمه شجاع الدولة، وجبى من بلاده أموالاً طائلة برسم الخراج، فدعم بذلك مركزه. فلما أدرك أحمد شاه ما كان ينطوي عليه عماد الملك من حيلة ودهاء، خشي أن ينقلب عليه متى رجع الى دهلي لا سيما بعد أن لمس عجز السلطان وضعفه، ولذا فإنه حينما أراد مغادرة دهلي، رأى من اللازم مراقبة أعمال الملك فنصب أحد أمراء الأفغان «نجيب خان» قائدا أعلى لدى السلطان عالمكَير، لهذه الغاية.

فلما بلغ هذا الخبر عماد الملك حالف المرهتهيين على أحمدشاه وجاء دهلي بجيش كبير، فخافه نجيب خان وترك دهلي وفرّ، فدخلها عماد الملك واستلم السلطة بقوة وحزم، وقد ساء ظنه بعد قليل بالسلطان عالمكَير، فاخذه وقتله سنة ١١٧٢هـ بتهمة التآمر مع أحمد شاه، ولم ينصب مكانه أحد، وأصبحت بلاد الهند كلها فوضى، بحيث نستطيع القول بأن السلطة في الهند لكها لم تكن، آنذاك، لأحد من الناس بل كانت لمن غلب.

محي السنة بن كام بخش

(..... ـ ١١٧٢هـ/١٧٥٨م)

هو محي السنة بن كام بخش بن عالم كير الثاني، أجلسه على العرش عماد الملك، ولقبه (شاه جهان الثاني) واصبح اسم السلطة له مدة قصيرة جداً، اذ لم يكد عماد الملك يفرغ من تعيين هذا السلطان حتى كان الابدالي قد وصل الى شمال الهند لطرد المراتيه من لاهور وكان عماد الملك هو المحرض للمراتيه ضد الافغان بعد ان عجز عن تحريض الملك ضدهم ايضاً وهذا ما اثار حنق احمد الابدالي ضد عماد الملك فصمم الابدالي على التخلص منه نهائياً، ذلك ان الابدالي حينما غادر دهلي قاصداً افغانستان بطريق البنجاب خلف ابنه تيمور شاه والياً على لاهور، ولكن آدينه بيك، والي البنجاب من قبل عماد الملك، كان لا يزال يسيطر على شرق البنجاب والمناطق الجبلية ويحرض السيك على قتال الأفغانيين، ثم إنه لما رأى عجزه عن طرد تيمور شاه من لاهور، استنجد بالمرهتهيين، فأنجدوه بجيش كبير، فخاف تيمور شاه وفرَّ من لاهور فدخلها آدينه بيك، وقنع المرهتهيون منه بخراج يؤديه اليهم جزاء مساعدتهم إياه. ثم لما توفي آدينه بيك سنة ١٧٥٩ أعطى المرهتهيون أرملته منطقة «جلندهر» إقطاعاً، ونصبوا على لاهور والياً من قبلهم، إذ لم يكن من يدعي السيطرة عليها أو من يستطيع أن يؤيد حقه فيها.

وحدثت اضطرابات في البنجاب فجاء أحمد أبدالي لقمعها، فترك المرهتهيون لاهور وفروا، فطاردهم حتى التقى بهم عند سرهند فهزمهم، فارتدوا إلى الوراء ينظمون صفوفهم، فلحق بهم وأوقع بهم شر هزيمة بالقرب من دهلي، ثم استولى على دهلي، إذ لم يكن فيها من يدافع عنها، وذلك لأن عماد الملك غادرها، بعدأن سمع بهزائم حلفائه المرهتهيين، ملتجئاً إلى إمارة بهرتبور، وهي الإمارة التي أنشأها الفلاحون ـــ جات (الزط) ـــ كما أن الأمير «عالي كهر» ابن السلطان عالمكَير الثاني، والذي كان من حقه أن

يكون سلطاناً على البلاد بعدمقتل أبيه، والذي أصبح فيما بعد سلطاناً باسم «شاه عالم الثاني» كان قد فرَّ من البلاد، من قبل، خوفاً من عماد الملك، وذهب الى البنغال وأخذ يعمل لإقامة إمارة له فيها.

وهكذا فقد كان الجو خالياً في دهلي، وكانت بحاجة الى من يستولي عليها لكي يكفل الأمن فيها ويحميها من اللصوص والعيارين. وبعد أن أقام أحمد شاه فترة قصيرة في دهلي، خلف فيها حامية وذهب الى سهول ما بين نهري جمنا والغنج ينظم صفوفه للاستعداد للمعركة الحاسمة، وقد استطاع أن يستميل شجاع الدولة (ملك اود) اليه لقتال المرهتهيين الذين أخذوا يجمعون جموعاً كبيرة لخوض معركة تقرير المصير، وقد استنجدوا بإخوانهم وحلفائهم في دكن، وكان جيش نظام الملك جيشاً عظيماً فامدهم بجنود كثيرة بلغ تعدادهم ثلثمائة الف مقاتل، تسندهم مدفعية قوية كان على رأسها ابراهيم خان كاوري المسلم الذي تعلم فنون المدفعية الحديثة من الفرنسيين في الدكن وكانت فرقة المدفعية تتكون من ١٢ الف رجل و ٢٠٠ مدفع وعلى رأس الجيش كله القائد المراتي (سدى شيوكو) المعروف باسم (بهاو)، فتحرك هذا الجيش للقضاء على الابدالي والذي كان جيشه متواضعاً بالنسبة الى جيش عدوه اذ كان يتألف من اربعين الف مقاتل و ٤٠ مدفعاً ووصل المراتيه الى دهلي من غير أن يلقوا مقاومة تذكر لأن الأفغانيين لم يستطيعوا ان يدافعوا عن البلد أكثر من بضعة أيام فانسحبوا منه، وبعد أن ارتاح الجيش الهندوكي أياماً في دهلي سار للقاء الأفغانيين وعسكر في سهل باني بت، وهناك وقعت المعركة الحاسمة بين الأفغانيين وحلفائهم الروهيليين، من جهة، وبين المرهتهيين وحلفائهم الدكنيين، من جهة ثانية وذلك سنة ١١٧٤هـ ــ ١٧٦٠ م وعلى الرغم من أن الروهيليين لم يشتركوا في القتال، ومن أن الجيش المرهتهي كان يزيد كثيراً على الجيش الافغاني، فقد كتب النصر في هذه المعركة للأفغانيين على أعدائهم، وانهزم المرهتهيون شر هزيمة حتى ليقال أن عدد قتلاهم بلغ مئتي ألف جندي. ولاذ الباقون بالفرار. وبهذه الموقعة الفاصلة ومع ازدياد النفوذ الانكليزي فيمابعد تحطمت آمال المراتيه في النصر والسعي لنيل السلطة المركزية في جميع انحاء السلطنة المغولية التي آذنت شمسها بالغروب.

شاه عالم الثاني

(.... ـ ١٢٢١هـ /.... ـ ١٨٠٦)

هو عالي كَوهر بن عزيز الدين بن معز الدين جهان دار شاه، نادى به احمد الابدالي سلطاناً على الهند وذلك بعد مقتل سلفه ولكن (شاه عالم الثاني) كان في البنغال فأقام الابدالي مكانه ابنه «جوان بخت» فلما سمع بذلك قدم دهلي وجلس على سرير الملك ولقب نفسه (شاه عالم) الثاني وكان ذلك بمساعدة النواب شجاع الدولة صاحب أوده فاستوزره.

وكانت توليته الملك عام ١١٧٣هـ الموافق لعام ١٧٥٩ م ولكن عودته من البنغال استغرقت وقتاً طويلاً وكان هذا الملك أديباً شاعراً يتلقب في شعره بـ (آفتاب) لكن عهده الذي امتد الى ٤٧ عاماً اتصف بالانحطاط السياسي، وقد كانت البلاد كلها قبل عهد الشاه عالم الثاني بزمن، تحت رحمة السيخ والمرهتة، وكانت مناطق دهلي وآكره وراجبوتانه تحت رحمة الزط (الكاوليه)، الذين كانوا يعيثون فيها فسادا، ويخرجون كالطوفان ويهلكون الحرث والنسل، ولم تكن في البلاد قوة تملك أن تبسط الأمن وتفرض القانون، وقد حفظ أحمد شاه الأبدالي هذه البلاد من خطر المرهتة بعد أن هزمهم في ساحة بانى بت ـــ كما تقدم ـــ وحين توفي أحمد الابدالي سنة (١١٨٧ ـــ ١٧٧٣م) ولم تستعيد السلطنة ومقرها في دهلي تلك المكانة التي كانت تتمتع بها بل كانت امارة من الامارات الهندية الكثيرة التي انبثعت عن انحلال وتفكك عرى الامبراطورية المغولية، وقدعادت قوة المراتيه الى الظهور من جديد حتى ان شاه عالم الثاني نفسه استنجد بهم سنة ١٧٧١ لاخضاع ولاياته الشرقية ففسح أمامهم المجال للتدخل في شؤونه والسيطرة على بلاطه، وفي سنة ١٧٨٤ أصدر السلطان براءة تنص على جعل وزراء الامارة المراتيه الذين كانوا يطلقون عليه اسم «بيشوا» نائباً عنه في الهند كلها، وهي براءة لها مغزاها المعنوي، وان لم يكن لها أي اثر فعال في الحق العملي، ونظراً لعدم تمتعه

بالاستقلالية التامة فقد اختارت القوة المناهضة له منافسين له من اقربائه ونادت بهما، امبراطورين وهما شاه جهان الثالث سنة ١٧٥٩، وبيدار بخت سنة ١٧٨٨، على أن الحدث الأبرز في حياة هذا الرجل هو تدخله في شؤون البنغال بعد أن اصبحت مسرحاً للنفوذ الانكليزي، وقد كان يحدوه الامل في استعادة شئ من هيبة السلطنة هناك ولكن فشله هناك افقده ما بقي لديه من هيبة حتى مقر حكمه بدهلي وانتهى الامر بالدسائس الانكليزيه أن صيّرته موظفاً يتقاضى معاشاً منهم، ونظراً لأهمية احداث البنغال وكونه الباب الذي دخل منهم الانجليز لاستعمار الهند نلقي هذه النظرة العاجلة. اذ استفرد الانكليز باحتكار التجارة في البنغال بعد غياب منافسيهم الهولنديين والفرنسيين نظراً لانشغالهم بالحروب الاوربية، ثم قويت شوكتهم واخذوا يتدخلون في الشؤون الداخلية للبنغال مما اثار حفيظة الامير سراج الدولة فسار الى مركز الشركة الانجليزية بكلكته سنة ١٧٥٦ بجيش كبير واشتبك مع الحامية الانكليزية وقبض على مئة وسبعين انكليزيا اتى بها الى مرشد آباد عاصمة البنغال وكان لهذا الحدث صدى واسع في انكلترا واجمع الانكليز امرهم على الثأر والبدء بتنفيذ مخططهم لاحتلال البنغال فهاجموا مرشد آبادوهزموا حاميتها الا ان امير مرشد آباد لم يستسلم فدرس الانكليز امر القضاء عليه مع الحاقدين على الامير من حاشيته لا سيما قريبه مير جعفر خان الذي شجعهم على اقتحام مركز الامارة فتوجه الانجليز اليه ولما اشتبك الجيشان فرّ اكثر انصار سراج الدولة وبقي يقاتل في فئة قليلة حتى انه استطاع ان يكسب المعركة اولاً ولكن بعد قتل رئيس الحرس عنده تفرق انصاره وقبض الانكليز على الامير سراج الدولة ثم امروا بتقطيعه ارباً ارباً وهي حي، وهذه الواقعة كانت بمكان يعرف بـــ (بلاسي).

وقام الانجليز بتولية مير جعفر خان اميراً للبنغال، واستخدموا لقتل منافسيهم الآخرين في البنغال وجعلوا منه بقرة حلوب ترفدهم بالاموال والغنائم حتى ليقال ان عطاياه لهم بلغت مليونين ونصف مليون روبية من الذهب، كما تنازل لهم عن مناطق ثم بدا للانكليز عزل مير جعفر خان ونصبوا مكانه مير محمد قاسم بعد ان انتزعوا من الاخير اعترافاً بالتنازل عن ثلاث مناطق من البنغال لتكون اقطاعاً للشركة تستثمرها لتستعين بها على تأليف جيش من الهنود لحمايتهم. وزادت الطلبات على مير محمد قاسم حتى ضاق ذرعاً بتلبيتها واستحال عليه ارضائهم.

وفي هذه الفترة جاء السلطان شاه عالم إلى البنغال وأراد أن يظهر بمظهر السيد صاحب الأمر والنهي، كما أسلفنا، فلم يأبه له كارنك، وتوترت العلاقات بين الجانبين، فأعلن كارنك الحرب على السلطان باسم مير محمد قاسم، وهو فرد من أفراد رعية السلطان، ولم يعلن عصيانه عليه، وقد حارب كارنك السلطان بجنود وانتصر عليه وألقى القبض على قائده الافرنسي وأرغم السلطان على منح الانكليز حق الاشراف على مالية البنغال. وكان بتصرفات السلطان هذه إحراج لـــ «مير محمد قاسم» لأنه لم يعد يستطيع أن يقف في وجه الأطماع الانكليزية ما داموا قادرين على أن يأخذوا من السلطان ما لايعطيهم هو إياه.

وعلى الرغم من أنه لم يكن للسلطان شيء من الأمر أو النهي في البلاد، إلا أنه كان رمزاً، ورأى الانكليز أن مصلحتهم تقضي بأن يتخذوه درعاً وأن يولوه كل أهمية لينتزعوا منه كل شيء، ولما لم يعودوا بحاجة إلى مير محمد قاسم ما دام لديهم جيش وما داموا يتصرفون بمالية البنغال، فقد افتعلوا أسباباً للنزاع معه وقاتلوه ثلاث مرات متواليات ودحروه، ولكنه لم يجبن ولم يستسلم وكان قادراً على الاستمرار في المقاومة لو لم يخنه قائده «ميرزا نجف خان» وينضم إلى الانكليز ويطلعهم على عورات البلاد، إذ أخذهم الى مكان مرتفع يجعل مير محمد قاسم تحت رحمة مدفعيتهم، فقصفوه ليلاً قصفاً ذريعاً حتى شتتوا شمله ففرَّ ملتجئاً الى أمير اوده، شجاع الدولة، فانتصر له كما انتصر له السلطان نفسه. أما الانكليز فإنهم عادوا من جديد ونصبوا، إثر فرار مير محمد قاسم، أي سنة ١٧٦٣، مير جعفر خان والياً على البنغال، فلما مات، سنة ١٧٦٥، نصبوا ابنه نجم الدولة مكانه وجعلوه هيكلاً لا صلاحية له حتى مات.

أما مير محمد قاسم فإنه لم يكن أسعد حظاً عند شجاع الدولة منه عند الإنكليز، إذ أن شجاع الدولة، بعد أن وعده النجدة والنصرة، عاد ونكث العهد وخان الود وسجنه عنده واستولى على جيشه وأخذ يعمل ليضم جزءاً من بلاد البنغال إلى أوده، ولكن الإنكليز الذين كانوا يطمعون مثله بإرث مير محمد قاسم لم يتركوه يستأثر به بل عملوا حتى استمالوا إليهم السلطان شاه عالم وحالفوه على قتال شجاع الدولة، واشتبكوا معه سنة ١٧٦٤ بمعركة في مكان يعرف باسم «بكسر» فهزموه ثم صالحوه على غرامة يؤديها

لهم وعلى أن يتنازل لحليفهم السلطان عن مدن كانبور واله آباد وفتحبور وملحقاتها.

وخرج الانكليز من هذه الصفقة بحصة الأسد، إذ انهم عقدوا سنة ١٧٦٥، مع السلطان معاهدة تعرف باسم معاهدة اله آباد، تنص على إعطائهم حق الاشراف المالي على الولايات الشرقية وعلى ولاية كرناتك في الجنوب الهندي، وتنازل لهم عن منطقتي «مدنابور» و «بردوان» وغيرهما من المناطق التي كانوا يدعون ملكيتها الخاصة بداعي أنها قدمت هدية شخصية إليهم من قبل أمير أوده، وتعهد الانكليز لقاء ذلك بأن يدفعوا للسلطان خراجاً سنوياً عن الولايات الشرقية: بهار وأريه والبنغال، قدره مليونان وستمائة ألف روبية.

وإعطاء السلطان الانكليز حق الإشراف المالي لا يعني أكثر من مفهومه اللغوي، أي أن تقوم لجنة مالية من خبراء الانكليز بالإشراف على مالية البلاد لتدفع عنها العجز، ولكن المفهوم الحقيقي في ذهن السلطان وفي ذهن الانكليز معاً كان في الواقع بيع هذه البلاد بيعاً باتاً لهذه الشركة التي اصبحت دولة قائمة برأسها لها جيشها وادارتها ومنظماتها، وكان السلطان مغلوباً على امره.

وفي سنة ١٧٦٥ وقع معاهد خول بمقتضاها شركة الهند الشرقية، حق ديواني، أي مراقبة إيرادات البنغال وبهار وأوريسا، على أن الشركة لم تقبل الواجبات والمسئوليات التي ألفتها المعاهدة على عاتقها إلا بعد سبع سنوات. وأراد شاه عالم أن ييسر أمر عودته إلى دهلي وألقى نفسه في احضان المراته وتنازل لهم عن ناحيتي إله آباد وكره اللتين خصصتا له ضماناً لمعاشه، وفقد بهذا الحلف صداقة الشركة والخراج أو الراتب الذي كانت قد خصصته له وقدره ٢,٦٠٠,٠٠٠ روبية. وعاد شاه عالم من إله آباد الى دهلي سنة ١٧٧١ م بعد عشر سنوات وقد فات الأوان وواجه فتناً جديدة، صراعاً بين الأمراء وتحايلهم وتنازعهم، وقوة «روهيله» الجديدة، وحملات السيخ، وأخيرا استولى غلام قادر روهيله حفيد نجيب الدولة على دهلي عام ١٧٨٨م ونهب القصر الملكي وامر بضرب الأميرات بالسياط، وأخرج عيني الملك المغولي ووارث العرش التيموري بضربة الخنجر، ولم يكن قد سبق أن عومل وارث العرش المغولي بهذه المهانة والفضيحة والعار.

وقتل مهارجي سندهيه غلام قادر عام ١٧٨٩ م بقسوة فظيعة، وأجلس شاه عالم على العرش مرة ثانية، وعين تسعمائة ألف روبية سنويا لمصروفاته، ودخل عام ١٨٠٣ م اللورد ليك بجيشه الانكليزي في دلهي بعد حروب عديدة، وأجلى المرهتة، وقرر للملك المتقاعد راتب مائة ألف روبية سنوياً. ولقى شاه عالم أجله عام (١٢٢١هـ / ١٨٠٦م) قضى منها ١٨ عاما في العمى.

أكبر شاه بن شاه عالم

(... ـ ١٢٥٤هـ/ ... ـ ١٨٣٧ م)

حين مات شاه عالم تولى بعده ولده اكبر شاه ومنذ عام ١٨٠٦ ورتب له الانكليز راتباً مقداره خمسمائة وستاً وسبعين الفاً من الروبيات، ثم جعلوها مائة الف.

وبالرغم من الوجود الرمزي لهذا السلطان فقد كان هذا مما يُورق المحتلين الانكليز، وعلى عهد الحاكم الانكليزي مركيز هيستنكز بعد عام ١٨١٣ م اراد هذا الحاكم الحدّ من تأثير السمعة التي يتمتع بها السلطان اكبر شاه والحب الذي يتمتع به من مواطنيه فاوعز الى كل من امير حيدر آباد وامير أوده بان يتلقبا بلقب سلطان، فرفضا، ثم أن هيستنكز لم يستطع أن يمضي في خطته لتشويه سمعة السلطان لا نقضاء مدته عام ١٨٢٣ وجاء من بعده إيمرست Emmerst ثم وليم بنتنك Bentinck ثم اللورد اولكند Ocklond عاصر اكبر شاه كل هؤلاء وقد شغلوا جميعهم باخضاع بقية انحاء الهند وبدأوا يتصرفون وكأنهم اصبحوا سادة الهند، مع ان دهلي كانت في يد السلطان وما زالت الهند تدين له بالطاعة الاسمية ومع ان الشركة كانت تعتبر نفسها (من الناحية الشكلية) تعتبر نفسها وكيلة تعمل لصالح دهلي الذي كانت النقود تصّك باسمه حتى عام ١٨٣٥ أي قبل وفاة اكبر شاه بن شاه عالم حتى سنة (١٢٥٤هـ ـ ١٨٣٧م) وعلى عهد ولده السلطان بهادور شاه الثاني نفذت خططهم بنفي الملك والقضاء نهائياً على اسم السلطنة المغولية (كما سيأتي).

محمد بهادر شاه ظفر

(١١٩٠ ـ ١٢٧٩هـ/ ١٧٧٣ ـ ١٨٦٢ م)

هو ابو المظفر سراج الدين محمد بهادر شاه الملقب بـــ (ظفر).

ثاني أبناء محمد اكبر شاه الثاني (ت ١٢٥٣هـــ ـــ ١٨٣٧م) ابن شاه عالم الثاني (ت ١٢٢١هـــ ١٨٠٦م) ابن عالم كَير الثاني بن جهان دار بن شاه عالم بهادر شاه بن اورنك زيب بن شاه جهان..

تولى الملك بعد وفاة والده محمداكبر الثاني في ١٧ سبتمبر ١٨٣٧ م وهوآخر ملوك الدولة المغولية في الهند، وكان عمره حين تولى العرش ستين سنة، وكان هذا الرجل من حكماء عصره، هادئاً رزيناً متديناً شاعراً اديباً خطاطاً، لكن جاء في زمان لا يقدر النبوغ أو العبقرية بل السيادة للقوة والتعنت والبطش الانجليزي الذي بلغ في زمانه حداً كبيراً جداً ولم يكن الرجل مبسوط اليد لأن شركة الهند الانجليزية هي التي كانت تدبّر امور الهند بما فيها نفقات هذا الملك الصوري الذي كان حكمه لا يتجاوز القلعة الحمراء التي كان يحكمها لكنه بالرغم من ذلك كان حبه يعتمر في قلوب وأفئدة الهنديين من مسلمين أو هنادك لما كانوا يعتبرونه رمزاً وطنياً سيادياً مقدساً، وكان الرجل يتصرف كملك في كل حركاته وسكناته ويبادل شعبه حباً بحب ولا يعطي الدنيَّة من نفسه ولم يهادن الانجليز مطلقاً، ولم يعد الحاكم الانجليزي يومذاك اللورد كاينك Kenning يطيق وجوده وفي الوقت الذي بلغ كره الناس للانجليز حداً بعيداً في النفوس اصدر الحاكم المذكور امراً أبلغ بمقتضاه سلطان دهلي، بهادر شاه، وهوالبقية الرمزية الباقية من ذكريات الامبراطورية المغولية، بانه يعتبره آخر شخص يسمح له بحمل لقب سلطان، من هذه الأسرة، وآخر من يحق له عقد مجالس سلطانية وسكنى القصر السلطاني المعروف باسم «قلعة معلّى».

أو بعبارة اخرى عن جميع الامتيازات التي كان يتمتع بها، على اعتبار أنه سلطان،

تنتهي بموته، وأن ولده وإن كان سيعتبر وريث هذه الأسرة وسيعطى راتبه المخصص له، إلا أنه سيكون فرداً من أفراد الشعب ليس إلا.

وقد نزل هذا الانذار على الهنود نزول الصاعقة لأنهم كانوا يعتبرون السلطان، على ضعفه وعجزه، رمز السلطة الوطنية. ولو نظرنا إلى هذا الأمر بعين مجردة لما رأيناهم على حق فيما ذهبوا إليه، إذ ماذا يفيدهم وجود السلطان في قصر والبلاد كلها قد خرجت من ايديهم ؟ ولكن لا حيلة في تفكير العوام.

فلما تجمعت كل هذه الاسباب أصبحت نفوس الناس مضطرمة تنتظر من يشعل فتيلها لتنفجر، وقد هيأ الانكليز أنفسهم أسباب ذلك إذ أنهم أخذوا منذ سنة ١٨٥٧ يستعملون نوعاً من الرصاص له فتيل مغموس بالشحم يجب أن يقطع طرفه بالأسنان قبل استعماله، فشاع في أوساط الجند أن الفتيل مغموس بشحم البقر والخنزير، بقصد إفساد عقائد الهنادكة، الذين يقدسون البقر ولا يجيزون ذبحها، وعقائد المسلمين الذين لا يأكلون الخنـــزير.

وإزاء هذه الشائعة امتنع تسعون جندياً، من حامية ميرتها «ميرت» قرب دهلي، عن استعمال هذا الرصاص، فأخذوا وحوكموا، وحكمت عليهم المحكمة بالسجن عشر سنوات مع الاشغال الشاقة، ولإرهاب الجند أتى الانكليز بهؤلاء الجنود وجردوهم من لباسهم العسكري ووضعوا الأغلال في أيديهم على أعين رفاقهم ثم ساقوهم إلى السجن. فكان لهذا الاستفزاز رد فعل في نفوس الجند، غير ما كان يتوقعه الانكليز، إذ انه لم يرهبهم بل بعث في نفوسهم حب الثأر، وفي اليوم الثاني لهذا الحادث أعترضوا ضباطهم الانكليز وهم ذاهبون الى الكنيسة فأخذوهم وقتلوهم على بكرة أبيهم، وانطلقوا الى السجن فاخرجوا من كان فيه من السجناء جميعاً وأعلنوا العصيان، وانضم إليهم المدنيون وأخذوا يقتلون الانكليز رجالاً ونساء شيوخاً واطفالاً، وأشعلوا النار في منازلهم، فكان ذلك إيذاناً بنسوب ثورة شملت الهند كلها أفرغ خلالها الهنود مراجل أحقادهم، على الانكليز الذين سلبوهم بلادهم وأموالهم وكرامتهم وعقائدهم، وقد ارتكب الفريقان من الاعمال الوحشية ما لا يليق بإنسان أن يرتكبه مع حيوان أعجم بله إنسان ناطق، ولكن الإنسان كان ولا يزال أشر حيوانات الأرض طراً وأكثرها ضراوة وضراً إذ ما استفز أو

أثير، والقليل من الامور يستفزه ويثيره.

فلما حدث ما حدث في ميرتها فرَّ مَن بقي من الحامية الانكليزية، يستنجدون بدهلي، ولكن أخبار الثورة كانت قد سبقتهم إلى دهلي التي اقتدت بميرتها (ميرت) ونزلت على الانكليز تقتلهم حيثما وجدوا، وطارت الانباء في الهندتحمل البشرى بقرب الخلاص، فثار الجند في كل مكان وانتشرت الثورة في الهند انتشار النار في الهشيم، فكانت ثورة شعبية عامة ساهم فيها المسلمون والهنادك سواءاً بسواء، وتوجه الثوار الى دهلي مقر الملك المغولي الأخير سراج الدين بهادر شاه، وجعلوه قائداً للثورة ورمزاً للوطنية الموحدة والكفاح الشعبي ونادوا به ملكاً للهند شرعياً، وخليفة آبائه ملوك الهند الصناديد المغول الأباطرة، وقاتل الثوار في كل بقعة من بقاع الهند تحت رايته وباسمه، ينظرون إليه كزعيم للجهاد الديني والوطني، وينظرون إلى دهلي كعاصمة الحكومة الهندية الدائمة ولم يشذ عن ذلك شاذ.

وبالرغم من أن هذه الثورة أو حرب التحرير ـــ كما يصح أن تسمى ـــ كانت شعبية عامة يقاتل فيها المسلمون والهنادك جنباً بجنب، ولم تعرف الهند حماسة وطنية ووحدة شعبية قبل هذه، كان للمسلمين السهم الأكبر في القيادة والتوجيه، وكان منهم العدد الأكبر والأهم من القادة والزعماء.

وحيث ان الثورا نادوا باسم السلطان بهادر شاه وأرادوا أن يقاتلوا تحت رايته أو أن يتخذوه رمزاً لثورتهم، على الرغم من عدم رغبته هو نفسه بذلك لقلّة همته وكبر سنه، فقد رأى الانكليز أن يقضوا على رأس الثورة في دهلي ليقضوا على آمال الثوار فيها ثم يتجهوا الى النواحي الثائرة، وهكذا كان واستولى الانكليز من جديد على زمام الامور في دهلي ولكهنو وكانبور وغيرها من المدن الرئيسية التي كانت المقاومة فيها قوية ومنظمة، وظلوا بعد ذلك نحو سنتين وهم يقاتلون الهنود في كل مكان حتى أعادوا فتح الهند من جديد وقضوا على جذور الثورة. وقد رافقت أعمالهم العسكرية أعمال انتقامية وحشية لا نستطيع تبريرها إلا بأنهم كانوا في حالة حرب مع عدو والحرب لا تعرف قانوناً ولا تقيم للاعتبارات الانسانية وزناً، وقد صبوا جام غضبهم على أهل دهلي ولكهنو ومدن كبيرة أخريات أعتبروها مراكز للثورة، وصارو يأخذون الناس بالشبهات فساقوا آلافاً من الناس

الى المحاكم، حكمت عليهم بالموت، بعد أن عذبوهم عذاباً أليماً.

ولم تكن المحاكم الا وسيلة لتبرير القتل بشكل مشروع لأن الحكام لم يكونوا يعرفون لغة من لغات الهند والمتهمون لا يعرفون الانكليزية ليدفعوا عن أنفسهم التهم، فكان مجرد إلقاء القبض على المرء وسوقه الى المحكمة يعني الحكم عليه بالموت، وكان لابد لمن دخل المحكمة من أن يساق إلى المشنقة، إلاّ من رحم ربك وقليل ما هم.

وقال أحد المؤرخين الانكليز «سألت مرة ضابطاً انكليزياً، كان أيام الثورة في معسكر قريب من مدينة بنارس، قائلاً: أظن إنكم كنتم تخافون أن يعتدي عليكم أهل بنارس ؟ قال: بل كنا نودّ ذلك لكي يُتيحوا لنا أن نوقع بهم وننهب هذا البلد الذي لم ينهب منذ قرنين».

ويقول المؤرخ ذاته: «إن جنودنا لم يكونوا يبالون بارواح العباد وأموالهم ولا يقيمون وزناً للكرامة والشرف».

ويقول أيضاً: «إن ما كانت تذكره البلاغات عن قتل الثوار لم يكن في الواقع يعني غير أولئك الفلاحين المسالمين الذين كانوا يؤخذون من حقولهم وهم عزّل فيقتلون».

ويقول هذا المؤرخ في كتابه «بريطانيا العظمى»: «إن ما ارتكبه جنودنا من ظلم ووحشية ومن حرق وتقتيل لا نجد له مثالاً في أي عصر ومصر».

وقد أوجز السيد الندوي فضائع الانكليز في هذه الحرب ضمن نقاط استخلصها من المصادر الموثوق بها عن هذه الثورة، ومن ذلك، ما كتبه جون لورنس الحاكم الانجليزي في ديسمبر ١٨٥٧ الى القائد الانجليزي.

١ ــ «اعتقد ان الطريقة التي انتهبنا بها جميع الطبقات من غير تمييز بينها ستصب علينا السخط العام وستصب علينا اللعنات الى الأبد وإننا نستحق ذلك»[1].

وقامت سوق القتل والنهب في دهلي على قدم وساق، والدماء تسفك، والرقاب تضرب، والرصاص يطلق من غير تمييز والبيوت تنهب، وقد خرج كل من استطاع أن ينجو بنفسه وأهله وعرضه، حتى أصبحت المدينة التي كانت عروس البلاد وعاصمة الهند

---

(1) Basworth Smith Life Of Lord Lawrence V-٢-P,١٥٨.

مقفرة موحشة ليس فيها الا البيوت الخاوية، والأنقاض المتراكمة والجثث المتعفنة، أو الجنود المفترسة، وإليك تصوير الحال من قلم قائد قواد الجيوش الانجليزية (Lord Roberts) وقد كان مسافراً بجيشه من دهلي الى كانبور يقمع الثورة، وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من سبتمبر ١٨٥٧ م بعد ما استولى الجنود الانجليز على دهلي وتملكوا القلعة الحمراء[٢] يقول روبرتس في كتابه «إحدى وأربعون سنة في الهند»:

٢ ـــ كان المسير من دهلي في نور الصباح الباكر وكان منظراً هائلاً، خرجنا من القلعة من بابها الذي يسمى باب لاهور، ومررنا بالشارع الكبير الذي هو مركز البلد وأكبر أسواقها «جاندني جوك» لقد كانت دهلي في الحقيقة مدينة الأموات ليس بها داع ولامجيب، فلا صوت إلا صوت سنابك الخيل، ولم يقع بصرنا على عرق ينبض أوعين تطرف، لم تكن هنالك الا جثث هامدة مبعثرة هنا وهناك، وقد كانت هذه الجثث في أوضاع مختلفة خلفها صراع الحياة والموت في أدوار مختلفة من التفكك، وكنا لا نتكلم إلا همساً حتى لا نزعج هؤلاء الأشقياء الذين كانوا مستغرقين في نومة الموت، إن ما رأيناه من المناظر كانت هائلة مفزعة وكانت مؤسفة محزنة، وقد كانت بعض الجثث ينتهشها كلب، وكان عند بعضها نسر يرفرف جناحه ويحاول أن يطير فلا يستطيع بفرط الشبع والثقل، وقد كان بعض الأموات يتراءون أحياء فقد رفع بعضهم يده في الاحتضار فبقيت مرفوعة كأنه يشير الى جانب، لقد كان منظراً مهيباً موحشاً لا يمكن تصويره، وكأن خيلنا قد استولى عليها الذعر فكانت تجفل وتنتفخ مناخرها، وقد كان المحيط كله مروعا ولا يمكن تصوره، وقد كان تعفن بروائح مضرة تولد الأمراض [١].

لقد كانت المجزرة شعبية وطنية عامة، ولكن كان المسلمون بصفة خاصة هدف هذه الاهانات والفتك الذريع، لأن كثيراً من الانجليز المسؤولين كانوا يعتقدون أنها ثورة اسلامية، وأن المسلمين هم مصدر الثورة وأصحاب فكرتها وهم الذين تولوا قيادتها، يقول كاتب انجليزي (Henry Mead):

---

[٢] القلعة الحمراء بناها الامبراطور شاه جهان، وكانت مركز الحكومة المغولية، وكان فيها في العهد الأخير بهادر شاه.

[١] Lord Reberts: Forty one years in India P. ١٤٢

٣ ــ «إن هذه الثورة لا يصح في المرحلة الحاضرة أن تسمى ثورة الجنود لقد انفجرت الثورة منهم ولكن سرعان ما تجلت حقيقتها وظهر الها ثورة إسلامية».

ولذلك كانوا يخصون المسلمين بالقتل والبطش، يقول مؤرخ معاصر:

٤ ــ «قد كان شعار بعض رؤساء الانجليز أنهم كانوا يعتبرون كل مسلم ثائرا وكانوا يسألون الرجل أنت هندوكي او مسلم ؟ فاذ قال مسلم قتله بالرصاص»[٢].

٥ ــ «ان هؤلاء الانجليز كلما رأوا مسلماً عليه مسحة من جمال أو له جسم قوى اقتنصوه وشفوا قلوبهم بقتله، وقد قتل عدد كبير من الوجهاء والأشراف وأصحاب البيوتات الذين بقوا في البلد، كانوا يقتلون الأبناء الشبان أمام آبائهم الشيوخ، ويقولون للوالد العجوز: أنج بنفسك، وقلما أفلت من ايديهم مسلم جميل الوجه صاحب حسب ووجاهة حتى أثر ذلك في النسل، وأصبح لا يولد في دهلي مولود فيه الوسامة والجمال، فاذا قارن أحد بين المسلمين قبل الثورة والمسلمين بعدها رأى فرقاً واسعاً بين الجيلين في الجمال والوسامة[١].

ثم جاء دور الشنق، ونُصبت مشانق وأعواد على الطرق العامة والشوارع، وأصبحت مواضع نزهة عامة يتفرج عليها الانجليز ويتمتعون بمناظر احتضار المشنوقين وهم يدخنون ويتحدثون، فاذا تم عمل الشنق ولفظ المشنوق نفسه الأخير، استقبلوه بالضحك والابتسام، وفي هؤلاء الأشقياء أصحاب الامارات وكبار الأشراف، وقد شنق بعض الأحياء الاسلامية على بكرة أبيها، ويذكر مؤرخ معاصر:

٦ ــ إن سبعة وعشرين ألفاً من المسلمين قتلوا شنقاً، واستمرت المجزرة سبعة ايام متواليات لا يحصى من قتل فيها، أما السلالة التيمورية فقد حاول الانجليز أن يستأصلوا شأفتها، فقتلوا حتى الصبيان، وعاملوا النساء معاملة همجية تقشعر منها الجلود»[٢].

٧ ــ إن ضباط جيوشنا كانوا يقتلون المجرمين من كل نوع، وكانوا يشنقون من غير

---

[٢] الأستاذ ذكاء الله الدهلوي " عروج سلطنت انكلشية " ص ٧١٢.

(١) الأستاذ ذكاء الله الدهلوي، عروج سطنت انكلشية " ص ٧١٢.

(٢) السيد كمال الدين حيدر في " قيصر التواريخ " المجلد الثاني ص ٤٥٤.

رحمة وألم كأنهم كلاب أو بنات آوى أو حشرات خسيسة[٣].

ويقول قائد قواد الجيوش الانكليزية «Lord Roberts»

٨ ــ إن أهول طريقةللاعدام هو أن يرمي المجرم بالمدفع، إنه حقاً منظر هائل ولكن لا نستطيع في هذا الوقت إلا أن نأخذ بالاحتياط، إن هدفنا أن نثبت للمسلمين الاشرار أن الانجليز لا يزالون ــ بنصر الله ــ سادة الهند[٤].

وهكذا دفع المسلمون أبهظ ثمن وأغلاه لهذا الجهاد، وظل قادة الفكر والسياسة واقطاب الحكومة من الانجليز يعتقدون أن المسلمين هم المسؤلون عن ثورة ١٨٥٧ م، لا يتخلون عن تبعاتها جيلا بعد جيل، وقد قال هنرى هملتن تامس Henry Hamilton Thomas أحد كبار الموظفين الانكليز في بنغال في كتابه «ثورة الهند الماضية وسياستنا المستقبلة» (Late Ribellion In Indid & Our Future Policy) الذي ألفه في سنة ١٨٥٨ م يعنى بعد الثورة بسنة فقط، والكلمة تشرح عقيدة الانجليز ووجهة نظرهم عن المسلمين بعد الثورة، يقول:

٩ ــ «لقد قدمت أن الهنادك لم يكونوا اصحاب الفكرة في ثورة ١٨٥٧م ولم يكونوا مصدرها، وسأثبت في هذه المناسبة أن الثورة كانت نتيجة مؤامرة المسلمين، إن الهنادك إذا تركت لهم الحرية وكانوا محدودين في وسائلهم لم يكونوا ليساهموا في مثل هذه الثورة وما كانوا يودونها، إن المسلمين لم يزالوا ولا يزالون منذ عهد الخليفة الأول مستكبرين غير متسامحين، وظالمين، لم يزل هدفهم الدائم أن تقوم الحكومة الاسلامية بأى وسيلة كانت، وأن ينشأ الناس على كراهة المسيحيين، إن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية وفية لحكومة تدين بغير دين الاسلام لأن ذلك مستحيل في ظل أحكام القرآن».

وقد كانت هذه هي السياسة المتبوعة في الحكومة الانجليزية القائمة. وهي القاعدة التي يسير عليها موظفوها الكبار، ورؤساء المصالح، إقصاء المسلمين عن المراكز الكبيرة في الحكم والادارة، وسد أبواب الرزق الشريف عليهم، ومصادرة الأوقاف والأملاك التي تدر على مدارسهم ومؤسساتهم، وتأسيس مدارس ونظام تعليمي لا ينشط المسلمون للافادة منه.

---

(٣) ميلى سن، ج٣ ص ١٧٧.

(٤) تامس، ص٤٠.

وقد كان يعلن في بعض بلاغات رسمية أن الوظائف الفلانية لا يقبل فيها الا الهنادك، يقول هنتر:

إن المسلمين وإن كانوا يمسكون المؤهلات والكفاءة المطلوبة لوظيفة، ولكنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمي. وقد كان غضب الانجليز شديداً واضحا في قضايا المسلمين كلها، فكانوا يؤخذون بأقل تهمة وأبعد وشاية، وكانوا يؤخذون بالظنة ويعاقبون أشد العقاب.

إن هذه المعاملة القاسية الشاذة التي استمرت مدة طويلة كانت سبباً لتخلف المسلمين في الثقافة والعلم، ومنعتهم عن أن ينالوا قسطهم في الادارة ومصالح الحكومة، وقد شغلهم الدفاع عن انفسهم ونفي التهم التي كانت توجه اليهم بين حين وآخر، عن المساهمة في سياسة البلاد ومجاراة الشعوب الأخرى التي كانت تتقدم بخطى وساعة، وتنال من الحكومة كل تشجيع وعطف في الوعي القومي والشعور الوطني.

امبراطورية المغول في نهايتها المفجعة:

ولما تم للإنكليز هذا النصر نفوا السلطان إلى رنكون وقضوا على آخر رمز للسلطة الوطنية، هذا مع العلم بأن السلطان لم يوح بالثورة ولا اشترك بها ولا ارادها ولا كان قادراً عليها بالنظر الى الظروف الموضوعية التي كانت تحيط به. ولو تسنى لهذه الثورة زعيم يحسن قيادتها لكان لها شأن غير ما رأينا.

وعلى أثر هذه الثورة ألحقَ الإنكليز الهند بإنكلترا مباشرة من غير وساطة الشركة، وأقر البرلمان البريطاني، سنة ١٨٥٨، دستوراً جديداً للهند جعل من الملكة فيكتوريا ملكة إنكلترا والهند، وأحدثت وزارة باسم وزارة الهند، وحلّ محل مجلس رقابة الشركة مجلس أسموه ملجس الهند، مهمته استشارية، واصبح لقب حاكم الهند العام: نائب الملك، وبهذه المناسبة صدر عن الملكة بلاغ جاء فيه:

«إننا نحيط أمراء الهند علماً بأننا نتقيد بجميع المعاهدات التي عقدوها مع الشركة أوعقدت في عهد حكومة الشركة، وسنعمل على تنفيذها، ونأمل من الأمراء أن يتقيدوا بها.

ونعلن باننا لا نود أن تضم إلى ممتلكاتنا الحالية بلاداً آخر، كما أننا لا نسمح لأحد

بالاعتداء على ممتلكاتنا، وإننا نعترف لسكان ممتلكاتنا الهندية بحق الرعوية التي لغيرهم من رعايانا، وسنعمل للقيام بهذا الواجب بكل صد ق وإخلاص.

إننا نؤمن بالدين المسيحي إيماناً صادقاً ولكننا لا نكره أحداً من رعايانا على قبول عقائدنا».

وأكد البيان في نهايته عزم حكومة الهند على تحسين حالة أهل البلاد والترفيه عنهم والسعي في إرضائهم وسعادتهم.

وكان أول ما اتجه إليه نائب الملك، بعد صدور هذا البيان، أن اخذ بتأليف جيش جديد للهند الشمالية غير جيش الشركة الذي كان يتألف من مئة وثمانية وعشرين ألف جندي، هلك في الثورة منهم مئة وعشرون ألفاً ومَن سلم منهم واستطاع الفرار فرّ إلى غابات نيبال خوف العقاب فهلك فيها ومن استطاع ان يقاوم عوادي الزمن ويعيش بعد أن صدر العفو وعاد الى بلاده نبذ وطرد، ولذا فقد اخذ كيننك يعمل على تنظيم جيش جديد بموجب قانون جديد ينص على ألاّ يزيد عدد الجنود الهنود في اية فرقة على ثلاثة أضعاف البيض، وألاّ يعهد الى الهنود بأعمال ذات مسؤولية في المدفعية. وقسم الجيش الهندي الى ثلاثة جيوش هي: جيش بمبي، وجيش مدراس، وجيش البنغال، ويدخل في هذا الجيش الأخير كل شمال الهند.

محاكمة بهادر شاه ونفيه:

حين سقطت دهلي التجأ بهادر شاه الى ضريح جده همايون، فقبض عليه هود سون Hodson وقتل اثنان من أولاده رمياً بالرصاص في الطريق، وفي اليوم التالي قبض على حفيده واعــدم بالنار ايضاً وقطعوا رؤوسهم وقدموها في طبق الى والدهم الشيخ الذي قد نيّف على السبعين من العمر، ووضع في السجن تمهيداً لمحاكمته بتهمة التحريض على القتل، وبدأت محاكمته في دهلي في ٢٧ يناير ١٨٥٨م وحين تليت التهم أمام الملك نفاها تماماً فقدم قــادة الانجليــز وثائــق زعموا انها تويد دعاواهم وشهد على ذلك بعض من جندهم الانجليز للشهادة ضد الملك، فطالب المدعي العام باعدامه، ثم استبدل الحكم بالنفي الى خارج الهند، فارسل كما تقدم الى مدينة (رنكون) عاصمة (بورما) يوم

الخميس ١٧ اكتوبر ١٨٥٨، وكان عدد المرحلين معه ينوف على الثلاثين شخصاً من اقرب المقربين اليه وفيهم زوجته زينت محل وأولاده جوان بخت، وجمشيد بخت، كلثوم زماني بخت، وورونق زماني بيكم.

وفاته وقبره ومصير أسرته:

وفي رنكون طِيف به وباسرته في عربة مكشوفة ثم الى شارع كلكته حيث المكان المخصص لحبسه مع اسرته تحت حراسة شديدة وبقي في منفاه حتى وفاته في عصر يوم الجمعة ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٧٩هـ الموافق للسابع من نوفمبر ١٨٦٢، وحضر دفنه طبيبه، وحافظ محمد ابراهيم استاذ ابنه جمشيد، ولم يأذن الانجليز في تشييد مقبرة خاصة به حتى عام ١٩٤٦. أما زوجته زينت محل فقد توفيت هي الاخرى في ١٤ شوال ١٣٠٣هـ، الموافق للسابع عشر من يوليو ١٨٨٦، ودفنت بجواره، وتوفيت بنته رونق زماني بيكم في ٣٠ ذى القعدى ١٣٤٩، ابريل ١٩٣٠ ودفنت معهم، اما الامير جوان بخت فقد سجنه الانكليز في بلدة مولمين ثم ضاعت اخباره، والامير جمشيد بخت الذي كان مسجوناً في غرفة أمام سجن ابيه، افرج عنه فيما بعد ودرس وتزوج من فتاة بورمية سنة ١٩٠٥ انجبت له ولداً سماه «اسكندر بخت». وقدتوفي جمشيد بخت سنة ١٩٢١. وابنه الملك كلثوم زماني بيكم قيل انها تزوجت من امير مسلم صيني طلقها فيما بعد، وفي دهلي القديمة اليوم عدد من الاسر التي تنتسب الى بهادر شاه وقد يكون من الصحيح هو انتسابها لفروع اخرى من الاسرة التيمورية.

وعند قبر الملك بهادر شاه هذا الشاهد الكتابي وقد دونت فيه العبارات التالية:

«كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام»

آخر مصباح في أسرة المغول الملكية

حضرة أبو ظفر سراج الدين محمد بهادر شاه ظفر رحمة الله عليه.

جلس على العرش من سنة ١٨٣٧ م الى سنة ١٨٥٨ م.

اليوم بتاريخ ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٢ م ١٤ جمادى الأولى ١٢٧٩هـ يوم الجمعة صعدت الروح التي استقرت في بهادر شاه ٨٩ سنة، وودعت جسده الى الأبد، فغربت

شمسه، وفاضت كأس عمره، واحتضنت أرض «رنكون» آخر مصباحٍ في الأسرة التيمورية. ولد في «جهان آباد ـــ دهلي» ولكنه عانى سكرات الموت بعيداً عن الوطن بآلاف الأميال، على سرير بسيط حقير، وكانت حياته ربيعاً حافلاً بالخدم والحشم، ولكنه مات وما حوله إلا ثلاثة: زوجته وولداه ـــ وقبل أن تغرب شمس النهار فاضت روحه، بعد ما عرف العالم حالة اسرته المنكودة، فاستقر الجوهر اللامع من دهلي في أرض «رنكون» فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وتحت هذا كتب تاريخ وفاته في بيتين من الشعر بالأوردية ترجمتها:

«في أربعة عشر من جمادى الأولى يوم الجمعة وقت العصر».

«كانت هذه اللحظة حاسمة في تاريخ الغربة والسجن».

«قال فيها ملك الموت لملك الهند، وهو بعيد عن وطنه».

«إن جنة الخلد هي وطنك يا ظفر، يا غريب الوطن».

ثم كتب تاريخ وفاته بالانجليزية هو ومن دفن معه، وتحته كتب بالعربية في اسفل اللوحة:

ملكة نواب زينت محل: أعلى الله مقامها: تاريخ الوفاة ١٤ شوال سنة ١٣٠٣هـــ مطابق ١٧ يوليو سنة ١٨٨٦ م. بنت الملك: رونق زماني بيكم: أعلى الله مقامها: تاريخ الوفاة ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٤٩هـــ مطابق ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٠ م.

شـــعره وأدبـــه:

مر علينا أن بهادر شاه كان عالماً وشاعراً وخطاطاً، وقد طبع ديوانه وشرحه لكلستان سعدي وكتب جارسان ده تاسي Garcin de Tassy نبذة عن بهادر شاه باسمه الشعري «ظَفَر» في كتابه History Of Hindustani Literature ج٣، ص ٣١٧، وأرود ترجمة لأحدى قصائده الغنائية (رخته)، ومن المعروف ان استاذه ومعلمه هوالشاعر الهندي الشهير أسد الله غالب ومن المؤكد أنه هذا المعلم هوالذي غرس في (بهادر شاه) بذرة التشيع حتى نمت واورقت وشبّ الامير على محبة أهل البيت وكتب فيهم الشعر ولما تولى الملك كان الكثير من المقربين اليه من الشيعة وعلى أثر ذلك حظي بمساعدة وتكريم مستمر من دولة اوده

الشيعية وملوكها في لكهنو.

وقد خلف الملك عدة دواوين المعروف منها اليوم اربعة وهي:

١ ــ كليات ظفر ــ مرتبه عمر فيضي ــ سنك ميل بيلى كيشنز، لاهور سنة ١٩٦٩.

٢ ــ بهادر شاه ظفر ــ فن اور شخصيت ــ از خواجه محور حسين ــ مكتبهء نعيمية دلهي ــ سنة ١٩٦٢ / اردو اكيد مي سنده، كراجي سنة ١٩٦٥.

٣ ــ نوائي ظفر ــ مرتبة خليل الرحمن اعظمي ــ انجمن ترقى ء اردو على كره سنة ١٩٥٩

٤ ــ بهادر شاه ظفر ــ از امير احمد علوي ــ لكهنو سنة ١٩٣٥.

ومن شعره (المعرب) الذي قاله في محنته:

«ان القصر الذي اصبح الآن قفراً كان من قبل آهلا بالسكان. والمكان الذي استولى عليه ابن آوى كان عامراً بالإنسان، والمكان الذي لانجد فيه الآن إلا الخزف والحصى والتراب كان مملوءا بالجواهر واليواقيت، إن أحوال العالم تتقلب دائماً، فأين كنت من قبل ؟! وأين أنا الآن ؟! إن الذي لا يذكر الله في رغد العيش، أوفي وقت الغضب والطيش، لايعد من الآدميين وله ايضاً:

«يا رسول الله .... ما كانت امنيتي الا أن يكون بيتي في المدينة بجوارك.. ولكنه اصبح في رنكون وبقيت امنياتي مدفونة في صدري «يا رسول الله» كانت أمنيتي أن أمرغ عيني في تراب أعتابك ولكن ها أنذا امرغ في تراب «رنكون»

وبدلاً من أن أشرب من ماء زمزم، بقيت هنا أشرب الدموع، الدامية، فهل تنجدني يا رسول الله، ولم يبق من حياتي إلا عدة أيام ؟!!.

من اشعار **بہادر شاہ ظفر**

غزلیات

۱۔ نہ درویشوں کا خرقہ چاہیئے نے تاجِ شاہانہ
مجھے تو ہوش دے اِتنا کہ ہوں میں تجھ پہ دیوانہ

۲۔ نہ دیکھا وہ کہیں جلوہ جو دیکھا خانۂ دل میں
بہت مسجد میں سر مارا، بہت سا ڈھونڈھا بُت خانہ

۳۔ کچھ ایسا ہو کہ جس سے منزلِ مقصود کو پہونچوں
طریقِ پارسائی ہو کہ ہووے راہِ رندانہ

۴۔ دیا اپنی خودی کو جو ہم نے مِٹا، وہ جو پردہ سا بیچ میں تھا نہ رہا
رہا پردے میں اَب نہ وہ پردہ نشیں، کوئی دوسرا اُس کے سوا نہ رہا

۵۔ نہ تھی حال کی جب ہمیں اپنے خبر، رہے دیکھتے اوروں کے عیب و ہنر
پڑی اپنی برائیوں پر جو نظر، تو نگاہوں میں کوئی بُرا نہ رہا

۶۔ ہمیں ساغرِ بادہ کے دینے میں اب کرے دیر جو ساقی تو ہائے غضب
کہ یہ عہدِ نشاط یہ دَورِ طرب نہ رہا، نہ رہا، نہ رہا، نہ رہا

۷ـ ظفر آدمی اُس کو نہ جانئے گا، ہو وہ کیسا ہی صاحبِ فہم و ذکا
جسے عیش میں یادِ خدا نہ رہی، جسے طیش میں خوفِ خدا نہ رہا

۸ـ صوفیوں میں ہوں نہ رندوں میں نہ مے خواروں میں ہوں
اے بتو۔ بندہ خدا کا ہوں گنہ گاروں میں ہوں

۹ـ میری ملت ہے محبت، میرا مذہب عشق ہے
خواہ ہوں مَیں کافروں میں، خواہ دیں داروں میں ہوں

۱۰ـ نے مرا مونس ہے کوئی اور نہ کوئی غم گسار
غم مرا غم خوار ہے میں غم کے غم خواروں میں ہوں

۱۱ـ اے ظفرؔ میں کیا بتاؤں تجھ کو جو کچھ ہوں سو ہوں
لیکن اپنے فخرِ دیں کے کفش برداروں میں ہوں

۱۲ـ کیوں کہ ہم دنیا میں آئے کچھ سبب کُھلتا نہیں
اک سبب کیا، بھید واں کا سب کا سب کُھلتا نہیں

۱۳ـ دل ہے یہ۔ غنچہ نہیں ہے۔ اِس کا عقدہ اے صبا
کھولنے کا جب تلک آئے نہ ڈھب، کُھلتا نہیں

۱۴ـ کس طرح معلوم ہووے اُس کے دل کا مدعا
مجھ سے باتوں میں ظفرؔ وہ غنچہ لب کُھلتا نہیں

۱۵ـ جب کوئی کہتا ہے ہستی کو کہ ہستی خوب ہے
اُس کی غفلت پر فنا اُس وقت ہنستی خوب ہے

۱۶ـ توبہ اے ساقی نہیں پینے کا مَیں جامِ شراب
مجھ کو اپنی بادۂ وحدت کی مستی خوب ہے

۱۷ـ مُلکِ دنیا کی تو آبادی ہے ویرانہ تمام
اور بستی ہے جہاں اِک خلق بستی خوب ہے

۱۸ـ رنج و قلق ہے، درد و الم ہے، حسرت ہے، ناکامی ہے
دُوری میں اُس راحتِ جاں کی کیسا کیا بے آرامی ہے

۱۹ـ کس کی حمایت ڈھونڈیں ہم، اور کس سے مدد ہم چاہیں ظفرؔ
رکھتے نظر ہیں اپنی خدا پر، وہ ہی ہمارا حامی ہے

۲۰ـ اگر غفلت کا ہم پردہ اٹھاتے اپنی آنکھوں سے
تو جو واں دیکھتے، یاں دیکھ جاتے اپنی آنکھوں سے

۲۱ـ ظفرؔ گریہ ہمارا کچھ نہ کچھ تاثیر رکھتا ہے
اُنھیں ہم دیکھتے ہیں مسکراتے اپنی آنکھوں سے

مستزاد

۲۲- جو عرش سے ہے فرش تلک، آدمی میں ہے
دیکھ آنکھ کھول کر

۲۳- کیا کیا نہیں ہے اُس میں کہ سب کچھ اُسی میں ہے
پر چاہیے نظر

۲۴- دل اپنا پہلے زنگِ کدورت سے صاف کر
مانندِ آئینہ

۲۵- پھر تُو بہ غور دیکھ کر اِس آرسی میں ہے
کیا حُسن جلوہ گر

۲۶- پیدا نگاہ کر کر تجلّیِ حُسنِ یار
ہر جا ہے آشکار

۲۷- شعلے سے نُور کے نہیں کم روشنی میں ہے
ہر سنگ کا شرر

۲۸- کیوں کعبہ و کنشت میں سر مارتا ہے تُو
سرگرمِ جستجو

۲۹- تو ڈھونڈتا ہے جس کو، چھُپا وہ تجھی میں ہے
پر تُو ہے بے خبر

۳۰- ہے دَورِ جام و صحبتِ یارانِ زندہ دل
کیفیتِ حیات

۳۱- کچھ ہے اگر مزا تو یہی زندگی میں ہے
باقی ہے دردِ سر

۳۲- افشائے رازِ عشق نہ کر کہہ کے جی کی بات
پردہ ہی خوب ہے

۳۳- جی ہی میں اپنے رہنے دے جو کچھ کہ جی میں ہے
خاموش اے ظفرؔ

۳۴- ہمیں کیا کام جو ناحق سہارا غیر کا ڈھونڈیں
سہارا یاں خدا ہی کا کچھ ایسا ہے کہ کیا کہیے

۳۵- وہ ہے پیشِ نظر اور پھر نظر آتا نہیں ہرگز
پڑا غفلت کا اک پردا کچھ ایسا ہے کہ کیا کہیے

۳۶- مزا جو کچھ کہ اِس دردِ محبت میں ہے بے دردو
وہ ہم سے پوچھتے ہو کیا کچھ ایسا ہے کہ کیا کہیے

۳۷- ظفرؔ دنیائے فانی خواب کا سا ایک عالم ہے
مگر اِس خواب میں دیکھا کچھ ایسا ہے کہ کیا کہیے

۳۸- ہے یاں کی شیخ کشف و کرامت یہیں تلک
شیخی یہیں تلک ہے مشیخت یہیں تلک

۳۹- لے کر گیا نہ یاں سے کوئی ساتھ مِلک و مال
رہتی ہے یاں کی دولت و حشمت یہیں تلک

۴۰- تُو جا کے یاں سے پھر نہیں رہنے کا حکمراں
ہے تیری چند روز حکومت یہیں تلک

۴۱- نہ ہوگی اے عزیزو ایسی سے خواری میں بے ہوشی
ہمیں جیسی رہی ہے عینِ ہشیاری میں بے ہوشی

۴۲۔ دلِ بیدار، بن، کیا دیدۂ بیدار سے حاصل
مرے نزدیک ہے غافل وہ بیداری میں بےہوشی

۴۳۔ حال نہیں کچھ کھلتا میرا کون ہوں کیا ہوں کیسا ہوں
مست ہوں یا ہشیار میں ہوں ناداں ہوں یا دانا ہوں

۴۴۔ کیسا رنج اور کیسی راحت کس کی شادی کس کا غم
یہ بھی نہیں معلوم مجھے میں جیتا ہوں یا مرتا ہوں

۴۵۔ یار ہے میرے دل میں اور میں کعبے میں، بُت خانے میں
گھر میں وہ موجود ہے اور میں گھر گھر ڈھونڈتا پھرتا ہوں

۴۶۔ کچھ بھی نہیں اور سب کچھ ہوں گر دیکھو چشمِ حقیقت سے
میں ہوں ظفؔر مسجودِ ملائک گرچہ خاک کا پُتلا ہوں

۴۷۔ خودپرستی بُت پرستی سے نہیں کم اَے ظفؔر
جس نے چھوڑی خودپرستی بُت پرستی چھوڑدی

۴۸۔ زاہد نہ بادہ نوش ہوں نَے مے پرست ہوں
رہتا شرابِ عشق ہی سے خوب مَست ہوں

۴۹۔ یہ نفس کافر اور بھی کرتا ہے سرکشی
ہر روز اِس حریف کو دیتا شکست ہوں

۵۰۔ ہستی کے میکدے میں ظفؔر کب ہوا سُرور
روزِ ازل سے مستِ شرابِ اَلَست ہوں

۵۱۔ نہ پہونچا کوئی اپنے پاس پہونچا جب کہ وقت اپنا
اجل کو آفریں ہے وقت پر پہونچی تو یہ پہونچی

۵۲۔ ہم اَپنے کنجِ غم میں نالہ و فریاد کرتے ہیں
ہمیں کیا گر چمن میں چہچہا ہے عندلیبوں کا

۵۳۔ بہا گر آنسوؤں کا آنکھ سے دریا تو کیا حاصل
فرو کب اِس سے میرے دل کی سوزش ہونے والی ہے

۵۴۔ جہاں چمن میں نشیمن تھے بُلبُلوں کے ظفؔر
ہزار حیف وہاں آشیانِ زاغ بنے

۵۵۔ جہاں ویرانہ ہے پہلے کبھی آباد گھریاں تھے
شغال اَب ہیں جہاں بستے کبھی رہتے بشریار

۵۶۔ جہاں پھرتے بگولے ہیں اڑاتے خاک صحرا میں
کبھی اُڑتی تھی دولت، رقص کرتے سیم و بَریاں

۵۷۔ ظفرؔ احوال عالَم کا کبھی کچھ ہے کبھی کچھ ہے
کہ کیا کیا رنگ اَب ہیں اور کیا کیا پیش تریاں تھے

۵۸۔ نہ کسی کی آنکھ کا نور ہوں نہ کسی کے دل کا قرار ہوں
جو کسی کے کام نہ آسکے مَیں وہ ایک مُشتِ غبار ہوں

۵۹۔ مرا رنگ روپ بگڑ گیا۔ مرا یار مجھ سے بچھڑ گیا
جو چمن خزاں سے اُجڑ گیا مَیں اُسی کی فصلِ بہار ہوں

۶۰۔ نہ تو مَیں کسی کا حبیب ہوں نہ تو مَیں کسی کا رقیب ہوں
جو بگڑ گیا وہ نصیب ہوں جو اُجڑ گیا وہ دیار ہوں

۶۱۔ پئے فاتحہ کوئی آئے کیوں؟ کوئی چار پھول چڑھائے کیوں؟
کوئی آکے شمع جلائے کیوں؟ میں وہ بیکسی کا مزار ہوں

۶۲۔ مَیں نہیں ہُوں نغمۂِ جاں فزا، مجھے سُن کے کوئی کرے گا کیا؟
مَیں بڑے بروگ کی ہوں صدا، مَیں بڑے دُکھی کی پکار ہوں

۶۳۔ لگتا نہیں ہے جی مرا اُجڑے دیار میں — کس کی بنی ہے عالَمِ ناپائیدار میں

۶۴۔ عمرِ دراز مانگ کے لائے تھے چار دن — دو آرزو میں کٹ گئے دو انتظار میں

۶۵۔ کہہ دو یہ حسرتوں سے کہیں اور جابسیں — اِتنی جگہ کہاں ہے دلِ داغ دار میں

۶۶۔ کتنا ہے بدنصیب ظفرؔ دفن کے لئے — دو گز زمین بھی نہ ملی کوئے یار میں

۶۷۔ گئی یک بیک جو ہَوا پلٹ، نہیں دل کو میرے قرار ہے
کروں اِس ستم کا مَیں کیا بیاں، مرا غم سے سینہ فگار ہے

۶۸۔ نہ تھا شہر دہلی، تھا اک چمن، کہوں کس طرح کا تھا یاں امن
جو خطاب تھا وہ مِٹا دیا فقط اب تو اُجڑا دیار ہے

۶۹۔ شب و روز پھول میں جو تُلے کہو خارِ غم کو وہ کیا سہے
ملے طوق قید میں جب اُنھیں کہا گُل کے بدلے یہ ہار ہے

۷۰۔ نہ دبایا زیرِ چمن اُنھیں نہ دیا کسی نے کفن اُنھیں
نہ ہُوا نصیب وطن اُنھیں، نہ کہیں نشانِ مزار ہے

۷۱۔ سبھی جا۔ وہ ماتم سخت ہے کہوں کیسی گردشِ بخت ہے
نہ وہ تاج ہے نہ وہ تخت ہے نہ وہ شاہ ہو نہ دیار ہے

۷۲۔ تجھے خوف حشر کا کیا ظفرؔ۔ تُو خدا سے جا ملا سربسر
تجھے ہے وسیلہ رسولؐ کا وہ جو تیرا حامیِ کار ہے

سلالة تيمورلنك وعقبه أباطرة المغول في الهند

شاه رخ
في خراسان ومازندان من ١٤٠٥
توفي في سمرقند ١٣٧٦
في أصفهان وشيراز من ١٤١٤
ولد ١٣٧٧/٨/٢٠
توفي ١٤٤٧/٣/١٢

ميران شاه
أذربيجان والعراق ١٤٠٥-١٤٠٧
ولد ١٣٦٦ توفي ١٤٠٨/٤/٢٠

سلطان بخت

عمر شيخ
في تركستان ثم في فارس
توفي ١٣٩٥

جهان كير
توفي في سمرقند ١٣٧٦

محمد

إبراهيم

أحمد جوكي

ألوغ بك في ما وراء النهر من ١٤٠٩ في خراسان من١٤٤٦ ولد ١٣٩٣ توفي ١٠/٢٧/ ١٤٤٩ ركن الدين عبد اللطيف في ما وراء النهر توفي ١٠/٦/ ١٣٥٠

أسيور غتمش

بايسغر

محمد أبو سعيد في ما وراء النهر من ١٤٥٢ في هراة وبلخ وخراسان من ١٤٥٩ ولد ١٤٢٧ توفي ٢/٤/ ١٤٦٩

خليل في ما وراء النهر ١٤٠٥- ١٤١٠ ثم في الري ولد ١٤٨٤ توفي ١٤١٠

ميرزا عمر

ميرزا أبو بكر

محمد سلطان توفي ١٤١٢

بير محمد في الهند من ١٤٠٥ في بلخ توفي ١٤٠٧

سعد الوقاص في قم ١٤١٤-١٤٢٥ ولد ١٣٩٩ توفي ١٤٢١

قايدو في بلخ ١٤٠٧-١٤١٠ في قندهار. كانون وغزنة ١٤١٠

عمر شيخ في فرغانة من ١٤٦٦ توفي ١٤٩٤

أولوغ بك في كابل وغزنة من ١٤٦١ توفي ١٥٠٢

محمد في ما وراء النهر من ١٤٩٤ توفي ١٤٩٩

أحمد في ما وراء النهر من ١٤٦٩ توفي ١٤٩٤

بايقرا في همدان ١٤١٤-١٤١٥ ولد ١٣٩٣ توفي ١٤٢٣

اسكندر في فارس وأصفهان ١٤١٠- ١٤١٤ توفي ١٤١٥

رستم في أصفهان ١٤٠٥-١٤٠٨ توفي ١٤٣٧

بير محمد في فارس من ١٤٠٨-١٤١٠

بابر ظهير الدين فتح الهند ١٤٢٦ ولد ١٤٨٢ توفي ٢/٢٦/ ١٥٣٠ (٦ جمادى الأولى سنة ٩٣٧)

همايون ناصر الدين

أكبر جلال الدين أبو الفتح محمد توفي في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٠١٤هـ

غياث الدين منصور
توفي ١٤٤٦

أبو الغازي حسين بيافرة في هراة وخراسان من ١٤٧٤ ولد ١٤٣٨/٤/٠٠ توفي ١٥٠٦/٥/٠٠

محمد محسن كبك

بديع الزمان

مظفر حسين

محمد حسين

أبو المحسن

جهانكير، نور الدين باه شاه (سلطان سليم)

شها جهان، شهاب الدين (سلطان خُرّم)
عزل في ١٧ رمضان ١٠٦٨هـ

مراد بخش — أورنك زيب عالم كير — شجاع — دار شكوه — جهان كير

مراد بخش
آزاد بخش

(١) مهر النساء تزوجها آزاد بخش ابن عمها مراد بخش

(٢) كام بخش زوجاته (فخري جهان — كاليان كوماري — ازوم بانو

(٣) زبدة النساء

(٤) زينة النساء ولدت ١٦٤٣/١٠/٥ توفيت بالدكن وينسب لها: مسجد زينة المساجد

(٥) زيب النساء ولدت في دولت آباد في ٢/١٥/ ١٦٣٨ توفيت في دلهي ٥/٢٦/ ١٧٠٢ وكانت شاعرة مجيدة

(٦) أكبر

(٧) أعظم

(٨) شاه عالم بهادر شاه الأول (١٧١٢-١٧٠٧) وزوجاته هي ابنة روب سنكهة والأخرى هي مهر بورز والأخرى امة الحبيب

(٩) محمد سلطان وزوجه ابنة الملك عبد الله قطب شاه

أبناء كام بخش: بنت تزوجها آزاد — بريق الله — فيروز مند — محي السنة

أبناء شاه عالم بهادر شاه الأول:

جهان شاه
محمد شاه

رفيع الشأن
رفيع الدولة
شاه جهان الثاني ١٧١٩

عظيم الشأن تزوج من ابنة خيرات سنكهة ياس كنوار وعائشة بيكم ومن ابنة عمه أعظم
- محمد كريم
- فرخ سير (١٧١٣-١٧١٩)

جهان دار شاه (١٧١٢-١٧١٣) متزوج من (ابنة مراد خان الصفوي — أنوب باي — سيادة النساء ابنة ميراز رستم بن مكرم خان الصفوي — لال كنوار الياس امتياز محل

الفهرست

الغلاف الخارجي الأول: ((صورة المجتهد الأكبر الشهيد الشوشتري ماثلاً أمام الإمبراطور أورنك زيب (١٦١٩-١٧٠٧م) قبيل إعدامه بساعات))